

کتاب مجمع البیان

عن
تأوید آی القرآن

تألیف

آی جعفر محمد بن جریر الطبری

المترجم سنه ۳۱۰ هـ

المترجم

۱۰۰۹

دار الفکر

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ

المتوفى سنة ٢١٠ هـ

الجزء التاسع

دار الفكر

كتابنا الأول

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

مفاتيح

بیتنا الأول

١٣٥٠ - ١٣٥١

مفاتيح

مفاتيح

المطابع والمعمل، حارة حريرك - شارع عبد النور - هاتف، ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب. ٧٠٦١ / ١١
بيروت لبنان } بروت
بريقي، فكسي - تلکس ٤١٣٩٢ فکر FIKR 41392 LE



فهارس الجزء التاسع من جامع البيان من تأويل آي القرآن

فهارس الجزء التاسع من الآيات

فهارس الجزء التاسع

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة

الفهرس الثاني : مواضع الآيات المفسرة

الفهرس الثالث : للقوافي

الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

رسائلنا في طبها رسالة

في

نأقلا في آراءه في نالينا وعلج
في طبها في نالينا وعلج

١٩٨٥ م

- ة رسائلنا في طبها : نالينا وعلج
ة رسائلنا في طبها : نالينا وعلج
في طبها : نالينا وعلج
في طبها : نالينا وعلج

مكتبة جامعة القاهرة - مكتبة
مكتبة جامعة القاهرة - مكتبة
مكتبة جامعة القاهرة - مكتبة

فهارس الجزء التاسع من جامع البيان عن تأويل آي القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٨	قال الملأ الذين استكبروا . . .	١	١١٢	يأتوك بكل ساحر عليم . . .	١٨
٨٩	قد افترينا على الله كذبا . . .	١	١١٣	وجاء السحرة فرعون . . .	١٨
٩٠	وقال الملأ الذين كفروا . . .	٣	١١٤	قال نعم وإنكم لمن المقربين . . .	١٩
٩١	فأخذتهم الرجفة فأصبحوا . . .	٣	١١٥	قالوا يا موسى إما أن تلقى . . .	١٩
٩٢	الذين كذبوا شعيبا . . .	٥	١١٦	قال ألقوا فلما ألقوا . . .	٢٠
٩٣	فتولى عنهم وقال يا قوم . . .	٦	١١٧	وأوحينا إلى موسى أن ألق . . .	٢١
٩٤	وما أرسلنا في قرية من نبي . . .	٦	١١٨	فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . . .	٢٢
٩٥	ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة . . .	٧	١١٩	فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . . .	٢٢
٩٦	واو أن أهل القرى آمنوا . . .	٩	١٢٠	وألقي السحرة ساجدين . . .	٢٢
٩٧	أفأمن أهل القرى أن يأتيهم . . .	٩	١٢١	قالوا آمنا برب العالمين . . .	٢٢
٩٨	أو آمن أهل القرى أن يأتيهم . . .	٩	١٢٢	رب موسى وهارون . . .	٢٢
٩٩	أفأمنوا مكر الله . . .	٩	١٢٣	قال فرعون آمنتم به . . .	٢٣
١٠٠	أو لم يهد للذين يرثون الأرض . . .	٩	١٢٤	لأقطعن أيديكم وأرجلكم . . .	٢٣
١٠١	تلك القرى نقص عليك . . .	١٠	١٢٥	قالوا إنا إلى ربنا منقلبون . . .	٢٣
١٠٢	وما وجدنا لأكثرهم من عهد . . .	١٢	١٢٦	وما تنقم منا إلا أن آمنا . . .	٢٣
١٠٣	ثم بعثنا من بعدهم موسى . . .	١٣	١٢٧	وقال الملأ من قوم فرعون . . .	٢٤
١٠٤	وقال موسى يا فرعون . . .	١٣	١٢٨	قال موسى لقومه استعينوا . . .	٢٧
١٠٥	حقيق على أن لا أقول على الله . . .	١٣	١٢٩	قالوا أوذينا من قبل أن . . .	٢٧
١٠٦	قال إن كنت جئت بآية . . .	١٣	١٣٠	ولقد أخذنا آل فرعون . . .	٢٨
١٠٧	فألقي عصاه فإذا هي ثعبان . . .	١٤	١٣١	فإذا جاءتهم الحسنة قالوا . . .	٢٩
١٠٨	ونزع يده فإذا هي بيضاء . . .	١٦	١٣٢	وقالوا مهما تأتنا به من آية . . .	٣٠
١٠٩	قال الملأ من قوم فرعون . . .	١٦	١٣٣	فأرسلنا عليهم الطوفان . . .	٣٠
١١٠	يريد أن ينخرجكم من أرضكم . . .	١٦	١٣٤	ولما وقع عليهم الرجز قالوا . . .	٤٠
١١١	قالوا أرجه وأخاه . . .	١٧	١٣٥	فلما كشفنا عنهم الرجز . . .	٤١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٣٦	فانتقمنا منهم فأغرقتناهم . . .	٤٢	١٦٤	وإذ قالت أمة منهم . . .	٩٢
١٣٧	وأورثنا القوم الذين كانوا . . .	٤٣	١٦٥	فلما نسوا ما ذكروا به . . .	٩٩
١٣٨	وجاوزنا بني إسرائيل . . .	٤٤	١٦٦	فلما عتوا عما نهوا عنه . . .	١٠١
١٣٩	إن هؤلاء متبر ما هم فيه . . .	٤٦	١٦٧	وإذ تأذن ربك ليعنن . . .	١٠١
١٤٠	قال أغير الله أبغىكم لها . . .	٤٦	١٦٨	وقطعناهم في الأرض أما . . .	١٠٣
١٤١	وإذ أنجيناكم من آل فرعون . . .	٤٧	١٦٩	فخلف من بعدهم خلف . . .	١٠٤
١٤٢	وواعدنا موسى ثلاثين ليلة . . .	٤٧	١٧٠	والذين يمسكون بالكتاب . . .	١٠٨
١٤٣	ولما جاء موسى لميقاتنا . . .	٤٩	١٧١	وإذ نتقنا الجبل فوقهم . . .	١٠٨
١٤٤	قال يا موسى إني اصطفتك . . .	٥٦	١٧٢	وإذ أخذ ربك من بني آدم . . .	١١٠
١٤٥	وكتبنا له في الألواح من كل شيء . . .	٥٦	١٧٣	أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا . . .	١١٨
١٤٦	سأصرف عن آياتي الذين . . .	٥٩	١٧٤	وكذلك نفضل الآيات . . .	١١٩
١٤٧	والذين كذبوا بآياتنا . . .	٦١	١٧٥	واتل عليهم نبأ الذي آتيناه . . .	١١٩
١٤٨	واتخذ قوم موسى من بعده . . .	٦٢	١٧٦	ولو شئنا لرفعناه بها . . .	١٢٤
١٤٩	ولما سقط في أيديهم . . .	٦٢	١٧٧	ساء مثلا القوم الذين كذبوا . . .	١٣٠
١٥٠	ولما رجع موسى إلى قومه . . .	٦٣	١٧٨	من يهد الله فهو المهتدي . . .	١٣٠
١٥١	قال رب اغفر لي ولأخي . . .	٦٩	١٧٩	ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا . . .	١٣١
١٥٢	إن الذين اتخذوا العجل . . .	٦٩	١٨٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه . . .	١٣٣
١٥٣	والذين عملوا السيئات ثم تابوا . . .	٧٠	١٨١	ومن خلقنا أمة يهدون بالحق . . .	١٣٥
١٥٤	ولما سكت عن موسى الغضب . . .	٧١	١٨٢	والذين كذبوا بآياتنا . . .	١٣٥
١٥٥	واختار موسى قومه سبعين رجلا . . .	٧١	١٨٣	وأملئ لهم إن كيدى متين . . .	١٣٥
١٥٦	واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة . . .	٧٧	١٨٤	أولم يتفكروا ما بصاحبهم . . .	١٣٦
١٥٧	الذين يتبعون الرسول . . .	٨١	١٨٥	أولم ينظروا في ملكوت السموات . . .	١٣٦
١٥٨	قل يأيها الناس . . .	٨٦	١٨٦	من يضلل الله فلا هادي له . . .	١٣٧
١٥٩	ومن قوم موسى أمة . . .	٨٧	١٨٧	يستلونك عن الساعة . . .	١٣٧
١٦٠	وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا . . .	٨٨	١٨٨	قل لأملك لنفسي نفعا ولا ضرا . . .	١٤٢
١٦١	وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية . . .	٨٩	١٨٩	هو الذي خلقكم من نفس واحدة . . .	١٤٣
١٦٢	فبدل الذين ظلموا منهم . . .	٩٠	١٩٠	فلما آتاها صالحا . . .	١٤٥
١٦٣	واستلهم عن القرية التي كانت . . .	٩٠	١٩١	أيشركون ما لا يخلق شيئا . . .	١٤٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٩٢	ولا يستطيعون لهم نصيرا . . .	١٥٠	١٣	ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله . . .	١٩٩
١٩٣	وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم . . .	١٥٠	١٤	ذلك فذوقوه وأن للكافرين . . .	٢٠٠
١٩٤	إن الذين تدعون من دون الله . . .	١٥١	١٥	يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم . . .	٢٠٠
١٩٥	ألم أرجل يمشون بها . . .	١٥١	١٦	ومن يؤلمهم يومئذ دبره . . .	٢٠٠
١٩٦	إن وليي الله الذي . . .	١٥٢	١٧	فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم . . .	٢٠٣
١٩٧	والذين تدعون من دونه . . .	١٥٢	١٨	ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين . . .	٢٠٦
١٩٨	وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا . . .	١٥٢	١٩	إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح . . .	٢٠٦
١٩٩	خذ العفو وأمر بالعرف . . .	١٥٣	٢٠	يأيها الذين آمنوا أطيعوا . . .	٢١٠
٢٠٠	وإما ينزغنك من الشيطان . . .	١٥٦	٢١	ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا . . .	٢١٠
٢٠١	إن الذين اتقوا . . .	١٥٧	٢٢	إن شر الدواب عند الله . . .	٢١١
٢٠٢	وإخوانهم يمدونهم في الغي . . .	١٥٩	٢٣	ولو علم الله فيهم خيرا . . .	٢١٢
٢٠٣	وإذا لم تأتهم بآية قالوا . . .	١٦٠	٢٤	يأيها الذين آمنوا استجبوا . . .	٢١٣
٢٠٤	وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له . . .	١٦٢	٢٥	واتقوا فتنة لا تصيبن . . .	٢١٧
٢٠٥	واذكر ربك في نفسك . . .	١٦٦	٢٦	واذكروا إذ أنتم قليل . . .	٢١٩
٢٠٦	إن الذين عند ربك . . .	١٦٨	٢٧	يأيها الذين آمنوا لا تخونوا . . .	٢٢١
	سورة الأنفال		٢٨	واعلموا أنما أموالكم وأولادكم . . .	٢٢٣
١	يسئلونك عن الأنفال . . .	١٦٨	٢٩	يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله . . .	٢٢٤
٢	إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله . . .	١٧٨	٣٠	وإذ يمكر بك الذين كفروا . . .	٢٢٦
٣	الذين يقيمون الصلاة . . .	١٨٠	٣١	وإذا تتلى عليهم آياتنا . . .	٢٣٠
٤	أولئك هم المؤمنون حقا . . .	١٨٠	٣٢	وإذ قالوا اللهم إن كان . . .	٢٣٢
٥	كما أخرجك ربك من بيتك . . .	١٨١	٣٣	وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم . . .	٢٣٣
٦	يجادلونك في الحق . . .	١٨١	٣٤	وما لهم ألا يعذبهم الله . . .	٢٣٣
٧	وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين . . .	١٨٤	٣٥	وما كان صلاتهم عند البيت . . .	٢٤٠
٨	ليحق الحق ويبطل الباطل . . .	١٨٩	٣٦	إن الذين كفروا ينفقون . . .	٢٤٤
٩	إذ تستغيثون ربكم . . .	١٨٩	٣٧	ليميز الله الخبيث من الطيب . . .	٢٤٦
١٠	وما جعله الله إلا بشري . . .	١٩٢	٣٨	قل للذين كفروا إن ينتهوا . . .	٢٤٧
١١	إذ يغشركم العناب أمنة . . .	١٩٣	٣٩	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة . . .	٢٤٨
١٢	إذ يوحى ربك إلى الملائكة . . .	١٩٣	٤٠	وإن تولوا فاعلموا أن الله . . .	٢٥٠

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٦٢	١
ما فعلته بنو إسرائيل من اتخاذ العجل بعد	من أرسل إليهم شعيب عليه السلام .
مفارقة موسى لهم .	٣ العذاب الذي عذبوا به .
٦٥	١٣
طرف مما كان في ألواح موسى من صفات	طرف من أمر فرعون حين أرسل إليه موسى
هذه الأمة .	عليه السلام وألقى عصاه .
٦٦	١٨
ما قيل في من أي شيء كانت الألواح ؟	ما فعله فرعون من تعليم طائفة السحر لينظروا
٦٩	موسى .
ما يجب تعميمه من آي الكتاب .	٢٧
٧١	ما قالته بنو إسرائيل لموسى حين أدركهم فرعون
خبر خروج موسى للمبقات ، واختياره	٣٠
السبعين من قومه .	ما أرسل على فرعون وقومه من الآيات ، وما
٨٢	عذبوا به .
ما أخبر الله أن يجعله لبني إسرائيل فاختاروا	٣٤
غيره ، فجعله لهذه الأمة .	المعاني التي حدثت في قوم فرعون بحدوث هذه
٩٠	الآيات ، والسبب الذي من أجله أحدثها الله
القرية التي مسخ أهلها بعدوانهم في السبت ،	فيهم .
وسوق قصتهم .	٤٣
١٠١	بيان أن بني إسرائيل لم تملك مصر بعد فرعون ،
ما وعدت به اليهود من الذلة والصغار إلى يوم	وأن مشارق الأرض ومغاربها التي ملكتها هي
القيامة .	الشأم .
١٠٤	٤٤
ما كانت عليه اليهود من أخذهم الرشا ،	بيان أن بني إسرائيل حين خرجوا من البحر
وحكمهم بغير الحق .	مروا على قوم لهم تماثيل بقر يعبدونها فتمنوا
١٠٨	أن يكون لهم منها ما يعبد .
ما فعلته بنو إسرائيل مع موسى حتى رفع	٤٧
فوقهم الجبل .	خروج موسى إلى مناجاة ربه بعد غرق فرعون .
١١٠	٤٩
إخراج ذرية آدم من ظهره .	السبب في سؤال موسى رؤية الله .
١١٩	٥٠
قصة الذي آتاه الله آياته فانسخ منها .	طرف مما يقوله أهل الكتاب في قصة موسى
١٣١	عند طلب الرؤية .
صفة من خلقه للنار .	٥٢
١٤٥	ما تم للجبل حين التجلى .
قصة إبليس مع حواء في أول حملها .	٥٧
١٥٣	ما قاله موسى لآدم ، وما قاله آدم له .

الصفحة

الصفحة

- ٢٠٠ ما يجب على المحارب من المصابرة ، وما يجوز له الفرار .
- ٢٠٣ معجزة الرمي الذي فعله النبي في بدر .
- ٢٢١ ما فعله بعض المنافقين في مكاتبه المشركين حتى نزل «يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا» الآية .
- ٢٢٦ ما اتفق عليه المشركون في دار الندوة من أذية رسول الله أو قتله .
- ٢٣٢ ما كان يدعو به المشركون .
- ٢٣٣ فوائد الاستغفار .
- ٢٤٠ ما كان تفعله المشركون في صلاتهم .

- ١٥٧ ما عليه أهل التقوى من تذكيرهم عقاب الله عند ما يطرأ لهم طيف من غضب أو غيره .
- ١٦٢ المحال التي يجب الإنصات فيها لقراءة القرآن ، والخلاف فيها .
- ١٦٨ (تفسير سورة الأنفال)
- ١٧١ الصواب في معنى الأنفال ، وما كان لهم من الاختلاف في أمر الغنائم يوم بدر ، وكيف قسمة رسول الله لها .
- ١٨٩ غزوة بدر ، وما تم فيها من إمداد الملائكة .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١٠٩	نَشَقًا	٣٢	المَطَرُ	٥٧	عوازب
٧٥		٧٥	الشَّجَرُ	٦٨	مُجَاب
٢٤٣	وَعَجَلُ	٢٤٣	كَسِرُ	٧٤	نَشَب
١٣٢	السُّوْلُ	١٣٢	السُّسْرُ	١٠٥	الأجرب
١٣٢	وَوَضَالُ	١٣٢	وَقْرُ	٢٦	ثوباً
٨٨	الأثاقلا	٨٨	العَشْرُ		
١١٠	المَحَلَّةُ	١١٠	مِذْكَارُ		
١٥١	ظُلَّةُ	١٥١	عَامِرُ	٢٦	ظَهْرَتِي
٢٤٠	كالمُضْمَحَلَّةُ	٢٤٠	الإتْهَارُ		
٢٣٩		٢٣٩	حاذِرا	١٥٣	صُبْح
٢٣٩	الأرومُ	٢٣٩	عُمَرَا	٧١	يصبِحا
١٠٠	الْتِمُ	١٠٠	بِتْسُنُ	٢٠٠	ورمحا
١٠٠	الرومُ	١٠٠	بِتْسِيْسَا		
١٠٠	عَظْمُ	١٠٠	القَوْنَسَا		
٥٤	بِهْمَةُ			٣٢	والزُّودُ
٧	كُومُ	١٧	فاضْطَجَعُ	١٢٨	فأخْلَدُوا
٢٤٠	الأعلامُ	٧٤	الزِعازِعُ	٤	شَدَادِ
		١٠٤	تَابِعُ	٤	الوادي
		١٣٢	تَسْمِيعُ	٦٧	أنجاد
١٣٦	مَمَاتِنُ	١٣٢	الضُّلُوعُ	١٢٨	شديد
١٤٢	مُتَوَاسِنُ	١٣٢	وَمُقَنَّعُ	١٧	المُخْلَدُ
١٣٨	إِبَانَا	٢٤٤	قَارِبِعُ	١٧	وَيَدَا
١٩١	الظَّنُونَا	٢٤٤	بِضْلَفَعَا	١٧	أفسدا
٧٥	تَسْمِيْعَةُ	٥		١٧	غَدَا
٧٥	تَسْمِيْنَةُ			٣٢	مَدَدَا
		١٥٨	وَشُعُوفُ	٣٢	بِرَدَا
٢	غَنِيَّ	١٠٩	مَأْلُوفِ	٣٣	مَوْصَدَا

٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
١١٤	خلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه...	١٧٣	أتيت النبي ﷺ يوم بدر بسيف...
٤	ذاك خطيب الأنبياء. (يعني شعيب)...	١١١	أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان...
١٧٤	ردوا ما كان من الأنفال...	١٦٦	إذا قرأ الإمام فأنصتوا.
٢٠٥	رفع رسول الله ﷺ يده يوم بدر...	١٧٣	أذهب واطرحه في القبض...
١٨٦	سيروا على بركة الله وابشروا...	١٧٤	أصبت سيف ابن عائد يوم بدر...
٢٢٨	شاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم...	١٧٤	أصبت سيفاً، قال: فأتى به رسول الله...
٣١	الطوفان الموت...	١٩٤	أصابنا من الليل طش من المطر...
١١٢	غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات...	٢٢١	أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى...
١٥٦	فكيف بالغضب يا رب؟ قال...	٢٢٧	أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ: ...
٢٠٥	قال رسول الله ﷺ حين التقى الجمعان...	١١٧	أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: ...
٢٣١	قتل النبي ﷺ يوم بدر صبراً عقبه...	٢٣٢	أن رسول الله ﷺ قتل يوم بدر ثلاثة رهط...
٤٦	قلتم والذي نفسي بيده ما قال قوم موسى...	٤٥	أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله...
١٤٦	كانت حواء لا يعيش لها ولد، فنذرت...	١٨٦	إن ربي وعدني القوم وقد خرجوا...
١٧٤	كنت أخذت سيف سعيد بن العاص...	١٤٠	إن الساعة تهيج بالناس، والرجل...
٤٥	الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل...	١١٧	إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم...
٢٣٢، ٢٣١	اللهم أغن المقداد من فضلك...	١١٣	إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره...
١٨٩	اللهم أنجز لي ما وعدتني...	١٣١	إن الله لما ذرأ لجهنم ما ذرأ...
١٩٠	اللهم انصر هذه العصاة...	١٣٣	إن لله تسعة وتسعين اسماً...
١٩٥	اللهم إن تهلك هذه العصاة لا تعبد...	٧٠	إنه لم يكن نبي إلا له حرم...
١٩٠	اللهم ربنا أنزلت علي الكتاب...	١٩٨	إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله...
٢٢٧	لما ائتمروا بالنبي ﷺ ليقتلوه...	٢٠٥	جاء أبي بن خلف الجمحي...
٥٣	لما تجلى ربه للجبل أشار بأصبعيه...	١٥٠	خدعها مرتين: خدعها في الجنة...
١٨٢	لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً...	٢١٤	خرج رسول الله ﷺ على أبي وهو يصلي...
١٨٥	لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً...	٤٥	خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين...
١٧٣	لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت...	١٨٧	خرج النبي ﷺ إلى بدر وهم يريدون...

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
١٣٥	هذه أمتي بالحق يأخذون و يعطون ...	١٩٠	لما كان يوم بدر جعل النبي ﷺ يناشد ربه ...
١٣٥	هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم ...	١٧٣	لما كان يوم بدر قتل أخي عمير ...
١١٣	❦ وإذ أخذ ربك من بني آدم	١٨٩	لما كان يوم بدر، ونظر رسول الله ...
١١٣	من ظهورهم ذرياتهم ❦ ...	٢٠٤	لما ورد رسول الله ﷺ بدرأ قال : هذه ...
١٧٦	وهذا الخمس مردود على فقرائكم ...	١١٣	ما بال أقوام يتناولون الذرية ؟ ...
٢١٤	يا أبي ما منعك أن تحبيني ...	٢١٤	مر رسول الله ﷺ على أبي وهو قائم ...
١٧٣	يا سعد انك سألتني السيف وليس لي ...	١٧١	من أتى مكان كذا وكذا فله كذا ...
٢٠٦	يحييه الله ، ثم يميتك ، ثم يدخلك ...	١٧٢	من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ...
١٣٧	٣٧١	١٣٧	٣٧١
١٣٨	٣٧١	١٣٨	٣٧١
١٣٩	٣٧١	١٣٩	٣٧١
١٤٠	٣٦١	١٤٠	٣٦١
١٤١	١٦٢	١٤١	١٦٢
١٤٢	٧٦٢	١٤٢	٧٦٢
١٤٣	٧٦٢	١٤٣	٧٦٢
١٤٤	٧٦٢	١٤٤	٧٦٢
١٤٥	٧٦٢	١٤٥	٧٦٢
١٤٦	٧٦٢	١٤٦	٧٦٢
١٤٧	٧٦٢	١٤٧	٧٦٢
١٤٨	٧٦٢	١٤٨	٧٦٢
١٤٩	٧٦٢	١٤٩	٧٦٢
١٥٠	٧٦٢	١٥٠	٧٦٢
١٥١	٧٦٢	١٥١	٧٦٢
١٥٢	٧٦٢	١٥٢	٧٦٢
١٥٣	٧٦٢	١٥٣	٧٦٢
١٥٤	٧٦٢	١٥٤	٧٦٢
١٥٥	٧٦٢	١٥٥	٧٦٢
١٥٦	٧٦٢	١٥٦	٧٦٢
١٥٧	٧٦٢	١٥٧	٧٦٢
١٥٨	٧٦٢	١٥٨	٧٦٢
١٥٩	٧٦٢	١٥٩	٧٦٢
١٦٠	٧٦٢	١٦٠	٧٦٢
١٦١	٧٦٢	١٦١	٧٦٢
١٦٢	٧٦٢	١٦٢	٧٦٢
١٦٣	٧٦٢	١٦٣	٧٦٢
١٦٤	٧٦٢	١٦٤	٧٦٢
١٦٥	٧٦٢	١٦٥	٧٦٢
١٦٦	٧٦٢	١٦٦	٧٦٢
١٦٧	٧٦٢	١٦٧	٧٦٢
١٦٨	٧٦٢	١٦٨	٧٦٢
١٦٩	٧٦٢	١٦٩	٧٦٢
١٧٠	٧٦٢	١٧٠	٧٦٢
١٧١	٧٦٢	١٧١	٧٦٢
١٧٢	٧٦٢	١٧٢	٧٦٢
١٧٣	٧٦٢	١٧٣	٧٦٢
١٧٤	٧٦٢	١٧٤	٧٦٢
١٧٥	٧٦٢	١٧٥	٧٦٢
١٧٦	٧٦٢	١٧٦	٧٦٢
١٧٧	٧٦٢	١٧٧	٧٦٢
١٧٨	٧٦٢	١٧٨	٧٦٢
١٧٩	٧٦٢	١٧٩	٧٦٢
١٨٠	٧٦٢	١٨٠	٧٦٢
١٨١	٧٦٢	١٨١	٧٦٢
١٨٢	٧٦٢	١٨٢	٧٦٢
١٨٣	٧٦٢	١٨٣	٧٦٢
١٨٤	٧٦٢	١٨٤	٧٦٢
١٨٥	٧٦٢	١٨٥	٧٦٢
١٨٦	٧٦٢	١٨٦	٧٦٢
١٨٧	٧٦٢	١٨٧	٧٦٢
١٨٨	٧٦٢	١٨٨	٧٦٢
١٨٩	٧٦٢	١٨٩	٧٦٢
١٩٠	٧٦٢	١٩٠	٧٦٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ

لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى ذكره (قال الملأ الذين استكبروا) يعني بالملأ : الجماعة من الرجال ، ويعنى بالذين استكبروا : الذين تكبروا عن الإيمان بالله ، والانهاء إلى أمره واتباع رسوله شعيب لما حذرهم شعيب بأس الله على خلافهم أمر ربهم ، وكفرهم به (لنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ) ومن تبعك وصدقك وآمن بك ، وبما جئت به معك من قريتنا (أو لتعودن في ملتينا) يقول : لترجعن أنت وهم في ديننا وما نحن عليه ، قال شعيب مجيبا لهم (أو لو كنا كارهين) ؟ .
ومعنى الكلام : أن شعيبا قال لقومه : أخرجوننا من قريبتكم ، وتصدؤنا عن سبيل الله ، ولو كنا كارهين لذلك ؟ ثم أدخلت ألف الاستفهام على واو « أو لو » .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدْ أَفْرَبْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفَتَحِبِّبْنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ
خَيْرُ الْفَاحِشِينَ ﴿٨٩﴾

يقول جل ثناؤه : قال شعيب لقومه ، إذ دعوه إلى العود إلى ملتهم والدخول فيها ، وتوعدوه بطرده ومن اتبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك هو وهم : (قد افترينا على الله كذبا) يقول : قد اختلفنا على الله كذبا ، وتخرصنا عليه من القول باطلا إن نحن عدنا في ملتكم ، فرجعنا فيها بعد إذ أنقذنا الله منها ، بأن بصرنا خطأها ، وصواب الهدى الذي نحن عليه ، وما يكون لنا أن نرجع فيها فندين بها ، ونترك الحق الذي

نحن عليه (إلا أن يشاء الله ربنا): إلا أن يكون سبق لنا في علم الله أنا نعود فيها، فيمضى فينا حينئذ قضاء الله، فينفذ مشيئته علينا (وسيع ربنا كل شيء علما) يقول: فإن علم ربنا وسع كل شيء، فأحاط به، فلا يخفى عليه شيء كان، ولا شيء هو كائن، فإن يكن سبق لنا في علمه أنا نعود في ملتكم، فلا يخفى عليه شيء كان، ولا شيء هو كائن، فلا بد من أن يكون ما قد سبق في علمه، وإلا فإننا غير عائدین في ملتكم وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها، وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا، وسيع ربنا كل شيء علما، على الله توكلنا، ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق) يقول: ما ينبغي لنا أن نعود في شرككم بعد إذ نجانا الله منها، إلا أن يشاء الله ربنا، فالله لا يشاء الشرك، ولكن يقول: إلا أن يكون الله قد علم شيئا، فإنه وسع كل شيء علما، وقوله (على الله توكلنا) يقول: على الله نعتد في أمورنا وإليه نستند، فيما تعدوننا به من شرككم أيها القوم، فإنه الكافي من توكل عليه، ثم فزع صلوات الله عليه إلى ربه بالدعاء على قومه، إذ أيس من فلاحهم، وانقطع رجاؤهم من إذعانهم لله بالطاعة، والإقرار له بالرسالة، وخاف على نفسه، وعلى من اتبعه من مؤمنى قومه من فسقهم العطب والهلكة بتعجيل النقمة، فقال (ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق) يقول: احكم بيننا وبينهم بحكمك الحق الذي لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم، ولكنه عدل وحق (وأنت خير الفاتحين) يعني: خير الحاكمين، ذكر الفراء أن أهل عمان يسمون القاضي: الفاتح، والفتاح. وذكر غيره من أهل العلم بكلام العرب أنه من لغة مراد، وأنشد لبعضهم بيتا وهو:
ألا أبلغ بيني عضم رسولا
فإني عن فتاحتكم غنيا
و بنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن مسعر، عن قتادة، عن ابن عباس، قال: ما كنت أدرى ما قوله (ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق) حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول: تعال أفتحك، يعني: أقاضيك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق) يقول: اقض بيننا وبين قومنا.

(١) البيت (في اللسان: فتح) منسوباً للأشعر الجعفي، شاهداً على أن الفتحة بكسر الفاء وضمها بمعنى الحكم بين خصمين. وقال الأزهرى: الفتحة أن تحكم بين قوم يختصمون إليك، كما قال سبحانه نجراً عن شعيب: «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين». قال: والفتاح: الحكومة. وأهل اليمن يقولون للقاضي: الفتاح، ويقول أحدهم لصاحبه: تعال حتى أفتحك إلى الفتاح. ويقول: افتح بيننا: أي احكم. والرواية في الشطر الأول: «ألا من مبلغ عمرا رسولا».

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو دكين ، قال : ثنا مسعر ، قال : سمعت قتادة يقول : قال ابن عباس : ما كنت أدرى ما قوله (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول : تعال أفاتحك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) : أى اقض بيننا وبين قومنا بالحق .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) : اقض بيننا وبين قومنا بالحق .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، أما قوله (افْتَحْ بَيْنَنَا) فيقول : احكم بيننا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال الحسن البصرى : افتح : احكم بيننا وبين قومنا ، و(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) : حكمت لك حكماً مبيناً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : افتح : اقض .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير ، قال : ثنا مسعر ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال : لم أكن أدرى ما (افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول لزوجها : انطلق أفاتحك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنَّاتَّبِعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّا كُنَّا لَمُتَّبِعِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وقالت الجماعة من كفرة رجال قوم شعيب ، وهم الملأ الذين جحدوا آيات الله ، وكذبوا رسوله ، وتمادوا في غيهم لآخرين منهم : لئن أنتم اتبعتم شعيباً على ما يقول ، وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه من توحيد الله ، والانتهاى إلى أمره ونهيه ، وأقررتم بنبوته (إِنَّا كُنَّا لَمُتَّبِعِينَ) يقول : لمغبونون في فعلكم ، وترككم ملتكم التي أنتم عليها مقيمون إلى دينه الذي يدعوكم إليه ، وهالكون بذلك من فعلكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴾

يقول : فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب الرجفة ، وقد بينت معنى الرجفة قبل ، وأنها الزلزلة المحركة لعذاب الله ، (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ) على ركبهم موتى هلكى .

وكانت صفة العذاب الذى أهلهم الله به كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ه

قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَآلِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) قال : إن الله بعث شعيبا إلى مدين ، وإلى أصحاب الأيكة ، والأيكة : هي الغيضة من الشجر ، وكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والميزان ، فدعاهم فكذبوه ، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن ، وما ردوا عليه ، فلما عتوا وكذبوه ، سألوه العذاب ، ففتح الله عليهم بابا من أبواب جهنم ، فأهلكهم الحرّ منه ، فلم ينفعهم ظلّ ولا ماء ، ثم إنه بعث سحابة فيها ربح طيبة ، فوجدوا برد الريح وطيبها ، فتنادوا الظلة ، عليكم بها ، فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ، انطبقت عليهم ، فأهلكتهم ، فهو قوله (فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبي إسحاق ، قال : كان من خبر قصة شعيب وخبر قومه ، ما ذكر الله في القرآن ، كانوا أهل بجنس للناس في مكابيلهم وموازينهم ، مع كفرهم بالله ، وتكذيبهم نبيهم وكان يدعوهم إلى الله وعبادتهم وترك ظلم الناس وبنحسهم في مكابيلهم وموازينهم فقال نصحا لهم وكان صادقا (ما أريدُ أنْ أُخَالِفَكُمُ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ ، إنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَنْوِفِي) إلا بالله عليه تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة إذا ذكر شعيبا ، قال « ذَاكَ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ » لحسن مراجعته قومه فيما يراهم ، فلما كذبوه وتوعدوه بالرجم والنفي من بلادهم ، وعتوا على الله ، أخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ، فبلغني أن رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهاء لما رآها قال :

يا قوم إن شعيبا مرسل فذرّوا
عَنكُمْ سَمِيرًا وَعِمْرَانَ بَنَ شَدَادِ
لأني أرى غيمةً يا قوم قد طلعت
تَدْعُو بِصَوْتِ عَلِي صَمَانَةَ الْوَادِي
وإنكم إن ترّوا فيها ضحاة غد
إلا الرقيم يمشی بين أنجاد

وسمير وعمران : كاهنهم ، والرقيم : كليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا أبو إسحاق ، قال : فبلغني - والله أعلم - أن الله سلط عليهم الحرّ حتى أنضحهم ، ثم أنشأ لهم الظلة كالسحابة السوداء ، فلما رأوها ابتدروها يستغيثون بيردها مما هم فيه من الحرّ ، حتى إذا دخلوا تحتها أطبقت عليهم ، فهلكوا جميعا ، ونجى الله شعيبا والذين آمنوا معه برحمته .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : حدثني أبو عبد الله البجلي ، قال : أبو جاد ، وهو ز ، وحطى ، وسعفص ، وقرشت : أسماء ملوك مدين ، وكان ملكهم يوم الظلة في زمان شعيب كلمون ، فقالت أخت كلمون تبكيه :

كَلْمُونُ هَدَّ رُكْنِي هَلِكُهُ وَسَطَ الْمَحِلَّةِ

(١) الأبيات الثلاثة أوردها الثعلبي في كتابه : عرائس المجالس « المعروف « بقصص الأنبياء » ، وفيها « سمير » بالتصغير وبالشين ، في موضع « سمير » بالسين ، و « حنانة » في موضع : « صمانة » . ورواية البيت الثاني فيه (ص ١٦٦) طبعة الحلبي ، في قصة شعيب عليه السلام :

فَلِإِنَّهُ لَنْ يَرَى فِيهَا ضُحَاءَ غَدٍ إِلَّا الرَّقِيمَ يَمْشِي بَيْنَ أَنْجَادٍ
وقوله : « إنه » الضمير فيه راجع إلى شعيب . يريد أنه سيصيهم الزلزال ، وقد لاحظت أماراته ، وستصبح ديارهم مدمرة لا يرى فيها شعيب إلا الرقيم . . . الخ .

سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الذُّحْتَفُ : نَارٌ وَسَطَ ظُلْمَةٍ
جُعِلَتْ نَارًا عَلَيْهِمْ دَارُهُمْ كَالْمُضْمَحِلَّةِ ١

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْ أَعْلَمُ بِمَا تُكْسِبُونَ أَيْهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْ أَعْلَمُ بِمَا تُكْسِبُونَ﴾

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٢

❖ يقول تعالى ذكره : فأهلك الذين كذبوا شعيبا فلم يؤمنوا به ، فأبادهم ، فصارت قريتهم منهم خاوية خلاء (كأن لم يغنوا فيها) يقول : كأن لم ينزلوا قط ، ولم يعيشوا بها حين هلكوا ، يقال : غنى فلان بمكان كذا فهو يغني به غنيا : إذا نزل به وكان به ، كما قال الشاعر :

وَلَقَدْ يَغْنِي بِهٖ جِيرَانِكَ الذُّمُّ مَسْكُومِنِكَ بَعْدَ وَوِصَالِ ٢

وقال رؤبة :

وَعَهْدُ مَغْنَى دِمْنَةٍ بِيضَلْفَعَا ٣

إنما هو مفعول من غنى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (كأن لم يغنوا

فيها) : كأن لم يعيشوا ، كأن لم ينعموا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (كأن

لم يغنوا فيها) يقول : كأن لم يعيشوا فيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كأن لم يغنوا فيها)

كأن لم يكونوا فيها قط .

وقوله (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) يقول تعالى ذكره : لم يكن الذين اتبعوا

(١) وهذه الأبيات الثلاثة أيضا رواها الثعلبي في « عرائس المجالس ص ١٦٦ في قصة شعيب عليه السلام » . وفي روايته : « كلمن

هدد ركني » . ونسبها إلى أخت كلمون تكيه .

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص (ديوانه طبعة ليدن سنة ١٩١٣ ص ٥٨) . وروايته بأسباب الوصال و « أصحابك » في مكان :

« جيرانك » . وهو من شواهد التحوين (الخزانة ٣ : ٢٣٧ ، ٢٣٨) من قصيدة له . قال : وهو شاهد على أن الخليل استدل على أن

حرف التعريف (أل) لا اللام وحدها ، بفصل الشاعر إياها من المعرف بها ؛ ولو كانت اللام وحدها حرف تعريف ، لما جاز فصلها

من المعرف لاسيما واللام ساكنة . قال : وقد تقدم بيانه ونقضه في البيت قبله والمسكو : أصله : المسكون ، حذف نونه

تخفيفا . قال ابن جني في المنصف : قوله المسكو : أراد المسكون ، ولكنه حذف النون لطول الاسم ، لا للإضافة . اهـ .

وفي (اللسان : غنا) : وغنى القوم بالدار غنى : أقاموا . وتقول : غنى بالمكان يغنى . والمنفى : المنزل الذي غنى به أهله . ولم

ينقل صاحب اللسان من مصادره غير الغنى والمنفى . وقال المؤلف : غنى وغنيا .

(٣) البيت من مشطور الرجز ، وهو الرابع في أرجوزة له مطولة (٢١٣ بيتا) وفي ديوانه (طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ٨٧)

وعهد : مرفوع عطفًا على حمارة في قوله قبله : « هاجت حمارة » . والدمنة : ما بقى من آثار الديار كالنوى والطلل والأثافي . . . الخ

وضلفع : بوزن جعفر : قارة ببلاد بني أسد . وفي معجم ما استعجم للبكري في رسم « لبني » : ضلفع : ماء لبني عبس . اهـ .

شعيبا الخاسرين ، بل الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين ، لأنه أخبر عنهم جل ثناؤه أن الذين كذبوا شعيبا قالوا للذين أرادوا اتباعه (لَسِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا خَاسِرُونَ) فكذبهم الله ، بما أحلّ بهم من عاجل نكاله ، ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ما خسر تباع شعيب ، بل كان الذين كذبوا شعيبا لما جاءت عقوبة الله هم الخاسرين دون الذين صدّقوا وآمنوا به .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَقَوْلِي عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : فأدبر شعيب عنهم شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله ، وقال : لما أيقن بنزول نعمة الله بقومه الذين كذبوه حزنا عليهم (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي) وأدبت إليكم ما بعثني به إليكم من تحذيركم غضبه على إقامتكم على الكفر به ، وظلم الناس أشياءهم (ونصحت لكم) بأمرى إياكم بطاعة الله ، ونهيكم عن معصيته (فكيف آسى) يقول : فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله ، وكذبوا رسوله ، وأتوجع لهلاكهم ؟
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (فكيف آسى) يعني : فكيف أحزن .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فكيف آسى) يقول : فكيف أحزن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصاب شعيبا على قومه حزن لما يرى بهم من نعمة الله ، ثم قال يعزى نفسه فيما ذكر الله عنه (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى قوم كافرين) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معرفه سنته في الأمم التي قد نخلت من قبل أمته ، ومدكر من كفره من قريش لينزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله ، والتكذيب لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وما أرسلنا في قرية من نبي) قبلك (إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء) وهو البؤس وشظف المعيشة وضيقها ، والضراء : وهي الضرّ وسوء الحال في أسباب دنياهم (لعلهم يضرّعون) :

يقول : فعلنا ذلك ليتضرعوا إلى ربهم ، ويستكينوا إليه ، وينيبوا بالإقلاع عن كفرهم ، والتوبة من تكذيب أنبيائهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أخذنا أهلها بالبأساء والضراء) يقول : بالفقر والجوع ، وقد ذكرنا فيما مضى الشواهد على صحة القول بما قلنا في معنى البأساء والضراء . بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ؛ وقيل : يضرعون ، والمعنى : يتضرعون ، ولكن أدغمت التاء في الضاد ، لتقارب مخرجهما .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَّوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ

فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

يقول تعالى ذكره : ثم بدلنا أهل القرية التي أخذنا أهلها بالبأساء والضراء ، مكان السيئة ، وهي البأساء والضراء ؛ وإنما جعل ذلك سيئة ، لأنه مما يسوء الناس ، ولا تسوءهم الحسنة ، وهي الرخاء والنعمة والسعة في المعيشة (حتى عَفَّوْا) يقول : حتى كثروا ، وكذلك كل شيء كثر ، فإنه يقال فيه : قد عفا ، كما قال الشاعر :

ولكننا نعضُ السَّيْفَ منها بأسواقِ عافياتِ الشَّحْمِ كُومًا

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مكان السيئة الحسنة) قال : مكان الشدة رخاء (حتى عَفَّوْا) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مكان السيئة الحسنة) قال : السيئة : الشر ، والحسنة : الرخاء والمال والولد .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مكان السيئة الحسنة) قال : السيئة : الشر ، والحسنة : الخير .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ) يقول : مكان الشدة الرخاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ

(١) نعض : نجعل السيف يعض . . . الخ . والبيت قد تقدم إنشاده وشرحه في ص ٣٦٦ من الجزء الثاني .

الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَّوْا) قال : بدلنا مكان ما كرهوا ما أحبوا في الدنيا ، حتى عفوا من ذلك العذاب (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) .

واختلفوا في تأويل قوله (حتى عَفَّوْا) فقال بعضهم : نحو الذي قلنا فيه . ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (حتى عَفَّوْا) يقول : حتى كثروا وكثرت أموالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (حتى عَفَّوْا) قال : جموا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (حتى عَفَّوْا) قال : كثرت أموالهم وأولادهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا سبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (حتى عَفَّوْا) حتى كثروا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (حتى عَفَّوْا) قال : حتى جموا وكثروا .

قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (حتى عَفَّوْا) قال : حتى جموا ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (حتى عَفَّوْا) يعني جموا وكثروا ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (حتى عَفَّوْا) قال : حتى كثرت أموالهم وأولادهم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (حتى عَفَّوْا) كثروا كما يكثر النبات والريش ، ثم أخذهم عند ذلك بغتة وهم لا يشعرون .

وقال آخرون : معنى ذلك : حتى سُرَّوْا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حتى عَفَّوْا) يقول : حتى سُرَّوْا بذلك ، وهذا الذي قاله قتادة في معنى عفوا تأويل لاوجه له في كلام العرب ، لأنه لا يعرف العفو بمعنى السرور في شيء من كلامها إلا أن يكون أراد حتى سُرَّوْا بكثرتهم وكثرة أموالهم ، فيكون ذلك وجهها وإن بعد .

وأما قوله (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) فإنه خبر من الله عن هؤلاء القوم الذين أبدلهم الحسنة السيئة التي كانوا فيها استدراجا وابتلاء أنهم قالوا : إذ فعل ذلك بهم : هذه أحوال قد أصابت من قبلنا من آباءنا ، ونالت أسلافنا ، ونحن لانعدو أن نكون أمثالهم يصيبنا ما أصابهم من الشدة في المعاش والرخاء فيها ، وهي السراء ، لأنها تسر أهلها ، وجهل المساكين شكر نعمة الله ، وأغفلوا من جهلهم استدامة فضله

بالإنابة إلى طاعته ، والمسارعة إلى الإقلاع عما يكرهه بالتوبة ، حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون ، يقول جلّ حلاله (فَأَخَذْنَا هُمْ بِغَتَّةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة ، أتاهم على غرة منهم بمجيئه ، وهم لا يدرون ، ولا يعلمون أنه يجيئهم ، بل هم بأنه آتاهم مكذبون حتى يعاينوه ويروه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٦﴾

يقول تعالى ذكره : أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذبون الله ورسوله ويحسدون آياته ، استدراج الله إياهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحة الأبدان ورخاء العيش ، كما استدراج الدين قص عليهم قصصهم من الأمم قبلهم ، فإن مكر الله لا يأمنه ، يقول : لا يأمن ذلك أن يكون استدراجا مع مقامهم على كفرهم وإصرارهم على معصيتهم إلا القوم الخاسرون وهم الهالكون .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْنَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩٧﴾

يقول : أولم يبين للذين يستخلفون في الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها ، فساروا سيرتهم وعملوا أعمالهم ، وعتوا عن أمر ربهم (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) يقول : أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم ، فأخذناهم بذنوبهم ، وعجلنا لهم بأسنا كما عجلناه لمن كان قبلهم ، ممن ورثوا عنه الأرض ، فأهلكناهم بذنوبهم (ونطبع على قلوبهم) يقول : ونحتم على قلوبهم فهم (لا يسمعون) موعظة ولا تذكيرا سماع منتفع بهما .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

* إلى هنا جاء بآخر صفحة ١٤١ من المجلد العاشر من المخطوطة رقم ١٠٠ المحفوظة بدار الكتب المصرية . وتبتدئ صفحة ١٤٢ منها بالقول في تأويل قوله تعالى (أفأمنوا مكر الله) ، وسقط من النسخ تأويل الآيات الثلاث التي قبلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أو لم يهد) قال : يبين .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أو لم يهد) أو لم يبين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) يقول : أو لم يبين لهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) يقول : أو لم يبين للذين يرثون الأرض من بعد أهلها هم المشركون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) أو لم يبين لهم (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) قالوا : والهدى : البيان الذي بعث هاديا لهم مبينا لهم ، حتى يعرفوا ، ولولا البيان لم يعرفوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

تِلْكَ الْقُرَى نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : هذه القرى التي ذكرت لك يا محمد أمرها وأمر أهلها ، يعني : قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم لوط وشعيب نقص عليك من أنبيائها ، فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها ، وما كان من أمرهم ، وأمر رسل الله التي أرسلت إليهم ، لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا على أعدائنا وأهل الكفر بنا ، ويعلم مكذبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذب رسل الله ، فیرتدعوا عن تكذيبك ، وينيبوا إلى توحيد الله وطاعته (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) يقول : ولقد جاءت أهل القرى التي قصصت عليك نبأها رسلهم بالبينات ، يعني بالحجج : البينات (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم بما كذبوا من قبل ذلك ، وذلك يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) قال : ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرها .
وقال آخرون : معنى ذلك : فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به يوم أخرجهم من صلب آدم عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريح ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) قال : كان في علمه يوم أقرؤا له بالميثاق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والأنبياء ، ويدعوا علم ما أخفى الله عليهم ، فإن علمه نافذ فيما كان وفيما يكون ، وفي ذلك قال (وَآتَقَدُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ) قال : نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في زمان آدم ، وتصديق ذلك حيث قال لنوح (اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وَأُمَّتٌ سَنُتَتَّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) وقال في ذلك (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وفي ذلك قال (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) وفي ذلك قال (لِيَسَلَّ بِكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) ، ولا حجة لأجد على الله .

وقال آخرون : معنى ذلك : فما كانوا لو أحييناهم بعد هلاكهم ومعانيتهم ما عاينوا من عذاب الله ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم ، كما قال جل ثناؤه (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) قال : كقوله (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) .
قال أبو جعفر : وأشبه هذه الأقوال بتأويل الآية وأولاها بالصواب ، القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب والربيع ، وذلك أن من سبق في علم الله تبارك وتعالى أنه لا يؤمن به ، فلن يؤمن أبدا ، وقد كان سبق في علم الله تعالى ، لمن هلك من الأمم التي قص نبأهم في هذه السورة أنه لا يؤمن أبدا ، فأخبر جل ثناؤه عنهم ، أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه قبل مجيء الرسل وعند مجيئهم إليهم ، ولو قيل تأويله : فما كان هؤلاء الذين ورثوا الأرض يا محمد من مشركي قومك من بعد أهلها الذين كانوا بها من عاد وثمود ، ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله ، ووعدته أو وعيده كان وجهها ومذهبها ، غير أني لأعلم قائلا قاله ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن . وأما الذي قاله مجاهد من أن

معناه : لو ردوا ما كانوا ليؤمنوا ، فتأويل لادلالة عليه من ظاهر التنزيل ، ولا من خبر عن الرسول صحيح . وإذ كان ذلك كذلك ، فأولى منه بالصواب ما كان عليه من ظاهر التنزيل دليل .
وأما قوله (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ) فإنه يقول تعالى ذكره : كما طبع الله على قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم وعصوا رسله من هذه الأمم التي قصصنا عليك نبأهم يا محمد في هذه السورة حتى جاءهم بأس الله ، فهلكوا به ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون أبدا من قومك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٧﴾

✽ يقول تعالى ذكره : ولم نجد لأكثر أهل هذه القرى التي أهلكناها واقتصصنا عليك يا محمد نبأها من عهد ، يقول : من وفاء بما وصيناهم به من توحيد الله ، واتباع رسله ، والعمل بطاعته ، واجتناب معاصيه وهجر عبادة الأوثان والأصنام . والعهد : هو الوصية ، وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته (وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) يقول : وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة ربهم ، تاركين عهده ووصيته . وقد بينا معنى الفسق قبل .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) قال : القرون الماضية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ) . . . الآية ، قال : القرون الماضية وعهده الذي أخذه من بني آدم في ظهر آدم ولم يفوا به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ) قال : في الميثاق الذي أخذه في ظهر آدم عليه السلام .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) وذلك أن الله إنما أهلك القرى لأنهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾

﴿ ١٢٣ ﴾

يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب موسى بن عمران، والهاء والميم اللتان في قوله (مِنْ بَعْدِهِمْ) هي كناية ذكر الأنبياء عليهم السلام التي ذكرت من أول هذه السورة إلى هذا الموضع (بِآيَاتِنَا) يقول : بحججنا وأدلتنا إلى فرعون وملئه ، يعني : إلى جماعة فرعون من الرجال . (فَظَلَمُوا بِهَا) يقول : فكفروا بها ، والهاء والألف اللتان في قوله « بها » عائدتان على الآيات . ومعنى ذلك : فظلموا بآياتنا التي بعثنا بها موسى إليهم ، وإنما جاز أن يقال : فظلموا بها ، بمعنى : كفروا بها ، لأن الظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، وقد دلت فيما مضى على أن ذلك معناه بما أغنى عن إعادته ، والكفر بآيات الله : وضع لها في غير موضعها ، وصرف لها إلى غير وجهها الذي عنيت به (فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا في الأرض ، يعني فرعون وملأه ، إذ ظلموا بآيات الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام ، وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعا في البحر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

يقول جل ثناؤه : وقال موسى لفرعون : يا فرعون إني رسول من رب العالمين .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ حَقِيقٌ عَلِيٌّ أَن لَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

﴿ ١٢٤ ﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَإِنَّهَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ ١٢٥ ﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (حَقِيقٌ عَلِيٌّ) على أن لا أقول على الله إلا الحق (فقراه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة ، حقيق على أن لا أقول بإرسال الباء من على ، وترك تشديدها بمعنى : أنا حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، فوجهوا معنى على إلى معنى الباء ، كما يقال : رميت بالقوس وعلى القوس ، وبلجت على حال حسنة ، وبجال حسنة . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : إذا قرئ ذلك كذلك ، فعناه : حريص على أن لا أقول إلا بحق . وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة (حَقِيقٌ عَلِيٌّ) أن لا أقول) بمعنى : واجب على أن لا أقول ، وحق على أن لا أقول .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب في قراءته الصواب .
وقوله (قَدْ جِئْتَكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) يقول : قال موسى لفرعون وملئه : قد جئتكم ببرهان من ربكم يشهد أيها القوم على صحة ما أقول ، وصدق ما أذكر لكم من إرسال الله إياي إليكم رسولا ، فأرسل يا فرعون معي بني إسرائيل ، فقال له فرعون : إن كنت جئت بآية ، يقول : بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول . فأت بها إن كنت من الصادقين .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ وَنَزَع يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٨﴾

يقول جل ثناؤه (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) قال حية ، مبين : يقول : تتبين لمن يراها أنها حية .

وبما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فإذا هي ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) قال : تحولت حية عظيمة ، وقال غيره : مثل المدينة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإذا هي ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) يقول : فإذا هي حية كادت تتسوره ، يعني كادت تثب عليه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فإذا هي ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) والثعبان : الذكر من الحيات ، فاتحة فاها ، واضعة لحيها الأسفل في الأرض ، والأعلى على سور القصر ، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه ، فلما رآها ذعر منها ، ووثب فأحدث ، ولم يكن يحدث قبل ذلك ، وصاح : يا موسى خذها وأنا مؤمن بك ، وأرسل معك بني إسرائيل ، فأخذها موسى فعادت عصا .

حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (فإذا هي ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) قال : ألقى العصا فصارت حية ، فوضعت فمها أسفل القبة ، وفتحها أعلى القبة ، قال عبد الكريم : قال إبراهيم : وأشار سفيان بأصبعه الإبهام والسبابة هكذا شبه الطاق ؛ فلما أرادت أن تأخذه ، قال فرعون : يا موسى خذها ، فأخذها موسى بيده ، فعادت عصا كما كانت أول مرة .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا الأصمعي بن زيد ، عن القاسم ابن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ألقى عصاه ، فتحولت حية عظيمة

فاغرة فاها ، مسرعة إلى فرعون ؛ فلما رأى فرعون أنها قاصدة إليه ، اقتحم عن سريره ، فاستغاث بموسى أن يكفها عنه ، ففعل .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (تُعْبَانُ مُبِينٌ) قال : الحية الذكر .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما دخل موسى على فرعون ، قال له موسى : أعرّفك ؟ قال : نعم ، قال : (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا) ؟ قال : فردّ إليه موسى الذي ردّ ، فقال فرعون : خذوه ، فبادره موسى فألقى عصاه ، فإذا هي ثعبان مبين ، فحملت على الناس فانهزموا ، فمات منهم خمسة وعشرون ألفا ، قتل بعضهم بعضا ، وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول في قوله (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) قال : ما بين لحيها أربعون ذراعا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَأِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) قال : الحية الذكر .

قال أبو جعفر : وأما قوله (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ) فإنه يقول : وأخرج يده فإذا هي بيضاء تلوح لمن نظر إليها من الناس ، وكان موسى فيما ذكر لنا آدم ، فجعل الله تحول يده بيضاء من غير برص له آية ، وعلى صدق قوله (إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) حُجَّةٌ .

ووبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : ثنا الأصمغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء ، يعني : من غير برص ، ثم أعادها إلى كفه ، فعادت إلى لونها الأوّل .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ) يقول : من غير برص .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ) قال : نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَنَزَعَ يَدَهُ) أخرجها من جيبه (فَأِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ) .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول في قوله

وأما قوله (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) يقول : من يحشر السحرة فيجمعهم إليك ، وقيل : هم الشرط .

ذكر من قال ذلك

حدثني عباس بن أبي طالب ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي ، عن ابن عباس (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) قال : الشرط .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) قال : الشرط . قال : ثنا حميد ، عن قيس ، عن السدي (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) قال : الشرط .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) قال : الشرط .

حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) قال : الشرط .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٣﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٤﴾

❖ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن مَشْوَرَةِ الْمَلَأِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ عَلَى فِرْعَوْنَ ، أن يرسل في المدائن حاشرين ، يحشرون كل ساحر عليم . وفي الكلام محذوف اكتفى بدلالة الظاهر من إظهاره ، وهو : فأرسل في المدائن حاشرين يحشرون السحرة ، فجاء السحرة فرعون (قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا) يقول : إن لنا لثوابا على غلبتنا موسى عندك (إن كُنَّا) يفرعون (نَحْنُ الْغَالِبِينَ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبع بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : فأرسل في المدائن حاشرين ، فحشر له كل ساحر متعلم ؛ فلما أتوا فرعون ، قالوا : بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا : يعمل بالحيات ، قالوا : والله ما في الأرض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصى أعلم منا ، فما أجرنا إن غلبنا؟ فقال لهم : أنتم قرابتى وحامتى ، وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم .

حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال فرعون : لانغالبه ، يعني موسى ، إلا بمن هو منه ، فأعد علماء

(١) في اللسان : الحامة : خاصة الرجل من أهله وولده وذوي قرابته . وفي الأصل : حاميسى . تحريف .

من بنى إسرائيل ، فبعث بهم إلى قرية بمصر يقال لها الفرما ، يعلمونهم السحر ، كما يعلم الصبيان الكتاب في الكتاب ، قال : فعلموهم سحرا كثيرا ، قال : وواعد موسى فرعون موعدا ؛ فلما كان في ذلك الموعد بعث فرعون ، فجاء بهم وجاء بمعلمهم معهم ، فقال له : ماذا صنعت ؟ قال : قد علمتهم من السحر سحرا لا يطيقه سحر أهل الأرض ، إلا أن يكون أمرا من السماء ، فإنه لا طاقة لهم به . فأما سحر أهل الأرض ، فإنه لن يغلبهم ؛ فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون (إن لنا لأجرا إن كننا لنحن الغالبين . قال : نعم (وَإِنَّكُمْ إِذْنٌ لِّمَنِ الْمُقْرَبِينَ) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) فحشروا عليه السحرة ، فلما جاء السحرة فرعون (قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) يقول : عطية تعطينا (إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ، قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تُوَكَّ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) : أى كآثره بالسحرة لعلك أن تجد في السحرة من يأتي بمثل ما جاء به ، وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراه من سلطانه ، وبعث فرعون في مملكته ، فلم يترك في سلطانه ساحر إلا أتى به ، فذكر لى والله أعلم أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر ؛ فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره ، وقال لهم : قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قط ، وإنكم إن غلبتموه أكرمتمكم وفضلتكم ، وقربتكم على أهل مملكتي ، قالوا : وإن لنا ذلك إن غلبناه ، قال ؟ نعم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قال : السحرة كانوا سبعين .

❖ قال أبو جعفر : أحسبه أنه قال : ألفا ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن ابن المنذر ، قال : كان السحرة ثمانين ألفا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن خيثمة ، عن أبي سودة ، عن كعب ، قال : كان سحرة فرعون اثني عشر ألفا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾

❖ يقول جل ثناؤه : قال فرعون للسحرة إذ قالوا له : إن لنا عندك ثوابا إن نحن غلبنا موسى ، قال : نعم ، لكم ذلك ، وإنكم لمن أقربيه وأدنيه مني (قَالُوا : يَا مُوسَى) يقول : قالت السحرة لموسى : يا موسى اختر أن تلقى عصاك ، أو تلقى نحن عصينا ، ولذلك أدخلت أن مع إما في الكلام لأنها في موضع أمر

بالاختيار ، فإن « أن » في موضع نصب لما وصفت من المعنى ، لأن معنى الكلام : اختر أن تلقى أنت ، أو تلقى نحن ، والكلام مع « إما » إذا كان على وجه الأمر ، فلا بدّ من أن يكون فيه « أن » كقولك للرجل إما أن تمضي ، وإما أن تقعد ، بمعنى الأمر : امض أو اقعد ، فإذا كان على وجه الخبر لم يكن فيه أن كقوله (وَأَخْرُوجُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) وهذا هو الذي يسمى التخيير ، وكذلك كل ما كان على وجه الخبر ، وإما في جميع ذلك مكسورة .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ الْقَوَّامُ فَلَمَّا الْقَوَّا سَحْرًا وَأَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال موسى للسحرة (أَلْقُوا) ما أنتم ملقون ، فألقت السحرة ما معهم (فَلَمَّا الْقَوَّا) ذلك (سَحْرًا) خيلوا إلى أعين الناس بما أحدثوا من التخييل والخدع أنها تسعى ، (وَأَسْتَرَهُبُوهُمْ) يقول : واسترهبوا الناس بما سحروا في أعينهم ، حتى خافوا من العصي والحبال ، ظنا منهم أنها حيات (وَجَاءُوا) كما قال الله (بِسِحْرِ عَظِيمٍ) : بتخييل عظيم كثير ، من التخييل والخدع . وذلك كالذي حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ، فألقوا حبالهم وعصيهم ، وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ، ليس منهم رجل إلا معه حبل وعصا (فَلَمَّا الْقَوَّا سَحْرًا) خيلوا إلى أعين الناس (وَأَسْتَرَهُبُوهُمْ) يقول : فرقوهم فأوجس في نفسه خيفة موسى .

حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ألقوا حبالا غلاظا ونخشا طوالا ، قال : فأقبلت تخيل إليه من سحرهم أنها تسعى . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : صف خمسة عشر ألف ساحر ، مع كل ساحر حباله وعصيه ، وخرج موسى معه أخوه يتكى على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف مملكته ، ثم قالت السحرة (يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) قال : بل ألقوا ، فإذا حبالهم وعصيهم ، فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصي والحبال ، فإذا هي حيات كأمثال الحبال ، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا ، فأوجس في نفسه خيفة موسى ، وقال : والله إن كانت لعصيا في أيديهم ، ولقد عادت حيات ، وما تعدو هذه ، أو كما حدثت نفسه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن هشام الدستوائي ، قال : ثنا القاسم بن أبي بزة ، قال : جمع فرعون سبعين ألف ساحر ، وألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا ، حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (١١٧)

يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك ، فألقاها فإذا هي تلقم وتبتلع ما يسحرون كذبا وباطلا ، يقال منه : لقت الشيء فأنا ألقفه لقفا ولقفانا .

وذلك كالذي حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك ، فألقى موسى عصاه ، فتحولت حية ، فأكلت سحرهم كله . حدثنا عبد الكريم بن المهيم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يأفكون ، لا تمر بشيء من حبالهم وخشبهم التي ألقوها إلا التقمته ، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء ، وليس هذا بسحر ، فخرّوا سجدا وقالوا : (آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أوحى الله إلى موسى : لا تخف ، وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون ، فألقى عصاه فأكلت كل حية لهم ، فلما رأوا ذلك سجّدوا ، وقالوا : آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أوحى الله إليه أن ألق ما في يمينك ، فألقى عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصبيهم ، وهي حيات ، في عين فرعون وأعين الناس تسعى ، فجعلت تلقفها : تبتلعها حية حية ، حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه ، ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في يده كما كانت ، ووقع السحرة سجدا ، قالوا (آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ) لو كان هذا سحرا ما غلبنا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائي ، قال : ثنا القاسم بن أبي بزة ، قال : أوحى الله إليه أن ألق عصاك ، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان فاغر فاه ، فابتلع حبالهم وعصبيهم ، فألقى السحرة عند ذلك سجدا ، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (يَا أَفْكُونَ) قال : يكذبون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) قال : يكذبون .

حدثنا إبراهيم بن المستمير ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا قرّة بن خالد السدوسي ، عن الحسن (تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) قال : حبالهم وعصبيهم تسترطها استرطا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾

❖ يقول تعالى ذكره : فظهر الحق وتبين لمن شهده وحضره في أمر موسى ، وأنه لله رسول يدعو إلى الحق (وبطل ما كانوا يعملون) من إفك السحر وكذبه ومخاييله .
وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فوقع الحق) قال : ظهر .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد في قوله (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون) قال : ظهر الحق وذهب الإفك الذي كانوا يعملون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (فوقع الحق) قال : ظهر الحق .

حدثنا المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فوقع الحق) ظهر موسى .

القول في تأويل قوله تعالى

فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾

❖ يقول تعالى ذكره : فغلب موسى فرعون وجموعه (هُنَالِكَ) عند ذلك (وانقلبوا صاغرين) يقول : وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصغر مقهورين ، يقال منه : صغر الرجل يصغر صغراً وصغراً وصغاراً .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وألقى السحرة عندما عاينوا من عظيم قدرة الله ، ساقطين على وجوههم ، سجداً أربهم ، يقولون : آمنا برب العالمين ، يقولون صدقنا بما جاءنا به موسى ، وأن الذي علينا عبادته هو الذي يملك الجن والإنس وجميع الأشياء ، وغير ذلك ، ويدبر ذلك كله ، رب موسى وهارون ، لافرعون .

كالذي حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما رأَت السحرة ما رأَت ، عرفت أن ذلك أمر من السماء ، وليس بسحر ، خرواً سجداً ، وقالوا : آمنا برب العالمين : رب موسى وهارون .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِكُخْرَجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١١٣﴾

يقول تعالى ذكره : (قال فرعون) للسحرة إذ آمنوا بالله ، يعني صدقوا رسوله موسى عليه السلام لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه : (آمنتم) يقول : أصدقتم بموسى ، وأقررتهم بنبوته (قبل أن آذن لكم) بالإيمان به . (إن هذا) يقول : تصديقكم إياه ، وإقراركم بنبوته (لمكرٌ مكرُومُهُ في المدينة) يقول لخُدعة خدعتم بها من في مدينتنا ، لتخرجوهم منها ، (فسوف تعلمون) ما فعل بكم ، وتلقون من عقابي إياكم على صنيعهم هذا .

وكان مكرهم ذلك فيما حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في حديث ذكره عن أبي مالك وعلى بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : التقى موسى وأمير السحرة ، فقال له موسى : رأيتك إن غلبتك ، أتؤمن بي ، وتشهد أن ماجئتُ به حق ؟ قال السّاحر : لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر ، فوالله لئن غلبتني لأؤمن بك ، ولأشهدن أنك حق ؛ وفرعون ينظر إليهم ، فهو قول فرعون : (إن هذا لمكرٌ مكرُومُهُ في المدينة) إذ التقيما لتظاهرا ، فتخرجا منها أهلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١١٤﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قِبل فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله ، وصدقوا رسوله موسى ، (لأقطعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى ، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى ، فيخالف بين العضوين في القطع ، فمخالفته في ذلك بينهما هو القطع من خلاف . ويقال : إن أول من سنّ هذا القطع فرعون ، (ثم لأصلبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) وإنما قال هذا فرعون ، لما رأى من خذلان الله إياه ، وغلبة موسى عليه السلام ، وقهره له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحفريّ وحبّوية الرازيّ ، عن يعقوب القميّ ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لأقطعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ، ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) قال : أول من صلب ، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا نُنْفِئُكُمْ مِّنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ تَنَارِنَا أَوْ فَرَّغَ عَلَيْنَا صَبْرًا

وَتَوْفَاتَا مُسْلِمِينَ ﴿١١٦﴾

(١) في خلاصة الخزر جي : إبراهيم بن المختار التيمي ، أبو إسحاق الرازي ، حبويه . . . صالح الحديث .

❦ يقول تعالى ذكره : قال السحرة مجيبة لفرعون ، إذ توعدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف ، والصلب (إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ) يعنى بالانقلاب إلى الله الرجوع إليه والمصير ، وقوله (وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا) يقول : ماتنكر منا يافرعون وما تجد علينا ، إلا من أجل أن آمنا : أى صدقنا بآيات ربنا ، يقول : بحجج ربنا وأعلامه وأدلته التي لا يقدر على مثلها أنت ، ولا أحد سوى الله ، الذي له ملك السموات والأرض ، ثم فزعوا إلى الله ، بمسئلته الصبر على عذاب فرعون ، وقبض أرواحهم على الإسلام ، فقالوا : (رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) يعنون بقولهم : أفرغ : أنزل علينا حبسا يحبسنا عن الكفر بك ، عند تعذيب فرعون إيانا (وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) يقول : واقبضنا إليك على الإسلام ، دين خليلك إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، لاعلى الشرك بك ؛ فحدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط عن السدي (لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) فقتلهم وصلبهم كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا : (رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) قال : كانوا في أول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن عبيد بن عمير ، قال : كانت السحرة أول النهار سحرة ، وآخر النهار شهداء .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ) قال : ذكر لنا أنهم كانوا في أول النهار سحرة ، وآخره شهداء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) قال : كانوا أول النهار سحرة ، وآخره شهداء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَ رَمُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُ وَءِ الْهَتَّكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٧٧﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون : أتدع موسى وقومه من بنى إسرائيل ليفسدوا في الأرض ، يقول : كى يفسدوا خدمك وعبيدك عليك في أرضك من مصر (وَيَذُرْكُ وَءِ الْهَتَّكَ) يقول : ويذرك : ويدع خدمتك موسى ، وعبادتك وعبادة آلهتك .

وفي قوله (وَيَذُرْكُ وَءِ الْهَتَّكَ) وجهان من التأويل : أحدهما أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وقد تركك وترك عبادتك وعبادة آلهتك ؟ وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه من التأويل كان النصب في قوله (وَيَذُرْكُ) على العرف ، لاعلى العطف به على قوله ليفسدوا . والثاني : أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ، وليذرك وآلهتك ، كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين ، وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه كان نصب (وَيَذُرْكُ) على العطف على ليفسدوا .

والوجه الأول أولى الوجهين بالصواب ، وهو أن يكون نصب (وَيَذْرَكَ) على الصرف ، لأن التأويل من أهل التأويل به جاء .

وبعد ، فإن في قراءة أبي بن كعب الذي حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج عن هارون ، قال في حرف أبي بن كعب (وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك) دلالة واضحة على أن نصب ذلك على الصرف . وقد روى عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك (وَيَذْرَكَ وَآلِهَتِكَ) عطفًا بقوله (وَيَذْرَكَ) على قوله (أتذّر موسى) كأنه وجه تأويله إلى : أتذّر موسى وقومه ويذرك وآلهتك ليفسدوا في الأرض ، وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها : أتذّر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ، وهو يذرك وآلهتك ، فيكون يذرك مرفوعًا على ابتداء الكلام .

وأما قوله (وَآلِهَتِكَ) فإن قرأ الأمصار على فتح الألف منها ومدّها ، بمعنى : وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التي تعبدها . وقد ذكر عن ابن عباس أنه كان له بقرة يُعبدوها . وقد روى عن ابن عباس ومجاهد أنهما كانا يقرآنها (وَيَذْرَكَ وَإِلَاهَتِكَ) بكسر الألف ، بمعنى : ويذرك وعبودتك . والقراءة التي لا نرى القراءة بغيرها ، هي القراءة التي عليها قرأ الأمصار لإجماع النجدة من القراء عليها .

ذكر من قال : كان فرعون يعبد آلهة على قراءة من قرأ (وَيَذْرَكَ وَآلِهَتِكَ) : حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَيَذْرَكَ وَآلِهَتِكَ) وآلهته فيما زعم ابن عباس ، كانت البقرة كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها ، فلذلك أخرج لهم عجلا وبقرة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : كان لفرعون جمانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا أبان بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول : بلغني أن فرعون كان يعبد إلهًا في السرّ ، وقرأ (وَيَذْرَكَ وَآلِهَتِكَ) . حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن أبي بكر ، عن الحسن ، قال : كان لفرعون إله يعبد في السرّ .

ذكر من قال معنى ذلك : ويذرك وعبادتك ، على قراءة من قرأ : وإلهتك . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عمرو ، عن الحسن ، عن ابن عباس (وَيَذْرَكَ وَإِلَاهَتِكَ) قال : إنما كان فرعون يُعبد ولا يعبد ، قال : ثنا أبي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه قرأ (وَيَذْرَكَ وَإِلَاهَتِكَ) قال : وعبادتك ، ويقول إنه كان يُعبد ولا يعبد .

حدثنا المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَذْرَكَ وَإِلَاهَتِكَ) قال : يترك عبادتك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ (وإلهتك) يقول : وعبادتك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَذَرُكَ وَإِلَهْتِكَ) قال : عبادتك .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازي ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عمرو بن حسين ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (وَيَذَرُكَ وَإِلَهْتِكَ) وقال : إنما كان فرعون يُعبد ولا يعبد . وقد زعم بعضهم : أن من قرأ (وإلهتك) إنما يقصد إلى نحو معنى قراءة من قرأ (وإلهتك) غير أنه أنت وهو يريد إلهًا واحدًا ، كأنه يريد (وَيَذَرُكَ وَإِلَهَكَ) ثم أنت الإله فقال : وإلهتك . وذكر بعض البصريين أن أعرابيا سئل عن الإلهة فقال : هي علكمة يريد علما ، فأنت العلم ، فكأنه شيء نصب للعبادة يُعبد . وقد قالت بنت عتيبة بن الحارث اليربوعي .

تَرَوِّحْنَا مِنَ اللَّعْبَاءِ عَصْرًا وَأَعْجَلْنَا الْإِلَهَةَ أَنْ تَشُوبَا^١

يعنى بالإلهة في هذا الموضع : الشمس ، وكأن هذا المتأول هذا التأويل ، وجه الإلهة إذا أدخلت فيها هاء التأنيث ، وهو يريد واحد الآلهة ، إلى نحو إدخالهم الهاء في وَلِدَتِي وَكَوَّكِبَتِي وَأُمَّاتِي ، وهو أهلة ذلك ، وكما قال الراجز :

يَا مُضَرُّ الْحَمْرَاءِ أَنْتِ أُسْرَتِي وَأَنْتِ مَلْجَاتِي وَأَنْتِ ظَهْرَتِي^٢

يريد : ظهري . وقد بين ابن عباس ومجاهد ما أرادوا من المعنى في قراءتهما ذلك على ما قرأ ، فلا وجه لقول هذا القائل ما قال مع بيانها عن أنفسهما ما ذهبوا إليه من معنى ذلك . وقوله (قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ) يقول : قال فرعون : سنقتل أبناءهم الذكور من أولاد بني إسرائيل

(١) البيت في (اللسان : لعب ، وأله والمخصص : ١٧ : ١٣٧ ومعجم ما استعجم للبكري ص ١١٥٦) وبعده في اللسان بيت آخر ، وهو :

عَلَى مِثْلِ ابْنِ مَيْيَّةَ فَانْعِيَاهُ تَشْتَقُّ نَوَاعِمَ الْبَشَرِ الْجُيُوبَا

ومعنى تروحنا : سرنا بعد الزوال ، أي عصرا ، و يروي : قصرا ، ويروي قسرا . واللعباء ، كما قال ابن السكيت : موضع بين الربذة وأرض بني سليم ، وهي لفزارة وبني ثعلبة وبني أنمار بن بغيض . وقيل : أرض تنبت الغضاه ابني أبي بكر بن كلاب . وإلهة والإلهة : بكسر الهمزة : اسم للشمس . ويروي الألاهة بالفتح عن ابن الأعرابي يريد أنهم مضوا مسرعين من اللعباء عند العصر ، لما علموا بوفاة هذا الرجل ، فأدركوا غرضهم قبل مغيب الشمس . واختلف في قائل البيت . قال ابن بري : هو لمية بنت أم عتبة بن الحارث . وقيل : هو لبنت عبد الحارث اليربوعي ، ويقال : لناحمة عتيبة بن الحارث . وقال أبو عبيدة : هو لأم البنين بنت عتيبة ابن الحارث ترضيه . وفي معجم ما استعجم للبكري : وقالت مية ، ويقال آمنة بنت عتيبة بن الحارث بن شهاب : تروحنا . . . البيت .

(٢) مضر بن نزار في عمود النسب النبوي . ويقال فيه « مضر الحمراء » بالإضافة ، لأنه أعطى الذهب من ميراث أبيه ، والحمرء : الذهب ، يذكر ويؤنث . والأسرة : عشيرة الرجل ، وأهل بيته . وملجأتى : يريد ملجئى ، زاد فيه تاء التأنيث . وظهركى قال المؤلف : هو مؤنث الظهر ، وهذا يقتضى أنه بفتح الظاء . وفي اللسان : الظهر (بالضم) ، والظهرة (بالكسر) عن كراع كالظهر . وهم ظهرة واحدة : أى يتظاهرون على الأعداء . ولم أجد الظهرة بالفتح إلا في قول المؤلف .

(وَنَسْتَحْيِي نَسَاءَهُمْ) يقول : ونستحي إناهم (وَأَنَا فَوْقَهُمْ أَقَاهِرُونَ) يقول : وإنا عالون عليهم بالقهر ، يعنى بقهر الملك والسلطان ، وقد بينا أن كل شيء عال بقهر وغلبة على شيء ، فإن العرب تقول : هو فوقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال موسى لقومه من بنى إسرائيل لما قال فرعون للملأ من قومه : سنقتل أبناء بنى إسرائيل ونستحي نساءهم : (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ) على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم ، واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم من فرعون . وكان قد تبع موسى من بنى إسرائيل على ما حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما آمنت السحرة ، اتبع موسى ستمائة ألف من بنى إسرائيل ، وقوله (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول : إن الأرض لله ، لعل الله أن يورثكم إن صبرتم على ما نالكم من مكروه في أنفسكم وأولادكم من فرعون ، واحتسبتم ذلك ، واستقمتم على السداد أرض فرعون وقومه ، بأن يهلكهم ويستخلفكم فيها ، فإن الله يورث أرضه من يشاء من عباده (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) يقول : والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه ، فخافه باجتناب معاصيه ، وأدى فرائضه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

يقول تعالى ذكره : قال قوم موسى لموسى حين قال لهم استعينوا بالله واصبروا (أُوذِينَا) بقتل أبنائنا (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا) يقول : من قبل أن تأتينا برسالة الله إلينا ، لأن فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظله زمان موسى على ما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا . وقوله (وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) يقول : ومن بعد ما جئتنا برسالة الله ، لأن فرعون لما غلبت سحرته ، وقال للملأ من قومه ما قال ، أراد تجديد العذاب عليهم بقتل أبنائهم ، واستحياء نساءهم . وقيل : إن قوم موسى قالوا لموسى ذلك حين خافوا أن يدركهم فرعون وهم منه هاربون ، وقد تراءى الجمعان ، (فَقَالُوا) له يا موسى (أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا) كانوا يذبحون أبناءنا ، ويستحيون نساءنا (وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا .

وبنحو ما قلنا في ذلك : قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا) من قبل إرسال الله إليك وبعده .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة . قال : ثنا شبل . عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد . مثله .

حدثني موسى . قال : ثنا عمرو . قال : ثنا أسباط . عن السدي : فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد ردفهم . قالوا : إنا لمدركون وقالوا : أودينا من قبل أن تأتينا . كانوا يذبجون أبناءنا ، ويستحيون نساءنا . ومن بعد ما جئتنا . اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا . إنا لمدركون .

حدثني عبد الكريم . قال : ثنا إبراهيم . قال : ثنا سفيان . قال : ثنا أبو سعد . عن عكرمة . عن ابن عباس . قال : سار موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر . فالتفتوا فإذا هم برهج دواب فرعون ، فقالوا : يا موسى أودينا من قبل أن تأتينا . ومن بعد ما جئتنا . هذا البحر أمامنا . وهذا فرعون بمن معه . (قال : عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظركم كيف تعملون) وقوله (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم) يقول جل ثناؤه : قال موسى لقومه : لعل ربكم أن يهلك عدوكم : فرعون وقومه . ويستخلفكم . يقول : يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم . لا تخافونهم . ولا أحدا من الناس غيرهم (فينظركم كيف تعملون) يقول : فيرى ربكم ما تعملون بعدهم من مسارعتم في طاعته . وثناقلكم عنها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد اخترنا قوم فرعون وأتباعه . على ما هم عليه من الضلالة بالسنين ، يقول : بالجدوب سنة بعد سنة والقحوط . يقال منه : أسنت القوم : إذا أجدبوا (ونقصنا من الثمرات) يقول : واخترناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل (لعلهم يذكرون) يقول : عظة لهم ، وتذكير لهم ، لينزجروا عن ضلالتهم ، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) قال : بسني الجوع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (بالسنين) الجائعة (ونقصنا من الثمرات) دون ذلك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني القاسم بن دينار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن رجاء بن حيوة في قوله (وَتَقْصُ مِنْ الثَّمَرَاتِ) قال : حيث لا تحمل النخلة إلا ثمرة واحدة .
حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن رجاء بن حيوة ، عن كعب قال : يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة .
حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن رجاء بن حيوة (وَتَقْصُ مِنْ الثَّمَرَاتِ) قال : يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَقْصُ مِنْ الثَّمَرَاتِ) فأما السنين فكان ذلك في باديتهم وأهل مواشيم . وأما بنقص من الثمرات ، فكان ذلك في أمصارهم وقراهم .
القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا

طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢١﴾

يقول تعالى ذكره : فإذا جاءت آل فرعون العافية والحصب والرخاء وكثرة الثمار ، ورأوا ما يحبون في دنياهم (قَالُوا لَنَا هَذِهِ) نحن أولى بها (وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ) يعني جدوب وقحوط وبلاء (يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ) يقول : يتشاءموا بهم ويقولوا : ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والحصب والعافية ، مذ جاءنا موسى عليه السلام .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ) العافية والرخاء (قَالُوا لَنَا هَذِهِ) نحن أحقّ بها (وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ) بلاء وعقوبة (يَطَّيَّرُوا) يتشاءموا (بِمُوسَىٰ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ) قَالُوا لَنَا هَذِهِ ، وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ) قالوا : ما أصابنا هذا إلا بك يا موسى وبمن معك ، ما رأينا شراً ولا أصابنا حتى رأيناك ، وقوله (فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ) قَالُوا لَنَا هَذِهِ) قال : الحسنه : ما يحبون ؛ وإذا كان ما يكرهون ، قالوا : ما أصابنا هذا إلا بشؤم هؤلاء

الذين ظلموا . قال قوم صالح (اظَّيِّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) فقال الله (إِنَّمَا طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) .

القول في تأويل قوله (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) :
 يقول تعالى ذكره : ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم . وذلك أنصباؤهم من الرخاء والحصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشر إلا عند الله . ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ذلك كذلك . فلجهلهم بذلك كانوا يطَّيرون بموسى ومن معه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى . قال : ثنا عبد الله بن صالح . قال : ثنى معاوية . عن علي . عن ابن عباس (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ) يقول : مصائبهم عند الله . قال الله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .
 حدثني القاسم . قال : ثنا الحسين قال : ثنى حجاج . عن ابن جريج قال : قال ابن عباس (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ) قال : الأمر من قبيل الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَتَمَنَّخْ لَكَ يَا مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : وقال آل فرعون لموسى : يا موسى مهما تأتينا به من علامة ودلالة لتسحرنا ، يقول : لتأنتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون (فَتَمَنَّخْ لَكَ يَا مُؤْمِنِينَ) يقول : فامنن لك في ذلك بمصدقين على أنك محق فيما تدعونا إليه . وقد دللنا فيما مضى على معنى السحر بما أغنى عن إعادته .
 وكان ابن زيد يقول في معنى (مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ) ما حدثني يونس . قال : قال ابن زيد : في قوله (مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ) قال : إن ما تأتينا به من آية وهذه فيها زيادة «ما» .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ

فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٢٣﴾

اختلف أهل التأويل في معنى الطوفان ، فقال بعضهم : هو الماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن وكيع . قال : ثنا حَبَّوِيَّةُ الرَّازِي ، عن يعقوب القسَمِي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس . قال : لما جاء موسى بالآيات . كان أول الآيات الطوفان ، فأرسل الله عليهم السماء .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن بمان ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي مالك ، قال : الطوفان : الماء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : الطوفان : الماء ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : الطوفان : الغرق .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : الطوفان الماء والطاعون على كل حال .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الطوفان الموت على كل حال .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : الطوفان : الماء .

وقال آخرون : بل هو الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا المنهال بن خليفة ، عن الحجاج ، عن الحكم بن ميناء ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الطوفان الموت » .

حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سألت عطاء ما الطوفان ؟ قال : الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عطاء عن حدثه ، عن مجاهد ، قال : الطوفان : الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن عبد الله بن كثير (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطوفان) قال : الموت .

قال ابن جريج : وسألت عطاء عن الطوفان ، قال : الموت . قال ابن جريج : وقال مجاهد : الموت على كل حال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن المنهال بن خليفة ، عن حجاج ، عن رجل ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الطوفان الموت » .

وقال آخرون : بل ذلك كان أمرا من الله طاف بهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطوفان) قال : أمر الله الطوفان ، ثم قال (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ) . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة ، يزعم أن الطوفان من

(١) المراد بقوله « على كل حال » : أي بالفرق أو الوباء أو نحوهما مما يعمهم .

السيال البُعاق والدُّباشُ ، وهو الشديد . ومن الموت المتتابع الذريع السريع . وقال بعضهم : هو كثرة المطر والريح . وكان بعض نحوِّي الكوفيين يقول : الطوفان مصدر مثل الرَّجْحان والنَّقْصان لا يجمع . وكان بعض نحوِّي البصرة يقول : هو جمع . واحدها في القياس : الطوفانة .

والصواب من القول في ذلك عندي . ما قاله ابن عباس على ما رواه عنه أبو ظبَّيان أنه أمر من الله طاف بهم ، وأنه مصدر من قول القائل : طاف بهم أمر الله بطوف طوفانا . كما يقال : نقص هذا الشيء ينقص نقصانا . وإذا كان ذلك كذلك . جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد ، وجاز أن يكون الموت الذريع . ومن الدلالة على أن المطر الشديد قد يسمى طوفانا قول الحسن بن عرفطة :

غَيْرَ الْجِدَّةِ مِنْ آيَاتِهَا خُرْقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ المَطَرِ ١

ويروى : خرق الريح بطوفان المطر : وقول الراعي :

تُضْحِي إِذَا العَيْسُ أَدْرَكْنَا نَكَاثِثَهَا خَرَقَاءَ يَعْتَادُهَا الطُوفَانُ وَالزُّوْدُ ٢

وقول أبي النجم :

قَدْ مَدَّ طُوفَانٌ فَبَيْتٌ مَدَدَا شَهْرًا شَأْبِيَّ وَشَهْرًا بَرَدَا ٣

وأما التَّمَلُّ . فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه . فقال بعضهم : هو السوس الذي يخرج من الحنطة . ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا جرير . عن يعقوب القُصَمي . عن جعفر . عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس . قال : التَّمَلُّ : هو السوس الذي يخرج من الحنطة .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا يعقوب . عن جعفر . عن سعيد بنحوه . وقال آخرون : بل هو الدَّبِّي ، وهو صغار الجراد الذي لأجنحة له .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : التَّمَلُّ : الدَّبِّي .

(١) البيت في (اللسان : طوف) ولم ينسبه . وخرق الريح : اشتداد هبوبها ، يقال : خرقت الريح من بابي ظرف وفرح ، فهي خرقاء . والخرق بضمين : ضد الرفق . وأصله بسكون الراء : اسم من خرق يخرق خرقا فهو أخرق : إذا حق وجهل . وطوفان المطر : المطر الغالب ، الذي يفرق من كثرته . يريد أن الذي غير معالم هذه الدار ومحاطا شيطان : شدة هبوب الريح ، ثم دوام تهطل المطر عليها .

(٢) البيت في (اللسان : زاد) كرواية المؤلف . وفي (نكت) ونسبه للراعي في وصف ناقته . وفيه : « تسمى » في مكان « تضحى » . قال : ويقال : بلغت نكيهة البعير : أي أقصى مجهوده في السير . والخرقاء هنا : التي لاتحسن السير أو لاقدرة لها عليه . والطوفان : لعله هنا العرق الكثير . والزود بسكون الهززة وضمها مع ضم الزاي : الفزع . يريد أن ناقته تضحى أو تمسك غير قادرة على السير ، يغمرها العرق والفزع ، على حين أن غيرها من الإبل قد اشتد في سيره ، وبلغنا أقصى مجهوده .

(٣) الطوفان : المطر الغزير المفرق . والشأبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفقة من المطر . والبرد بالتحريك : ما حمد من المطر ، ويسمى حب النمام .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد : قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال :
الدَّبِّي : القُمَّل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : القمل : هو الدبِّي .
حدثني محمد بن عمرو : قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قال :
القمل : الدبِّي .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ، قال : القمل :
هي الدبِّي : وهي أولاد الجراد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال :
القمل : الدبِّي . قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس عن ذكره ، عن عكرمة ، قال : القمل : بنات الجراد .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قال : القمل : الدبِّي .
وقال آخرون : بل القمل : البراغيث .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ) قال : زعم بعض الناس في القمل أنها البراغيث . وقال بعضهم : هي دواب
سود صغار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر ، قال : سمعت سعيد بن جبیر
والحسن قالا : القمل : دواب سود صغار . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن
القمل عند العرب : الحَمَان ، والحَمَانان : ضرب من القيردان واحدها : حمانة فوق التَّمَقامة ، والقُمَّل
جمع واحدها قُمَّلَة ، وهي دابة تشبه القمل تأكلها الإبل فبها بلغني ، وهي التي عنها الأعشى في قوله :
قَوْمٌ يُعَالِجُ قُمَّلًا أَبْنَاؤُهُمْ وَسَلَسِلًا أُجْدًا ، وَبَابًا مُؤَصَّدًا
وكان الفراء يقول : لم أسمع فيه شيئاً ، فإن لم يكن جمعاً فواحدته قامل ، مثل ساجد وراكع ، وإن يكن اسماً
على معنى جمع ، فواحدته : قُمَّلَة .

(١) البيت في ديوان الأعشى أبي بصير (طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسني ص ٢٣١) ، وفي (لسان العرب : قمل) .

والرواية فيها بنصب « قوما » . وقبل البيت :

لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيَادُ دَارَهَا تَكَرَّيْتِ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا

الكاف هنا بمعنى "مثل" ، وقوما بالنصب بدل منها ، أو خبر بعد خبر وليس . يريد بهذا البيت : لسنا كإياد حراثين أذلاء ، قد اتخذوا
تكريرت مقاما لهم ، فهم لاصقون بأرضهم ينتظرون حصاد الحب . وينشأ أبناؤهم حاملين ، يتشاغلون بقتل القمل المنتشر في أبدانهم ،
وقد أوثقوا بالسلاسل المتينة الغليظة ، وغلقت دونهم أبواب مدينتهم ، من خوف أعدائهم ، يعترز ببدواته ، وأنه لا يعانى ما يعانى أهل
الحضر من الزراعة وما يتبعها .

ذكر المعاني التي حدثت في قوم فرعون بحدوث هذه الآيات

والسبب الذي من أجله أحدثها الله فيهم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القسبي ، عن جعفر بن المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما أتى موسى فرعون ، قال له : أرسل معي بني إسرائيل ، فأبى عليه ، فأرسل الله عليهم الطوفان ، وهو المطر ، فصب عليهم منه شيئا ، فخافوا أن يكون عذابا ، فقالوا لموسى : ادع لنا ربك ، لأن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ، ولنرسلن معك بني إسرائيل ، فدعا ربه ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، فأثبت لهم في تلك السنة شيئا لم ينبت قبل ذلك من الزرع والتمر والكلا ، فقالوا : هذا ما كنا نتمنى ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فسلبه على الكلا ، فلما رأوا أثره في الكلا عرفوا أنه لا يبقى الزرع ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم الجراد ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، فداسوا وأحرزوا في البيوت ، فقالوا : قد أحرزنا ، فأرسل الله عليهم القمل ، وهو السوس الذي يخرج منه ، فكان الرجل يخرج عشرة أجرية إلى الرحي ، فلا يرد منها ثلاثة أقفزة ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم ، فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل . فبينما هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع ، فقال لفرعون : ما تلتى أنت وقومك من هذا ؟ فقال : وما عسى أن يكون كيد هذا ، فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع ، ويهم أن يتكلم فتنب الضفادع في فيه ، فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بني إسرائيل ، فكشف عنهم فلم يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان ما استقوا من الأنهار والآبار ، أو ما كان في أوعيتهم وجدوه دما عبيطا ، فشكوا إلى فرعون فقالوا : إنا قد ابتلينا بالدم ، وليس لنا شراب ، فقال : إنه قد سحركم ، فقالوا : من أين سحرنا ونحن لانجد في أوعيتنا شيئا من الماء إلا وجدناه دما عبيطا ، فأتوه فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جبوية الرازي ، عن يعقوب القسبي ، عن جعفر ، عن ابن عباس ، قال : لما خافوا الغرق ، قال فرعون : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنؤمن لك ، ثم ذكر نحوه حديث ابن حميد ، عن يعقوب .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ثم إن الله أرسل عليهم ، يعني على قوم فرعون الطوفان ، وهو المطر ، فغرق كل شيء لهم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا ، ونحن نؤمن لك ، ونرسل معك بني إسرائيل ، فكشف الله عنهم ونبتت به زروعهم ، فقالوا : ما يسرنا أنا لم نمطر ، فبعث الله عليهم الجراد ، فأكل حروثهم ، فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه ويؤمنوا به ، فدعا فكشفه ، وقد بقي من زروعهم بقية ، فقالوا : لم تؤمنون وقد بقي من زرنا بقية تكفيننا ، فبعث الله عليهم الدب ، وهو القمل ، فلحس الأرض كلها ، وكان يدخل بين ثوب أحدهم

وبين جلده فيعضه ، وكان لأحدهم الطعام فيمتملى دُبي ، حتى إن أحدهم لبني الأسطوانة بالحصن فيزلقها ، حتى لا يرتقى فوقها شيء ، يرفع فوقها الطعام ، فاذا صعد إليه ليأكله وجدته ملآن دُبي ، فلم يصابوا ببلاء كان أشدّ عليهم من الدُبي ، وهو الرجز الذي ذكر الله في القرآن أنه وقع عليهم ، فسألوا موسى أن يدعو ربه ، فيكشف عنهم ، ويؤمنوا به ، فلما كشف عنهم أبوا أن يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان الإسرائيلي يأتي هو والقبطي يستقيان من ماء واحد ، فيخرج ماء هذا القبطي دما ، ويخرج للإسرائيلي ماء ؛ فلما اشتدّ ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه ، ويؤمنوا به ، فكشف ذلك ، فأبوا أن يؤمنوا ، وذلك حين يقول الله (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَسْتَكْثُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) قال : أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما ، ثم كشف عنهم ، فلم يؤمنوا ، وأخصبت بلادهم خصبا لم تخصب مثله ، فأرسل الله عليه الجراد فأكله إلا قليلا ، فلم يؤمنوا أيضا ، فأرسل الله القُمَّل وهي الدُبي ، وهي أولاد الجراد ، فأكلت ما بقي من زروعهم ، فلم يؤمنوا ، فأرسل عليهم الضفادع ، فدخلت عليهم بيوتهم ، ووقعت في آنيتهم وفرشهم ، فلم يؤمنوا ، ثم أرسل الله عليهم الدم ، فكان أحدهم إذا أراد أن يشرب تحول ذلك الماء دما ، قال الله (آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) حتى بلغ (مُجْرِمِينَ) قال : أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما ، فدعوا موسى فدعا ربه ، فكشف عنهم ، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم ، ثم أنبتت أرضهم ، ثم أرسل الله عليهم الجراد ، فأكل عامة حروثهم وثمارهم ، ثم دعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم ، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم ، فأرسل الله عليهم القُمَّل ، هذا الدُبي الذي رأيتم ، فأكل ما أبقى الجراد من حروثهم ، فلهجسه ، فدعوا موسى ، فدعا ربه ، فكشف عنهم ، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم ، ثم أرسل الله عليهم الضفادع ، حتى ملأت بيوتهم وأفنيتهم ، فدعوا موسى ، فدعا ربه فكشف عنهم ، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكانوا لا يغترفون من ما هم إلا دما أحمر ، حتى لقد ذكر أن عدو الله فرعون كان يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد ، القبطي والإسرائيلي ، فيكون مما يلي الإسرائيلي ماء ، ومما يلي القبطي دما ، فدعوا موسى ، فدعا ربه ، فكشف عنهم في تسع آيات : السنين ، ونقص من الثمرات ، وأراهم يد موسى عليه السلام وعصاه . حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) وهو المطر حتى خافوا الهلاك ، فأتوا موسى ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر ، فإننا نؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم المطر ، فأنبت الله به حروثهم ، وأخصب به بلادهم ، فقالوا : ما نحبّ أن نلم نمطر بترك ديننا ، فلن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فأسرع في فساد ثمارهم وزروعهم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد ، فإننا سنؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم

الجراد ، وكان قد بقي من زروعهم ومعاشهم بقايا ، فقالوا : قد بقي لنا ما هو كافينا ، فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم القُمَّل ، وهو الدبى ، فتبع ما كان ترك الجراد ، فجزعوا وأحسوا بالهلاك ، قالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الدبى ، فإنا سنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم الدبى ، فقالوا : ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بنى إسرائيل ؛ فأرسل الله عليهم الضفادع ، فلأبيوتهم منها ، ولقوا منها أذى شديدا لم يلقوا مثله فيما كان قبله ، إنها كانت تثب في قدورهم ، ففسد عليهم طعامهم ، وتطغى نيرانهم ، قالوا : يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الضفادع ، فقد لقينا منها بلاء وأذى ، فإنا سنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه ، فكشف عنهم الضفادع ، فقالوا : لا نؤمن لك ، ولا نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم الدم ، فجعلوا لا يأكلون إلا الدم ، ولا يشربون إلا الدم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الدم ، فإنا سنؤمن لك ، ونرسل معك بنى إسرائيل ، فدعا ربه فكشف عنهم الدم ، فقالوا : يا موسى لن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى إسرائيل ، فكانت آيات مفصَّلات بعضها على إثر بعض ، ليكون لله عليهم الحجة ، فأخذهم الله بذنوبهم ، فأغرقهم في اليم .

حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أرسل على قوم فرعون الآيات : الجراد ، والقُمَّل ، والضفادع ، والدم (آيات مفصَّلات) قال : فكان الرجل من بنى إسرائيل يركب مع الرجل من قوم فرعون في السفينة ، فيغترف الإسرائيلي ماء ، ويغترف الفرعوني دما . قال : وكان الرجل من قوم فرعون ينام في جانب ، فيكثر عليه القُمَّل والضفادع حتى لا يقدر أن ينقلب على الجانب الآخر ، فلم يزالوا كذلك ، حتى أوحى الله إلى موسى (أن أسرِّ بعبادى إنكم متَّبَعُونَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما أتى موسى فرعون بالرسالة أبى أن يؤمن ، وأن يرسل معه بنى إسرائيل ، فاستكبر ، قال : لن نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم الطوفان ، وهو الماء ، أمطر عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وامتنع منهم كل شيء ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا هذا لنؤمننَّ لك ، ولنرسلنَّ معك بنى إسرائيل ، فدعا الله فكشف عنهم المطر ، فأثبت الله لهم حروثهم ، وأحيا بذلك المطر كل شيء من بلادهم ، فقالوا : والله ما نحب أن نكن أمطرنا هذا المطر ، ولقد كان خيرا لنا ، فلن نرسل معك بنى إسرائيل ، ولن نؤمن لك يا موسى ، فبعث الله عليهم الجراد ، فأكل عامة حروثهم ، فأسرع الجراد في فسادها ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد ، فإنا مؤمنون لك ، ومرسلون معك بنى إسرائيل ، فكشف الله عنهم الجراد ، وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقية ، فقالوا : قد بقي لنا من حروثنا ما كان كافينا ، فما نحن بتاركى ديننا ، ولن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم القُمَّل ، والقمل : الدبى ، وهو الجراد الذى ليست له أجنحة ، فتبع ما بقي من حروثهم وشجرهم

وكل نبات كان لهم ، فكان القمل أشدّ عليهم من الجراد ، فلم يستطيعوا للقمل حيلة ، وجزعوا من ذلك وأتوا موسى ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل ، فإنه لم يبق لنا شيئا ، قد أكل ما بقى من حروثنا ، ولئن كشفت عنا القمل لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل ، فكشف الله عنهم القمل فنكثوا ، وقالوا : لن نؤمننّ لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فامتلات منها البيوت ، فلم يبق لهم طعام ولا شراب إلا وفيه الضفادع ، فلقوا منها شيئا لم يلقوه فيما مضى ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك لنكشف عنا الرجز لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل ، قال : فكشف الله عنهم فلم يفعلوا ، فأنزل الله (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ) . . . إلى (وكانوا عنها غافلين) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، قال : ثنا الحسن بن واقد ، عن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت الضفادع برية ، فلما أرسلها الله على آل فرعون ، سمعت وأطاعت ، فجعلت تغرق أنفسها في القدور وهي تغلى ، وفي التناير وهي تفور ، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء . قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فرجع عدو الله ، يعنى فرعون ، حين آمنت السحرة مغلوبا مغلولا ، ثم أبى إلا الإقامة على الكفر ، والتمادى فى الشر ، فتابع الله عليه بالآيات ، وأخذ بالسنين ، فأرسل عليه الطوفان ، ثم الجراد ، ثم القمل ، ثم الضفادع ، ثم الدم (آيات مفضلات) ، فأرسل الطوفان ، وهو الماء ، ففاض على وجه الأرض ، ثم ركد ، لا يقدر على أن يحرثوا ، ولا يعملوا شيئا ، حتى جهدوا جوعا ، فلما بلغهم ذلك ، قالوا : يا موسى ادع لنا ربك لنكشف عنا الرجز لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل ، فدعا موسى ربه ، فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فأكل الشجر فيما بلغنى : حتى إن كان لياً كل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم ، فقالوا مثل ما قالوا ، فدعا ربه ، فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم القمل ، فذكر لى أن موسى أمر أن يمشى إلى كتيب حتى يضربه بعصاه ، فضى إلى كتيب أهيل عظيم ، فضربه بها ، فائثال عليهم قملا حتى غلب على البيوت والأطعمة ، ومنعهم النوم والقرار ؛ فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فمالت البيوت والأطعمة والآنية ، فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما ولا إناء إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه ، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فصارت مياه آل فرعون دما ، لا يستقون من بر ولا نهر ، ولا يغترفون من إناء إلا عاد دما عبيطا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظى ، أنه حدث أن المرأة من آل فرعون ، كانت تأتى المرأة من بنى إسرائيل ، حين جهدهم العطش ، فتقول : اسقيني من مائك ، فتغرف لها من جرتها ، أو تصب لها من قربتها ، فيعود فى الإناء دما ، حتى إن كانت

لتقول لها : اجعليه في فيك ثم مجيئه في في ، فتأخذ في فيها ماء ، فاذا مجتته في فيها صار دما ، فمكثوا في ذلك سبعة أيام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الجراد يأكل زروعهم ونباتهم ، والضفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم ، والدم يكون في بيوتهم وثيابهم ومأهم وطعامهم . قال : ثنا شبل ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : لما سال النيل دما ، فكان الإسرائيلي يستقي ماء طيبا ، ويستقي الفرعوني دما ويشتركان في إناء واحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء طيبا ، وما يلي الفرعوني دما . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي بكر ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، أن موسى لما عالج فرعون بالآيات الأربع : العصا : واليد ، ونقص من الثمرات ، والسنين ، قال : يا رب إن عبدك هذا قد علا في الأرض ، وعتا في الأرض ، وبغى عليّ ، وعلا عليك ، وعالي بقومه ، رب خذ عبدك بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ، وتجعلها لقومي عظة ، ولمن بعدى آية في الأمم الباقية ، فبعث الله عليهم الطوفان ، وهو الماء ، وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض ، فامتألت بيوت القبط ماء ، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ، من حبس منهم غرق ، ولم يدخل في بيوت بني إسرائيل قطرة ، فجعلت القبط تنادي : موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ، لأن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بني إسرائيل ، قال : فوآتقوا موسى ميثاقا أخذ عليهم به عهدهم ، وكان الماء أخذهم يوم السبت ، فأقام عليهم سبعة أيام إلى السبت الآخر ، فدعا موسى ربه ، فرفع عنهم الماء ، فأعشبت بلادهم من ذلك الماء ، فأقاموا شهرا في عافية ، ثم جحدوا وقالوا : ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبا لبلادنا ، ما نحب أنه لم يكن ؛ قال : وقد قال قائل لابن عباس : إني سألت ابن عمر عن الطوفان ، فقال : ما أدري موتا كان أو ماء ، فقال ابن عباس : أما يقرأ ابن عمر سورة العنكبوت حين ذكر الله قوم نوح فقال (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) رأيت لو ماتوا إلى من جاء موسى عليه السلام بالآيات الأربع بعد الطوفان ؟ قال : فقال موسى : يا رب إن عبادك قد نقضوا عهدك ، وأخلفوا وعدى ، رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ، ولقومي عظة ، ولمن بعدهم آية في الأمم الباقية ، قال : فبعث الله عليهم الجراد فلم يدع لهم ورقة ولا شجرة ولا زهرة ولا ثمرة إلا أكلها ، حتى لم يبق جنى ، حتى إذا أفنى الخضر كلها أكل الخشب ، حتى أكل الأبواب ، وسقوف البيوت ، وابتلى الجراد بالجوع ، فجعل لا يشبع ، غير أنه لا يدخل بيوت بني إسرائيل ، فعجوا وصاحوا إلى موسى ، فقالوا : يا موسى هذه المرة ادع لنا ربك بما عهد عندك لأن كشفت عنا الرجز ، لنؤمننّ لك ، ولنرسلنّ معك بني إسرائيل ، فأعطوه عهد الله وميثاقه ، فدعا لهم ربه ، فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام ، من السبت إلى السبت ، ثم أقاموا شهرا في عافية ، ثم عادوا لتكذيبهم ولإنكارهم ، ولأعمالهم أعمال سوء ، قال : فقال موسى : يا رب عبادك قد نقضوا عهدى وأخلفوا موعدي ، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ، ولقومي عظة ، ولمن بعدى آية في الأمم الباقية ، فأرسل الله عليهم القمل ، قال أبو بكر : سمعت سعيد بن جبير والحسن يقولان : كان إلى جنبهم كتيب

أعقر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس ، فمضى موسى إلى ذلك الكتيب ، فضربه بعضاه ضربة صار قملا تدب إليهم ، وهى دواب سود صغار ، فدب إليهم القمل ، فأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ، ولزم جلودهم ، كأنه الجدرى عليهم ، فصرخوا وصاحوا إلى موسى : إنا نتوب ولا نعود ، فادع لنا ربك ، فدعا ربه فرفع عنهم القمل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ، فأقاموا شهرا فى عافية ، ثم عادوا وقالوا : ما كنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم ، جعل الرمل دواب ، وعزة فرعون لانصدقه أبدا ، ولا نتبعه ، فعادوا لتكذيبهم وإنكارهم ، فدعا موسى عليهم ، فقال : يارب إن عبادك نقضوا عهدي ، وأخلفوا وعدي ، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نعمة ، ولقوى عظة ، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فكان أحدهم يضطجع ، فتركبه الضفادع ، فتكون عليه ركاما ، حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى الشق الآخر ، ويفتح فاه لأكلته ، فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه ، ولا يعجن عجينا إلا تشدخت فيه ، ولا يطبخ قدرا إلا امتلأت ضفادع ، فعذبوا بها أشد العذاب ، فشكوا إلى موسى عليه السلام ، وقالوا : هذه المرة نتوب ولا نعود ، فأخذ عهدهم وميثاقهم ، ثم دعا ربه ، فكشف الله عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا من السبت إلى السبت ، فأقاموا شهرا فى عافية ثم عادوا لتكذيبهم وإنكارهم ، وقالوا : قد تبين لكم سحره ، ويجعل التراب دواب ، ويجىء بالضفادع فى غير ماء ، فآذوا موسى عليه السلام ، فقال موسى : يارب إن عبادك نقضوا عهدي ، وأخلفوا وعدي ، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم عقوبة ، ولقوى عظة ، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية ، فابتلاههم الله بالدم ، فأفسد عليهم معاشهم ، فكان الإسرائيلى والقبطى يأتیان النيل فيستقيان ، فيخرج للإسرائيلى ماء ، ويخرج للقبطى دما ، ويقومان إلى الحُب فيه الماء ، فيخرج للإسرائيلى فى إنائه ماء ، وللقبطى دما .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا ابن سعد ، قال : سمعت مجاهدا ، فى قوله (فأرسلنا عليهم الطوفان) قال : الموت والجراد ، قال : الجراد يأكل أمتعتهم وثيابهم ومسامير أبوابهم ، والقمل هو الدبى ، ساطه الله عليهم بعد الجراد ؛ قال : والضفادع تسقط فى أطعمتهم التى فى بيوتهم وفى أشربتهم . وقال بعضهم : الدم الذى أرسله الله عليهم كان رعافا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أحمد بن خالد ، قال : ثنا يحيى بن أبى بكير ، قال : ثنا زهير ، قال : قال زيد بن أسلم : أما القمل فالقمل ؛ وأما الدم : فسلط عليهم الرعاف .
وأما قوله (آيات مفصلات) فإن معناه : علامات ودلالات على صحة نبوة موسى ، وحقية ما دعاهم إليه مفصلات ، قد فصل بينها ، فجعل بعضها يتلو بعضها ، وبعضها فى إثر بعض .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ،

عن ابن عباس ، قال : فكانت آيات مفصلات بعضها في إثر بعض ، ليكون لله الحجة عليهم ، فأخذهم الله بذنوبهم ، فأغرقهم في اليم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (آياتٍ مُفَصَّلَاتٍ) قال : يتبع بعضها بعضا ليكون لله الحجة عليهم ، فينتقم منهم بعد ذلك ، وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت ، وترتفع عنهم شهرا ، قال الله عز وجل (فَاَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) ... الآية . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق (آياتٍ مُفَصَّلَاتٍ) : أى آية بعد آية يتبع بعضها بعضا .

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه في معنى المفصلات ، ما حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول : في آيات مفصلات ، قال : معلومات . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره : فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ما ذكر في هذه الآيات من الآيات والحجج عن الإيمان بالله ، وتصديق رسوله موسى صلى الله عليه وسلم ، واتباعه على ما دعاهم إليه ، وتعظموا على الله ، وعتوا عليه (وكانوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) يقول : كانوا قوما يعملون بما يكرهه الله من المعاصي والفسق عتوا وتمردا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشِفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ
لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : ولما وقع عليهم الرجز ، ولما نزل بهم عذاب الله ، وحل بهم سخطه . ثم اختلف أهل التأويل في ذلك الرجز الذي أخبر الله أنه وقع بهؤلاء القوم ، فقال بعضهم : كان ذلك طاعونا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : وأمر موسى قومه من بني إسرائيل ، وذلك بعد ما جاء قوم فرعون بالآيات الخمس الطوفان ، وما ذكر الله في هذه الآية ، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، فقال : ليدبح كل رجل منكم كبشا ، ثم ليخضب كفه في دمه ، ثم ليضرب به على بابه ، فقالت القبط لبني إسرائيل : لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم ؟ فقالوا : إن الله يرسل عليكم عذابا فأنسلم وتهلكون ، فقالت القبط : فما يعرفكم الله إلا بهذه العلامات ؟ فقالوا : هكذا أمرنا به نبينا ، فأصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفا ، فأمسوا وهم لا يتدافعون ، فقال فرعون عند ذلك (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشِفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ) وهو الطاعون

(لَنْزُومَيْنَ لَكَ وَلَنْزُومَيْنَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) فدعا ربه فكشفه عنهم ، فكان أوفاهم كلهم فرعون ، فقال لموسى : اذهب ببني إسرائيل حيث شئت .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حبوية الرازي ، وأبو داود الحفري ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، قال : حبوية عن ابن عباس (لَنْزُومَيْنَ كَشَفْتَنَا عَنَّا الرَّجْزَ) قال : الطاعون .
 وقال آخرون : هو العذاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الرجز العذاب .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ) أي العذاب .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ) يقول : العذاب .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : في قوله (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ) قال : الرجز : العذاب الذي سلطه الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك ، وكل ذلك يعاهدونه ثم ينكثون . وقد بينا معنى الرجز فيما مضى من كتابنا هذا بشواهد المغنية عن إعادتها .

وأولى القولين بالصواب في هذا الموضع أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه : أنهم لما وقع عليهم الرجز ، وهو العذاب والسخط من الله عليهم ، فزعوا إلى موسى بمسألته ربه كشف ذلك عنهم ، وجائز أن يكون ذلك الرجز كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، لأن كل ذلك كان عذابا عليهم ، وجائز أن يكون ذلك الرجز كان طاعونا ، ولم يخبرنا الله أي ذلك كان ، ولا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي ذلك كان خبر فنسلم له .

فالصواب أن تقول فيه كما قال جل ثناؤه (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ) ولا نتعداه إلا بالبيان الذي لا تمنع فيه بين أهل التأويل ، وهو لما حل بهم عذاب الله وسخطه (قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) يقول : بما أوصاك وأمرك به ، وقد بينا معنى العهد فيما مضى (لَنْزُومَيْنَ كَشَفْتَنَا عَنَّا الرَّجْزَ) يقول : لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه (لَنْزُومَيْنَ لَكَ) يقول : لنصدقن بما جئت به ودعوت إليه ، ولنقرن به لك (وَلَنْزُومَيْنَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) يقول : ولنخلين معك بني إسرائيل فلا تمنعهم أن يذهبوا حيث شاءوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ إِلَىٰ آجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَاهُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾

يقول تعالى ذكره : فدعا موسى ربه ، فأجابه ، فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزله بهم (إلى أجلٍ هُمُ بِالْغُوهِ) ليستوفوا عذاب أيامهم التي جعلها الله لهم من الحياة أجلا إلى وقت هلاكهم (إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ) يقول : إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا ربهم وموسى ، ويقيمون على كفرهم وضلالهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (إلى أجلٍ هُمُ بِالْغُوهِ) قال : عدد مسمى لهم من أيامهم . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه . حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمُ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ) قال : ما أعطوا من العهود ، وهو حين يقول الله (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) وهو الجوع (وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ

(١٦٦)

يقول تعالى ذكره : فلما نكثوا عهودهم ، انتقمنا منهم ، يقول : انتصرنا منهم بإحلال نعمتنا بهم ، وذلك عذابه ، فأغرقناهم في اليم ، وهو البحر ، كما قال ذو الرمة :
داويةٌ ودجى ليلٍ كأنهما
كباذخ اليم سقاه اليم^١
وكما قال الراجز :
(بَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) يقول : فعلنا ذلك بهم ، بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التي أريناهموها ، (وكانوا عنها غافلين) يقول : وكانوا عن النعمة التي أحلناها بهم غافلين قبل حلوها بهم أنها بهم حالة ، والهاء والألف في قوله (عنها) كناية من ذكر النعمة ، فلو قال قائل : هي كناية من ذكر الآيات ، ووجه تأويل الكلام إلى : وكانوا عنها معرضين ، فجعل إعرابهم عنها غفولا منهم ، إذ لم يقبلوها ، كان مذهبا يقال من الغفلة ، غفّل الرجل عن كذا يغفّل عنه غفلةً وغفولا وغفلا .

(١) هذا البيت الخامس والثلاثون في قصيدة ذي الرمة المشهورة التي مطلعها : « أن توذمت من خرقاء منزلة » . والداوية ، ويروى الدوية : الفلاة . واليم : البحر . والدجى : جمع دجية ، وهي الظلمة . والرطانة : كلام العجم والروم وما ليس بعربي من اللغات . وحافات : جوانبه ، شبه البرية وما تراكم عليه من سواد الليل بالبحر وأمواجه .

(٢) هذا البيت للمعراج ، هو الرابع والعشرون من أرجوزة له يذكر فيها مسعود بن عمر العتكي من الأزدي (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٦٣) والباذخ : العالى ، يقال : شرف باذخ . واليم : يطلق على البحر الملح ، كما يطلق على النهر الكبير العذب ، كنه النيل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَوَدَّ مَرْبِنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ
وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٢٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم ، فيذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، ويستخدمونهم تسخيروا واستعبادا من بني إسرائيل ، مشارق الأرض الشام ، وذلك ما يلي الشرق منها ، ومغاربها التي باركنا فيها ، يقول : التي جعلنا فيها الخير ثابتا دائما لأهلها ، وإنما قال جل ثناؤه (وأورثنا) لأنه أورث ذلك بني إسرائيل ، بمهلك من كان فيها من العمالقة .

وبمثل الذي قلنا في قوله (مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن إسرائيل ، عن فُرات القزاز ، عن الحسن ، في قوله (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها) قال : الشام . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن فُرات القزاز ، قال : سمعت الحسن يقول ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن فُرات القزاز ، عن الحسن : الأرض التي باركنا فيها ، قال : الشام .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها) هي أرض الشام . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا التي باركنا فيها) قال : التي بارك فيها : الشام ، وكان بعض أهل العربية يزعم أن مشارق الأرض ومغاربها نصب على المحل ، يعني : وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها . وأن قوله (وأورثنا) إنما وقع على قوله (التي باركنا فيها) ، وذلك قول لامعنى له ، لأن بني إسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غير فرعون وقومه ، ولم يكن له سلطان إلا بمصر ، فغير جائز ، والأمر كذلك أن يقال : الذين يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها .

❖ فإن قال قائل : فإن معناه : في مشارق أرض مصر ومغاربها ، فإن ذلك بعيد من المفهوم في الخطاب : مع خروجه عن أقوال أهل التأويل . والعلماء بالتفسير .

وأما قوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ) فإنه يقول : وفى وعد الله الذى وعد بنى إسرائيل

بتمامه ، على ما وعدهم من تمكينهم في الأرض ، ونصره إياهم على عدوهم فرعون . وكلمته الحسنی قوله جل ثناؤه (ونريد أن ننمن على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجمعناهم في أئمة ، ونجمعناهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل) قال : ظهور قوم موسى على فرعون وتمكين الله لهم في الأرض ، وما ورثهم منها :

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه . وأما قوله (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) فإنه يقول : وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع (وما كانوا يعرشون) يقول : وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور ، وأخرجناهم من ذلك كله ، وخربنا جميع ذلك . وقد بيننا معنى التعريش فيما مضى بشواهد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وما كانوا يعرشون) يقول : يبنون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يعرشون) يبنون البيوت والمساكن ما باغت ، وكان عندهم غير معروش .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الحجاز والعراق (يعرشون) بكسر الراء ، سوى عاصم بن أبي النجود ، فإنه قرأه بضمها ، وهما لغتان مشهورتان في العرب ، يقال : عرش يعرش ويعرش ، فإذا كان ذلك كذلك ، فبأيتهما قرأ القارى فصيب لاتفاق معنى ذلك ، وأنها معروفة من كلام العرب ، وكذلك تفعل العرب في فعل إذا ردت إلى الاستقبال ، تضم العين منه أحيانا ، وتكسره أحيانا ، غير أن أحب القراءتين إلى كسر الراء لشهرتها في العامة ، وكثرة القراءة بها ، وأنها أصح اللغتين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَلَوْزَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَنوَأَعْلَى قَوْمٍ يَعَكْفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ قَالُوا أَيُّسَىٰ أَجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءِإِلَهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٢٨﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وقطعنا بني إسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناهموها ، والعبر التي عاينوها على يدي نبي الله موسى ، فلم تزجرهم تلك الآيات ولم تعظم تلك العبر والبيئات حتى قالوا مع معاينتهم من الحجج ما يحق أن يذكر معها البهائم ، إذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، يقومون على مثل لهم يعبدونها من دون الله ، اجعل لنا يا موسى إلهًا ، يقول : مثالا نعبده وصنما نتخذه إلهًا ، كما هؤلاء القوم أصنام يعبدونها ، ولا تدبغى العبادة لشيء سوى الله الواحد القهار . وقال موسى صلوات الله عليه : إنكم أيها القوم ، قوم تجهلون عظمة الله ، وواجب حقه عليكم ، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملك السموات والأرض .

وذكر عن ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج (وجاوزنا على يدي بني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) قال ابن جريج : على أصنام لهم ، قال : تماثيل بقر ، فلما كان عجل السامري شبه لهم أنه من تلك البقر ، فذلك كان أول شأن العجل (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة) ، قال إنكم قوم تجهلون) وقيل : إن القوم الذين كانوا عكوفًا على أصنام لهم ، الذين ذكرهم الله في هذه الآية ، قوم كانوا من لحم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا بشر بن عمرو ، قال : ثنا العباس بن المفضل ، عن أبي العوام ، عن قتادة (فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) قال : على لحم ، وقيل إنهم كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم .

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري أن أبا واقد الليثي ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل حنين ، فررنا بسدره ، قلت : يا نبي الله اجعل لنا هذه ذات أنواط ، كما للكفار ذات أنواط ؛ وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدره يعكفون حولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الله أكبرُ هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : اجْعَلْ لَنَا إلهًا كَمَا لَهُمْ آلهة » ، إنكم ستركبون سنن الذين من قبلكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن سنان ابن أبي سنان ، عن واقد الليثي ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ، فررنا بسدره ، فقلنا : يا نبي الله اجعل لنا هذه ذات أنواط ، فذكر نحوه .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن سنان ابن أبي سنان ، عن أبي واقد الليثي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن صالح ، قال : ثنى الليثي ، قال : ثنى عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سنان بن أبي سنان الدبلي ، عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ، قال : وكان للكفار سدره يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط ؛ قال : فررنا

بسدره خضراء عظيمة ، قال : فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط ، قال : قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ مَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : اجْعَلْ لَنَا إلهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قال إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ أَنَّهَا
السُّنَنُ لَعَنَ كَتَبِينَ سُنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّوْنَ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾

❖ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى لقومه من بني إسرائيل ، يقول تعالى ذكره قال لهم موسى :
إن هؤلاء العكوف على هذه الأصنام ، الله مهلك ما هم فيه من العمل ومفسده ، ومخسرهم فيه
بإثابته إياهم عليه العذاب المهين ، وباطل ما كانوا يعملون من عبادتهم إياها ، فمضجحل لأنه غير
نافع عند مجيء أمر الله وحاوله بساحتهم ، ولا مدافع عنهم بأس الله إذا نزل بهم ، ولا منقذهم من عذابه إذا
عذبهم في القيامة ، فهو في معنى ما لم يكن .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، وحدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو
ابن حماد ، قال جميعا : حدثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّوْنَ مَا هُمْ فِيهِ) يقول : مهلك
ما هم فيه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن
عباس ، قوله (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّوْنَ مَا هُمْ فِيهِ) يقول : خسران .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّوْنَ
مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) قال : هذا كله واحد ، كهيئة غفور رحيم ، عفو غفور .
قال : والعرب تقول : إنه البائس المتبر ، وإنه البائس المخسر .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال موسى لقومه : أسوى الله ألتسكم إلهًا ، وأجعل لكم معبودا تعبدونه ، والله
الذي هو خالقكم ، فضلكم على عالمي دهركم وزمانكم ، يقول : أفأبغىكم معبودا لا ينفعكم ، ولا يضركم
تعبدونه وتركون عبادة من فضلكم على الخلق ، إن هذا منكم لجهل .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

يقول تعالى ذكره لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم واذكروا مع قبلكم هذا الذي قلموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر ، وبعد النعم التي سلفت مني إليكم ، والأيدى التي تقدمت فعلكم ما فعلتم ، (إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) يقول : إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه ، وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ما كان العذاب الذي كان يسومهم سيئه (يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ) الذكور من أولادهم (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) يقول : يستبقون إناثهم (وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) يقول : وفي سومهم إياكم سوء العذاب ، اختبار من الله لكم وتعهد عظيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ خَلْفِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

يقول تعالى ذكره : وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة ؛ وقيل : إنها ثلاثون ليلة من ذى القعدة (وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ) يقول : وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال تتمه أربعين ليلة . وقيل : إن العشر التي أتمها به أربعين ، عشر ذى الحجة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَوَأَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ) قال : ذو القعدة وعشر ذى الحجة ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وَوَأَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ) قال : ذو القعدة وعشر ذى الحجة ، ففي ذلك اختلفوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَوَأَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) هو ذو القعدة وعشر من ذى الحجة ، فذلك قوله (أَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ) فتم مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمي أن الثلاثين التي كان واعد موسى ربه كانت ذا القعدة والعشر من ذى الحجة التي تم الله بها الأربعين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَوَأَعَدْنَا

مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) قال : ذو القعدة (وَأَتَمَمْنَا بِعِشْرٍ) قال : عشر ذى الحجة ، قال ابن جريج : قال ابن عباس ، مثله .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول ، في قوله (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعِشْرٍ) قال : ذو القعدة ، والعشر الأول من ذى الحجة . قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق (وَأَتَمَمْنَا بِعِشْرٍ) قال : عشر الأضحى .

وأما قوله (فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) فإنه يعنى : فأكمل الوقت الذى واعد الله موسى أربعين ليلة وبلغها .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ) قال : فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ، وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : لما مضى لموعده ربه ، قال لأخيه هارون : (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي) يقول : كن خليفتي فيهم إلى أن أرجع ، يقال منه : خلفه يخلفه خلافة ، وأصلح يقول : وأصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله وعبادته .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال موسى لأخيه هارون : (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ) وكان من إصلاحه أن لا يدع العجل يُعبد . وقوله (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) يقول : ولا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض بمعصيتهم ربهم ، ومعونتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم ، ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم ، فكانت مواعدة الله موسى عليه السلام بعد أن أهلك فرعون ، ونجى منه بنى إسرائيل ، فيما قال أهل العلم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) . . . الآية ، قال : يقول : إن ذلك بعد ما فرغ من فرعون ، وقبل الطور لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغرق آل فرعون وخلدس إلى الأرض الطيبة ، أنزل الله عليهم فيها المن والسلوى وأمره ربه أن يلقاه ، فلما أراد لقاء ربه استخلف هارون على قومه ، وواعدهم أن يأتيهم إلى ثلاثين ليلة ميعادا من قبله من غير أمر ربه ولا ميعاده ، فتوجه ليلقى ربه ، فلما تمت ثلاثون ليلة ، قال عدو الله السامري : ليس يأتيكم موسى ، وما يصلحكم إلا إله تعبدونه ، فناشدهم هارون وقال : لاتفعلوا انظروا ليلتكم هذه ، ويومكم هذا ، فإن جاء وإلا فعلتم ما بدا لكم ؛ فقالوا : نعم ؛ فلما أصبحوا من غد ولم يروا موسى عاد السامري لمثل قوله بالأمس ، قال : وأحدث الله الأجل بعد الأجل الذى جعله بينهم عشرا ، فتم ميقات ربه أربعين ليلة ، فعاد هارون فناشدهم ، إلا ما نظروا يومهم ذلك أيضا ، فإن جاء ، وإلا فعلتم ما بدا لكم ، ثم عاد السامري الثالثة لمثل قوله لهم ، وعاد هارون فناشدهم أن ينتظروا ؛ فلما لم يروه ،

قال القاسم : قال الحسن : حدثني حجاج ، قال : ثني أبو بكر بن عبد الله الهذلي ، قال : قام السامري إلى هارون حين انطلق موسى ، فقال : يا نبي الله إنا استعزنا يوم خرجنا من القبط حليا كثيرا من زينتهم ، وإن الدين معك قد أسر عوا في الحلي يبيعونه وينفقونه ، وإنما كان عارية من آل فرعون فليسوا بأحياء فردّها عليهم ، ولا ندرى ، لعل أخاك نبي الله موسى ، إذا جاء يكون له فيها رأى ، إما يقربها قربانا فتأكلها النار ، وإما يجعلها للفقراء دون الأغنياء ، فقال له هارون : نعم ما رأيت وما قلت : فأمر مناديا فنادى : من كان عنده شيء من حلي آل فرعون ، فليأتنا به ، فأتوه به ، فقال هارون : يا سامري أنت أحمق من كانت عنده هذه الخزانة ، فقبضها السامري ، وكان عدو الله الحبيث صائغا ، فصاغ منه عجلا جسدا ، ثم قذف في جوفه تربة من القبضة التي قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام إذ رآه في البحر ، فجعل يخور ، ولم يخز إلا مرة واحدة ، وقال لبي إسرائيل : إنما تخلف موسى بعد الثلاثين ليلة يلتمس هذا ، هذا إلهكم وإله موسى ، فنسى ، يقول : إن موسى عليه السلام نسي ربه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِيكَ وَلَٰكِن نَّظُرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٧﴾

يقول تعالى ذكره : ولما جاء موسى لوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه ، وكلمه ربه وناجاه ، قال موسى لربه : (أَرِنِي أَنظُرُ إِلَيْكَ) قال الله له مجيبا (لَن نَرَانِي ، وَلَٰكِن نَّظُرُ إِلَى الْجَبَلِ) . كان سبب مسألة موسى ربه النظر إليه ، ما حدثني به موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : إن موسى عليه السلام لما كلمه ربه أحب أن ينظر إليه ، (قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ) . قَالَ لَن نَرَانِي ، وَلَٰكِن نَّظُرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) فحف حول الجبل ، وحف حول الملائكة بنار ، وحف حول الملائكة بنار ، ثم تجلى ربه للجبل .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) قال : ثني من لقي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرّبه الرب حتى سمع صريف القلم ، فقال عند ذلك من الشوق إليه (رَبِّ أَرِنِي أَنظُرُ إِلَيْكَ) . قَالَ لَن نَرَانِي وَلَٰكِن نَّظُرُ إِلَى الْجَبَلِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثني الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر الهذلي ، قال : لما تخلف موسى

(١) كذا في المخطوطة رقم ١٠٠ بدار الكتب . والذي في عرائس المجالس للنعلمبي من رواية السدي : فحف حول الجبل بالملائكة .

عليه السلام بعد الثلاثين ، حتى سمع كلام الله اشتاق إلى النظر إليه ، فقال (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي) وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلى في الدنيا ، من نظر إلى مات ، قال : إلهي سمعت منطقتك واشتقت إلى النظر إليك ، ولأن أنظر إليك ثم أموت ، أحب إلى من أن أعيش ولا أراك ، قال : فانظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف تراني .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) قال : أعطني .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : استخلف موسى هارون على بني إسرائيل ، وقال : إني متعجل إلى ربي ، فاخلفني في قومي ، ولا تتبع سبيل المفسدين ؛ فخرج موسى إلى ربه متعجلاً للقيه شوقاً إليه ، وأقام هارون في بني إسرائيل ، ومعه السامري يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به ؛ فلما كلم الله موسى ، طمع في رؤيته ، فسأل ربه أن ينظر إليه ، فقال الله لموسى (إِنَّكَ لَنْ تَرَانِي) ولكن انظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف تراني) . . . الآية . قال ابن إسحاق : فهذا ما وصل إلينا في كتاب الله عن خبر موسى لما طلب النظر إلى ربه . وأهل الكتاب يزعمون وأهل التوراة ، أن قد كان لذلك تفسير وقصة وأمور كثيرة ومراجعة لم تأتينا في كتاب الله ، والله أعلم . قال ابن إسحاق عن بعض أهل العلم الأوّل بأحاديث أهل الكتاب : إنهم يجدون في تفسير ما عندهم من خبر موسى حين طلب ذلك إلى ربه أنه كان من كلامه إياه حين طمع في رؤيته ، وطلب ذلك منه ، وردّ عليه ربه منه ما ردّ ، أن موسى كان تطهّر وطهّر ثيابه وصام للقاء ربه ؛ فلما أتى طور سيناء ، ودنا الله له في الغمام فكلمه ، سبحانه وحمده وكبره وقده ، مع تضرّع وبكاء حزين ، ثم أخذ في مدحته ، فقال : ربّ ما أعظمك وأعظم شأنك كله ، من عظمتك أنه لم يكن شيء من قبلك ، فأنت الواحد القهار ، كان عرشك تحت عظمتك نار توقد لك ، وجعلت سرادق من دونه سرادق من نور ، فما أعظمك ربّ ، وأعظم ملكك ، جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمسمائة عام ، فما أعظمك ربّ وأعظم ملكك في سلطانتك ، فإذا أردت شيئاً تقضيه في جنودك الذين في السماء ، أو الذين في الأرض ، وجنودك الذين في البحر ، بعثت الريح من عندك لا يراها شيء من خلقك إلا أنت إن شئت ، فدخلت في جوف من شئت من أنبيائك ، فبلّغوا لما أردت من عبادك ، وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيئاً من عظمتك ، ولا من عرشك ، ولا يسمع صوتك ، فقد أنعمت عليّ ، وأعظمت عليّ في الفضل ، وأحسنّت إليّ كلّ الإحسان ، عظمتني في أمم الأرض ، وعظمتني عند ملائكتك ، وأسعدتني صوتك ، وبذلت لي كلامك ، وآتيتني حكمتك ، فإن أعدّ نعماك لأحصيها ، وإن أردت شكرك لأستطيعها ، دعوتك ربّ على فرعون بالآيات العظام ، والعقوبة الشديدة ، فضربت بعصاى التي في يدي البحر ، فانفلق لي ولمن معي ، ودعوتك حين جرت البحر ، فأغرقت عدوك وعدوى ، وسألتك الماء لي ولأمتي ، فضربت بعصاى التي في يدي الحجر ، فنه أرويتني وأمتي ، وسألتك لأمتي طعاماً لم يأكله أحد كان قبلهم ، فأمرتني أن أدعوك من قبيل المشرق ، ومن قبيل المغرب ، فناديتك

من شرق أمتي ، فأعطيهم المن من مشرق لنفسي ، وآتيهم السلوى من غربهم من قبيل البحر ، واشتكتي الحر فناديتك ، فظلمت عليهم بالغمم ، فما أطبق نعماك علي أن أعدّها ولا أحصيها ، وإن أردت شكرها لأستطيعها ، فجتتك اليوم راغبا طالباسائلا متضرعا ، لتعطيني ما منعت غيري ، أطلب إليك وأسألك ياذا العظمة والعزة والسلطان أن تريني أنظر إليك ، فإني قد أحببت أن أرى وجهك الذي لم يره شيء من خلقتك ، قال له رب العزة : فلا ترى يا بن عمران ما تقول ؟ تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق لا يراني أحد فيحيا . أليس في السموات معمرى ، فإني قد ضعفت أن يحملن عظمي ، وليس في الأرض معمرى . فإني قد ضعفت أن تسع بجندي ، فليست في مكان واحد ، فأجلى لعين تنظر إلي ، قال موسى : يارب أن أراك وأموت ، أحب إلي من أن لا أراك ولا أحيا ، قال له رب العزة : يا بن عمران تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق ، لا يراني أحد فيحيا ، قال : رب تمم علي نعماك ، وتمم علي فضلك ، وتمم علي إحسانك هذا الذي سألتك ، ليس لي أن أراك فأقبض ، ولكن أحب أن أراك فيطمئن قلمي ، قال له : يا بن عمران لن يراني أحد فيحيا ، قال : موسى رب تمم علي نعماك ، فضلك ، وتمم علي إحسانك هذا الذي سألتك ، ليس لي أن أراك فأموت على أثر ذلك أحب إلي من الحياة ، فقال الرحمن المترحم علي خلقه : قد طلبت يا موسى ، وأعطيتك سؤالك إن استطعت أن تنظر إلي ، فاذهب فاتخذ لوحين ، ثم انظر إلي الحجر الأكبر في رأس الجبل ، فإن ما وراءه وما دونه مضيق لا يسع إلا مجلسك يا بن عمران ، ثم انظر فإني أهبط إليك وجنودي من قليل وكثير ، ففعل موسى كما أمره ربه ، نحت لوحين ثم صعد بهما إلى الجبل ، فجلس على الحجر : فلما استوى عليه ، أمر الله جنوده الذين في السماء الدنيا ، فقال : ضعي أكنافك حول الجبل ، فسمعت ما قال الرب ففعلت أمره ، ثم أرسل الله الصواعق والظلمة والضباب علي ما كان يلي الجبل الذي يلي موسى أربعة فراسخ من كل ناحية ، ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمرّوا بموسى ، فاعترضوا عليه ، فمروا به طيران النعرا^١ تنبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ، فقال موسى بن عمران عليه السلام : رب إني كنت عن هذا غنيا ، ما ترى عيناى شيئا قد ذهب بصرهما من شعاع النور المتصفف علي ملائكة ربي ، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا علي موسى ، فاعترضوا عليه ، فهبطوا أمثال الأسد ، لهم بحب بالتسبيح والتقديس ، ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى ومما سمع ، فاقشعرت كل شعرة في رأسه وجلده ، ثم قال : ندمت علي مسئلتى إياك ، فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء ؟ فقال له : خير الملائكة ورأسهم : يا موسى اصبر لما سألت ، فقليل من كثير ما رأيت ، ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا علي موسى ، فاعترضوا عليه ، فأقبلوا أمثال النسور لهم قصف^٢ ورجف وحب شديد ، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس ، كلجبت الجيش العظيم أو كلهب النار ، ففزع موسى ، وأيست نفسه ، وأساء ظنه ، وأيس من الحياة ، فقال له خير الملائكة ورأسهم : مكانك يا بن عمران ، حتى ترى ما لاتصبر عليه ، ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا علي موسى بن عمران ، فأقبلوا وهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم ، ألوانهم

(١) في اللسان : النعرا : فراخ العصفير ، واحده نعرة (بضم ففتح) . وقيل ضرب من الحمر ، حمر المناقير وأصول الأحنك .
وجمعها : نعران . وهو البلب عند أهل المدينة . (٢) قصف : أي صوت ، كذا في عرائس المجالس للثعلبي ، وفي المخطوطة رقم ١٠٠ (١٠ : ١٧٢ ظ) . وفي المطبوعة الثانية : نجف ، وهو الصوت من الأنف .

كلهب، النار ، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض ، أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس ، لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم ، فاصطكت ركبته ، وأرعد قلبه ، واشتدّ بكاؤه ، فقال خير الملائكة ورأسهم : يا بن عمران اصبر لما سألت ، فقليل من كثير ما رأيت ، ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى ، فهبطوا عليه سبعة ألوان ، فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ، ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم ، وامتلاً جوفه خوفاً ، واشتدّ حزنه ، وكثر بكاؤه ، فقال له خير الملائكة ورأسهم : يا بن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ، ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدى الذى طلب أن يرانى موسى بن عمران واعترضوا عليه ، فهبطوا عليه فى يد كل ملك مثل النخلة الطويلة نارا أشدّ ضوءاً من الشمس ، ولباسهم كلهب النار ، إذا سبحوا وقد سوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم ، يقولون بشدة أصواتهم : سبح قدوس ربّ العزة أبدا لا يموت ، فى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه ؛ فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا ، وهو يبكى ويقول : ربّ اذكرنى ، ولا تنس عبدك ، لأدرى أنقلب مما أنا فيه أم لا ، إن خرجت أحرقت ، وإن مكثت متّ ، فقال له كبير الملائكة ورئيسهم : قد أوشكت يا بن عمران أن يمتلىّ جوفك ، وينخلع قلبك ، ويشتدّ بكاؤك فاصبر للذى جلست لتنظر إليه يا بن عمران ، وكان جبل موسى جبلا عظيماً ، فأمر الله أن يحمل عرشه ، ثم قال : مروا بى على عبدى ليرانى ، فقليل من كثير ما رأى ، فانفرج الجبل من عظمة الربّ ، وغشى ضوء عرش الرحمن جبل موسى ، ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعاً ، فارتجّ الجبل فاندكّ ، وكلّ شجرة كانت فيه ، وخرّ العبد الضعيف موسى بن عمران صعقاً على وجهه ليس معه روحه ، فأرسل الله الحياة برحمته ، فتنشاه برحمته وقلب الحجر الذى كان عليه وجعله كالمعدة ، كهيئة القبة لئلا يحترق موسى ، فأقامه الروح مثل الأم أقامت جنينها حين يصرع ، قال : فقام موسى يسبح الله ويقول : آمنت أنك ربى ، وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا ، ومن نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه ، فما أعظمك ربّ وأعظم ملائكتك ، أنت ربّ الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك ، تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك ، وتأمر السماء وما فيها فتطيعك ، لا تستنكف من ذلك ، ولا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء ، ربّ تبت إليك ، الحمد لله الذى لا شريك له ، ما أعظمك وأجلك ربّ العالمين .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ، وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ :

يقول تعالى ذكره : فلما اطلع الربّ للجبل جعل الله الجبل دكا : أى مستويا بالأرض ، وخرّ موسى صعقاً : أى مغشياً عليه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسين بن محمد بن عمرو العنقزى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، عن

عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : ما تجلى منه إلا قدر الخنصر جعله دكا ، قال : ترابا (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) قال : مغشيا عليه .
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، قال : زعم السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : تجلى منه مثل الخنصر ، فجعل الجبل دكا ، وخر موسى صعقا ، فلم يزل صعقا ما شاء الله .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) قال : مغشيا عليه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : انقعر بعضه على بعض (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) : أي ميتا .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) : أي ميتا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (دَكًّا) قال : دكّ بعضه بعضا .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : سمعت سفيان يقول ، في قوله (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر ، فهو يذهب معه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، عن حجاج ، عن أبي بكر الهذلي (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) : انقعر فدخل تحت الأرض فلا يظهر إلى يوم القيامة .

حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي ، قال : ثنا قرّة بن عيسى ، قال : ثنا الأعمش ، عن رجل ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ أَشَارَ بِأَصْبُعَيْهِ فَجَعَلَهُ دَكًّا ، وَأَرَانَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِأَصْبُعِهِ السَّبَابَةَ » .

حدثني المثني ، قال : ثني الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : هكذا بأصبعه ، ووضع النبي صلى الله عليه وسلم الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر ، فساخ الجبل .

حدثني المثني ، قال : ثنا هذبة بن خالد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) قال : وضع الإبهام قريبا من طرفي خنصره ، قال : فساخ الجبل » فقال حميد لثابت : تقول هذا ؟ قال : فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد ، وقال يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقوله أنس ، وأنا أكتمه ؟ .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (فَلَمَّا

تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور صار مثل دك من الدكات .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (ولَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ) فإنه أكبر منك وأشد خلقاً (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) فنظر إلى الجبل لايتالك ، وأقبل الجبل يندك على أوله ؛ فلما رأى موسى ما يصنع الجبل خر صاعقاً .

واختلفت القراء في قراءة قوله (دَكًّا) فقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة (دَكًّا) مقصوراً بالتنوين ، بمعنى : دك الله الجبل دكا : أى فتنه واعتباراً بقول الله (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) ، وقوله (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) . واستشهد بعضهم على ذلك بقول حميد :

يَدُكُّ أَرْكَانَ الْجِبَالِ هَزْمُهُ تَخْطِرُ بِالْبَيْضِ الرَّقَاقُ بُهْمُهُ^١

وقراءته عامة قراء الكوفيين (جَعَلَهُ دَكَّاءَ) بالمدّ وترك الجرّ والتنوين ، مثل حمراء وسوداء ، وكان ممن يقرؤه كذلك بمكرمة ، ويقول فيه ما حدثني به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عباد بن عباد ، عن يزيد بن حازم ، عن عكرمة ، قال : دكاء من الدكاوات ، وقال لما نظر الله تبارك وتعالى إلى الجبل صار صخره تراباً .

واختلف أهل العربية في معناه إذا قرئ كذلك . فقال بعض نحويي البصرة : العرب تقول : ناقة دكاء : ليس لها سنام ، وقال : الجبل مذكر ، فلا يشبه أن يكون منه إلا أن يكون جعله مثل دكاء حذف مثل وأجراه مجرى (واسأل القرية) . وكان بعض نحويي الكوفة يقول : معنى ذلك : جعل الجبل أرضاً دكاء ، ثم حذف الأرض وأقيمت الدكاء مقامها إذ أدت عنها .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأ جعله دكاء بالمدّ ، وترك الجرّ للدلالة الخبر الذي روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحته ، وذلك أنه روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (فسأخ الجبل) ولم يقل ، فتفتت ، ولا تحوّل تراباً ، ولا شك أنه إذا سأخ فذهب ظهر وجه الأرض ، فصار بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها ، وصارت دكاء بلا سنام . وأما إذا دكّ بعضه وإنما يكسر بعضه بعضاً ويتفتت ولا يسوخ . وأما الدكاء فإنها خلف من الأرض ، فلذلك أتت على ما قد بينت . فعنى الكلام إذن : فلما تجلّى ربه للجبل سأخ ، فجعل مكانه أرضاً دكاء .

وقد بيّنا معنى الصعق بشواهد في ما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

(١) لم أجد البيتين في ديوان حميد بن ثور الهذلي طبعة دار الكتب المصرية . ولم أجدهما في اللسان ولا في التاج . والهزم والاهتمام والتهمز : الصوت . ولعله يريد أصوات الأبطال في الحرب ، والكلام في وصف جيش . وتخطر : تتمايل وتمشى مشية المعجب وسيوفهم تهتز ، وهى البيض الرقات . والبهمة : جمع بهمة ، بضم الباء وفتح الهاء ، وهم الأبطال الذين لا يدري طالبهم من أين يصيبهم .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : فلما ثاب إلى موسى عليه السلام فهمه من غشيته ، وذلك هو الإفاقة من الصعقة التي خرّ لها موسى صلى الله عليه وسلم ، قال : (سُبْحَانَكَ) تنزيها لك يا رب وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا ثم يعيش (تُبْتُ إِلَيْكَ) من مسألتي إياك ما سألتك من الرؤية (وأنا أول المؤمنين) بك من قومي أن لا يراك في الدنيا أحد إلا هلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله (تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : أنا أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : لما رأى موسى ذلك وأفاق ، عرف أنه قد سأل أمرا لا ينبغي له ، فقال (سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) قال أبو العالية : عني أني أول من آمن بك أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة .

حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : قال سفيان : قال أبو سعد ، عن عكرمة عن ابن عباس (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) فرّت به الملائكة وقد صعق ، فقالت : يا ابن النساء الحيض لقد سألت ربك أمرا عظيما ؛ فلما أفاق قال : سبحانك لا إله إلا أنت ، تبت إليك ، وأنا أول المؤمنين . قال : أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك ، يعني في الدنيا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : أنا أول من يؤمن أنه لا يراك شيء من خلقك . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ) قال : من مسألتي الرؤية .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ) أن أسألك الرؤية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن رجل ، عن مجاهد (سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ) أن أسألك الرؤية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد ، في قوله (سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ) قال : تبت إليك من أن أسألك الرؤية .

وقال آخرون : معناه قوله (وأنا أول المؤمنين) بك من بني إسرائيل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وأنا أول المؤمنين) قال : أول من آمن بك من بني إسرائيل .
حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وأنا أول المؤمنين) يعنى : أول المؤمنين من بني إسرائيل .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وأنا أول المؤمنين) أنا أول قومي إيماناً .
حدثنا ابن وكيع والمثنى ، قالا : ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن رجل ، عن مجاهد (وأنا أول المؤمنين) يقول : أول قومي إيماناً .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأنا أول المؤمنين) قال : أنا أول قومي إيماناً .
حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهداً يقول في قوله (وأنا أول المؤمنين) قال : أول قومي آمن .
وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في قوله (وأنا أول المؤمنين) على قول من قال : معناه : أنا أول المؤمنين من بني إسرائيل ، لأنه قد كان قبله في بني إسرائيل مؤمنون وأنبياء ، منهم ولد إسرائيل لصلبه ، وكانوا مؤمنين وأنبياء ، فلذلك اخترنا القول الذي قلناه قبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ

﴿١٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى (يا موسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ) يقول : اخترتك على الناس (بِرِسَالَتِي) إلى خلقى ، أرسلتك بها إليهم (وَبِكَلِمِي) كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقى (فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ) يقول : فخذ ما أعطيتك من أمرى ونهى وتمسك به ، واعمل به ، يريد (وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لله على ما آتاك من رسالته ، وحصل به من النجوى بطاعته في أمره ونهيه ، والمسارة إلى رضاه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكُنْبَنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةٌ وَتَفْصِيلٌ كُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِتَقْوَةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : وكتبنا لموسى في ألواح ، وأدخلت الألف واللام في الألواح بدلا من الإضافة ، كما قال الشاعر :

والأحلامُ غيرُ عَوَازِبِ

وكما قال جل ثناؤه (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) يعنى : هى مأواه .
وقوله (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يقول من التذكير والتنبيه على عظمة الله وعز سلطانه : (مَوْعِظَةً) لقومه
ومن أمر بالعمل بما كتب في الألواح (وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) يقول : وتبيننا لكل شىء من أمر
الله ونبيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أو
سعيد بن جبير ، وهو فى أصل كتابى ، عن سعيد بن جبير فى قول الله (وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) قال :
ما أمروا به ونهوا عنه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .
حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وكتبنا
له فى الألواح من كل شىء موعظةً وتفصيلاً لكل شىء) من الحلال والحرام .
حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى قوله
(وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) قال : ما أمروا به ، ونهوا عنه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قوله (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظةً وتفصيلاً لكل شىء) قال عطية : أخبرنى
ابن عباس أن موسى صلى الله عليه وسلم لما كربه الموت قال : هذا من أجل آدم ، قد كان الله جعلنا
فى دار مثنوى لا نموت ، فخطأ آدم أنزلنا ههنا ، فقال الله لموسى : أبعث إليك آدم فتخاصمه ؟ قال :
نعم ؛ فلما بعث الله آدم ، سأله موسى ، فقال أبونا آدم عليهما السلام : يا موسى سألت الله أن
يبعثنى لك ، قال موسى : لولا أنت لم نكن ههنا ، قال له آدم : أليس قد أتاك الله من كل شىء موعظة
وتفصيلاً ، أفلم تعلم أنه ما أصاب فى الأرض من مصيبة ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ؟
قال موسى : بلى ، فخصمه آدم صلى الله عليهما .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عبد الصمد بن معقل ،
أنه سمع وهبا يقول فى قوله (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظةً وتفصيلاً لكل شىء)

(١) يريد : وأحلامهم غير عواذب . وهذا جزء من بيت للناطقة الذبياني ، من قصيدة له يمدح آل جفنة من غسانة الشام . والبيت
بتمامه كما فى (مختار الشعر الجاهلى ص ١٦٢) .

لَهُمْ شِيْمَةٌ لَمْ يُعْطِيهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ
مِنَ الْجُودِ وَالْأَحْلَامِ غَيْرُ عَوَازِبِ

شئٍ) قال : كتب له لا تشرك بي شيئاً من أهل السماء ولا من أهل الأرض ، فإن كل ذلك خلقى ولا تخلف باسمي كاذباً ، فإن من حلف باسمي كاذباً فلا أزيه ، ووقر والديك .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وقلنا لموسى إذ كتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شئ : خذ الألواح بقوة . وأخرج الخبر عن الألواح والمراد ما فيها .
واختلف أهل التأويل في معنى القوة في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناها بجد .
ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا ابن عيينة ، قال : قال أبو سعد ، عن عكرمة عن ابن عباس (فخذها بقوة) قال : بجد .
حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فخذها بقوة) قال : بجد واجتهاد .
وقال آخرون : معنى ذلك : فخذها بالطاعة لله .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، في قوله (فخذها بقوة) قال : بالطاعة .
وقد بينا معنى ذلك بشواهد ، واختلاف أهل التأويل فيه في سورة البقرة عند قوله (خذوا ما آتيناكم بقوة) فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُدُّوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ :

يقول تعالى ذكره : قلنا لموسى : وأمر قومك بني إسرائيل يأخذوا بأحسنها ، يقول : يعملوا بأحسن ما يجدون فيها .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) بأحسن ما يجدون فيها .
حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) قال : أمر موسى أن يأخذها بأشد مما أمر به قومه .
فإن قال قائل : وما معنى قوله (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن ؟ قيل : لا ولكن كان فيها أمر ونهي ، فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله ، ويتركوا ما نهاهم عنه ، فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل بالمنهي عنه .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَسَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره لموسى إذ كتب في الألواح من كل شئ : خذها بجد في العمل بما فيها واجتهاد ،

وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها ، وانهم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بي ، فإن من أشرك بي منهم ومن غيرهم ، فإني سأريه في الآخرة عند مصيره إلى دار الفاسقين ، وهي نار الله التي أعدّها لأعدائه ، وإنما قال (سأوريكم دار الفاسقين) كما يقول القائل لمن يخاطبه : سأريك غدا إلام يصير إليه حال من خالف أمرى على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره .
وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم بنحو ما قلنا في ذلك :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (سأوريكم دار الفاسقين) قال : مصيرهم في الآخرة .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، في قوله (سأوريكم دار الفاسقين) قال : جهنم .

وقال آخرون : معنى ذلك : سأدخلكم أرض الشام ، فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سأوريكم دار الفاسقين) : منازلهم .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (دار الفاسقين) قال : منازلهم .
وقال آخرون : معنى ذلك : سأريكم دار قوم فرعون ، وهي مصر .

ذكر من قال ذلك

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك : لأن الذي قبل قوله جل ثناؤه (سأوريكم دار الفاسقين) أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة ، فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه . وفرط في العمل لله . وحاد عن سبيله ، دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه ، أو عمالم يجر له ذكر .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةً لَا يَوْمِنُوا بِهَا
وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾

(١) هكذا بياض بالأصل بمقدار خمسة أسطر في النسخة رقم ١٠٠ ، والذي في الدر عن قتادة : دار الفاسقين ، قال مصرى اه . قال العراقي : إنه تصحيف .

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : سأنزع عنهم فهم الكتاب . ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن منصور المروزي ، قال : ثنا محمد بن عبد الله بن بكر ، قال : سمعت ابن عيينة يقول في قول الله (سأصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) قال : يقول : أنزع عنهم فهم القرآن ، وأصرفهم عن آياتي . وتأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيدا لأهل الكفر بالله ممن بعث إليه نبينا صلى الله عليه وسلم دون قوم موسى ، لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون موسى عليه السلام .

وقال آخرون في ذلك : معناه : سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (سأصْرِفُ عَنْ آيَاتِي) عن خلق السموات والأرض والآيات فيها ، سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته ، وهي أدلته وأعلامه على حقية ما أمر به عباده ، وفرض عليهم من طاعته في توحيدِه وعدله وغير ذلك من فرائضه ، والسموات والأرض ، وكل موجود من خلقه فمن آياته ، والقرآن أيضا من آياته . وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحق ، وهم الذين حققت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون ، فهم عن فهم جميع آياته ، والاعتبار والادكار بها مصروفون ، لأنهم لو وفقوا لفهم بعض ذلك ، فهدوا للاعتبار به اتعظوا وأنابوا إلى الحق ، وذلك غير كائن منهم ، لأنه جل ثناؤه قال (وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا) فلا تبديل لكلمات الله .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وإن ير هؤلاء الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ، وتكبرهم فيها بغير الحق : تجبرهم فيها ، واستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله ، والإذعان لأمره ونهيه ، وهم لله عبيد يغذوهم بنعمته ، ويريح عليهم رزقه بكرة وعشيا ، (كل آية) يقول : كل حجة لله على وحدانيته وربوبيته ، وكل دلالة على أنه لا تنبغي العبادة إلا له خالصة دون غيره (لا يؤمنون بها) يقول : لا يصدقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هي فيه حجة ، ولكنهم يقولون : هي سحر وكذب (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلًا) يقول : وإن ير هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذي إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب ، وصاروا إلى نعيم الأبد لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقا ، جهلا منهم وحيرة ، وإن يروا سبيل الغي ، يقول : وإن يروا طريق الهلاك الذي إن سلكوه ضلوا وهلكوا . وقد بينا معنى الغي فيما

مضى قبل بما أغنى عن إعادته (يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) يقول: يسلكوه ويجعلوه لأنفسهم طريقا لصرف الله إياهم عن آياته وطبعه على قلوبهم ، فهم لا يفلحون ولا ينجحون (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) يقول تعالى ذكره : صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها ، فيعتبروا بها ويذكروا فينبوا عقوبة منا لهم على تكذيبهم بآياتنا ، وكانوا عنها غافلين ، يقول : وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقية ما أمرناهم به ونهيناهم عنه ، غافلين ، لا يتفكرون فيها ، لاهين عنها ، لا يعتبرون بها ، فحق عليهم حينئذ قول ربنا ، فعطبوا .

واختلف القراء في قراءة قوله (الرُّشْدُ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض المكيين وبعض البصريين (الرُّشْدُ) بضم الراء وتسكين الشين . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة وبعض المكيين (الرُّشْدُ) بفتح الراء والشين .

ثم اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك إذا ضمت راؤه وسكنت شينه : وفيه إذا فتحتا جميعا . فذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول : معناه : إذا ضمت راؤه وسكنت شينه : الصلاح ، كما قال الله (فَإِنْ آتَيْتُم مِّنْهُمْ رُّشْدًا) بمعنى : صلاحا . وكذلك كان يقرؤه هرو ، ومعناه إذا فتحت راؤه وشينه (الرُّشْدُ) في الدين ، كما قال جل ثناؤه (تُعَلِّمَنِیْ مِمَّا عَلَّمْتَ رَشْدًا) بمعنى الاستقامة . والصواب في الدين . وكان الكسائي يقول : هما لغتان بمعنى واحد . مثل : السُّقْمُ والسَّقْمُ ، والحُزْنُ والحِزْنُ ، وكذلك الرُّشْدُ والرَّشْدُ .

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان القراءة بهما في قراءة الأمصار . متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ . فحسب الصواب بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء المستكبرون في الأرض بغير الحق ، وكلّ مكذب حجج الله ورسوله وآياته ، وجاحد أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته ، ومنكر لقاء الله في آخرته ، ذهب أعمالهم فبطلت ، وحصلت لهم أوزارها فثبتت ، لأنهم عملوا لغير الله ، وأتعبوا أنفسهم في غير ما يرضى الله ، فصارت أعمالهم عليهم وبالاً ، يقول الله جل ثناؤه (هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ؟) يقول : هل ينالون إلا ثواب ما كانوا يعملون ، فصارت ثواب أعمالهم الخلود في نار أحاط بهم سرادقها ، إذ كانت أعمالهم في طاعة الشيطان دون طاعة الرحمن نبوذ بالله من غضبه . وقد بيننا معنى الحبوط والجزاء والآخرة فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَآتَخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ
وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾

✽ يقول تعالى ذكره : واتخذ بنو إسرائيل قوم موسى من بعد ما فارقتهم موسى ماضيا إلى ربه لمناجاته ووفاء للوعد الذي كان ربه وعده من حلبيهم عجلا ، وهو ولد البقرة ، فعبدوه . ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال : (جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ) والخور : صوت البقر ، يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل ، وذلك أن الرب جل جلاله ، الذي له ملك السموات والأرض ، ومدبر ذلك ، لا يجوز أن يكون جسدا له خوار ، لا يكلم أحدا ، ولا يرشد إلى خير . وقال هؤلاء الذين قص الله قصصهم لذلك هذا إلهنا وإله موسى ، فعكفوا عليه يعبدونه جهلا منهم وذهابا عن الله وضلالا . وقد بينا سبب عبادتهم إياه وكيف كان اتخاذ من اتخذ منهم العجل فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

وفي الحُلَى لغتان : ضم الحاء وهو الأصل ، وكسرهما ، وكذلك ذلك في كل ما شاكله من مثل صلى وجى وعى ، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ، لاستفاضة القراءة بهما في القراءة ، لاتفارق بين معنيهما .

وقوله (أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا) يقول : ألم ير الذين عكفوا على العجل الذي اتخذوه من حلبيهم يعبدونه : أن العجل لا يكلمهم ، ولا يهديهم سبيلا ، يقول : ولا يرشدهم إلى طريق ، وليس ذلك من صفة ربهم الذي له العبادة حقا ، بل صفته أنه يكلم أنبياءه ورسله ، ويرشد خلقه إلى سبيل الخير ، وينهاهم عن سبيل المهالك والردى ، يقول الله جل ثناؤه (اتَّخَذُوهُ) : أى اتخذوا العجل إلهًا (وكانوا) باتخاذهم إياه ربا معبودا (ظالمين) لأنفسهم ، لعبادتهم غير من له العبادة ، وإضافتهم الألوهة إلى غير الذى له الألوهة . وقد بينا معنى الظلم فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ
لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

✽ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ) : ولما ندم الذين عبدوا العجل الذى وصف جل ثناؤه صفته عند رجوع موسى إليهم ، واستسلموا لموسى وحكمه فيهم ، وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف ، وعاجز عن شيء : قد سقط في يديه وأسقط لغتان فصيحتان ، وأصله من الاستسار ، وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصصره . فيرمى به من يديه إلى الأرض ليأسره فيكتفه ،

فالمرمى به مسقوط في يدي الساقط به ، فقليل لكل عاجز عن شيء ومصارع لعجزه متندم على ما فاتته : سقط في يديه وأسقط . وعنى بقوله (وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَ ضَلُّوا) ورأوا أنهم قد جاروا عن قصد السبيل وذهبوا عن دين الله ، وكفروا بربههم ، قالوا تائبين إلى الله منيبين إليه من كفرهم به (لَسَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

ثم اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة (لَسَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبَّنَا) بالرفع على وجه الخبر وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (لَسَيْنَ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا) بالنصب بتأويل لئن لم ترحمنا ياربنا ، على وجه الخطاب منهم لربهم . واعتل قارئو ذلك كذلك بأنه في إحدى القراءتين قالوا (لَسَيْنَ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَتَغْفِرْ لَنَا) ، وذلك دليل على الخطاب .

والذي هو أولى بالصواب من القراءة في ذلك القراءة على وجه الخبر بالياء في يرحمنا ، وبالرفع في قوله رَبَّنَا ، لأنه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجهها إلى الخطاب ، والقراءة التي حكيت على ما ذكرنا من قراءتها قالوا : (لَسَيْنَ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا) لانعرف صحتها من الوجه الذي يجب التسليم إليه . ومعنى قوله (لَسَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا) : لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبة برحمته ، ويتغمد بها ذنوبنا ، لنكونن من الهالكين الذين حبطت أعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمُ أَمْرِي كَيْفَ وَأَلْقَى الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي ۖ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل ، رجع غضبان أسفا ، لأن الله كان قد أخبره أنه قد فن قومه ، وأن السامري قد أضلهم ، فكان رجوعه غضبان أسفا لذلك ، والأسف : شدة الغضب والتغيظ به على من أغضبه .

كما حدثني عمران بن بكار الكلاعي ، قال : ثنا عبدالسلام بن محمد الحضرمي ، قال : ثنا شريح بن يزيد ، قال : سمعت نصر بن علقمة ، يقول : قال أبو الدرداء : قول الله (غَضْبَانَ أَسِفًا) ، قال : الأسف : منزلة وراء الغضب أشد من ذلك ، وتفسير ذلك في كتاب الله : ذهب إلى قومه غضبان ، وذهب أسفا .

وقال آخرون في ذلك ما حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي أسفا قال : حزينا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس

(وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا) يقول : أسفا حزينا . وقال في الزخرف (فلَمَّا آسَفُونَا) يقول : أغضبونا . والأسف على وجهين : الغضب والحزن .

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا سليمان بن سليمان ، قال : ثنا مالك بن دينار ، قال : سمعت الحسن يقول في قوله (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا) قال : غضبان حزينا .

وقوله قال (بِئْسَمَا خَلَمْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي) يقول : بئس الفعل فعلتم بعد فراقى إياكم وأوليتموني فيمن خلفت من ورأى من قومي فيكم وديني الذي أمركم به ربكم ، يقال منه : خلفه بخير وخلفه بشر إذا أولاه في أهله أو قومه ، ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم خيرا أو شرا . وقوله (أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ) يقول : أسبقتم أمر ربكم في نفوسكم ، وذهبتم عنه ، يقال منه : عجل فلان هذا الأمر : إذا سبقه ، وعجل فلان فلانا إذا سبقه ، ولا تعجلني يا فلان : لاتذهب عني وتدعني ، وأعجلته : استحثته . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ ، قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ﴿ :

يقول تعالى ذكره : وألقى موسى الألواح . ثم اختلف أهل العلم في سبب إلقائه إياها : فقال بعضهم : ألقاها غضبا على قومه الذين عبدوا العجل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب قال : ثنا سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس (لَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا) فأخذ برأس أخيه يجره إليه ، وألقى الألواح من الغضب .

وحدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا ابن عيينة ، قال : قال أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما رجع موسى إلى قومه ، وكان قريبا منهم ، سمع أصواتهم فقال : إني لأسمع أصوات قوم لا هين ؛ فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل ألقى الألواح فكسرها ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أخذ موسى الألواح ثم رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، فقال : يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا . . . إلى قوله (فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) (أَلْقَى مُوسَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ، قال : يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) .

حدثنا ابن حميد ، قال ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل ، ألقى الألواح من يده ، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته يقول (مَا مَسَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعَنِ ، أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي) ؟ .

وقال آخرون : إنما ألقى موسى الألواح لفضائل أصابها فيها لغير قومه ، فاشتد ذلك عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلْوَاحَ) قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون : أي آخرون في الخلق ، سابقون في دخول الجنة ، رَبِّ اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ؛ قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها ، وكان من قبلهم يقرءون كتابهم نظرا ، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئا ولم يعرفوه . قال قتادة : وإن الله أعطاكم أيها الأمة من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم ، قال : رَبِّ اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ، ويقاثلون فصول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ؛ قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ثم يؤجرون عليها ، وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه ، بعث الله عليها نارا فأكلتها ، وإن ردت عليه تركت تأكلها الطير والسباع ، قال : وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقركم ، قال : رَبِّ اجعلهم أمتي ؛ قال : تلك أمة أحمد ؛ قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ، رَبِّ اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ؛ قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها ، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة هم المستجيون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رَبِّ إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون والمشفوع لهم ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : وذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال : اللهم اجعلني من أمة أحمد . قال : فأعطى نبي الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبي ، قال الله (يامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي) قال : فرضى نبي الله ، ثم أعطى الثانية (وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْتَدِلُونَ) قال : فرضى نبي الله صلى الله عليه وسلم كل الرضا .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما أخذ موسى الألواح ، قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة هم خير الأمم ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ؛ قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، ثم ذكر نحو حديث بشر بن معاذ ، إلا أنه قال في حديثه : فألقى موسى عليه السلام الألواح وقال : اللهم اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل ، لأن الله جل ثناؤه بذلك أخبر في كتابه ، فقال (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ، أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ ، وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ

وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) وذلك أن الله لما كتب لموسى عليه السلام في الألواح التوراة ، أدناه منه حتى سمع صريف القلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي عمارة ، عن علي عليه السلام قال : لما كتب الله الألواح لموسى عليه السلام وهو يسمع صريف الأقلام في الألواح ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : أدناه حتى سمع صريف الأقلام . وقيل : إن التوراة كانت سبعة أسباع ؛ فلما ألقى موسى الألواح تكسرت ، فرفع منها ستة أسباعها ، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء الذي قال الله (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ) وبقي الهدى والرحمة في السبع الباقي ، وهو الذي قال الله (أَخَذَ الْأَلْوَابِ وَفِي نُسخِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) وكانت التوراة فيما ذكر سبعين وقر بعير يقرأ منها الجزء في سنة .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا محمد بن خالد المكفوف ، قال : ثنا عبدالرحمن ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير ، يقرأ منها الجزء في سنة ، لم يقرأها إلا أربعة نفر : موسى بن عمران ، وعيسى ، وعزير ، ويوشع بن نون صلوات الله عليهم . واختلّفوا في الألواح ، فقال بعضهم : كانت من زمرد أخضر . وقال بعضهم : كانت من ياقوت . وقال بعضهم : كانت من برّد .

ذكر الرواية بما ذكرنا من ذلك

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني يعلى ابن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ألقى موسى الألواح فتكسرت ، فرفعت إلا سدسها . قال ابن جريج : وأخبرني أن الألواح من زبرجد وزمرد من الجنة . وحدثني موسى بن سهل الرملي وعلي بن داود وعبد الله بن أحمد بن شيبويه وأحمد بن الحسن الترمذي ، قالوا : أخبرنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : كانت ألواح موسى عليه السلام من برّد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي الجعيد ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، قال : سألت سعيد بن جبير عن الألواح من أي شيء كانت ؟ قال : كانت من ياقوتة كتابة الذهب كتبها الرحمن بيده ، فسمع أهل السموات صريف القلم وهو يكتبها .

حدثني الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : حدثنا عبدالرحمن ، عن محمد بن أبي الوضاح ، عن خصيف ، عن مجاهد أو سعيد بن جبير قال : كانت الألواح زمردا ، فلما ألقى موسى الألواح بقي الهدى والرحمة ، وذهب التفصيل . قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا الأشجعي ، عن محمد بن مسلم ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : كانت الألواح من زمرد أخضر . وزعم بعضهم أن الألواح كانت لوحين ، فإن كان الذي

قال كما قال ، فإنه قيل (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ) وهما لوحان ، كما قيل (فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ) وهما أخوان .

وأما قوله (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) فإن ذلك من فعل نبي الله صلى الله عليه وسلم كان لموجدته على أخيه هارون في تركه أتباعه ، وإقامته مع بني إسرائيل في الموضع الذي تركهم فيه ، كما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل موسى عليه السلام له (مامنعك إذ رأيتهم ضلُّوا إلاَّ تتبعتني ، أفحصيت أمري) ؟ حين أخبره هارون بعذره ، فقبل عذره ، وذلك قبله لموسى (لا تأخذ بليحييتي ولا برأسي . إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي) و (قال) يا ابن أمم إن القوم استضعفوني وكادُوا يقتلوني فلا تُشمت بي الأعداء) . . . الآية .

واختلفت القراء في قراءة قوله يا (ابن أمم) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض أهل البصرة (يا ابن أمم) بفتح الميم من الأم . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة يا (بن أمم) بكسر الميم من الأم .

واختلف أهل العربية في فتح ذلك وكسره ، مع إجماع جميعهم على أنهما لغتان مستعملتان في العرب . فقال بعض نحوي البصرة : قيل ذلك بالفتح على أنهما اسمان جعلتا اسما واحدا ، كما قيل : يا ابن عم ، وقال : هذا شاذ لا يقاس عليه ، وقال : من قرأ ذلك : يا ابن أمم ، فهو على لغة الذين يقولون : هذا غلام قد جاء ، جعله اسما واحدا آخره مكسور ، مثل قوله خاز باز . وقال بعض نحوي الكوفة : قيل : يا ابن أمم ويا ابن عم ، فنصب كما ينصب المعرب في بعض الحالات ، فيقال : يا حسرتا ، يا ويلتا ، قال : فكأنهم قالوا : يا أمه ويا عمه ولم يقولوا ذلك في أخ ، ولو قيل ذلك لكان صوابا ، قال : والذين خفضوا ذلك فإنه كثر في كلامهم حتى حذفوا الياء قال : ولا تكاد العرب تحذف الياء إلا من الاسم المنادى يضيفه المنادى إلى نفسه ، إلا قولهم : يا ابن أمم ، ويا ابن عم ، وذلك أنهما يكثر استعمالهما في كلامهم ، فإذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا الياء ، فقالوا : يا ابن أبي ، ويا ابن أخي وأخي ، ويا ابن خالي ، ويا ابن خالي .

والصواب من القول في ذلك أن يقال إذا فتحت الميم من ابن أمم ، فمراد به الندبة : يا ابن أمه ، وكذلك من ابن عم ، فإذا كسرت ، فمراد به الإضافة ، ثم حذف الياء التي هي كناية اسم المخبر عن نفسه ، وكان بعض من أنكر نسبه كسر ذلك إذا كسر ، ككسر الزاي من خاز باز ، لأن خاز باز لا يعرف الثاني إلا بالأول ، ولا الأول إلا بالثاني ، فصار كالأصوات . وحكى عن يونس النحوي تأنيث أمم وتأنيث عم ، وقال : لا يجعل اسما واحدا إلا مع ابن المذكر . قالوا : وأما اللغة الجيدة والقياس الصحيح فلغة من قال : يا ابن أمي باثبات الياء ، كما قال أبو زيد :

يا بن أممي ويا شقيق نفسي أنت خلفتني لدهر شديد

(١) يونس النحوي : هو ابن حبيب الضبي مولاهم ، وهو من شيوخ سيديويه . مات سنة ١٨٣ هـ . والجرى : تحريف .

(٢) البيت لأبي زيد الطائي حرمله بن المنذر في مرثية أخيه (شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى ٢ : ٢٢٦)

وهو شاهد على أن العرب لا يكادون يثبتون ياء الضمير في (يا بن أمي) ولا الألف المنقلبة عنهما في (يا بن أمه) إلا في الضرورة ، كقول أبي زيد هذا . وقول أبي النجم الفضل بن قدامة العجلي :

يا بننة عمما لا تلموني وأهجععي لا يخرق اللوم حجاب مسهعي

وكما قال الآخر :

يا بن أمي ولو شهيدتك إذ تدعو تميمًا وأنت غير مجاب إن لم

ولإنما أثبت هؤلاء الياء في الأم لأنها غير مناداة ، وإنما المنادى هو الابن دونها ، وإنما تسقط العرب الياء من المنادى إذا أضافته إلى نفسها ، لا إذا أضافته إلى غير نفسها ، كما قد بينا . وقيل : إن هارون إنما قال لموسى عليه السلام : يا ابن أمّ ، ولم يقل : يا ابن أبي ، وهما لأب واحد وأم واحدة استعطافاً له على نفسه برحيم الأم ، وقوله (إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) يعني بالقوم الذين عكفوا على عبادة العجل ، وقالوا هذا إلهنا وإله موسى ، وخالفوا هارون . وكان استضعافهم إياه ، تركهم طاعته ، واتباع أمره ، وكادوا يقتلونني ، يقول : قاربوا ولم يفعلوا .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (فلا تُشْمِتُ) فقرأ قراء الأمصار ذلك (فلا تُشْمِتُ بي الأعداء) بضم التاء من تُشْمِتُ وكسر الميم منها ، من قولهم : أشمت فلان فلانا بفلان ، إذا سره فيه بما يكرهه المُشْمِتُ به . وروى عن مجاهد أنه قرأ ذلك (فلا تُشْمِتُ بي الأعداء) .

حدثني بذلك عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال حميد بن قيس قرأ مجاهد (فلا تُشْمِتُ بي الأعداء) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن حميد ، قال : قرأ مجاهد (فلا تُشْمِتُ بي الأعداء) .

حدثت عن يحيى بن زياد الفراء ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن رجل ٢ ، عن مجاهد أنه قال : (لا تُشْمِتُ) . وقال الفراء : قال الكسائي : ما أدري ، فلعلهم أرادوا (فلا تُشْمِتُ بي الأعداء) فإن تكن صحيحة فلها نظائر . العرب تقول : فرغْتُ وفرغْتُ ، فمن قال : فرغْتُ قال : أنا أفرغُ ، ومن قال : فرغْتُ قال : أنا أفرغُ ، وكذلك ركبتُ وركنتُ وشملهم أمر وشملهم في كثير من الكلام قال : والأعداء رَفَعُ لأن الفعل لهم لمن قال تُشْمِتُ أو تُشْمِتُ .

والقراءة التي لأستجيز القراءة إلا بها قراءة من قرأ (فلا تُشْمِتُ) بضم التاء الأولى وكسر الميم من أشمتُ به عدوه أشمته به ، ونصب الأعداء لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليها ، وشذوذ ما خالفها من القراءة ، وكفى بذلك شاهداً على ما خالفها ، هذا مع إنكار معرفة عامة أهل العلم بكلام العرب : شمت فلان فلانا بفلان ، وشمت فلان بفلان يشمت به ، وإنما المعروف من كلامهم إذا أخبروا عن شماتة الرجل بعدوه شمت به بكسر الميم يشمت به بفتحها في الاستقبال ٣ .

(١) هذا الشاهد كالذي قبله ، ولم نقف على قائله . (٢) في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ الورقة ١١٥) : أظنه الأعرج (٣) الخلاصة : أن الوارد في المعاجم من أفعال الشماتة ، هو : شمت به يشمت (بكسر الميم في الماضي وفتحها في المضارع) . ويعنى بالهزة وحدها ، لا بالتضعيف ، فيقال : أشمته به إشماتاً : إذا جعل عدوه يشمت به ، وعليه قراءة الجمهور ، أما شمت به يشمت (بفتح الميم في الماضي ، وضمها في المستقبل) فلم يسمع عن العرب ، ولكن أثبتته الكسائي في تعليقه على قراءة مجاهد التي بهذا الضبط ، قياساً على نظائره (فرغ ، وركن ، وشمل) في كثير من نظائرها ، من بابي علم ونصر . والقراءات المنسوبة إلى مجاهد في هذا الحرف ، ثلاث أو أربع ، وبعضها لا وجه له في العربية (انظر تفسيرى القرطبي والشوكاني ، ومعاني القرآن للفراء ، ولسان العرب) .

وأما قوله (وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فإنه قول هارون لأخيه موسى ، يقول : لا تجعلني في موجدتك على وعقوبتك لي ، ولم أخالف أمرك محلّ من عصاك ، فخالف أمرك وعبد العجل بعدك ، فظلم نفسه ، وعبد غير من له العبادة ، ولم أشايهم على شيء من ذلك .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : أصحاب العجل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . بمثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾

يقول تعالى ذكره : قال موسى لما تبين له عذر أخيه ، وعلم أنه لم يفرط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله في ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل (رَبِّ اغْفِرْ لِي) مستغفرا من فعله بأخيه ، ولأخيه من سالف له بينه وبين الله ، تغمد ذنوبنا بستر منك تسترها به (وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ) يقول : وارحمنا برحمتك الواسعة عبادك المؤمنين ، فإنك أنت أرحم بعبادك من كل من رحم شيئا .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾

يقول تعالى ذكره : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) إلها (سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ) بتعجيل الله لهم ذلك (وَذِلَّةٌ) وهي الهوان ، لعقوبة الله إياهم على كفرهم بربهم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) في عاجل الدنيا قبل أجل الآخرة .

وكان ابن جريج يقول في ذلك بما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) قال : هذا لمن مات ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى عليه السلام ، ومن فرّ منهم حين أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعضا ، وهذا الذي قاله ابن جريج ، وإن كان قولاً له وجه ، فإن ظاهر كتاب الله مع تأويل أكثر أهل التأويل بخلافه ، وذلك أن الله عمّ بالخبر عن اتخذ العجل أنه سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا . وتظاهرت الأخبار عن أهل التأويل من الصحابة والتابعين بأن الله ، إذ رجع إلى بني إسرائيل موسى عليه السلام ، تاب على عبدة العجل من فعلهم ، بما أخبر به عن قبيل موسى عليه السلام في كتابه ، وذلك قوله (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ ، فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) ففعلوا ما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فكان أمر الله إياهم بما أمرهم به من قتل بعضهم أنفسهم بعض ، عن غضب منه عليهم بعبادتهم

العجل ، فكان قتل بعضهم بعضا هو انالهم ، وذلة آذلمهم الله بها في الحياة الدنيا ، وتوبة منهم إلى الله قبائها ، وليس لأحد أن يجعل خبرا جاء الكتاب بعمومه في خاص مما عمه الظاهر بغير برهان من حجة خير أو عقل ، ولا نعلم خبرا جاء بوجوب نقل ظاهر قوله (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ) إلى باطن خاص ، ولا من العقل عليه دليل ، فيجب إحالة ظاهره إلى باطنه .

ويعنى بقوله (وكذلك نجزي المفترين) وكما جزيت هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلها من إحلال الغضب بهم ، والإذلال في الحياة الدنيا على كفرهم ربهم ، وردتهم عن دينهم بعد إيمانهم بالله ، وكذلك نجزي كل من افترى على الله فكذب عليه ، وأقر بالوهية غيره ، وعبد شيئا سواه من الأوثان بعد إقراره بوحدانية الله ، وبعد إيمانه به ، وبأنبيائه ورسوله ، وقيل ذلك إذا لم يتب من كفره قبل قتله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، قال : تلا أبو قلابة (سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) . الآية ، قال : فهو جزاء كل مفتر يكون إلى يوم القيامة ، أن يذله الله عز وجل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، قال : قرأ أبو قلابة يوما هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وكذلك نجزي المفترين) قال : هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت أن حميد بن قيس بن عباد وحرثة بن قدامة دخلا على علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، فقالا : أرأيت هذا الأمر الذي أنت فيه ، وتدعو إليه أعهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم رأى رأيتك ؟ قال : مالكما ولهذا ؟ أعرضا عن هذا ، فقالا : والله لانعرض عنه حتى تخبرنا ، فقال ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كتابا في قراب سيفي هذا ، فاستله فأخرج الكتاب من قراب سيفه ، وإذا فيه : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا لَهُ حَرَمٌ » ، وإني حرمت المدينة كما حرمت إبراهيم عليه السلام مكة ، لا يحمّل فيها السلاح ليقبال ، من أحدث حديثا ، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرْفٌ ولا عدلٌ » فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه : أما ترى هذا الكتاب ، فرجعا وتركاه . وقالوا : إنا سمعنا الله يقول (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ) . الآية ، وإن القوم قد افتروا فرية ، ولا أدري إلا سينزل بهم ذلة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، في قوله (وكذلك نجزي المفترين) . قال : كل صاحب بدعة ذليل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَأَمَّنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٢﴾

و هذا خبر من الله تعالى ذكره أنه قابل من كل تائب إليه من ذنب أتاه صغيرة كانت معصيته أو كبيرة ، كفرا كانت أو غير كفر ، كما قبل من عبدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم ، يقول جل ثناؤه : والذين عملوا الأعمال السيئة ثم رجعوا إلى طلب رضا الله بإنابتهم إلى ما يحب مما يكره ، وإلى ما يرضى مما يسخط من بعد سيئ أعمالهم ، وصدّقوا بأن الله قابل توبة المذنبين ، وتائب على المنيين بإخلاص قلوبهم ، ويقين منهم بذلك ، اغفور لهم ، يقول : لسائر عليهم أعمالهم السيئة ، وغير فاضحهم بها ، رحيم بهم ، وبكل من كان مثلهم من التائبين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ

يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) ولما كف موسى عن الغضب ، وكذلك كل كفاً عن شيء ساكت عنه . وإنما قيل للساكت عن الكلام ساكت : لكفه عنه . وقد ذكر عن يونس النحوى أنه قال : يقال سكت عنه الحزن وكل شيء فيما زعم ؛ ومنه قول أبي النجم :

وَهَمَّتِ الْأَفْعَى بِأَنْ تُسَبِّحًا وَسَكَتَ الْمُكَّاءُ أَنْ يُضَبِّحًا ٢

(أَخَذَ الْأَلْوَابَ) يقول : أخذها بعدما ألقاها ، وقد ذهب منها ما ذهب (وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ) يقول : وفيما نسخ فيها : أى منها هدى بيان للحق ورحمة (لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) يقول : للذين يخافون الله ، ويخشون عقابه على معاصيه .

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله (لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) مع استقبال العرب أن يقال في الكلام : رهبت لك : بمعنى رهبتك ، وأكرمت لك : بمعنى أكرمتك ، فقال بعضهم ذلك ، كما قال جل ثناؤه (إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) أوصل الفعل باللام . وقال بعضهم : من أجل ربهم يرهبون . وقال بعضهم : إنما دخلت عقب الإضافة الذين هم راهبون لرهبهم وراهبو ربهم ؛ ثم أدخلت اللام على هذا المعنى لأنها عقيب الإضافة لاعلى التعليق . وقال بعضهم : إنما فعل ذلك لأن الاسم تقدم الفعل ، فحسن إدخال اللام . وقال آخرون : قد جاء مثله في تأخير الاسم في قوله (رَدِّفَ لَكُمْ بَعْضُ الْبَدِيِّ تَسْتَعْجِلُونَ) وذكر عن عيسى بن عمر أنه قال : سمعت الفرزدق يقول : نقدت له مائة درهم ، يريد نقدته مائة درهم ، قال : والكلام واسع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَآخَرُ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ

(١) هو يونس النحوى الضبى (مولاهم) لاجرمى ، كما تكرر تحريفه بأيدي النساخ في هذا التفسير . توفي سنة ١٨٣ هـ .
(٢) سكت الشيء يسكت سكوتا : سكنت حركته . والمكاء : طائر شبه القنبرة ، إلا أن في جناحيه بلقا ، سمى بذلك لأنه يجمع يديه ثم يصفر فيهما صفيرا حسنا . وهو طائر يألف الريف ، وجمعه المكاكى ، وهو فعال من مكأ : إذا صفر . وضح : بتشديد الباء صاح بأقصى طاقته . ولعله محرف عن « صيحا » . إذ لا وجود لضح بالتحديد في معاجم اللغة .

أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَابْنِي أَتَّهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي
مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿١٥٥﴾ يقول تعالى ذكره : واختار موسى من قومه سبعين رجلا لوقت والأجل الذي وعده الله أن يلقاه فيه بهم للتوبة مما كان من فعل سفهائهم في أمر العجل .

كما حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : إن الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعدا فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان ، قالوا : لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة ، فإنك قد كلمته فأرنا ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول : رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم : لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم ، واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا ، وتطهروا ، وطهروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سينا لميقات وقته له ربه ، وكان لا يأتيه إلا باذن منه وعلم ، فقال السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا معه للقاء ربه لموسى : أطلب لنا نسمع كلام ربنا ، فقال : أفعل ؛ فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا ، وكان موسى إذا كلمه الله ، وقع على جبهته نور ساطع ، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا ، فسمعوه وهو يكلم موسى ، يأمره وينهاه ، أفعل ، ولا تفعل ؛ فلما فرغ الله من أمره ، وانكشف عن موسى الغمام ، أقبل إليهم ، فقالوا لموسى (لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) ، فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) وهي الصاعقة ، فالتقت أرواحهم فماتوا جميعا ، وقام موسى عليه السلام يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ، ويقول : رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، قد سفهوا ، أهلك من ورأى من بني إسرائيل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا) قال : كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلا ، فاختار سبعين رجلا ، فبرز بهم ليدعوا ربهم ، فكان فيما دعوا الله أن قالوا : اللهم أعطنا ما لم تعط أحدا بعدنا فذكره الله ذلك من دعائهم ، فأخذتهم الرجفة قال موسى : (رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَابْنِي) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان ، عن جعفر ، عن ميمون (واختار موسى قومه سبعمائة رجلًا لميقاتنا) قال : لموعدهم الذى وعدهم .
حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سبعمائة رجلًا لميقاتنا) قال : اختارهم لتمام الوعد .
وقال آخرون : إنما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل هارون .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن عمارة بن عبد السلولى ، عن عليّ رضى الله عنه ، قال : انطلق موسى و هارون ، وشبر وشبير ، فانطلقوا إلى سفح جبل ، فنام هارون على سرير ، فتوفاه الله ؛ فلما رجع موسى إلى بنى إسرائيل قالوا له : أين هارون ؟ قال : توفاه الله ، قالوا : أنت قتلته ، حسدتنا على خلقه ولينه ، أو كلمة نحوها : قال : فاختاروا من شتم ، قال : فاختاروا سبعين رجلا ، قال : فذلك قوله (واختار موسى قومه سبعمائة رجلًا لميقاتنا) قال : فلما انتهوا إليه قالوا : يا هارون من قتلك : قال : ما قتلتى أحد ، ولكنى توفانى الله ، قالوا : يا موسى لن نعصى بعد اليوم قال : فأخذتهم الرجفة ، قال : فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ، وقال : يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيائى ، أهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ إن هبى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) قال : فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم .
حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من بنى سلول ، أنه سمع عليا رضى الله عنه يقول فى هذه الآية (واختار موسى قومه سبعمائة رجلًا لميقاتنا) قال : كان هارون حسن الخلق محببا فى بنى إسرائيل ، قال : فلما مات دفنه موسى ، قال : فلما أتى بنى إسرائيل ، قالوا له : أين هارون ؟ قال : مات ، فقالوا : قتلته ؛ قال : فاختار منهم سبعين رجلا ؛ قال : فلما أتوا القبر ، قال موسى : أقتلت أو مت ؟ قال : مت ، قال : فأصعقوا ، فقال موسى رب ما أقول لبنى إسرائيل إذا رجعت ؟ يقولون : أنت قتلتهم ، قال : فأحيوا وجعلوا أنبياء .

حدثنى عبد الله بن الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا الربيع بن حبيب ، قال : سمعت أبا سعيد ، يعنى الرقاشى ، وقرأ هذه الآية (واختار موسى قومه سبعمائة رجلًا لميقاتنا) فقال : كانوا أبناء ما عدا عشرين ، ولم يتجاوزوا الأربعين ، وذلك أن ابن عشرين قد ذهب جهله وصباه ، وأن من لم يتجاوز الأربعين لم يفقد من عقله شيئا .

وقال آخرون : إنما أخذت القوم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل ، لأنهم كانوا من عبدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (واختار موسى قومه سبعمائة رجلًا لميقاتنا) فقرأ حتى بلغ (السفهاء منا) ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : إنما تناولتهم الرجفة ، لأنهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل ، وقد كرهوا أن يجامعهم عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا) ممن لم يكن قال ذلك القول ، على أنهم لم يجامعوهم عليه ، فأخذتهم الرجفة من أجل أنهم لم يكونوا باينوا قومهم حين اتخذوا العجل ، فلما خرجوا ودعوا ، أماتهم الله ثم أحياهم (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ ، أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : قال مجاهد (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا) والميقات : الموعد ، فلما أخذتهم الرجفة بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه أن يكشف عنهم البلاء ، فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصابه قومهم ؛ قال ابن سعد : فحدثني محمد بن كعب القرظي ، قال : لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوا عن المنكر ، ويأمرهم بالمعروف ، قال : فأخذتهم الرجفة فأتوا ، ثم أحياهم الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عون ، عن سعيد بن حيان ، عن ابن عباس : إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه ، إنما أخذتهم الرجفة أنهم لم يرضوا ، ولم ينهوا عن العجل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عون ، قال : ثنا سعيد بن حيان ، عن ابن عباس ، بنحوه .

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله (قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا) فقال بعض نحوي البصرة : معناه : واختار موسى من قومه سبعين رجلا ، فلما نزع من أعمل الفعل ، كما قال الفرزدق .

وَمِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً
وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّعَازِعُ^١

وكما قال الآخر :

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَأَفْعَلُ مَا أَمَرْتُ بِهِ
وَقَالَ الرَّاعِي :

اخْتَرْتُكَ النَّاسَ إِذْ غَشِيَتْ خَلَائِقُهُمْ^٢
وَاعْتَلَّ مَنْ كَانَ يُرْجَى عِنْدَهُ السُّؤْلُ^٣

(١) هذا البيت للفرزدق ، وهو من شواهد التحوين على أن الرجال منصوب بنزع الخافض ، والأصل من الرجال ، وهو المفعول الثاني المقيد بحرف الجر المختار ، فإنه يتعدى إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر . والمفعول الأول هنا هو نائب الفاعل ، وهو الضمير العائد إلى الذي . وهذا الحذف كثير الاستعمال (انظر خزائن الأدب للبغدادى ٣ : ٦٧٣) . ويقال : سمح بكذا يسمح سموحا وسماحا وسماحة : جاد وأعطى ، أو وافق على ما أريد منه . والجود : الكرم . والزعازع : جمع زعزع كجعفر ، وهى الريح التى تهب بشدة ، وعنى بذلك الشتاء . وفيه تقل الألبان ، وتعدم الأزواد ، ويبخل الجواد . اهـ (عن الخزائن) .

(٢) البيت لعمر بن معديكرب الزبيدي (الخزائن ٣ : ٦٧٣) وهو شاهد على أن « أمرتك الخير » أصله « أمرتك بالخير » ثم حذف منه حرف التعدية ، فنصب الاسم على المفعولية . والنشيب : المال الأصيل الثابت ، أى العقار كالدور والضياع . ورواه أبو على الهجرى فى نوادره « ذانسب » بالسین المهملة ، يقول : ترمتك غنيا حسيبا .

وينسب البيت لأعشى طرود ، ولعباس بن مرداس ، ولزرعة بن السائب ، ولحفاف بن ندبة .

(٣) وهذا البيت كالشاهدين قبله . وأصل الكلام : اخترتك من الناس ، فحذف حرف التعدية ، ونصب الاسم بسقوط الخافض . غشت : فسدت . وفى المخطوطة ١٠٠ : عشت ، بالعين . يريد : أنى اخترتك من الناس ، لأنك سمح كريم ، سهل الخليفة ، =

وقال بعض نحوّي الكوفة : إنما استجيز وقوع الفعل عليهم إذا طرحت من ، لأنه مأخوذ من قولك : هؤلاء خير القوم ، وخير من القوم ، فإذا جازت الإضافة مكان « من » ولم يتغير المعنى ، استجازوا أن يقولوا : اخترتكم رجلا ، واخترت منكم رجلا ؛ وقد قال الشاعر :
فَقُلْتُ لَهُ اخْتَرْتَهَا قَلُوصًا سَمِينَةً ١
تَحْتَ التِّي اخْتَارَ لَهُ اللهُ الشَّجَرَ ٢
وقال الراجز :
بمعنى : اختارها له الله من الشجر .

وهذا القول الثاني أولى عندي في ذلك بالصواب لدلالة الاختيار على طلب « من » إلى بمعنى التبعية ، ومن شأن العرب أن تحذف الشيء من حشو الكلام إذا عرف موضعه ، وكان فيما أظهرت دلالة على ما حذف ، فهذا من ذلك إن شاء الله .

وقد بينا معنى الرجفة فيما مضى بشواهدنا ، وأنها ما رجف بالقوم وأرعبهم . وحرّكهم وأهلكهم بعد ، فأماتهم أو أصعقهم ، فسلب أفهامهم . وقد ذكرنا الرواية في غير هذا الموضع ، وقول من قال :
إنها كانت صاعقة أماتهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :
(فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) ماتوا ثم أحياهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سَبَّعِينَ رَجُلًا لِمَيْقَاتِنَا) اختارهم موسى لتمام الموعد (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) ماتوا ثم أحياهم الله .
حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) قال : رجف بهم .

= وتركت كل من حالت طبيعته وحرصه دون كرمه . وأنشد القرطبي في تفسيره البيت (٧ : ٢٩٤) وفيه : « رثت » في مكان « عنت » ، و « اختل » في مكان : « اعتل » .

(١) هذا صدر بيت من قصيدة للراعي النخري ، قالها وقد نزل به رجل من بني كلاب في ركب مع ليلا ، في سنة مجدبة ، وقد عزبت عن الراعي إبلة ، فنحروا لهم ناقة من رواحلهم ، وصبحت الراعي إبلة ، فأعطى رب الناب نابا مثلها ، وزادها ناقة ثنية . ورواية المؤلف للبيت نقلها عن معاني القرآن للفراء ، وهي تختلف عن رواية أبي تمام لها في باب الهجاء (٤ : ٣٧) من شرح التبريزي للحماسة طبعة الأميرية) والبيت بتمامه في الحماسة كما يأتي :

فَقَمَلْتُ أَرَبَّ النَّابِ خَمَاءً ثَنِيَّةً
وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلَ نَابِكَ فِي الْحَيَا
والناب : الناقة المسنة . والحيا : الشحم والسمن ، وهم يسمون النبت حيا لأنه بالمطر يكون ، ثم تسمى الشحم حيا لأنه بالنبت يكون . ومعناه : قلت لرب الناب : خذها ثنية فضلا عن نابك ، وناب علينا واجب مثل نابك في السمن عوضا عما نحرناها ، فخذها مع الثنية . وعلى هذه الرواية لاشاهد في البيت . أما رواية البيت في معاني القرآن للفراء فهي :

فَقَمَلْتُ لَهُ اخْتَرْتَهَا قَلُوصًا سَمِينَةً
وَنَابًا عَلَيْنَا مِثْلَ نَابِكَ فِي الْحَيَا
ولا نجد في هذه الرواية على فرض صحتها شاهدا للمؤلف ، لأن كلمة « قلووصا » منصوبة على الحال من (ها) في اختارها ، وليس أصلها « من قلووص » ثم أسقط الجار .

(٢) البيت للعجاج (ديوانه ص ١٥) من أرجوزة يمدح بها عمر بن عبد الله بن معمر . يريد بيعة الرضوان تحت الشجرة المباركة .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُتْهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيِّنَا ، فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ :
 اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا : أي بعبادة من عبد العجل ، قالوا : وكان الله إنما أهلكتهم لأنهم كانوا ممن يعبد العجل ، وقال موسى ما قال ، ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أُتْهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) فأوحى الله إلى موسى : إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل ، فذلك حين يقول موسى (إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن إهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم هلاك لمن وراءهم من بني إسرائيل إذا انصرفوا إليهم ، وليسوا معي ، والسفهاء على هذا القول كانوا المهلكين الذين سألوا موسى أن يريهم ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أخذت الرجفة السبعين فاتوا جميعا ، قام موسى يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه يقول : رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، قد سفهوا أفهلك من ورأى من بني إسرائيل بما فعل السفهاء منا : أي إن هذا لهم هلاك ، قد اخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير ، أرجع إليهم وليس معي رجل واحد ؟ فما الذي يصدقونني به ، أو يأمنونني عليه بعد هذا ؟
 وقال آخرون في ذلك بما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أُتْهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) : أتواخذنا وليس منا رجل واحد ترك عبادتك ؟ ولا استبدل بك غيرك ؟

وأولى القولين بتأويل الآية ، قول من قال . إن موسى إنما حزن على هلاك السبعين بقوله (أُتْهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) وأنه إنما عني بالسفهاء : عبدة العجل ، وذلك أنه محال أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم كان تخير من قومه لمسألة ربه ما أراه أن يسأل لهم إلا الأفضل ، فالأفضل منهم ، ومحال أن يكون الأفضل كان عنده من أشرك في عبادة العجل ، واتخذوه دون الله إلهًا .

قال : فإن قال قائل : فجائز أن يكون موسى عليه السلام كان معتقدا أن الله سبحانه يعاقب قوما بذنوب غيرهم ، فيقول : أتهلكنا بذنوب من عبد العجل ، ونحن من ذلك برآء ؟ قيل : جائز أن يكون معنى الإهلاك : قبض الأرواح على غير وجه العقوبة ، كما قال جل ثناؤه (إِنَّ أَمْرُؤَهُمْ لَسَيِّئٌ) يعني : مات ، فيقول : أتميتنا بما فعل السفهاء منا .

وأما قوله (إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ) فإنه يقول جل ثناؤه : ما هذه الفعلة التي فعلها قومي من عبادتهم ما عبدوا دونك ، إلا فتنة منك أصابتهم ، ويعنى بالفتنة : الابتلاء والاختبار ، يقول : ابتليتهم بها ليتبين

الذى يضلّ عن الحقّ بعبادته إياه ، والذى يهتدى بترك عبادته ، وأضاف لإضلالهم وهدايتهم إلى الله ، إذ كان ما كان منهم من ذلك عن سبب منه جلّ ثناؤه .
وبنحو ما قلنا فى الفتنة ، قال جماعة من أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (إن هبى إلاّ فتنّتك) قال : بليتك . قال : ثنا جبوية الرازى ، عن يعقوب ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد ابن جبير (إلاّ فتنّتك) : إلا بليتك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا ابن جعفر ، عن الربيع ابن أنس (إن هبى إلاّ فتنّتك) قال : بليتك ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (إن هبى إلاّ فتنّتك تُضِلُّ بها مَنْ تشاء) إن هو إلا عذابك تصيب به من تشاء ، وتصرفه عن تشاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إن هبى إلاّ فتنّتك) أنت فتنّتهم .

وقوله (أنت وليّنا) يقول : أنت ناصرنا (فاغفر لنا) يقول : فاستر علينا ذنوبنا بترك عقابنا عليها (وآرأى حمنا) : تعطف علينا برحمتك (وأنت خير الغافرين) يقول : خير من صفح عن جرم ، وستر على ذنب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَآكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء نبيه موسى عليه السلام أنه قال فيه (وآكُتِبَ لَنَا) : أى اجعلنا ممن كتبت له (فى هذه الدنيا حسنة) وهى الصالحات من الأعمال (وفى الآخرة) ممن كتبت له المغفرة لذنوبه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جريج ، عن ابن جريج ، قوله (وآكُتِبَ لَنَا فى هذه الدنيا حسنة) قال : مغفرة .

وقوله (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) يقول : إنا تبنا إليك .

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وابن فضيل وعمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، وقال عمران ، عن ابن عباس (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : إنا تبنا إليك . قال : ثنا زيد بن حباب ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، قال : تبنا إليك . قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : تبنا إليك . قال : ثنا عبد الله بن بكر ، عن حاتم بن أبي مغيرة ، عن سماك ، أن ابن عباس قال في هذه الآية (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : تبنا إليك .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : أحسبه عن ابن عباس (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : تبنا إليك . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) يقول : تبنا إليك .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني عن سعيد بن جبير ، في قوله (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : تبنا إليك . قال : ثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني ، عن سعيد ابن جبير بمثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهاني ، عن سعيد بن جبير ، مثله ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : تبنا إليك . قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمي ، قال : تبنا إليك . حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمي مثله . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) أي إنا تبنا إليك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : تبنا . حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) يقول : تبنا إليك . قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) يقول : تبنا إليك . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال (هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : تبنا إليك .

قال : ثنا أُنَى ، عن أبي جحير ، عن الضحاک ، قال : تبنا إليك . قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : تبنا إليك .

وحدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول ، فذكر مثله . قال : ثنا أبي وعبيد الله ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : تبنا إليك . قال : ثنا حبوية أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبیر ، مثله . قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن عبد الله بن يحيى ، عن عليّ عليه السلام ، قال : إنما سميت اليهود لأنهم قالوا (هُدْنَا إِلَيْكَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (إننا هُدْنَا إِلَيْكَ) يعني : تبنا إليك .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو ، قال : سمعت رجلاً يسأل سعيداً (إننا هُدْنَا إِلَيْكَ) قال : إننا تبنا إليك .

وقد بينا معنى ذلك بشواهد في ما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِنْدَ أَبِي أُصِيبُ بِهِ مَنَ أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ :
يقول تعالى ذكره (قال) الله لموسى : هذا الذي أصبت به قومك من الرجفة (عند أبي أُصِيبُ بِهِ مَنَ أَشَاءُ) من خلقي ، كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) يقول : ورحمتي عمت خلقي كلهم .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم مخرجه عام ومعناه خاص ، والمراد به : ورحمتي وسعت المؤمنين في من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، واستشهد بالذي بعده من الكلام ، وهو قوله (فسأكتبها للذين يتقون) . . . الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو سلمة المنقري ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس أنه قرأ (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : جعلها الله لهذه الأمة .

حدثني عبد الكريم ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : قال سفيان ، قال أبو بكر الهذلي : فلما نزلت (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) قال إبليس : أنا من الشيء ، فزرعها الله من إبليس ، قال : (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) فقال اليهود : نحن نتقى ونؤتي الزكاة ، ونؤمن بآيات ربنا ، فزرعها الله من اليهود ، فقال (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) . . . الآيات كلها ، قال : فزرعها الله من إبليس ومن اليهود ، وجعلها لهذه الأمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما نزلت (وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) قال إبليس : أنا من كل شيء ، قال الله (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) . . . الآية ، فقالت اليهود : ونحن نتقى ونؤتي الزكاة ، فأنزل الله (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) قال : نزعها الله عن إبليس وعن اليهود ، وجعلها لأمة محمد ، سأكتبها للذين يتقون من قومك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَدَّ ابْنُ أُصَيْبٍ بِهِ مَنْ أَسَاءُ ، وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) فقال إبليس : أنا من ذلك الشيء ، فأنزل الله (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) معاصي الله (وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) فتمنتها اليهود والنصارى ، فأنزل الله شرطاً وثيقاً بينا ، فقال (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) فهو نبيكم كان أمياً لا يكتب ، صلى الله عليه وسلم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، قال : أخبرنا خالد الحذاء ، عن أنيس بن أبي العريان ، عن ابن عباس ، في قوله (وَآكْتُبُ لَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ) ، إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : فلم يعطها ، فقال : (عَدَّ ابْنُ أُصَيْبٍ بِهِ مَنْ أَسَاءُ ، وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) إلى قوله (الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علي وعبد الأعلى ، عن خالد ، عن أنيس بن أبي العريان ، قال : عبد الأعلى عن أنيس بن أبي العريان وقال : قال ابن عباس (وَآكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ) إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) قال : فلم يعطها موسى (قَالَ عَدَّ ابْنُ أُصَيْبٍ بِهِ مَنْ أَسَاءُ ، وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا) . . . إلى آخر الآية .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : كان الله كتب في الألواح ذكر محمد وذكر أمته ، وما ادخر لهم عنده ، وما يسر عليهم في دينهم ، وما وسع عليهم فيما أحل لهم ، فقال (عَدَّ ابْنُ أُصَيْبٍ بِهِ مَنْ أَسَاءُ ، وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) يعني الشرك ، الآية .

وقال آخرون : بل ذلك على العموم في الدنيا ، وعلى الخصوص في الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة ، في قوله (وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) قالوا : وسعت في الدنيا البر والفاجر ، وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة .

وقال آخرون : هي على العموم ، وهي التوبة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَنْتَ وَلَيْسْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ . وَآكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ) فقال : سأل موسى هذا ، فقال الله : عذابي أصيب به من أشاء العذاب الذى ذكر ، ورحمتى التوبة وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون . قال : فرحمته : التوبة التى سأل موسى عليه السلام ، كتبها الله لنا . وأما قوله (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) فإنه يقول : فسأكتب رحمتى التى وسعت كل شيء ، ومعنى أكتب فى هذا الموضع : أكتب فى اللوح الذى كتب فيه التوراة ، للذين يتقون ، يقول للقوم الذين يخافون الله ، ويخشون عقابه على الكفر به ، والمعصية له فى أمره ونهيه ، فيؤدون فرائضه ، ويجتنبون معاصيه . وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله هؤلاء القوم بأنهم يتقونه ، فقال بعضهم : هو الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) يعنى الشرك . وقال آخرون : بل هو المعاصى كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) معاصى الله . وأما الزكاة وإيتاؤها ، فقد بيئنا صفتها فيما مضى بما أغنى عن إعادته . وقد ذكر عن ابن عباس فى هذا الموضع أنه قال فى ذلك ما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) قال : يطيعون الله ورسوله ، فكان ابن عباس تأول ذلك بمعنى أنه العمل بما يزكى النفس ويطهرها من صالحات الأعمال . وأما قوله (وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) فإنه يقول : وللقوم الذين هم بأعلامنا وأدلتنا ، يصدقون ويقرون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

وهذا القول لإبانه من الله جل ثناؤه عن أن الذين وعد موسى نبيه عليه السلام أن يكتب لهم الرحمة التى

وصفها جل ثناؤه بقوله (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا يعلم لله رسول وصف بهذه الصفة ، أعني الأُمِّيَّ غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (فَسَأَ كَتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : ثنا زيد بن حُبَاب ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .
حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (فَسَأَ كَتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال موسى عليه السلام : ليتني خلقت في أمة محمد .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (فَسَأَ كَتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : الذين يتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن نَوْف الحميري ، قال : لما اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقات ربه قال الله لموسى : أجعل لكم الأرض مسجدا وطهورا ، وأجعل السكينة معكم في بيوتكم ، وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهور قلوبكم ، يقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير ، فقال موسى لقومه : إن الله قد يجعل لكم الأرض طهورا ومسجدا ، قالوا : لانريد أن نصلى إلا في الكنائس ، قال : ويجعل السكينة معكم في بيوتكم ، قالوا : لانريد إلا أن تكون كما كانت في تابوت ، قال : ويجعلكم تقرأون التوراة عن ظهور قلوبكم ، ويقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد الصغير والكبير ، قالوا : لانريد أن نقرأها إلا نظرا ، فقال الله (فَسَأَ كَتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) . . . إلى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن نوف البكالي ، قال : لما انطلق موسى بوفد بني إسرائيل كلمه الله ، فقال : إني قد بسطت لكم الأرض طهورا ومساجد يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة إلا عند مرحاض أو قبر أو حمام ، وجعلت السكينة في قلوبهم ، وجعلتهم يقرأون التوراة عن ظهر ألسنتهم ، قال : فذكر ذلك موسى لبني إسرائيل ، فقالوا : لانستطيع حمل السكينة في قلوبنا ، فاجعلها لنا في تابوت ، ولا نقرأ التوراة إلا نظرا ، ولا نصلى إلا في الكنيسة ، فقال الله (فَسَأَ كَتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) . . . حتى بلغ (أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) قال : فقال موسى عليه السلام : يارب اجعلني نبيهم ، قال : نبيهم منهم ، قال : رب اجعلني منهم ، قال : لن تدركهم ، قال : يارب أتيتك بوفد بني إسرائيل ، فجعلت وفادتنا لغيرنا ، فأنزل الله (وَمِن قَوْمٍ

مُوسَى أُمَّةٌ يُهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال : نوف البِكَالِي ، فاحمدوا الله الذي حفظ غيبتكم ، وأخذ لكم بسهمكم ، وجعل وفادة بني إسرائيل لكم .
حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن نوف البِكَالِي بنحوه ، إلا أنه قال : فإني أنزل عليكم التوراة تقرءونها عن ظهر السننكم ، رجالكم ونسأؤكم وصبيانكم قالوا : لانصلي إلا في كنيسة ، ثم ذكر سائر الحديث بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير (فَسَأَ كَتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَسَأَ كَتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) قال : هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما قيل (فَسَأَ كَتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) تمنها اليهود والنصارى ، فأنزل الله شرطاً بيننا وثيقاً ، فقال (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) وهو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يكتب وقد بينا معنى الأمي فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

وأما قوله (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) فإن الهاء في قوله : (يَجِدُونَهُ) عائدة على الرسول ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

كالذي حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) هذا محمد صلى الله عليه وسلم .
حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا فليح عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو ، فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ، قال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن : (يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فنفتح به قلوباً غلظاً وآذاناً صمًا ، وأعيناً عمياً ، قال عطاء : ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك ، فما اختلفا حرفاً ، إلا أن كعباً قال بلغته : قلوباً غلظاً ، وآذاناً صمومياً ، وأعيناً عمومياً .

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا موسى بن داود ، قال : ثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي ، قال : ثنا عطاء ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فذكر نحوه . إلا أنه قال في كلام كعب : أعيناً عموماً ، وآذاناً صموماً ، وقلوباً غلظاً .
قال ثنا موسى ، قال : ثنا عبد العزيز بن سلمة ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بنحوه ، وليس فيه كلام كعب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ) يقول : يجدون نعته وأمره ونبوته مكتوبا عندهم .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَا مَرْهُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ، وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ :
يقول تعالى ذكره : يأمر هذا النبي الأمي أتباعه بالمعروف ، وهو الإيمان بالله ولزوم طاعته فيما أمر ونهى ، فذلك المعروف الذي يأمرهم به ، وينهاهم عن المنكر وهو الشرك بالله ، والانتها عما نهاهم الله عنه .
وقوله (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) وذلك ما كانت الجاهلية تحرمه من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى . (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) وذلك لحم الخنزير والربا ، وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي حرمها الله .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) وهو لحم الخنزير والربا ، وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله .

وأما قوله (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : يعنى بالإصر : العهد والميثاق الذي كان أخذ على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) قال : عهدهم ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : عهدهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن علي ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) قال : العهود التي أعطوها من أنفسهم ، قال : ثنا ابن نمير ، عن موسى بن قيس ، عن مجاهد (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) قال : عهدهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) يقول : يضع عنهم عهودهم ومواثيقهم التي أخذت عليهم في التوراة والإنجيل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرم عليهم ، يقول : يضع ذلك عنهم . وقال بعضهم : عنى بذلك أنه يضع عن اتبع نبي الله صلى الله عليه وسلم التشديد الذي كان على بني إسرائيل في دينهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بإقالة منه وتجاوز عنه .
حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) قال : البول ونحوه مما غلظ على بني إسرائيل ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : شدة العمل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، قوله (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) قال : من اتبع محمداً ودينه من أهل الكتاب ، وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد في دينهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، قال : قال أبو هريرة لابن عباس : ما علينا في الدين من حرج ، أن نزنى ونسرق ؟ قال : بلى ، ولكن الإصر الذي كان على بني إسرائيل وضع عنكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) قال : إصرهم الذي جعله عليهم .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الإصر : هو العهد .
وقد بينا ذلك بشواهد في موضع غير هذا بما فيه الكفاية ، وأن معنى الكلام : ويضع النبي الأُمى العهد الذي كان الله أخذ على بني إسرائيل من إقامة التوراة ، والعمل بما فيها من الأعمال الشديدة كقطع الجلد من البول ، وتحريم الغنائم ، ونحو ذلك من الأعمال التي كانت عليهم مفروضة ، فنسخها حكم القرآن .

وأما الأغلال التي كانت عليهم ، فكان ابن زيد يقول بما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب عنه ، في قوله (وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) قال : الأغلال ، وقرأ (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) قال : تلك الأغلال ، قال : ودعاهم إلى أن يؤمنوا بالنبي ، فيضع ذلك عنهم .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ :
يقول تعالى ذكره : فالذين صدقوا بالنبي الأُمى ، وأقروا بنبوته وعزروه ، يقول : وقروه وعظموه وحموه من الناس .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَعَزَّرُوهُ) يقول : حموه ووقروه .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا موسى بن قيس ، عن مجاهد (وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ) قال : عزروه : سدّوا أمره ، وأعانوا رسوله ونصروه . وقوله (نَصَرُوهُ) يقول :

وأعانوه على أعداء الله وأعدائه بجهادهم ونصب الحرب لهم (وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ) يعني القرآن والإسلام (أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يقول: الذين يفعلون هذه الأفعال التي وصف بها جل ثناؤه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم هم المنجحون. المدركون ما طلبوا، ورجوا بفعلهم ذلك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: فما نقموا، يعني اليهود إلا أن حسدوا نبي الله، فقال الله (الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ) فأما نصره وتعزيره فقد سبقتم به، ولكن خياركم من آمن بالله، واتبع النور الذي أنزل معه، يريد قتادة بقوله: فما نقموا إلا أن حسدوا نبي الله أن اليهود كان محمد صلى الله عليه وسلم بما جاء به من عند الله رحمة عليهم لو اتبعوه، لأنه جاء بوضع الإصر والأغلال عنهم، فحملهم الحسد على الكفر به، وترك قبول التخفيف لغلبة خذلان الله عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للناس كلهم: (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل، مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم، وقوله (الَّذِي) من نعت اسم الله.

وإنما معنى الكلام: قل يا أيها الناس، إني رسول الله الذي له ملك السموات والأرض إليكم. ويعنى جل ثناؤه بقوله: (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الذي له سلطان السموات والأرض وما فيهما، وتدبير ذلك وتصريفه (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول: لا ينبغي أن تكون الألوهة والعبادة إلا له جل ثناؤه دون سائر الأشياء غيره من الأنداد والأوثان، إلا لمن له سلطان كل شيء، والقادر على إنشاء خلق كل ما شاء، وإحيائه وإفناؤه، إذا شاء إمامته (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) يقول جل ثناؤه: قل لهم: فصدقوا بآيات الله الذي هذه صفته، وأقروا بوحدانيته، وأنه الذي له الألوهة والعبادة، وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنه مبعوث إلى خلقه داع إلى توحيده وطاعته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

وأما قوله (النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ) فإنه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بينت معنى النبي فيما مضى بما أغنى عن إعادته. ومعنى قوله (الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) يقول: الذي يصدق بالله وكلماته.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَكَلِمَاتِهِ) فقال بعضهم: معناه: وآياته.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) يقول : آياته . وقال آخرون : بل عنى بذلك عيسى بن مريم عليه السلام .
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، قوله (الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) قال : عيسى بن مريم .
وحدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) فهو عيسى بن مريم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره أمر عباده أن يصدقوا بنبوّة النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ، ولم يخص الخبر جل ثناؤه عن إيمانه من كلمات الله ببعض دون بعض ، بل أخبرهم عن جميع الكلمات ، فالحق في ذلك أن يعمّ القول ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بكلمات الله كلها على ما جاء به ظاهر كتاب الله .
وأما قوله (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) فاهتدوا به أيها الناس ، واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله ، لعلكم تهتدون ، يقول : لكي تهتدوا فترشدوا ، وتصيبوا الحق في اتباعكم إياه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

يقول تعالى ذكره (وَمِن قَوْمِ مُوسَى) يعني بني إسرائيل (أُمَّةٌ) يقول : جماعة (يَهْدُونَ بِالْحَقِّ) يقول : يهتدون بالحق : أي يستقيمون عليه ويعملون (وَبِهِ يَعْدِلُونَ) : أي وبالحق يعطون ، ويأخذون ، وينصفون من أنفسهم فلا يجورون . وقد قال في صفة هذه الأمة التي ذكرها الله في الآية جماعة أقوالا نحن ذاكروا ما حضرنا منها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن صدقة أبي الهذيل ، عن السدي (وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال : قوم بينكم وبينهم نهر من شهدا

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال : بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم كفروا ، وكانوا

(١) قوله « نهر من شهد » كذا بالأصل ، وابن كثير ، وفي الدر : « نهر من سهل » : أي من رمل يجرى ؛ وفي روح المعاني « بينكم وبينهم نهر من رمل يجرى » وقال : ولا أظنك تجد لهذه الحكاية سندا يعول عليه ، إلى آخر ما قال .

اثنى عشر سبطاً ، تبرأ سبط منهم مما صنعوا ، واعتذروا ، وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم ، ففتح الله لهم نفقاً في الأرض ، فساروا فيه ، حتى خرجوا من وراء الصين ، فهم هنالك حنفاء مسلمون ، يستقبلون قبلتنا . قال ابن جريج : قال ابن عباس : فذلك قوله (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) ووعد الآخرة عيسى بن مريم يخرجون معه . قال ابن جريج : قال ابن عباس : ساروا في السَّرب سنة ونصفا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَطَعْنَا لَهُم مِّنْ آثِنِي عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦١﴾

يقول تعالى ذكره : فرقناهم ، يعني قوم موسى من بني إسرائيل ، فرقهم الله فجعلهم قبائل شتى ، اثنى عشرة قبيلة . وقد بيَّنا معنى الأسباط فيما مضى ، ومن هم .

واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الاثنى عشرة . والأسباط جمع مذكر ، فقال بعض نحوي البصرة : أراد اثنى عشرة فرقة ، ثم أخبر أن الفِرقَ أسباط ، ولم يجعل العدد على أسباط . وكان بعضهم يستحكي على هذا التأويل ويقول : لا يخرج العدد على عين الثاني ، ولكن الفِرقَ قبل الاثنى عشرة حتى تكون الاثنتا عشرة مؤنثة على ما قبلها ، ويكون الكلام : وقطعناهم فِرقاً اثنى عشرة أسباطا ، فيصح التأنيث لما تقدم . وقال بعض نحوي الكوفة ، إنما قال اثنى عشرة بالتأنيث ، والسبط مذكر ، لأن الكلام ذهب إلى الأم فغلب التأنيث وإن كان السبط ذكراً ، وهو مثل قول الشاعر :

وإن كلاباً هذه عشر أبطن
وأنت برىء من قبائلها العشر

(١) البيت في (اللسان : بطن) قال : البطن دون القبيلة . وقيل : هو دون الفخذ ، وفوق العمارة ، مذكر . والجمع : أبطن وبطن . فأما قوله : وإن كلاباً . . الخ ، فإنه أنث على معنى القبيلة ، وأبان ذلك بقوله : « من قبائلها العشر » . وفي خاتمة المصباح : البطن مذكر ولا يؤنث . وفي نهاية الأرب للنويري (٢ : ٣٣٨) : وأما كلاب بن ربيعة بن عامر فأعقب من عشر أبطن . قال الشاعر : وإن كلاباً . . . البيت

يعني شمر بن ذي الجوشن الضبابي ، والعشر أبطن لصلب كلاب ، وهم جعفر وأبو بكر واسمه عبيد ، ومعاوية ، وهو الضباب بن كلاب ، وعامر ، وربيعه ، والأضبط ، وعمرو ، وعبد الله ، ورؤاس (قيل بالفتح وواو بدل الهمز) ، وكعب . وقال العيني في شرح شواهد شروح الألفية (هامش ج ٤ من خزانة الأدب للبغدادى) : قائله رجل من بني كلاب ، يسمى النواح والشاهد في قوله « عشر أبطن » . وكان القياس « عشرة أبطن » ، لأن البطن مذكر ، لكنه كنى عن الأبطن بالقبائل ، بدليل قواه « من قبائلها العشر » .

ذهب بالبطن إلى القبيلة والفصيلة ، فلذلك جمع البطن بالتأنيث .
وكان آخرون من نحوئي الكوفة يقولون : إنما أنث الاثنتا عشرة ، والسبب : ذكر لذكر الأمم .

❖ والصواب من القول في ذلك عندي أن الاثنتي عشرة أنث لتأنيث القطعة . ومعنى الكلام : وقطعناهم
قطعا اثنتي عشرة ، ثم ترجم عن القطع بالأسباط ، وغير جائز أن تكون الأسباط منسرة عن الاثنتي
عشرة ، وهي جمع ، لأن التفسير فيما فوق العشر إلى العشرين بالتوحيد لا بالجمع ، والأسباط جمع
لا واحد ، وذلك كقولهم : عندي اثنتا عشرة امرأة ، ولا يقال : عندي اثنتا عشرة نسوة ، ففي ذلك
أن الأسباط ليست بتفسير للاثنتي عشرة ، وإن القول في ذلك على ما قلنا . وأما الأمم فالجماعات ، والسبب
في بني إسرائيل نحو القرن . وقيل : إنما فرقوا أسباطا : لاختلافهم في دينهم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ،
فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ، وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ
وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى ، كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى إذ فرقنا بني إسرائيل قومه ، اثنتي عشرة فرقة ، وتبيناهم في التيه
فاستسقوا موسى من العطش وغثور الماء (أن اضرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) وقد بينا السبب الذي كان قومه
استسقوه ، وبيدنا معنى الوحي بشواهد (فانبجست) فانصبت وانفجرت من الحجر (اثنتا عشرة
عيننا) من الماء (قد علم كل أناس) يعني : كل أناس من الأسباط الاثنتي عشرة (مشربهم)
لا يدخل سبط على غيره في شربه (وظللنا عليهم الغمام) يكنهم من حر الشمس وأذاها . وقد بيدنا
معنى الغمام فيما مضى قبل ، وكذلك المن والسلوى (وأنزلنا عليهم المن والسلوى) طعاما لهم
(كلوا من طيبات ما رزقناكم) يقول : وقلنا لهم : كلوا من حلال ما رزقناكم أيها الناس وطيبناه
لكم (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ، وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما
ظهر عما ترك ، وهو فأجمعوا ذلك وقالوا : لن نصبر على طعام واحد ، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي
ر خير (وما ظلمونا) يقول : وما أدخلوا علينا نقصا في ملكنا وسلطاننا بمسألهم ما سألوا ، وفعلهم
افعلوا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) : أي ينقصونها حظوظها باستبدالهم الأدنى بالخير ،
والأرذل بالأفضل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خِطْيَئِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضا يا محمد من خطأ فعل هؤلاء القوم ، وخلافهم على ربهم ، وعصيانهم نبيهم موسى عليه السلام ، وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم (اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) وهي قرية بيت المقدس (وَكُلُوا مِنْهَا) يقول : من ثمارها وحبوبها ونباتها (حَيْثُ شِئْتُمْ) منها يقول : أنى شئتم منها (وَقُولُوا حِطَّةٌ) يقول : وقولوا : هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا (نَغْفِرْ لَكُمْ) : يتغمد لكم ربكم ذنوبكم التي سلفت منكم ، فيعفو لكم عنها ، فلا يؤخذكم بها (سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) منكم ، وهم المطيعون لله على ما وعدتكم من غفران الخطايا . وقد ذكرنا الروايات في كل ذلك باختلاف المختلفين ، والصحيح من القول لدينا فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ
بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١١٢﴾

يقول تعالى ذكره : فغير الذين كفروا بالله منهم ، ما أمرهم الله به من القول ، فقالوا : وقد قيل لهم : قولوا هذه حطة ، حنطة في شعيرة ؛ وقولهم ذلك كذلك هو غير القول الذي قيل لهم قولوه ، يقول الله تعالى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ) : بعثنا عليهم عذابا أهلكتناهم بما كانوا يغيثون ما يؤمرون به ، فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله ، ويقولون غير الذي أمرهم الله بقيله . وقد بينا معنى الرجز فيما مضى .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ
تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ
نَبَّأُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٣﴾

يقول تعالى ذكره : وأسأل يا محمد هؤلاء اليهود وهم مجاوروك ، عن أمر القرية التي كانت حاضرة البحر ، يقول : كانت بحضرة البحر : أي بقرب البحر وعلى شاطئه .
واختلف أهل التأويل فيها ، فقال بعضهم : هي أيلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق : عن داود بن حصين ، عن عكرمة عن ابن عباس (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال : هي قرية يقال لها أيلة ، بين مدين والطور .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، في قوله (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال : سمعنا أنها أيلة .

حدثني سلام بن سالم الخزاعي ، قال : ثنا يحيى بن سليم الطائفي ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عكرمة ، قال : دخلت على ابن عباس والمصحف في حجره ، وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ، جعلني الله فداك ؟ فقال : ويلك ، وتعرف القرية التي كانت حاضرة البحر ؟ فقلت : تلك أيلة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ) قال : هي أيلة .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها أيلة .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : هم أهل أيلة ، القرية التي كانت حاضرة البحر .

حدثني الحرث ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال أيلة .

وقال آخرون : معناه : ساحل مدين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) . . . الآية ، ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر ، يقال لها أيلة .

وقال آخرون : هي مقنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال : هي قرية يقال لها مقنا بين مدين وعينوني .

وقال آخرون : هي مدين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : هي قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : هي قرية حاضرة البحر ، وجائز أن تكون أيلة ، وجائز أن تكون مدين ، وجائز أن تكون مقنا ٢ ، لأن كل ذلك حاضرة البحر ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقطع العذر بأن ذلك من أي ، والاختلاف فيه على ما وصفت ، ولا يوصل إلى علم ما قد كان ، ففضي مما لم نعاينه إلا بخبر يوجب العلم ، ولا خبر كذلك في ذلك .

وقوله (إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ) يعني به أهله : إذ يعتدون في السبت أمر الله ، ويتجاوزونه إلى ما حرمه الله عليهم ، يقال منه : عدا فلان أمري واعتدى : إذا تجاوزه ، وكان اعتداؤهم في السبت أن الله كان حرم عليهم السبت ، فكانوا يصطادون فيه السمك (إِذْ تَأْتِيهِمْ حِسْيَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا) :

(١) في معجم ما استعجم : عيون . وفي التاج : عيون ، ويقال عينوني . (٢) في تفسير القرطبي ٧ : ٣٠٥ : مقناة .

يقول : إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم الذي نهوا فيه عن العمل شرعا ، يقول : شارعة ظاهرة على الماء من كل طريق وناحية كشوارع الطرق .

كالذي حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعد ، عن بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك عن ابن عباس (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) يقول : ظاهرة على الماء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس (شرعا) يقول : من كل مكان .

وقوله (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ) يقول : ويوم لا يعظمونه تعظيمهم السبت ، وذلك سائر الأيام غير يوم السبت ، لا تأتيهم الحيتان (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) يقول : كما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء الذي ذكرنا بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده ، وإخفائها عنه في اليوم المحلل صيده ، كذلك نبلوهم ونختبرهم بما كانوا يفسقون ، يقول : بفسقهم عن طاعة الله ، وخروجهم عنها .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ) فقُرئ بفتح الياء من يسبتون من قول القائل : سبت فلان يسبت سبتا وسبوتا : إذا عظم السبت . وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ) بضم الياء من أسبت القوم يسبتون : إذا دخلوا في السبت ، كما يقال : أجمعنا مرت بنا جمعة ، وأشهرنا مرت بنا شهر ، وأسبتنا مرت بنا سبت ، ونصب يوم من قوله (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ) بقوله (لَا تَأْتِيهِمْ) ، لأن معنى الكلام : لا تأتيهم يوم لا يسبتون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ

وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضا يا محمد ، إذ قالت أمة منهم ، جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين في السبت ، وتنههم عن معصية الله فيه (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّهُ مُهْلِكُهُمْ) في الدنيا بمعصيتهم إياه ، وخلافهم أمره ، واستحلالهم ما حرم عليهم (أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) في الآخرة ، قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبينهم عن قولهم عظتنا إياهم ، (مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ) نؤدّي فرضه علينا في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يقول : ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه ، فينبؤوا إلى طاعته ، ويتوبوا من معصيتهم إياه ، وتعدّيه على ما حرم عليهم من اعتدائهم في السبت .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ) لسخطنا أعمالهم (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) : أي ينزعون عما هم عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْهَمُونَ) قال : يتركون هذا العمل الذي هم عليه .
واختلفت القراء في قراءة قوله (قَالُوا مَعذِرَةٌ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والكوفة والبصرة (مَعذِرَةٌ) بالرفع على ما وصفت من معناها : وقرأ ذلك بعض أهل الكوفة (مَعذِرَةٌ) نصباً ، بمعنى : إعدارا وعظناهم ، وفعلنا ذلك .
واختلف أهل العلم في هذه الفرقة التي قالت (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) هل كانت من الناجية ، أم من الهالكة ؟ فقال بعضهم : كانت من الناجية ، لأنها كانت من الناهية الفرقة الهالكة عن الاعتداء في السبت .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عبدالله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) هي قرية على شاطئ البحر بين مكة والمدينة ، يقال لها أيلة ، فحرّم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم ، فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرّعا في ساحل البحر ، فاذا مضى يوم السبت لم يقدرُوا عليها ، فكثروا بذلك ما شاء الله ، ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم ، فنهتهم طائفة وقالوا ، تأخذونها وقد حرّمها الله عليكم يوم سبتكم ، فلم يزدادوا إلا غيّا وعتوّا ، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم ، فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النّاهية : تعلمون أن هؤلاء قوم قد حقّ عليهم العذاب (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) وكانوا أشدّ غضبا لله من الطائفة الأخرى ، فقالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون ، وكلّ قد كانوا يهون فلما وقع عليهم غضب الله ، نجت الطائفتان اللتان قالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) ، والذين قالوا (مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ) ، وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان ، فجعلهم قردة وخنازير .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) . . . إلى قوله (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) وذلك أن أهل قرية كانت حاضرة البحر كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم ، يقول : إذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرّعا ، يعني من كلّ مكان (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) ، وأنهم قالوا : لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجيء ما يكفيننا فيما سوى ذلك من الأيام ، فوعظهم قوم مؤمنون ونهوههم . وقالت طائفة من المؤمنين : إن هؤلاء قوم قد هموا بأمر ليسوا بمنتهين دونه ، والله مخزيهم ، ومعذبهم عذابا شديدا . قال المؤمنون بعضهم لبعض (مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْهَمُونَ) إن كان هلاك فلعلنا ننجو ؛ وإما أن يذموا فيكون لنا أجرا ، وقد كان الله جعل على بني إسرائيل يوما يعبدونه ، ويتفرغون له فيه ، وهو يوم الاثنين ، فتعدّى الحيتان من الاثنين إلى السبت ، وقالوا : هو يوم السبت ، فنهاهم موسى ، فاختلفوا فيه ،

فجعل عليهم السبت ، ونهاهم أن يعملوا فيه ، وأن يعتدوا فيه ، وإن رجلا منهم ذهب ليحتطب ، فأخذه موسى عليه السلام ، فسأله : هل أمرك بهذا أحد ؟ فلم يجد أحدا أمره ، فرجعه أصحابه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال بعض الذين نهوهم لبعض (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ، أَوْ مَعْدِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) يقول : لم تعظونهم ، وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم ، فقال بعضهم (مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَقُون) .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا معاذ بن هاني ، قال : ثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مَعْدِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) قال : ما أدري أنجا الذين قالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) أم لا ؟ قال : فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا ، فكساني حلّة .

حدثني المثني ، قال : ثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قرأ ابن عباس ، هذه الآية ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال في حديثه : فما زلت أبصره حتى عرف أنهم قد نجوا .

حدثني سلام بن سالم الخزاعي ، قال : ثنا يحيى بن سليم الطائفي ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عكرمة ، قال : دخلت على ابن عباس والمصحف في حجره وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك جعلني الله فداءك ؟ قال : فقرأ (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) . . . إلى قوله (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) قال ابن عباس : لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت نخاف أن نكون مثلهم ، فقلت : أما تسمع الله يقول (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ) فسررى عنه وكساني حلّة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : ثنى رجل ، عن عكرمة ، قال : جئت ابن عباس يوما وهو يبكي ، وإذا المصحف في حجره ، فأعظمت أن أدنو ، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست ، فقلت : ما يبكيك يا ابن عباس ، جعلني الله فداءك ؟ فقال : هؤلاء الورقات ، قال : وإذا هو في سورة الأعراف ، قال : تعرف أيلة ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه كان حتى من يهود سبقت الحيتان إليهم يوم السبت ، ثم غاصت لا يقدرون عليها ، حتى يغوصوا بعد كدّ ومؤنة شديدة ، كانت تأتيهم يوم السبت شرعا ، بيضا سمانا ، كأنها الماخض ، تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيهم وأبنيهم ، فكانوا كذلك برهة من الدهر . ثم إن الشيطان أوحى إليهم ، فقال : إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت ، فخذوها فيه ، وكلوها في غيره من الأيام ، فقالت ذلك طائفة منهم ، وقالت طائفة منهم : بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها في يوم السبت ، وكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة ، فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها ، واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت ، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكنت ، وقال : الأيمنون الله ينهاكم عن أن تعترضوا لعقوبة الله ، وقال الأيسرون : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مَعْدِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ؟) قال : الأيمنون (مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَقُونَ) أي ينتهون ، فهو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا ، وإن لم ينتهوا فعذرة إلى ربكم ، فضوا

على الخطيئة ، فقال الأيمنون : قد فعلتم يا أعداء الله ، والله لانبأيتكم الليلة فى مدينتمكم ، والله ما نراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بنحسف أو قذف ، أو بعض ما عنده بالعذاب ؛ فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا ، فلم يجابوا ، فوضعوا سلما وأعلوا سور المدينة رجلا ، فالتفت إليهم فقال : أى عباد الله قرده والله تعاوى لها أذنان ، قال : ففتحوا فدخلوا عليهم ، فعرفت القرده أنسابها من الإنس ، ولا تعرف الإنس أنسابها من القرده ، فجعلت القروء تأتي نسيبها من الإنس ، فتشم ثيابه وتبكي ، فتقول لهم : ألم نهكم عن كذا ، فتقول برأسها نعم ، ثم قرأ ابن عباس (فَاكْمًا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ، أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ، وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بئس بما كانوا يفسقون) قال : فأرى اليهود الذين نهوا قد نجوا ، ولا أرى الآخرين ذكروا ، ونحن نرى أشياء ننكرها ، فلا نقول فيها ، قال : قلت : أى جعلنى الله فداك ، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوه ، وقالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ) قال : فأمر بى فكسيت بردين غليظين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) ذكر لنا أنه إذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان ، حتى تنتطح على سواحلهم ، وأفنيهم ، لما بلغها من أمر الله فى الماء ، فإذا كان فى غير يوم السبت بعُدت فى الماء حتى يطلبها طالبهم ، فأناهم الشيطان ، فقال : إنما حرم عليكم أكلها يوم السبت ، فاصطادوها يوم السبت واكلوها فيما بعد . قوله (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْقُونَ) فصار القوم ثلاثة أصناف : أما صنف ، فأمسكوا عن حرمة الله ، ونهوا عن معصية الله . وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبة لله . وأما صنف فأنتهك الحرمة ، ووقع فى الخطيئة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم : قال : ثنا عيسى . عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قول الله (حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قال : حرمت عليهم الحيتان يوم السبت ، وكانت تأتيمهم يوم السبت شرعا ، بلاء ابتلوا به ، ولا تأتيمهم فى غيره إلا أن يطلبوها بلاء أيضا بما كانوا يفسقون ، فأخذوها يوم السبت استحلالا ومعصية ، فقال الله لهم : كونوا قرده خاسئين ، إلا طائفة منهم لم يعتدوا ونهوه ، فقال بعضهم لبعض : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) . . . حتى بلغ (وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْقُونَ) لعلمهم يتركون ما هم عليه ، قال : كانوا قد بلوا بكف الحيتان عنهم ، وكانوا يسبتون فى يوم السبت ، ولا يعملون فيه شيئا ، فإذا كان يوم السبت أتيمهم الحيتان شرعا ، وإذا كان غير يوم السبت لم يأت حوت واحد ، قال : وكانوا قوما قد قرنوا بحب الحيتان ، ولقوا منه بلاء ، فأخذ رجل منهم حوتا ، فربط فى ذنبه خيطا ، ثم ربطه إلى خسفة ، ثم تركه فى الماء ، حتى إذا غربت الشمس من يوم الأحد اجتره بالخيط ، ثم شواه ، فوجد جاره

ريح حوت ، فقال : يا فلان إني أجد في بيتك ريح نون ، فقال : لا ، قال : فتطلع في تنوره فإذا هو فيه فأخبره حينئذ الخبر ، فقال : إني أرى الله سيعذبك ، قال : فلما لم يره عجل عذاباً ؛ فلما أتى السبت الآخر ، أخذ اثنين فربطهما ، ثم اطلع جار له عليه ؛ فلما رآه لم يعجل عذاباً جعلوا يصيدونه ، فاطلع أهل القرية عليهم ، فنهاهم الذين يهون عن المنكر ، فكانوا فرقتين : فرقة تنهاهم وتكف ، وفرقة تنهاهم ولا تكف . فقال الذين نهوا وكفوا للذين يهون ولا يكفون (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) فقال الآخرون (مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) فقال الله (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) . . . إلى قوله (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) قال الله (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ ، قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) وقال لهم أهل تلك القرية : عملتم بعمل سوء ، من كان يريد يعتزل ويتطهر فليعتزل هؤلاء ، قال : فاعتزل هؤلاء وهؤلاء في مدينتهم ، وضربوا بينهم سورا ، فجعلوا في ذلك السور أبواباً يخرج بعضهم إلى بعض ؛ قال : فلما كان الليل طرقتهم الله بعذابه ، فأصبح أولئك المؤمنون لا يرون منهم أحداً ، فدخلوا عليهم ، فإذا هم قرود ، الرجل وأزواجه وأولاده ، فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه ، فيقولون : يا فلان ألم نحدرك سطوات الله ؟ ألم نحدرك نقيمات الله ؟ ونحدرك ونحدرك ؟ قال : فليس إلا بكاء ، قال : وإنما عذب الله الذين ظلموا الذين أقاموا على ذلك . قال : وأما الذين نهوا فكلهم قد نهى ، ولكن بعضهم أفضل من بعض فقرأ (أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ، وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحارثي ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قرأ ابن عباس هذه الآية (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) قال : لأدري أنجا القوم أو هلكوا ، فآلت أبصره حتى عرف أنهم نجوا ، وكساني حلة .

حدثني يونس ، قال : أخبرني أشهب بن عبد العزيز : عن مالك ، قال : زعم ابن رومان أن قوله (تَأْتِيهِمْ حِيَتَانِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) قال : كانت تأتيتهم يوم السبت ، فإذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شيء إلى السبت . فاتخذ لذلك رجل منهم خيطاً ووتداً ، فربط حوتا منها في الماء يوم السبت ، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه ، فوجد الناس ريحه ، فأتوه فسألوه عن ذلك ، فجحدهم ، فلم يزالوا به حتى قال لهم : فإنه جلد حوت وجدناه ؛ فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ، ولا أدري لعله قال : ربط حوتين ، فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه فاشتواه ، فوجدوا ريحه ، فجاءوا فسألوه ، فقال لهم : لو شئتم صنعتم كما أصنع ، فقالوا له : وما صنعت ، فأخبرهم ، ففعلوا مثل ما فعل ، حتى كثر ذلك ، وكانت لهم مدينة لها ربض ، فغلقوها عليهم ، فأصابهم من المسخ ما أصابهم ، فغدا إليهم جيرانهم ممن كان يكون حولهم . يطابرون منهم ما يطلب الناس : فوجدوا المدينة مغلقة عليهم ،

فنادوا فلم يجيبوهم ، فتسوروا عليهم ، فإذا هم قردة ، فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ، ويتمسح به .

وقال آخرون : بل الفرقة التي قالت (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) كانت من الفرقة الهالكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) . . . إلى قوله (شُرْعًا) قال : قال ابن عباس : ابتدعوا السبت ، فابتلوا فيه ، فحرمت عليهم فيه الحيتان ، فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر ، فإذا انقضى السبت ذهبت ، فلم تر حتى السبت المقبل ، فإذا جاء السبت جاءت شرعا ، فكثروا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ، ثم إن رجلا منهم أخذ حوتا فخرم أنفه ، ثم ضرب له وتدا في الساحل ، وربطه وتركه في الماء ؛ فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ، ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ، ولا ينهاهم أحد ، إلا عصبه منهم نهوه ، حتى ظهر ذلك في الأسواق وفعل علانية ، قال : فقالت طائفة للذين ينهون (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ، قَالُوا مَعذْرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ) في سخطنا أعمالهم (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ) . . . إلى قوله (قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) قال ابن عباس : كانوا أثلاثا : ثلث نهوا ، وثلث قالوا : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) ، وثلث أصحاب الخطيئة ، فما نجا إلا الذين نهوا ، وهلك سائرهم ، فأصبح الذين نهوا عن سوء ذات يوم في مجالسهم يتفقدون الناس لا يرونهم ، فغلقوا عليهم دورهم ، فجعلوا يقولون : إن للناس لشأنا ، فانظروا ما شأنهم ، فاطلعوا في دورهم ، فإذا القوم قد مسخوا في ديارهم قردة يعرفون الرجل بعينه ، وإنه لقرد ، ويعرفون المرأة بعينها وإنها لقردة ، قال الله (فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ، وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (أُنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) . . . الآية ، قال ابن عباس : نجا الناهون ، وهلك الفاعلون ، ولا أدري ما صنع بالساكيتين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) قال : هم ثلاث فرق : الفرقة التي وعظت ، والموعوظة التي وعظت ، والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة ، وهم الذين قالوا (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) . وقال الكلبي : هما فرقتان : الفرقة التي وعظت ، والفرقة التي قالت : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) قال : هي الموعوظة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن

عباس، قال: لأن أكون علمت من هؤلاء الذين قالوا (لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) أحب إلى مما عدل به .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، قال: قال ابن عباس (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) قال: أسمع الله يقول (أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَشِيرٍ) فليت شعري ما فعل هؤلاء الذين قالوا (لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن ما هان الحنفى أبو صالح، في قوله (تَأْتِيهِمْ حِيَتَانِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا، وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) قال: كانوا في المدينة التي على ساحل البحر، وكانت الأيام ستة، الأحد إلى الجمعة، فوضعت اليهود يوم السبت، وسببته على أنفسهم، فسبته الله عليهم، ولم يكن السبت قبل ذلك، فوكدته الله عليهم، وابتلاهم فيه بالحيثان، فجعلت تشرع يوم السبت، فيتقون أن يصيبوا منها، حتى قال رجل منهم: والله ما السبت بيوم وكدته الله علينا، ونحن وكدناه على أنفسنا، فلو تناولت من هذا السمك، فتناول حوتا من الحيثان، فسمع بذلك جاره، فخاف العقوبة فهرب من منزله؛ فلما مكث ما شاء الله ولم تصبه عقوبة تناول غيره أيضا في يوم السبت، فلما لم تصبهم العقوبة كثر من تناول في يوم السبت، واتخذوا يوم السبت وليلة السبت عيدا يشربون فيه الخمر، ويلعبون فيه بالمعازف، فقال لهم خيارهم وصلاحاؤهم: ويحكم، انتهوا عما تفعلون، إن الله مهلككم أو معذبكم عذابا شديدا، أفلا تعقلون، ولا تعدوا في السبت، فأبوا، فقال خيارهم: نضرب بيننا وبينهم حائطا، ففعلوا، وكان إذا كان ليلة السبت تأذوا بما يسمعون من أصواتهم وأصوات المعازف: حتى إذا كانت الليلة التي مسخوا فيها، سكنت أصواتهم أول الليل، فقال خيارهم: ما شأن قومكم قد سكنت أصواتهم الليلة؟ فقال بعضهم: لعل الخمر غلبتهم فناموا؛ فلما أصبحوا لم يسمعوا لهم حسا، فقال بعضهم لبعض: مالنا لا نسمع من قومكم حسا، فقالوا لرجل اصعد الحائط، وانظر ما شأنهم، فصعد الحائط فرآهم يمجج بعضهم في بعض، قد مسخوا قرده، فقال لقومه: تعالوا فانظروا إلى قومكم ما لقوا، فصعدوا، فجعلوا ينظرون إلى الرجل، فيتوسمون فيه، فيقولون: أي فلان أنت فلان، فيومئ بيده إلى صدره: أي نعم بما كسبت يداي .

حدثني يعقوب وابن وكيع، قالوا: ثنا ابن عليه، عن أيوب قال: تلا الحسن ذات يوم (وَاسْتَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ، إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا، وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) فقال: كان حوتا حرمة الله عليهم في يوم وأحله لهم فيما سوى ذلك، فكان يأتيهم في اليوم الذي حرمة الله عليهم كأنه الخاض لا يمتنع من أحد، وقلما رأيت أحدا يكثر الاهتمام بالذنب إلا واقعه، قال: فجعلوا يهمون ويمسكون حتى أخذوه، فأكلوا أو ختم أكلة أكلها قوم قط، أثقله خزيا في الدنيا، وأشدّه عقوبة في الآخرة، وإيم الله

ماحوت أخذه قوم فأكلوه ، أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن ، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت ، ولكن الله جعل موعد قوم الساعة ، والساعة أدهى وأمر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن أبي موسى ، عن الحسن ، قال : جاءتهم الحيتان أتشرع في حياضهم كأنها المخاض ، فأكلوا والله أوحى أكلة أكلها قوم قط ، أسوأه عقوبة في الدنيا ، وأشدّه عذابا في الآخرة . وقال الحسن : وقتل المؤمن والله أعظم من أكل الحيتان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : كنت جالسا في المسجد ، فإذا شيخ قد جاء وجلس الناس إليه ، فقالوا هذا من أصحاب عبد الله بن مسعود ، فقال : قال ابن مسعود (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ انْقِرَاطِ النَّارِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) . . . الآية ، قال : لما حرم عليهم السبت كانت الحيتان تأتي يوم السبت ، وتأمين وتجيء فلا يستطيعون أن يمسوها ، وكان إذا ذهب السبت ذهبت ، فكانوا يتصيدون كما يتصيد الناس ؛ فلما أرادوا أن يعدوا في السبت ، اصطادوا ، فنهاهم قوم من صالحهم ، فأبوا ، وكثرهم الفجار ، فأراد الفجار قتالهم ، فكان فيهم من لا يشتهون قتاله ، أبوا أحدهم وأخوه أو قريبه ؛ فلما نهوهم وأبوا ، قال الصالحون : إنا نباينهم ، وإنا نجعل بيننا وبينهم حائطا ، ففعلوا ، فلما فقدوا أصواتهم ، قالوا : لو نظرتم إلى إخوانكم ما فعلوا ؟ فنظروا فإذا هم قد مسحوا قرده ، يعرفون الكبير بكبره ، والصغير بصغره ، فجمعوا ليكون إليهم ، وكان هذا بعد موسى صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِيسٍ بِمَا كَانُوا

يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾

يقول تعالى ذكره : فلما تركت الطائفة التي اعتدت في السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه ، وضيعت ما وعظتها الطائفة الواعظة ، وذكرتها ما ذكرتها به من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها ، فتقدمت على استحلال ما حرم الله عليها ، أنجى الله الذين ينهون منهم عن السوء ، يعني عن معصية الله ، واستحلال حرمه (وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : وأخذ الله الذين اعتدوا في السبت ، فاستحلوا فيه ما حرم الله من صيد السمك وأكله ، فأحل بهم بأسه : وأهلكهم (بِعِيسٍ) شديد (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) يخالفون أمر الله ، فيخرجون من طاعته إلى معصيته ، وذلك هو الفسق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، في قوله (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) قال : فلما نسوا موعظة المؤمنين إياهم ، الذين قالوا (لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا) .

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا حرمي ، قال : ثني شعبة ، قال : أخبرني عمارة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) قال : ياليت شعري ما السوء الذي نهوا عنه .
وأما قوله (بَعْدَ أَبِ بَيْسٍ) فان القراء اختلفت في قراءته ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (بَعْدَ أَبِ بَيْسٍ) بكسر الباء وتخفيف الياء بغير همز ، على مثال فعل ، وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة (بَعْدَ أَبِ بَيْسٍ) على مثل فعيل من البؤس ، بنصب الباء وكسر الهمزة ومدّها ، وقرأ ذلك كذلك بعض المكيين ، غير أنه كسر باء (بَيْسٍ) على مثال فعيل ، وقرأه بعض الكوفيين (بَيْسٍ) بفتح الباء ، وتسكين الياء ، وهمزة بعدها مكسورة ؛ على مثال « فَيَعْلِلِ » وذلك شاذّ عند أهل العربية ، لأن فعل إذا لم يكن من ذوات الياء والواو ، فالفتح في عينه التخصيص في كلام العرب ، وذلك مثل قولهم في نظيره من السالم : صيقل ، ونيرب ، وإنما تكسر العين من ذلك في ذوات الياء والواو ، كقولهم : سيد ، وميت .
وقد أنشد بعضهم قول امرئ القيس بن عابس الكندي :

كِلَاهُمَا كَانَ رَثِيصًا بَيْسِيًّا يَضْرِبُ فِي يَوْمِ الْهِيَاجِ الْقَوْنَسَا

بكسر العين من فعيل ، وهي الهمزة من بَيْسٍ ، فلعل الذي قرأ ذلك كذلك قرأه على هذه ، وذكر عن آخر من الكوفيين أيضا أنه قرأه (بَيْسٍ) نحو القراءة التي ذكرناها قبل هذه ، وذلك بفتح الباء وتسكين الياء وفتح الهمزة بعد الياء على مثال فعيل مثل صيقل . وروى عن بعض البصريين أنه قرأه بَيْسٍ بفتح الباء وكسر الهمزة على مثال فعيل ، كما قال ابن قيس الرقيات :

لَيْتَنِي أَلْقَى رُقِيَّةً فِي خَلْوَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا بَيْسٍ^٢

وروى عن آخر منهم أنه قرأ بَيْسٍ بكسر الباء وفتح السين على معنى بئس العذاب .
* وأولى هذه القراءات عندي بالصواب ، قراءة من قرأه (بَيْسٍ) بفتح الباء وكسر الهمزة ومدّها على مثال فعيل ، كما قال ذو الأصبع العدواني :

حَنَّاقًا عَلِيًّا وَلَنْ تَرَى لِي فِيهِمْ أَثْرًا بَيْسِيًّا^٣

(١) في تاج العروس : البياس كفيعل : الشديد . والأسد ، كالبهمن لشدته ، وعذاب بئس بالكسر (للهمزة) ، وبئس كأمر ، وبئس : كجبال : شديد . وفي التنزيل العزيز : « بعذاب بئس بما كانوا يفسقون » ، قرأ أبو عمرو وعاصم والكسائي وحمزة : « بعذاب بئس » كأمر . وقرأ ابن كثير « بئس » على فعيل بالكسر . وكذلك قرأها شبل وأهل مكة . وقرأها ابن عامر : « بئس » على « فعل » بالهمزة والكسر . وقرأها نافع وأهل المدينة « بئس » بغير همزة ، ونقل القرطبي فيها (٧ : ٣٠٨) إحدى عشرة قراءة .
(٢) البيت أورده العيني في شواهد الكبرى « هامش خزنة الأدب للبغدادي ٤ : ٣٧٩ » ولم يشرحه ، وبعده بيت آخر من شواهد النحويين ، وهو قوله :

كَيْتَ لَيْتَقْضِيَنِي رُقِيَّةً مَاءً وَعَدَّتْنِي غَمِيرٌ مُخْتَلَسٌ

ولم أجد في ديوانه غير مطلع القصيدة ص ٢٦٧ . وأوردتها البغدادي في خزنة الأدب (٣ : ٥٨٧) . وفي روايته : « من غير ما أنس » والأنسي بالتحريك لغة في الإنس بكسر الهمزة وسكون النون ، والأنس أيضا : الحى المقيمون . وأما رواية المؤلف : « من غير ما بئس » بفتح الباء وكسر الهمزة فهي لغة في البأس ، بفتح الباء وسكون الهمزة ، بمعنى الشدة ، كما في لسان العرب .
(٣) الحق : النيفظ . والبئس : الشايد . وانظر تفسير القرطبي (٧ : ٣٠٨) فقد نقل فيها إحدى عشرة قراءة .

لأن أهل التأويل أجمعوا على أن معناه شديد ، فدل ذلك على صحة ما اخترنا .
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرني رجل عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ) : ألم وجيع .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بَعْدَ آبِ بَيْسٍ) قال : شديد .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بَعْدَ آبِ بَيْسٍ) : ألم شديد .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بَعْدَ آبِ بَيْسٍ) قال : موجه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (بَعْدَ آبِ بَيْسٍ) قال : بعداب شديد .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَنَاهُ وَعَنهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٦﴾

يقول تعالى ذكره : فلما تمردوا فيما نهوا عنه من اعتدائهم في السبت ، واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك وأكله وتمادوا فيه (قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) : أي بعداء من الخير .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ) يقول : لما مرد القوم على المعصية (قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) فصاروا قردة لها أذنان تعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) فجعل الله منهم القردة والخنازير ، فزعم أن شباب القوم صاروا قردة ، وأن المشيخة ا صاروا خنازير .
حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن السدي ، عن أبي مالك أو سعيد بن جبير ، قال : رأى موسى عليه السلام رجلا يحمل قصبا يوم السبت ، فضرب عنقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ

الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾

(١) المشيخة : جمع شيخ ، وهو الطاعن في السن .

❖ يعني جل ثناؤه بقوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ) واذكر يا محمد إذ أذن ربك فأعلم ، وهو تفعل من الإيدان ، كما قال الأعشى ميمون بن قيس :

آذَنَ الْيَوْمَ جَيْرَتِي بِخُفُوفٍ صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفٍ

يعني بقوله آذن : أعلم ، وقد بينا ذلك بشواهد في غير هذا الموضع .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ) قال : أمر ربك .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ) قال : أمر ربك .

وقوله (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ) يعني : أعلم ربك ليعتقن على اليهود من يسومهم سوء العذاب ، قيل : إن ذلك العرب بعثهم الله على اليهود يقاتلون من لم يسلم منهم ، ولم يعط الجزية ، ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صغارا وذلة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى بن إبراهيم وعلى بن داود قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : هي الجزية ، والذين يسومونهم : محمد صلى الله عليه وسلم وأمه إلى يوم القيامة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) فهي المسكنة ، وأخذ الجزية منهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : يهود وما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : فبعث الله عليهم هذا الحى من العرب ، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة .

(١) البيت للأعشى ميمون أبو بصير (ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ص ٣١٣) وآذن بالشيء : أعلم به ، ومنه قول الحارث بن حلزة : «آذنتنا بينها أسماء» أي أعلمتنا . والخفوف : سرعة الذهاب في الرحيل . وصرموا : قطعوا ، وآلف مألوف : محب محبوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ) قال : بعث عليهم هذا الحي من العرب ، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة . وقال عبد الكريم الجزري : يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ) قال : العرب (سُوءَ الْعَذَابِ) قال : الحجاج . وأول من وضع الحجاج موسى عليه السلام ، فجبي الحجاج سبع سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ) قال : العرب (سُوءَ الْعَذَابِ) قال : الحجاج . وأول من وضع الحجاج موسى ، فجبي الحجاج سبع سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : هم أهل الكتاب ، بعث الله عليهم العرب يجبونهم الحجاج إلى يوم القيامة ، فهو سوء العذاب ، ولم يجب نبي الحجاج قط إلا موسى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة ثم أمسك ، وإلا النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : يعث عليهم هذا الحي من العرب ، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة . قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرني عبد الكريم ، عن ابن المسيب ، قال : يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) يقول : إن ربك يعث على بني إسرائيل العرب ، فيسومونهم سوء العذاب : يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ليعثن على يهود .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ : يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد لسريع عقابه إلى من استوجب منه العقوبة على كفره به ومعصيته له (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : وإنه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه ، فأنا ب ، وراجع طاعته يستر عليها بعفوه عنها ، رحيم له أن يعاقبه على جرمه بعد توبته منها ، لأنه يقبل التوبة ويقبل العثرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَطَعْنَا فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وفرقنا بني إسرائيل في الأرض أما ، يعني جماعات شتى متفرقين .
 كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ،
 عن ابن عباس (وَقَطَعْنَاَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا) قال : في كل أرض يدخلها قوم من اليهود .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
 (وَقَطَعْنَاَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا) قال : يهود .
 وقوله (مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ) يقول : من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله من بني إسرائيل الصالحون ،
 يعني : من يؤمن بالله ورسوله (وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ) يعني : دون الصالح ، وإنما وصفهم الله جل ثناؤه
 بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم ، وقبل كفرهم بربهم ، وذلك قبل أن يُبعث فيهم عيسى بن
 مريم صلوات الله عليه .
 وقوله (وَبَيَّأُونَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : واختبرناهم بالرخاء
 في العيش ، والخلف في الدنيا ، والدعة والسعة في الرزق ، وهي الحسنات التي ذكرها جل ثناؤه . ويعني
 بالسيئات : الشدة في العيش ، والشظف فيه ، والمصائب والرزايا في الأموال (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)
 يقول : ليرجعوا إلى طاعة ربهم ، وينيبوا إليها ، ويتوبوا من معاصيه .
 القول في تأويل قوله تعالى :

**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْنِهِمْ
 عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا
 فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦١﴾**

❖ يقول تعالى ذكره : فخلف من بعد هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم خلف يعني خلف سوء ، يقول :
 حدث بعدهم وخلافهم ، وتبدل منهم بدل سوء ، يقال منه : هو خلف صدق ، وخلف سوء ، وأكثر
 ما جاء في المدح بفتح اللام ، وفي الذم بتسكينها ، وقد تحرك في الذم ، وتسكن في المدح ، ومن ذلك
 في تسكينها في المدح قول حسان :

لنا القَدَمُ الأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَفْنَا لِأَوْلَانَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعُ
 وأحسب أنه إذا وجه إلى الفساد مأخوذ من قولهم : خلف اللبن : إذا حمض من طول تركه في السقاء حتى

(١) البيت لحسان بن ثابت ، أنشده صاحب اللسان في « خلف » شاهدا على أن الخلف بسكون اللام بمعنى الباقي بعد الهالك ، قال :
 ويكون محمودا ومذموما ، فشاهد المحمود قول حسان : لنا القدم . . . البيت . فالخلف ههنا : هو التابع لمن مضى ، وليس من معنى
 الخلف ، الذي هو البدل . قال : وقيل الخلف هنا : المتخلفون عن الأولين : أى الباقون . وعليه قوله عز وجل : « فخلف من بعدهم
 خلف » فسمى بالمصدر . فهذا قول ثعلب . قال : وهو الصحيح . قال : وشاهد المذموم قول لبيد : « وبقيت في خلف كجلد الأجر ب »

يفسد ، فكأنَّ الرجلَ الفاسدَ مشبَّهٌ به ، وقد يجوز أن يكون منه قولهم : خَلَّفَ فَمِ الصَّائِمُ : إذا تغيَّرت ريحُه . وأما في تسكين اللام في الدم ، فقول لبيد :
 ذَهَبَ الَّذِينَ يَعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
 وقيل : إن الخلف الذي ذكر الله في هذه الآية ، أنهم خلفوا من قبلهم ، هم النصارى .
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (فَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ) قال : النصارى .
 والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله تعالى إنما وصف أنه خلف القوم الذين قصَّ قصصهم في الآيات التي مضت خلف سوء رديء ، ولم يذكر لنا أنهم نصارى في كتابه ، وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى . وبعد ، فإن ما قبل ذلك خبر عن بني إسرائيل وما بعده كذلك ، فما بينهما بأن يكون خبراً عنهم أشبه ، إذ لم يكن في الآية دليل على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم ، ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به .

فتأويل الكلام إذن : فتبدل من بعدهم بدَّلُ سوء . ورثوا كتاب الله : تعلموه ، وضيعوا العمل به ، فخالفوا حكمه يَرْتَشُونَ في حكم الله ، فيأخذون الرشوة فيه من عرض هذا العاجل الأدنى ، يعني بالأدنى : الأقرب من الآجل الأبعد ، ويقولون : إذا فعلوا ذلك إن الله سيغفر لنا ذنوبنا تمنيًا على الله الأباطيل ، كما قال جل ثناؤه فيهم (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) .
 (وَإِنْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَرَّضْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالْزِينَةِ وَالْمَقَادِيرِ الَّتِي اتَّخَذْتُمْ لِلذَّنْبِ عَرَضًا فَاصْبِرُوا لَهُمْ إِنَّ الصَّالِينَ لِيُسْمِعُونَ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ وَهُمْ يُحِيطُونَ بِمَا يَكْفُرُونَ لَئِنْ تَوَلَّوْا لَيَسْخَرَنَّ مِنْكُمْ السَّخِرُونَ وَلَيَكْفُرَنَّ عَنْكُمْ وَلَيَأْتِيَنَّكُمْ السَّاعَةُ وَالَّذِينَ يَدَّبَحُوا عُقْبَهُمْ لَيَسْخَرَنَّ مِنْهُمْ السَّخِرُونَ وَلَيَكْفُرَنَّ عَنْهُمْ وَلَيَكُونَنَّ لَكُمْ يَوْمَ تَبُورِ الْكُفْرَانِ الْيَوْمَ يَكْفُرُ الْأَكْثَرُونَ) .
 ذلك أخذوه واستحلوه ، ولم يرتدعوا عنه . يخبر جل ثناؤه عنهم أنهم أهل إصرار على ذنوبهم ، وليسوا بأهل إنابة ولا توبة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل وإن اختلفت عنه عباراتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن المقدم ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن سعيد بن جبیر ، في قوله (يَا أَخْدُونَ عَرَّضْ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ، وَإِنْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَرَّضْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالْزِينَةِ وَالْمَقَادِيرِ الَّتِي اتَّخَذْتُمْ لِلذَّنْبِ عَرَضًا فَاصْبِرُوا لَهُمْ إِنَّ الصَّالِينَ لِيُسْمِعُونَ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ وَهُمْ يُحِيطُونَ بِمَا يَكْفُرُونَ لَئِنْ تَوَلَّوْا لَيَسْخَرَنَّ مِنْكُمْ السَّخِرُونَ) .
 قال : يعملون الذنب ثم يستغفرون الله ، فإن عرض ذلك الذنب أخذوه .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سعيد بن جبیر ، (وَإِنْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَرَّضْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالْزِينَةِ وَالْمَقَادِيرِ الَّتِي اتَّخَذْتُمْ لِلذَّنْبِ عَرَضًا فَاصْبِرُوا لَهُمْ إِنَّ الصَّالِينَ لِيُسْمِعُونَ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ وَهُمْ يُحِيطُونَ بِمَا يَكْفُرُونَ لَئِنْ تَوَلَّوْا لَيَسْخَرَنَّ مِنْكُمْ السَّخِرُونَ) . قال : من الذنوب .

(١) البيت للبيد بن ربيعة (اللسان : خلف) ، وقد سبقت الإشارة إليه في شرح بيت حسان بن ثابت . ولم أجده في ديوان لبيد طبع ليدن سنة ١٨٩١ م ، ولا في ملحقاته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير (يَاخُذُونَ عَرَضَ هَذَا
الْأُدْتَنِي وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) قال : يعملون بالذنوب (وَإِنْ يَا تِهِمُ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَاخُذُوهُ) :
قال : ذنب آخر يعملون به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير (يَاخُذُونَ
عَرَضَ هَذَا الْأُدْتَنِي) قال : الذنوب (وَإِنْ يَا تِهِمُ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَاخُذُوهُ) قال : الذنوب .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
(يَاخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأُدْتَنِي) قال : ما أشرف لهم من شيء في اليوم من الدنيا حلال أو حرام
يشتهونه أخذوه ، ويبتغون المغفرة ، فإن يجدوا الغد مثله يأخذوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا
أنه قال : يتمنون المغفرة .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (يَاخُذُونَ عَرَضَ هَذَا
الْأُدْتَنِي) قال : لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه ، حلالا كان أو حراما ، ويتمنون المغفرة (وَيَقُولُونَ
سَيُغْفَرُ لَنَا) وإن يجدوا عرضا مثله يأخذوه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ) : أي والله خلف سوء ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسولهم ، ورثهم الله وعهد إليهم ، وقال
الله في آية أخرى (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ) قال : (يَاخُذُونَ
عَرَضَ هَذَا الْأُدْتَنِي وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) تمنوا على الله أمانى وغرة يفترون بها (وَإِنْ يَا تِهِمُ
عَرَضٌ مِثْلُهُ) لا يشغلهم شيء عن شيء ، ولا ينههم عن ذلك ، كلما أشرف لهم شيء من الدنيا أكلوه
لا يبالون حلالا كان أو حراما .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَاخُذُونَ عَرَضَ
هَذَا الْأُدْتَنِي) قال : يأخذونه إن كان حلالا وإن كان حراما (وَإِنْ يَا تِهِمُ عَرَضٌ مِثْلُهُ) قال :
إن جاءهم حلال أو حرام أخذوه .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله
(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ) . . . إلى قوله (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) قال : كانت بنو إسرائيل
لا يستقضون قاضيا ، إلا ارتشى في الحكم ، وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن
لا يفعلوا ، ولا يرتشوا ، فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتشى ، فيقال له : ما شأنك ترتشى في الحكم ،
فيقول : سيغفر لي ، فيطعن عليه البقية الآخرون من بنو إسرائيل فيما صنع ، فإذا مات أو نزع ، وجعل
مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشى ، يقول : وإن يأت الآخري عرض الدنيا يأخذوه . وأما عَرَضُ
لَأُدْتَنِي ، فعرض الدنيا من المال .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس

قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ، يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) يقول : يأخذون ما أصابوا ، ويتركون ما شاءوا من حلال أو حرام ، ويقولون : سيغفر لنا : وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى) قال : الكتاب الذي كتبوه ، ويقولون (سَيُغْفَرُ لَنَا) لانشرک بالله شيئاً (وَأِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) يأتهم الحق برشوه ، فيخرجوا له كتاب الله ، ثم يحكموا له بالرشوة ، وكان الظالم إذا جاءهم برشوة أخرجوا له المثناة ، وهو الكتاب الذي كتبوه ، فحكموا له بما في المثناة بالرشوة ، فهو فيها حق ، وهو في التوراة ظالم ، فقال الله : (أَلَمْ يُوْخِذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبیر ، قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى) قال : يعملون بالذنوب (وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) قال : الذنوب .
القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يُوْخِذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ، وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في أحكامهم ، القائلين : سيغفر الله لنا فعلنا هذا ، إذا عوتبوا على ذلك ميثاق الكتاب ، وهو أخذ الله العهود على بني إسرائيل بإقامة التوراة ، والعمل بما فيها ، فقال جل ثناؤه لهؤلاء الذين قص قصتهم في هذه الآية موبخاً لهم على خلافهم أمره ، ونقضهم عهده وميثاقه ، ألم يأخذ الله عليهم ميثاق كتابه ، (أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) ولا يضيفوا إليه إلا ما أنزله على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم في التوراة ، وأن لا يكذبوا عليه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (أَلَمْ يُوْخِذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) قال : فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها .

وأما قوله (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) فإنه معطوف على قوله (وَرِثُوا الْكِتَابَ) ومعناه : فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ، ودرسوا ما فيه . ويعنى بقوله (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) قرءوا ما فيه ، يقول : ورثوا الكتاب فعملوا ما فيه ودرسوه ، فضيعوه وتركوا العمل به ، وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) قال : علموه وعلموا ما في الكتاب الذي ذكر الله ، وقرأ (بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ - وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) يقول جل ثناؤه : وما في الدار الآخرة ، وهو ما في المعاد عند الله مما أعد لأولياته ، والعاملين بما أنزل في كتابه ، المحافظين على حدوده ، خير للذين يتقون الله ، ويخافون عقابه ، فيراقبونه في أمره ونهيه ، ويطيعونه في ذلك كله في دنياهم (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يقول : أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون عرض هذا الأدنى على أحكامهم ، ويقولون سيغفر لنا ، أن

وقال : يعنى بقوله : ينتق : يرفعها عن ظهره . وبقول الآخر : **وَنَسْتَقُوا أَحْلَامَنَا الْأَثَاقِلَا**

وقد حكى عن قائل هذه المقالة قول آخر ، وهو أن أصل النتق والنتوق : كل شئء قلعته من موضعه ، فرميت به ، يقال منه : نتقت نتقا ، قال : ولهذا قيل للمرأة الكبيرة : ناتق لأنها ترمى بأولادها رميا ، واستشهد بيت النابغة :

لَمْ يُحْرَمُوا حُسْنَ الْغِذَاءِ وَأُمَّهُمْ دَحَقَّتْ عَلَيْكَ بِنَاتِقٍ مِدْكَارٍ ٢

وقال آخر : معناه في هذا الموضع : رفعناه . وقال : قالوا : نتقنى السير : حركنى . وقال : قالوا : ما نتق برجله لا يركض ، والنتق : نتق الدابة صاحبها حين تعدو به وتتعبه حتى يربو ، فذلك النتق والنتوق ، ونتاجى الدابة ، ونتاجت المرأة نتقا نتوقا : كثر ولدها . وقال بعض الكوفيين : نتقنا الجبل : علقنا الجبل فوقهم فرفعناه ننتقه نتقا وامرأة منتاق : كثيرة الولد ، قال : وسمعت أخذ الجراب ونتاج مافيه : إذا نثر مافيه . القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم ، فقرّرهم بتوحيده ، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك ، وإقرارهم به .

كما حدثني أحمد بن محمد الطوسى ، قال : ثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن

= اقتلع من مكانه . ونتاجت الدابة راكبها ، وبراكبها ننتق (بضم التاء وكسرها) نتقا ونتاجا: إذا نزته وألعبته ، حتى يأخذه لذلك ربو . ثم قال : وكان نتق الجبل أن قطع منه شئء على قدر عسكر موسى ، فأظل عليهم ، قال لهم موسى : إما أن تقبلوا التوراة ، وإما أن يسقط عليكم . والقتد : خشب الرحل ؛ وقيل : هو من أدوات الرحل . وقيل : جميع أدواته . والجمع : أقتاد وأقتد وفتود . والشليل والشلل : الدرع ، أو غلالة تلبس فوق الدرع . وقيل : ما يلبس تحت الدرع من درع صغيرة أو ثوب . وقيل : هى الدرع ما كانت .

(١) البيت أحد أبيان ثلاثة أنشدها في (اللسان : نتق) من مشطور الرجز قالها شاعر ، وهى :

فَدَدٌ جَرَّبُوا أَحْلَاقَنَا الْجَلَّالَا وَنَسْتَقُوا أَحْلَامَنَا الْأَثَاقِلَا
فَدَأْتُمْ يَرَّ النَّاسِ لَنَا مُعَادِلَا

وهو شاهد على أن معنى النتق كما في الشاهد السابق .

قال : وقال الفراء في ذلك : رفع الجبل على عسكرهم فرسخا في فرسخ . ونتاجنا : رفعنا .

(٢) البيت في ديوان شعر النابغة (مختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبي ص ١٦٨) ، وفي (لسان العرب : نتق) وفي روايتهما : « مفتح » في مكان : « دحقت » ، وأنشده أيضا في (اللسان : دحق) كرواية المؤلف . والواو في « لم يحرموا » راجعة إلى الأتوام الذين ذكروهم في أبيات القصيدة (بنى جذيمة ، والغازيين) . ودحقت المرأة بولدها : ولدت بعضهم في إثر بعض . والدحوق من النساء : ضد المقاليت ، وهن المتهمات . والنواتق : التى أخرجت ما علقها من الولد . ومذكور : تلد الذكور . يقول : إنهم غنوا غذاء حسنا ، فنموا وكثروا .

كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنِعْمَانَ » يعني عرفة « فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَاهَا ، فَفَنَدَّرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ فَتَلَا فَقَالَ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا ... الآية - إلى (ما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، قال : سألت سعيد بن جبير عن قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : سألت عنها ابن عباس ، فقال : مسح ربك ظهر آدم ، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا ، وأشار بيده ، فأخذ موثيقهم ، وأشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى) .

حدثنا ابن وكيع ويعقوب قالا : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) قال : مسح ربك ظهر آدم ، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة ، وأخذ ميثاقهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) اللفظ لحديث يعقوب .

وحدثني يعقوب قال : ثنا ابن عليه ، قال ربيعة بن كلثوم ، عن أبيه في هذا الحديث (قَالُوا : بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أول ما أهبط الله آدم ، أهبطه بدجنى ، أرض بالهند ، فسح الله ظهره ، فأخرج منه كل نسمة هو بارئها إلى أن تقوم الساعة ، ثم أخذ عليهم الميثاق (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم حين أهبط ، فسح الله ظهره ، فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم قال (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى) ، ثم تلا (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) فجف القلم من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : « لما خلق الله آدم ، أخذ ذريته من ظهره مثل الذر ، فقبض قبضتين ، فقال لأصحاب اليمين ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين : ادخلوا النار ولا أبالي . »

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن حبيب ، عن ابن عباس ، قال : مسح الله ظهر آدم ، فأخرج كل طيب في يمينه ، وأخرج كل خبيث في الأخرى .

(١) لعل المقصود بهذه الكلمة : فضبة الدكن من بلاد الهند .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : مسح الله ظهر آدم ، فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِمَّنْ ظَهَرِ لَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : لما خلق الله آدم مسح ظهره بدجني ، وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) قالوا بلى (قال : فيرون يومئذ جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن علي بن بزيمة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : لما خلق الله آدم عليه السلام أخذ ميثاقه ، فمسح ظهره ، فأخذ ذريته كهيئة الدر ، فكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم ، وأشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا بلى) قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن المسعودي ، عن علي بن بزيمة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِمَّنْ ظَهَرِ لَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : لما خلق الله آدم ، أخذ ميثاقه أنه ربه ، وكتب أجله ومصائبه ، واستخرج ذريته كالدر ، وأخذ ميثاقهم ، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ربيعة بن كلثوم بن جبیر ، عن أبي سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، في قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِمَّنْ ظَهَرِ لَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) ، وأشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا بلى) قال : ثنا أنس بن مالك ، قال : مسح الله ظهر آدم عليه السلام وهو ببطن نعمان ، واد إلى جنب عرفة ، وأخرج ذريته من ظهره كهيئة الدر ، ثم أشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا بلى) قال : ثنا أبي ، عن أبي هلال ، عن أبي حمزة الضبعمي ، عن ابن عباس ، قال : أخرج الله ذرية آدم عليه السلام من ظهره كهيئة الدر ، وهو في آذى من الماء .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، قال : ثنا أبو مسعود ، عن جويبر ، قال : مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام ، قال : فقال : يا جابر إذا أنت وضعت ابني في لحده ، فأبرز وجهه ، وحل عنه عقده ، فإن ابني مجلس ومسئول ، ففعلت به الذي أمرني ، فلما فرغت ، قلت : يرحمك الله ، عم يسئل ابنك ؟ قال : يسئل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم عليه السلام ، قلت : يا أبا القاسم ، وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم ؟ قال : ثنى ابن عباس أن الله مسح صلب آدم ، فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا ، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني السري بن يحيى ، أن الحسن ابن أبي الحسن ، حدثهم عن الأسود بن سريع من بني سعد ، قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

أربع غزوات ، قال : فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتد عليه ، ثم قال : « ما بال أقوام يتناولون الذرية ؟ فقال رجل : يا رسول الله ، أليسوا أبناء المشركين ؟ فقال : إن خياركم أولاد المشركين ، ألا إنما ليست نسمة تولد ، إلا ولدت على الفطرة ، فما تزال عكسها حتى يبين عنها لسانها ، فأبواها يهودانها أو ينصرانها » قال الحسن : والله لقد قال الله ذلك في كتابه ، قال (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) .

حدثنا عبد الرحمن بن الوليد ، قال : ثنا أحمد بن أبي ظبية ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن الأجلح ، عن الضحاك ، وعن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم ألسنت بربكم ؟ قالوا بلى ، قالت الملائكة : شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله ابن عمرو ، في قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : أخذهم كما يأخذ المشط عن الرأس . قال ابن حميد : كما يؤخذ بالمشط .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : ثنا روح بن عبادة ، وسعد بن عبد الحميد بن جعفر بن مالك بن أنس ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهني : أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ) فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة ، ويعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للنار ، ويعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل : يا رسول الله فقيم العمل ؟ قال : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من عمل أهل الجنة فيدخله الجنة ؛ وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من عمل أهل النار فيدخله النار » .

حدثنا إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن المصنف ، عن بقة ، عن عمرو بن جعتم القرشي ، قال : ثنا زيد

ابن أبي أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ، عن مسلم بن يسار ، عن نعيم بن ربيعة ، عن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عمارة ، عن أبي محمد رجل من المدينة ، قال : سألت عمر بن الخطاب عن قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنه كما سألتني ، فقال : « خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، ثُمَّ أَجْلَسَهُ فَمَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، فَأَخْرَجَ ذُرًّا ، فَقَالَ : ذُرٌّ ذُرًّا تُهْمُ لِلْجَنَّةِ ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ الْاُخْرَى ، وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، فَقَالَ : ذُرٌّ ذُرًّا تُهْمُ لِلنَّارِ ، يَعْمَلُونَ فِيهَا شَيْئًا مِنْ عَمَلٍ ، ثُمَّ أَخْتِمُ لَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ ، فَأَدْخِلُهُمُ النَّارَ . »
حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : إن الله خلق آدم ، ثم أخرج ذرئته من صلبه مثل الدر ، فقال لهم : من ربكم ؟ قالوا : الله ربنا ، ثم أعادهم في صلبه ، حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) . . . إلى قوله (قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) قال ابن عباس : إن الله لما خلق آدم مسح ظهره ، وأخرج ذرئته كلهم كهيئة الدر ، فأنطقهم فتكلموا ، وأشهدهم على أنفسهم ، وجعل مع بعضهم النور ، وإنه قال لآدم : هؤلاء ذرئتك آخذ عليهم الميثاق ، أنا ربهم ، لئلا يشركوا بي شيئا ، وعلى رزقهم ؛ قال آدم : فمن هذا الذي معه النور ؟ قال : هو داود ، قال : يا رب كم كتبت له من الأجل ؟ قال : ستين سنة ، قال : كم كتبت لي ؟ قال : ألف سنة ، وقد كتبت لكل إنسان منهم كم يعمر وكم يلبث ، قال : يا رب زده ، قال : هذا الكتاب موضوع فأعطه إن شئت من عمرك ، قال : نعم ، وقد جف القلم عن أجل سائر بني آدم ، فكتب له من أجل آدم أربعين سنة ، فصار أجله مائة سنة ؛ فلما عمرت تسع مئة سنة وستين سنة جاءه ملك الموت ؛ فلما رآه آدم ، قال : مالك ؟ قال له : قد استوفيت أجلك ، قال له آدم : إنما عمرت تسع مائة وستين سنة ، وبقي أربعون سنة ، قال : فلما قال ذلك للملك ، قال الملك : قد أخبرني بها ربي ، قال : فارجع إلى ربك فاسأله ، فرجع الملك إلى ربه ، فقال مالك ؟ قال : يا رب رجعت إليك لما كنت أعلم من تكرمك إياه ، قال الله : ارجع فأخبره أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن الزبير بن موسى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تبارك وتعالى ضرب منكبه الأيمن ، فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية ، فقال : هؤلاء أهل الجنة ، ثم ضرب منكبه الأيسر ، فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء ، فقال : هؤلاء أهل النار ، ثم أخذ عهودهم على الإيمان والمعرفة له ولأمره ، والتصديق

به وبأمره بنى آدم كلهم ، فأشهدهم على أنفسهم ، فأمنوا وصدقوا ، وعرفوا وأقروا ، وبلغني أنه أخرجهم على كفه أمثال الخردل . قال ابن جريج عن مجاهد ، قال : إن الله لما أخرجهم قال : يا عباد الله أجيئوا الله والإجابة : الطاعة ، فقالوا : أطعنا ، اللهم أطعنا ، اللهم أطعنا ، اللهم ليبيك ، قال : فأعطاهم إبراهيم عليه السلام في المناسك : ليبيك اللهم ليبيك ، قال : ضرب من آدم حين خلقه ، قال : وقال ابن عباس : خلق آدم ، ثم أخرج ذريته من ظهره مثل الذر ، فكلهم ، ثم أعادهم في صلبه ، فليس أحد إلا وقد تكلم ، فقال : ربى الله ، فقال : وكل خلق خلق فهو كائن إني يوم القيامة ، وهى الفطرة التى فطر الناس عليها . قال ابن جريج ، قال سعيد بن جبیر : أخذ الميثاق عليهم بنعمان ونعمان من وراء عرفة أن يقولوا يوم القيامة (إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) عن الميثاق الذى أخذ عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالقة ، عن أبي بن كعب ، قال : جمعهم يومئذ جميعا ما هو كائن إلى يوم القيامة ، ثم استنطقهم ، وأخذ عليهم الميثاق (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) ؟ قال : فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع ، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا ، اعلموا أنه لا إله غيرى ، ولا رب غيرى ، ولا تشركوا بى شيئا ، وسأرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقى ، وسأنزل عليكم كتيبى ، قالوا : شهدنا أنك ربنا وإلهنا ، لارب لنا غيرك ، ولا إله لنا غيرك ، فأقروا له يومئذ بالطاعة ، ورفع عليهم أباهم آدم ، فنظر إليهم ، فرأى منهم الغنى والفقير ، وحسن الصورة ، ودون ذلك ، فقال : رب لولا ساويت بينهم ؟ قال : فإني أحب أن أشكر ، قال : وفيهم الأنبياء عليهم السلام يومئذ مثل السرج ، وخص الأنبياء بميثاق آخر ، قال الله (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) وهو الذى يقول تعالى ذكره (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) وفى ذلك قال : (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى) يقول : أخذنا ميثاقه مع النذر الأولى ، ومن ذلك قوله (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ، وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ . ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ ، فَجَاءُواهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) قال : كان فى علمه يوم أقروا به من يصدق ، ومن يكذب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر فى هذه الآية (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) قال : أخرجهم من ظهر آدم ، وجعل لآدم عمر ألف سنة ، قال : فعرضوا على آدم ، فرأى رجلا من ذريته له نور فأعجبه ، فسأل عنه ، فقال : هو داود ، قد جعل عمره ستين سنة ،

فجعل له من عمره أربعين سنة ؛ فلما احتضر آدم ، جعل يخاصمهم في الأربعين سنة ، فقيل له : إنك أعطيها داود ، قال : فجعل يخاصمهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : أخرج ذريته من ظهره كهيئة الذر ، فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأجالهم ، قال : فعرض عليه روح داود في نور ساطع ، فقال : من هذا ؟ قال : هذا من ذريتك نبي خليفة ، قال : كم عمره ؟ قال : ستون سنة ، قال : زيدوه من عمري أربعين سنة ، قال : والأقلام رطبة تجرى ، فأثبت لداود الأربعون ، وكان عمر آدم عليه السلام ألف سنة ؛ فلما استكملها إلا الأربعين سنة ، بعث إليه ملك الموت ، فقال : يا آدم أمرت أن أقبضك ، قال : ألم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : فرجع ملك الموت إلى ربه ، فقال : إن آدم يدعى من عمره أربعين سنة ، قال : أخبر آدم أنه جعلها لابنه داود والأقلام رطبة ، فأثبتت لداود :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بنحوه ، قال : ثنا ابن فضيل وابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ، ثم ردهم في صلبه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن نصر بن عربي (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ، ثم ردهم في صلبه ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن أبي بسطام ، عن الضحاک ، قال : حيث ذرأ الله خلقه لآدم ، قال : خلقهم وأشدهم على أنفسهم ألسنت بربكم ؟ قالوا : بلى .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : قال ابن عباس : خلق الله آدم ، ثم أخرج ذريته من ظهره ، فكلّمهم الله وأنطقهم ، فقال : ألسنت بربكم ؟ قالوا : بلى ، ثم أعادهم في صلبه ، فليس أحد من الخلق إلا قد تكلم ، فقال ربّي الله ، وإن القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمر بن طلحة ، عن أسباط ، عن السدي (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم ؟ قالوا : بلى) وذلك حين يقول تعالى ذكره (وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) وذلك حين يقول (فَاللَّهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) يعني : يوم أخذ منهم الميثاق ، ثم عرضهم على آدم عليه السلام ، قال : ثنا عمر ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : أخرج الله آدم من الجنة ، ولم يهبط من السماء ، ثم مسح صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر ، فقال :

ادخلوا النار ولا أبالي ، فذلك حين يقول (وأصحابُ اليمين - وأصحابُ الشمال) ثم أخذ منهم الميثاق ، فقال (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى) ، فأطاعه طائفة طائعين ، وطائفة كارهين على وجه التقية .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمر ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي بنحوه ، وزاد فيه بعد قوله : وطائفة على وجه التقية ، فقال : هو والملائكة شهدنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا من هذا غافلين . أو يقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم ، فلذلك ليس في الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله ، ولا مشرك إلا وهو يقول لابنه (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) والأمة : الدين (وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) ، وذلك حين يقول الله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى) وذلك حين يقول (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) وذلك حين يقول (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) يعني يوم أخذ منهم الميثاق .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي (مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : مسح الله على صلب آدم ، فأخرج من صلبه من ذريته ما يكون إلى يوم القيامة ، وأخذ ميثاقهم أنه ربهم ، فأعطوه ذلك ، ولا يسأل أحد كافر ولا غيره من ربك ؟ إلا قال الله . وقال الحسن ، مثل ذلك أيضا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن علي بن حسين أنه كان يعزل ١ : ويتأول هذه الآية (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي في قوله (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال : أقرت الأرواح قبل أن تخلق أجسادها .

حدثنا أحمد بن الفرج الحمصي ، قال : ثنا بقرية بن الوليد ، قال : ثنا الزبيدي ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة النضري ، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم « أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، ابتداء الأعمال أم قد قضى القضاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ، ثم أشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض بهم في كفيته ثم قال : هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار ، فأهل الجنة ميسرون لعمَلِ أهل الجنة ، وأهل النار ميسرون لعمَلِ أهل النار . »

حدثني محمد بن عوف الطائي ، قال : ثنا حيوة ويزيد ، قالا : ثنا بقرية ، عن الزبيدي ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة النضري ، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثني أحمد بن شويه ، قال : ثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : ثنا عمرو بن الحرث ، قال : ثنا عبد الله

(١) كذا في الدر المنثور للسيوطي (٣: ١٤٤) وفي الأصل : يقول . تحريف . والعزل : ألا يقر الرجل ماء في رحم المرأة عند اندفائه .

ابن مسلم ، عن الزبيدي ، قال : ثنا راشد بن سعد أن عبد الرحمن بن قتادة ، حدثه أن أباه حدثه أن هشام ابن حكيم حدثه أنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل . . . فذكر مثله . . .
حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن ابن قتادة ، عن هشام بن حكيم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . . .
واختلف في قوله (شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) فقال السدي : هو خبر من الله عن نفسه وملائكته ، أنه جل ثناؤه قال هو وملائكته ، إذ أقر بنو آدم برابوبيتته حين قال لهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا : بلى .
فتأويل الكلام على هذا التأويل : وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم ، وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا : بلى . فقال الله وملائكته : شهدنا عليكم باقراركم بأن الله ربكم كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . وقد ذكرت الرواية عنه بذلك فيما مضى ، والخبر الآخر الذي روى عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك .
وقال آخرون : ذلك خبر من الله عن قيل بعض بنى آدم لبعض ، حين أشهد الله بعضهم على بعض ، وقالوا : معنى قوله (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) وأشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك ، وقد ذكرت الرواية بذلك أيضا عن قاله قبل .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان صحيحا ، ولا أعلمه صحيحا ، لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم ، حدثوا بهذا الحديث عن الثوري ، فوقفوه على عبد الله بن عمرو ، ولم يرفعوه ، ولم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي ظبية عنه . وإن لم يكن ذلك عنه صحيحا ، فالظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟) قالوا بلى شهدنا ، فكانه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقرّوا ، فقالوا : بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم كيلا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : شهدنا عليكم أيها المقرّون بأن الله ربكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين ، إنا كنا لانعلم ذلك ، وكنا في غفلة منه ، أو تقولوا : (إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ) اتبعنا منهاجهم (أَفَتُهْلِكُنَا) باشارك من أشرك من آبائنا ، واتبعنا منهاجهم على جهل منا بالحق .

• ويعنى بقوله (بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) : بما فعل الذين أبطلوا في دعواهم لها غير الله .
 واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض المكيين والبصريين أن يقولوا بالياء ، بمعنى : شهدنا لثلاث
 يقولوا على وجه الخبر عن الغيب ، وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة ، أن تقولوا ، بالتاء على وجه
 الخطاب من الشهود للمشهود عليهم .
 * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى ، متفقتا التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهما ،
 لأن العرب تفعل ذلك في الحكاية ، كما قال الله (لَتَبَيِّنَنَّهٗ لِلنَّاسِ) وليبيننه ، وقد بينا نظائر ذلك فيما
 مضى بما أغنى عن إعادته

القول في تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْأَيَّاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

* يقول تعالى ذكره : وكما فصلنا يا محمد لقومك آيات هذه السورة ، وبيئنا فيها ما فعلنا بالأمم السالفة
 قبل قومك ، وأحللنا بهم من المثالات بكفرهم ، وإشراكهم في عبادتي غيري ، كذلك نفصل الآيات غيرها
 ونبيها لقومك ، لينزجروا ويرتدعوا ، فينبوا إلى طاعتي ، ويتوبوا من شركهم وكفرهم ، فيرجعوا إلى
 الإيمان ، والإقرار بتوحيدي ، وإفراد الطاعة لي ، وترك عبادة ماسواي .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ

الْخَاوِينَ ﴿١٧٥﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأتل يا محمد على قومك نبأ الذي آتينا آياتنا ، يعني
 خبره وقصته ، وكانت آيات الله للذي آتاه الله إياها فيما يقال اسم الله الأعظم ، وقيل النبوة .

واختلف أهل التأويل فيه ، فقال بعضهم : هو رجل من بني إسرائيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي الضحى ،
 عن مسروق ، عن عبد الله في هذه الآية (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا)
 قال : هو بلعم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ،
 مثله . قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال :
 هو بلعم بن أبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ،

في قوله (وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) قال : رجل من بني إسرائيل يقال له : بلعم بن أبر .
حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر وابن مهدي وابن أبي عدي ، قالوا : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، أنه قال في هذه الآية ، فذكر مثله ، ولم يقل ابن أبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود (وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : رجل من بني إسرائيل يقال له : بلعم بن أبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن عمران بن الحرث ، عن ابن عباس ، قال : هو بلعم بن باعرا .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، في قوله (وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) . . . إلى (فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) هو بلعم بن أبر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، مثله ، إلا أنه قال ابن أبر ، بضم الباء .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : بلعام بن باعرا ، من بني إسرائيل .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول ، فذكر مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن

كثير ، أنه سمع مجاهدا يقول ، فذكر مثله .
حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الرحمن وابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عكرمة ، قال

في الذي (آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو بلعام .
وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عكرمة ، قال : هو بلعم ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن عكرمة ، قال : هو بلعم .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر ، قال : ثنا شعبة ، عن حصين ، قال : سمعت عكرمة يقول : هو بلعام .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن حصين ، عن مجاهد ، قال : هو بلعم .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : هو بلعم . وقال آخرون : كان بلعم هذا من أهل اليمن .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو رجل يدعى بلعم من أهل اليمن . وقال آخرون : كان من الكنعانيين .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم . وقال آخرون : هو أمية بن أبي الصلت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سعيد بن السائب ، عن غضيف بن أبي سفيان ، عن يعقوب ونافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال في هذه الآية (الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو أمية بن أبي الصلت .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : أنبأنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، قال : قال عبد الله بن عمرو : هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الرحمن ووهب بن جرير ، قالوا : ثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو بمثله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن رجل ، عن عبد الله بن عمرو (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) قال : هو أمية بن أبي الصلت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، قال : سمعت نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو ، قال في هذه الآية (الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : هو صاحبكم ، يعني أمية بن أبي الصلت .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان عن حبيب ، عن رجل عن عبد الله بن عمرو ، قال : هو أمية بن أبي الصلت .

قال : ثنا يزيد ، عن شريك ، عن عبد الملك ، عن فضالة ، أو ابن فضالة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : هو أمية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : تذاكروا في جامع

دمشق هذه الآية (فأنسلخ منها) فقال بعضهم : نزلت في بلعم بن باعوراء ، وقال بعضهم : نزلت في الراهب ، فخرج عليهم عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقالوا : فيمن نزلت هذه ؟ قال : نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي (الذي آتينا آياتنا فأنسلخ منها) قال : هو أمية بن أبي الصلت ، وقال قتادة : يشك فيه ، يقول بعضهم : بلعم ، ويقول بعضهم : أمية بن أبي الصلت .

واختلف أهل التأويل في الآيات التي كان أوتيتها التي قال جل ثناؤه (آتينا آياتنا) فقال بعضهم : كانت اسم الله الأعظم .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : إن الله لما انقضت الأربعون سنة ، يعني التي قال الله فيها (إنها محرمة عليهم أربعين سنة) بعث يوشع بن نون نبيا ، فدعا بني إسرائيل ، فأخبرهم أنه نبي ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه وصدقوه ، وانطلق رجل من بني إسرائيل ، يقال له بلعم ، وكان عالما يعلم الاسم الأعظم المكتوم ، فكفر وأتى الجبارين ، فقال : لا ترهبوا بني إسرائيل ، فاني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون ، وكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء يعظمن ، فكان ينكح أتاناً له وهو الذي يقول الله (وآتلهم نبياً الذي آتينا آياتنا فأنسلخ منها) : أي تنصل فأنسلخ منها ، إلى قوله (وآتكنه أخذ إلى الأرض) .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وآتلهم نبياً الذي آتينا آياتنا) قال : هو رجل يقال له : بلعم ، وكان يعلم اسم الله الأعظم . حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وآتلهم نبياً الذي آتينا آياتنا فأنسلخ منها) قال : كان لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه .

وقال آخرون : بل الآيات التي كان أوتيتها كتاب من كتب الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس ، قال : كان في بني إسرائيل بلعام بن باعر أوتي كتاباً .

وقال آخرون : بل كان أوتي النبوة .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن غيره ، قال : الحارث قال :

عبد العزيز ، يعنى عن غير نفسه ، عن مجاهد ، قال : هو نبيّ في بني إسرائيل ، يعنى بلعم ، أوتى النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ، ففعل وتركهم على ما هم عليه .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أنه سئل عن الآية (وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) فحدث عن سيّار أنه كان رجلاً يقال له بلعم ، وكان قد أوتى النبوة ، وكان مجاب الدعوة .

❦ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته ، وهى الآيات .

وقد دللنا على أن معنى الآيات الأدلة والأعلام فيما مضى بما أغنى عن إعادته ، وجائز أن يكون الذى كان الله آتاه ذلك بلعم ، وجائز أن يكون أمية ، وكذلك الآيات إن كانت بمعنى الحجة التى هى بعض كتب الله التى أنزلها على بعض أنبيائه ، فتعلمها الذى ذكره الله فى هذه الآية ، وعناه بها ؛ فجائز أن يكون الذى كان أوتىها بلعم ، وجائز أن يكون أمية ، لأن أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب ، وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبيّ الله عليه الصلاة والسلام ، أن يتلو على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الأعظم ، أو بمعنى النبوة ، فغير جائز أن يكون معنياً به أمية ، لأن أمية لا تختلف الأمة فى أنه لم يكن أوتى شيئاً من ذلك ، ولا خبر بأى ذلك المراد ، وأى الرجلين المعنى يوجب الحجة ، ولا فى العقل دلالة على أن ذلك المعنى به من أى .

❦ فالصواب أن يقال فيه ما قال الله ، ويقرّ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله .
وأما قوله (فَانْسَلَخَ مِنْهَا) فإنه يعنى : خرج من الآيات التى كان الله آتاه إياها ، ففتر منها .
وبنحو ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : لما نزل موسى عليه السلام ، يعنى بالجبارين ومن معه ، آتاه ، يعنى بلعم بنوعمه وقومه ، فقالوا : إن موسى رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يردّ عنا موسى ومن معه ، قال : إني إن دعوت الله أن يردّ موسى ومن معه ذهب دنياى وآخرتى ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلخه الله مما كان عليه ، فذلك قوله (فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قال : كان الله آتاه آياته فتركها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس (فَانْسَلَخَ مِنْهَا) قال : نزع منه العلم ، وقوله (فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ) يقول : فصيره لنفسه تابعا ينتهى

إلى أمره في معصية الله ، ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن ، وقوله (فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) يقول : فكان من الهالكين لضلاله ، وخلافه أمر ربه وطاعة الشيطان .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكَهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه ، ولكنه أخلد إلى الأرض ، يقول : سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض ومال إليها ، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة ، واتبع هواه ، ورفض طاعة الله ، وخالف أمره .

وكانت قصة هذا الذي وصف الله خبره في هذه الآية ، على اختلاف من أهل العلم في خبره وأمره ، ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، أنه سئل عن الآية (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكَهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) فقال : كان رجلا يقال له بلعام ، وكان قد أوتى النبوة ، وكان مجاب الدعوة ، قال : وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام ، أو قال الشام ، قال : فرعب الناس منه رعبا شديدا ، قال : فأثوا بلعاما ، فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه ، قال : حتى أوامر ربي ، أو حتى أوامر ، قال : فأمر في الدعاء عليهم ، فقيل له : لاتدع عليهم فإنهم عبادي وفيهم نبيهم ، قال : فقال لقومه : إني أمرت ربي في الدعاء عليهم ، وإني قد نهيت ، قال : فأهدوا إليه هدية فتقبلها ، ثم راجعوه فقالوا : ادع عليهم ، فقال : حتى أوامر ربي ، فأمر فلم يأمره بشيء ، قال : فقال : قد وامت فلم يأمرني بشيء ، فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم لهلك ، كما نهلك في المرة الأولى ، قال : فأخذ يدعو عليهم ، فإذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه ، وإذا أراد أن يدعو أن يفتح لقومه ، دعا أن يفتح لموسى عليه السلام وجيشه أو نحو من ذلك إن شاء الله ، قال : فقالوا ما نراك تدعو إلا علينا ، قال : ما يجري على لساني إلا هكذا ، ولو دعوت عليه ما استجيب لي ، ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم . إن الله يبغض الزنا ، وإنهم إن وقعوا بالزنا هلكوا ، ورجوت أن يهلكهم الله ، فأخرجوا النساء لتستقبلهم وإنهم قوم مسافرون ، فعسى أن يزنوا فيهلكوا ، قال : ففعلوا وأخرجوا النساء لتستقبلهم ، قال : وكان للملك ابنة ، فذكر من عظمها ما الله أعلم به ، قال : فقال أبوها أو بلعام : لا تمكني نفسك إلا من موسى قال : ووقعوا في الزنا ، قال : وأتاها رأس سبط من أسباط بني إسرائيل ، فأرادها على نفسه ، قال : فقالت : ما أنا بممكنة نفسي إلا من موسى ، قال : فقال : إن من منزلتي كذا وكذا ، وإن من حالي كذا وكذا ، قال : فأرسلت إلى أبيها تستأمره ، قال : فقال لها : مكنيه . قال :

ويأتيهما رجل من بني هارون ومعه الرمح فيطعنهما ، قال : وأيَّده الله بقوة فانتظمهما جميعا ، ورفعهما على رمحه ، قال : فرآهما الناس ، أو كما حدث . قال : وسلط الله عليهم الطاعون ، قال : فمات منهم سبعون ألفا ، قال : فقال أبوالمعتمر : فحدثني سيار أن بلعاما ركب حمارة له ، حتى إذا أتى المعلول أو قال : طريقا من المعلول ، جعل يضربها ولا تتقدم ، قال : وقامت عليه ، فقالت : علام تضربني ؟ أما ترى هذا الذي بين يديك ؟ قال : فإذا الشيطان بين يديه ، قال : فنزل فسجد له ، قال الله (وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آتِنَاهُ آتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ، فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) قال : فحدثني بهذا سيار ، ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : فبلغني حديث رجل من أهل الكتاب يحدث أن موسى سأل الله أن يطبعه ، وأن يجعله من أهل النار ، قال : ففعل الله ، قال : أنبئت أن موسى قتله بعد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سالم أبي النضر ، أنه حدث أن موسى لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إلى بلعم ، فقالوا له : يا بلعم إن هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل ، قد جاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا ويحلبها بني إسرائيل ويسكنها ، وإنا قومك ، وليس لنا منزل ، وأنت رجل مجاب الدعوة ، فأخرج وادع الله عليهم ، فقال : ويلكم نبي الله مع الملائكة والمؤمنون ، كيف أذهب أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم ، قالوا ما لنا من منزل ، فلم يزلوا به يرفعونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن ، فركب حمارة له متوجها إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل ، وهو جبل حسان ؛ فلما سار عليها غير كثير ربضت به ، فنزل عنها ، فضربها ، حتى إذا أذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ، ففعل بها مثل ذلك ، فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ، فضربها حتى إذا أذلقها أذن الله لها ، فكلمته حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة تردني عن وجهي هذا ، أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم ، فلم ينزع عنها فضربها فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك ، قال : فانطلقت به حتى إذا أشرفت على رأس جبل حسان على عسكر موسى وبني إسرائيل جعل يدعو عليهم ، ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف به لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل ، قال : فقال له قومه : أتدري يا بلعم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا ، قال : فهذا ما لأملك ، هذا شيء قد غلب الله عليه . قال : واندلع لسانه فوق على صدره ، فقال لهم : قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأموكم لكم وأحتال ، حملوا النساء ، وأعطوهن السباع ، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعن فيها ، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فإنهم إن زنى منهم واحد كُفيتهم ففعلوا ؛ فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستي ابنة صور رأس أمته برجل من عظماء بني إسرائيل ، وهو زمرى بن شلوم رأس سبط شمعون ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل بها حتى وقف بها على

(١) أذلقها : ألقها . (اللسان) .

موسى عليه السلام فقال : إني أظنك ستقول هذه حرام عليك ؟ فقال : أجل هي حرام عليك لا تقر بها ، قال : فوالله لأطيعك في هذا ، فدخل بها قبته فوقع عليها ، وأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل ، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى ، وكان رجلا قد أُعطي بسطة في الخلق ، وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يجوس في بني إسرائيل ، فأخبر الخبر ، فأخذ حربته ، وكانت من حديد كلها ، ثم دخل عليه القبة وهما متضاجعان ، فانتظهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء ، والحربة قد أخذها بذراعه ، واعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحييه ، وكان بكر العيزار ، وجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ، ورُفِع الطاعون ، فحُسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون ، فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص ، فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفا ، والمقلل يقول : عشرون ألفا في ساعة من النهار ، فن هنالك يعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص ابن العيزار بن هارون من كل ذبيحة ذبحوها الفشة والذراع واللحي ، لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذه إياها بذراعه ، وإسناده إياها إلى لحييه ، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم ، لأنه كان بكر العيزار ، ففى بلعم بن باعورا أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم (وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) يعنى بلعم ، (فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَسْتَفَكَّرُونَ) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : انطلق رجل من بني إسرائيل يقال له : بلكم ، فأتى الجبارين فقال : لا ترهبوا من بني إسرائيل ، فإني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم ، فخرج يوشع يقاتل الجبارين في الناس ، وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه ، وهو يريد أن يلعن بني إسرائيل ، فكلما أراد أن يدعو على بني إسرائيل دعا على الجبارين ، فقال الجبارون : إنك إنما تدعو علينا ، فيقول : إنما أردت بني إسرائيل ؛ فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذب الأتان ، فأمسكها فجعل يحرّكها فلا تتحرك فلما أكثر ضربها تكلمت فقالت : أنت تنكحني بالليل وتركيني بالنهار ، ويلي منك ، ولو أني أطلقت الخروج لخرجت ، ولكن هذا الملك يحبسني . وفي بلكم يقول الله (وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) . . . الآية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا رجل سمع عكرمة ، يقول : قالت امرأة منهم : أروني موسى ، فأنا أفتنه ، قال : فتطيت ، فمرت على رجل يشبه موسى ، فواقعها ، فأتى ابن هارون فأخبر ، فأخذ سيفها ، فطعن به في إحليله حتى أخرجه من قبلها ، ثم رفعهما حتى رأهما الناس ، فعلم أنه ليس موسى ، ففضّل آل هارون في القربان على آل موسى بالكتف والعضد والفخذ ، قال : فهو الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها ، يعنى بلعم . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) فقال بعضهم : معناه : لرفعناه بعلمه بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) لرفعه الله تعالى بعلمه . وقال آخرون : معناه لرفعنا عنه الحال التي صار إليها من الكفر بالله بآياتنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) : لرفعنا عنه بها . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) : لرفعنا عنه . قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال : إن الله عمّ الخبر بقوله (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) أنه لو شاء رفعه بآياته التي آتاه إياها ، والرفع يعمّ معاني كثيرة ، منها الرفع في المنزلة عنده . ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها . ومنها الرفع في الذكر الحميل والثناء الرفيع . وجائز أن يكون الله عنى كل ذلك أنه لو شاء لرفعه ، فأعطاه كل ذلك بتوفيقه للعمل بآياته التي كان آتاه إياها . وإذا كان ذلك جائزا ، فالصواب من القول فيه أن لا يخصّ منه شيء ، إذ كان لا دلالة على خصوصه من خبر ولا عقل .

وأما قوله (إِيَّاهَا) فان ابن زيد قال في ذلك ، كالذي قلنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) بتلك الآيات .

وأما قوله (وَلَكِنَّهُ أُخْلِدَ إِلَى الْأَرْضِ) فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير (وَلَكِنَّهُ أُخْلِدَ إِلَى الْأَرْضِ) يعني : ركن إلى الأرض . قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (وَلَكِنَّهُ أُخْلِدَ إِلَى الْأَرْضِ) قال : نزع إلى الأرض . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . أخلد : سكن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تمّيلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان في بني إسرائيل بلعام بن باعر أوتى كتابا ، فأخلد إلى شهوات الأرض ولذتها وأموالها ، لم ينتفع بما جاء به الكتاب .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) أما أخلد إلى الأرض : فاتبع الدنيا ، وركن إليها . وأصل الإخلاق في كلام العرب : الإبطاء والإقامة ، يقال منه : أخلد فلان بالمكان إذا أقام به وأخلد نفسه إلى المكان إذا أتاه من مكان آخر ، ومنه قول زهير :

لَمَنْ الدِّيَارُ غَشِيَتْهَا بِالْغَرَقَدِ كَالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلِدِ

يعنى المقيم ، ومنه قول مالك بن نويرة :
بأبناءٍ حَيٍّ مِنْ قَبَائِلِ مَالِكٍ وَعَمْرٍو بْنِ يَرْبُوعٍ أَقَامُوا فَأَخْلَدُوا
وكان بعض البصريين يقول : معنى قوله : أخلد : لزم وتقاعس وأبطأ ، والمخلد أيضا : هو الذى يبطئ شبيه من الرجال ، وهو من الدواب الذى تبقى ثناياه حتى تخرج ربايعته .
وأما قوله (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) كان ابن زيد قال فى تأويله ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) قال : كان هواه مع القوم .
القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فَشَلَّ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ :
يقول تعالى ذكره : فمثل هذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، مثل الكلب الذى يلهث ، طرده أو تركته . ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب ؛ فقال بعضهم : مثله به فى الله لتركه العمل بكتاب الله وآياته التى آتاها إياه وإعراضه عن مواعظ الله التى فيها إعراض من لم يؤته الله شيئا من ذلك ، فقال جل ثناؤه فيه : إذا كان سواء أمره وعظ بآيات الله التى آتاها إياه ، أو لم يعظ فى أنه لا يتعظ بها ، ولا يترك الكفر به ، فشله مثل الكلب الذى سواء أمره فى لهته ، طرد أو لم يطرد ، إذ كان لا يترك الله بحال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ) قال : تطرده ، هو مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل به .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد (فَشَلَّ)

(١) البيت لزهير أنشده صاحب اللسان فى (خلد) . قال : وخذ بالمكان يخذ خلودا وأخذ : أقام ، وهو من ذلك . قال زهير :
... البيت . والوحى هنا : المكتوب والخط . أراد ما يكتب فى الحجارة وينقش عليها (اللسان : وحى) .
(٢) البيت لمالك بن نويرة من قصيدة عدتها ٢٦ بيتا (الأصبعيات : ١ : ٢٥) وقبلة فى أولها :

إِلَّا أَكُنْ لَأَقِيْتُ يَوْمَ مَخَطَطٍ فَقَدَ خَبَرَ الرِّكْبَانُ مَا أَتَوَدُّ

أَتَانِي بِنَقْرِ الْخُبْرِ مَا قَدَ لَقِيْتَهُ رَزِينٌ وَرَكِبُ حَوْلَهُ مُتَّصِعِدٌ

يَهْلُونَ عُمَارًا إِذَا مَا تَغَوَّرُوا وَلَا اقْوُوا قُرَيْشًا خَبَرُوهَا فَأَنْجَدُوا

والشاهد فى قوله : « فأخذوا » أى أقاموا ، كالشاهد قبله .

كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ) قال : تطرده بدابتك ورجلك يلهث ، قال : مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه .

قال ابن جريج : الكلب منقطع الفؤاد ، لافؤاد له ، إن حملت عليه يلهث ، أو تركه يلهث ، قال : مثل الذي يترك الهدى لافؤاد له ، إنما فؤاده منقطع .

حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن توبة ، عن معمر ، عن بعضهم (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ) فذلك هو الكافر ، هو ضال إن وعظته ، وإن لم تعظه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ) الحكمة لم يحملها ، وإن ترك لم يهتد لخير ، كالكلب إن

كان رابضاً لهث ، وإن طرد لهث .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قال : آتاه الله آياته فتركها ، فجعل الله مثله كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث ، أو تركه يلهث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ) . . . الآية ، هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى ، فأبى أن يقبله وتركه .

قال : وكان الحسن يقول : هو المنافق (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ) قال :

هذا مثل الكافر ميت الفؤاد . . . وقال آخرون : إنما مثله جل ثناؤه بالكلب لأنه كان يلهث كما يلهث الكلب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ) وكان يلعم يلهث كما يلهث الكلب . وأما تحمل عليه : فنشده عليه .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال : إنما هو مثل لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه ، وإن معناه : سواء وعظ أو لم يوخط في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه ، كما

سواء حمل على الكلب وطرده ، أو ترك فلم يطرد ، في أنه لا يدع الله في كلتا حالتيه .

وإنما قلنا : ذلك أولى القولين بالصواب للدلالة قوله تعالى ذلك (مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) فجعل ذلك مثل المكذبين بآياته ، قد علمنا أن الله ليس في خلقه كل مكذب كتب عليه ترك الإنابة

من تكذيب آيات الله ، وإن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم ، فكان معلوماً بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية ، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله مثل .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : هذا المثل الذي ضربته لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، مثل القوم الذين كذبوا بحجبنا وأعلامنا وأدلتنا ، فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذي آتيناه إياه في تركه العمل بما آتيناه من ذلك .

وأما قوله (فاقصص القصص) فإنه يقول لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : فاقصص يا محمد هذا القصص الذي قصصته عليك من نبأ الذي آتيناه آياتنا ، وأخبار الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة وقصصت عليك نبأهم ، ونبأ أشباههم ، وما حل بهم من عقوبتنا ، ونزل بهم ، حين كذبوا رسلنا من نعمتنا على قومك من قريش ، ومن قبلك من يهود بنى إسرائيل ، ليتفكروا في ذلك فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا ، لئلا يحل بهم مثل الذي حل بمن قبلهم من النقم والمثالات ، ويتدبره اليهود من بنى إسرائيل فيعلموا حقيقة أمرك وصحة نبوتك ، إذ كان نبأ الذي آتيناه آياتنا من خفي علومهم ومكنون أخبارهم لا يعلمه إلا أخبارهم ، ومن قرأ الكتب ودرسها منهم ، وفي علمك بذلك وأنت أمى لا تكتب ولا تقرأ ولا تدرس الكتب ولم تجالس أهل العلم الحجة البينة لك عليهم بأنك لله رسول ، وأنت لم تعلم ما علمت من ذلك ، وحالك الحال التي أنت بها إلا بوحى من السماء .

وبنحو ذلك كان أبو النضر يقول : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، عن سالم أبي النضر (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) يعنى : بنى إسرائيل ، إذ قد جثتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك ، لعلهم يتفكرون ، فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم إلا نبى يأتيه خبر السماء .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : ساء مثلا القوم الذين كذبوا بحجب الله وأدلته ، فجحدها ، وأنفسهم كانوا ينقصون حظوظها ، ويبخسونها منافعها بتكذيبهم بها لا غيرها . وقيل : ساء مثلا من الشر ، بمعنى : بسئ مثلا ، وأقيم القوم مقام المثل ، وحذف المثل ، إذ كان الكلام مفهوما معناه ، كما قال جل ثناؤه (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ) فإن معناه : ولكن البر بر من آمن بالله . وقد بيئنا نظائر ذلك في مواضع غير هذا بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : الهداية والإضلال بيد الله والمهتدى وهو السالك سبيل الحق ، الراكب قصد

المحجة في دينه من هداه الله لذلك ، فوفقه لإصابته ؛ والضالّ من خذله الله ، فلم يوفقه لطاعته ، ومن فعل الله ذلك به فهو الخاسر : يعنى الهالك . وقد بينّا معنى الخسارة والهداية والضلالة في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ
ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا لجهمم كثيرا من الجنّ والإنس ، يقال منه : ذرأ الله خلقه يذروهم ذرأ .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ بن الحسين الأزديّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، في قوله (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ) قال : مما خلقنا .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن مبارك ، عن الحسن ، في قوله (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) قال : خلقنا .

قال : ثنا زكريا ، عن عتّاب بن بشير ، عن عليّ بن بنديمة ، عن سعيد بن جبير ، قال : أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهمم .

قال : ثنا زكريا بن عدىّ وعثمان الأحول ، عن مروان بن معاوية ، عن الحسن بن عمرو ، عن معاوية ابن إسحاق ، عن جليس له بالطائف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : «إنّ الله لمّا ذرأ لجهمم ما ذرأ ، كان ولد الزنا ممن ذرأ لجهمم » .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) يقول : خلقنا .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول في قوله (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) قال : لقد خلقنا لجهمم كثيرا من الجنّ والإنس .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ) خلقنا . وقال جلّ ثناؤه (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ) لنفاذ علمه فيهم بأنهم يبصرون إليها بكفرهم برهم .

وأما قوله (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا) فإن معناه : لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهمم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله ، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته ، ولا يعتبرون بها حججه لرسوله ،

فيعلموا توحيد ربهم ، ويعرفوا حقيقة نبوة أنبيائهم ، فوصفهم ربنا جل ثناؤه بأنهم لا يفقهون بها لإعراضهم عن الحق ، وتركهم تدبر صحة الرشد ، وبطول الكفر . وكذلك قوله (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا) معناه : ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته ، فيتأملوها ويتفكروا فيها ، فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم ، وفساد ما هم عليه مقيمون من الشرك بالله ، وتكذيب رسله ، فوصفهم الله بتركهم إعمالها في الحق بأنهم لا يبصرون بها . وكذلك قوله (وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا) آيات كتاب الله فيعتبروها ويتفكروا فيها ، ولكنهم يعرضون عنها ، ويقولون : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، لعلكم تغلبون . وذلك نظير وصف الله إياهم في موضع آخر بقوله (صُمُّ بُكْمٌ عُصْفَ فِهْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له ، ومنه قول مسكين الدارمي :

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي السَّتْرُ

وَأَصَمَّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِالسَّمْعِ مِنْ قُرْآنٍ

فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع بالعمى والصمم ، ومنه قول الآخر :

وَعَوْرَاءِ اللَّثَامِ صَمَمْتُ عَنْهَا وَإِنِّي لَوُ أَشَاءُ بِهَا تَسْمِيعُ

وَبَادِرَةٍ وَزَعْتُ النَّفْسَ عَنْهَا وَلَوْ بِيَدَتِ مِنَ الْعَصَبِ الضُّلُوعُ^٢

وذلك كثير في كلام العرب وأشعارها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول ، في قوله (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا) قال : لا يفقهون بها شيئا من أمر الآخرة (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا) الهدى (وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا الْحَقَّ) ثم جعلهم كالأنعام ، ثم جعلهم شرا من الأنعام ، فقال (بَلْ هُمْ أَضَلُّ) ثم أخبر أنهم هم الغافلون .

يعنى جل ثناؤه بقوله (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ) هؤلاء الذين ذرأهم بلههم هم كالأنعام ، وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها ، ولا تفهم ما أبصرته مما يصلح وما لا يصلح ، ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر ، فتميز

(١) العمى : ذهاب البصر والصمم : ذهاب السمع . ومراد الشاعر هنا : أنه يكف نظره وسمعه عن جاراته فلا ينظر إليهن ، ولا يسمع ما يكون بينهن من حديث ، كأنه أعمى أصم . هذا على حين أنه ليس به عمى ولا صمم ، وإنما هو الأدب ورعاية حرمة الجار .
(٢) في اللسان (عور) العوراء : الكلمة القبيحة ، أو الفعل القبيحة ، كأنها تعود العين ، فيمنعها ذلك من الطموح وحدة النظر ، ثم حولوها إلى الكلمة أو الفعل على المثل ، وإنما يريدون في الحقيقة صاحبها . قال ابن عثمة الفزاري يمدح ابن عمه عميلة ، وكان عميلة هذا قد جبره من فقر :

إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أُغْضِي كَأَنَّهُ ذَائِلٌ بِلَا ذُلٍّ وَأَوْ شَاءَ لَا نَتَّصِرُ

والبادرة : الكلمة العوراء ، وهي الغضبة السريعة أيضا ، يقال : احذروا بادرتة . والوزع : كف النفس ، ولم نقف على قائلها .

بينهما ، فشيبههم الله بها ، إذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حججه ، ولا يتفكرون فيما يسمعون من آي كتابه ، ثم قال (بَلْ هُمْ أَضَلُّ) يقول : هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشدّ ذهاباً عن الحقّ وألزم لطريق الباطل من البهائم ، لأن البهائم لا يختارها ولا تميز ، فتختار وتميّز ، وإنما هي مسخرة ومع ذلك تهرب من المضارّ ، وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح ، والذين وصف الله صفتهم في هذه الآية ، مع ما أعطوا من الأفهام والعقول المميزة بين المصالح والمضارّ ، ترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها وتطلب ما فيه مضارّها ، فالبهائم منها أسد ، وهي منها أضلّ ، كما وصفها به ربنا جلّ ثناؤه .

وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم ، القوم الذين غفلوا ، يعني سهواً عن آياتي وحججتي ، وتركوا تدبرها والاعتبار بها ، والاستدلال على ما دلت عليه من توحيد ربها : لا البهائم التي قد عرفها ربها ما سخرها له .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(١٨٠)

❖ يقول تعالى ذكره (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) ، وهي كما قال ابن عباس : حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) ومن أسمائه : العزيز الجبار ، وكلّ أسماء الله حسن .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام بن حسان ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا كُلَّهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وأما قوله (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) فإنه يعني به المشركين ، وكان إلحادهم في أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هي عليه ، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم ، وزادوا فيها ونقصوا منها ، فسموا بعضها اللات اشتقاقاً منهم لها من اسم الله الذي هو الله ، وسموا بعضها العزى ، اشتقاقاً لها من اسم الله الذي هو العزيز . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) قال : إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) قال : اشتقوا العزى من العزيز ، واشتقوا اللات من الله . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (يُلْحِدُونَ) فقال بعضهم : يكذبون .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَذَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) قال : الإلحاد : التكذيب . وقال آخرون : معنى ذلك : يشركون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا أبو ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُلْحِدُونَ) قال : يشركون . وأصل الإلحاد في كلام العرب : العدول عن القصد ، والجور عنه ، والإعراض ، ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم ، ولذلك قيل للحد القبر لحد ، لأنه في ناحية منه ، وليس في وسطه . يقال منه : ألحد فلان يلحد إلحادا ، ولحد يلحد لحدا ولحودا . وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرق بين الإلحاد واللحد ، فيقول في الإلحاد : إنه العدول عن القصد ، وفي اللحد إنه الركون إلى الشيء ، وكان يقرأ جميع ما في القرآن يلحدون بضم الياء وكسر الحاء ، إلا التي في النحل ، فانه كان يقرأها يلحدون بفتح الياء والحاء ، ويزعم أنه بمعنى الركون . وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب ، فيرون أن معناهما واحد ، وأنهما لغتان جاءتا في حرف واحد بمعنى واحد .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين (يُلْحِدُونَ) بضم الياء وكسر الحاء من ألحد يلحد في جميع القرآن . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (يَلْحِدُونَ) بفتح الياء والحاء من لحد يلحد .

والصواب من القول في ذلك أنهما لغتان بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب في ذلك غير أني أختار القراءة بضم الياء على لغة من قال : ألحد ، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما . وكان ابن زيد يقول في قوله (وَذَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) إنه منسوخ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَذَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) قال : هؤلاء أهل الكفر ، وقد نسخ ، ونسخه القتال ، ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من أنه منسوخ ، لأن قوله (وَذَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) ليس بأمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بترك المشركين أن يقولوا ذلك ، حتى يأذن له في قتالهم ، وإنما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائهم ووعيد منه لهم ، كما قال في موضع آخر (ذَرَّهُمْ يَا كُفُّوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ) . الآية ، وكقوله (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد والتهديد ، ومعناه : إن تمهل الذين يلحدون يا محمد في أسماء الله إلى أجل هم بالغوه ، فسوف يجزون إذا جاءهم أجل الله الذي أجله إليهم جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك ، من الكفر بالله ، والإلحاد في أسمائه ، وتكذيب رسوله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١١٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ومن الخلق الذين خلقنا أمة ، يعني جماعة يهدون ، يقول : يهتدون بالحق ، وبه يعدلون ، يقول : وبالحق يقضون وينصفون الناس ، كما قال ابن جريج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) قال ابن جريج : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « هَذِهِ أُمَّتِي قَالَ بِالْحَقِّ يَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ وَيَقْضُونَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قرأها : « هَذِهِ لَكُمْ وَقَدْ أُعْطِيَ الْقَوْمُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِثْلَهَا ، (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : والذين كذبوا بأدلتنا وأعلامنا ، فجحدوها ولم يتذكروا بها ، ستمهله بغرته ونزير له سوء عمله ، حتى يحسب أنه هو فيما عليه من تكذيبه بآيات الله إلى نفسه محسن ، وحتى يبلغ الغاية التي كتب له من المهل ، ثم يأخذه بأعماله السيئة ، فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعد له ، وذلك استدراج الله إياه ، وأصل الاستدراج اغترار المستدرج بلطف من حيث يرى المستدرج أن المستدرج إليه محسن ، حتى يورطه مكروها .

وقد بينا وجه فعل الله ذلك بأهل الكفر به فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١١٨﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وأوخر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا سلاءة بالكسر والضم والفتح من الدهر وهي الحين ، ومنه قيل : انتظرتك مليا ، ليلغوا بمعصيتهم ربهم المقدار الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ثم يقبضهم إليه (إِنْ كَيْدِي) والكيد : هو المكر ، (وَقَوْلُهُ مَتِينٌ) يعني : قوى شديد ، ومنه قول الشاعر :

عَدَلْنَ عُدُولَ النَّاسِ وَأَقْبَحَ يُبْتَلَى أَفَسٌ مِّنَ الْهَرَابِ شَدَّ مِمَّا تِنُّا

يعنى : سيرا شديدا باقيا لا ينقطع .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾

يقول تعالى ذكره : أو لم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم ، ويعلموا أن رسولنا الذى أرسلناه إليهم ، لا جنّة به ولا جنبل ، وأن الذى دعاهم إليه هو الدين الصحيح القويم ، والحق المبين ، ولذا نزلت هذه الآية فيما قبل . كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا ، فدعا قريشا ، فجعل يفخذهم فخذنا فخذنا ، يا بنى فلان يا بنى فلان ، فحذّرهم بأس الله ، ووقائع الله ، فقال قائلهم : إن صاحبكم هذا المجنون بات يصوت إلى الصباح ، أو حتى صبح ، فأنزل الله تبارك وتعالى (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ ، إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) ، ويعنى بقوله (إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) : ما هو إلا نذير منذركم عقاب الله على كفركم به إن لم تنيبوا إلى الإيمان به ، ويعنى بقوله (مُّبِينٌ) قد أبان لكم أيها الناس إنذاره ما أنذركم به من بأس الله على كفركم به .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾

يقول تعالى ذكره : أو لم ينظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله فى ملك الله وسلطانه فى السموات وفى الأرض وفيما خلق جل ثناؤه من شىء فىهما ، فيتدبروا ذلك ، ويعتبروا به ، ويعلموا أن ذلك ممن لا نظير له ولا شبيهه ، ومن فعل من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له ، فيؤمنوا به ، ويصدقوا رسوله ، وينيبوا إلى طاعته ، ويخلعوا الأنداد والأوثان ، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت ، فيهلكوا على كفرهم ويصيروا إلى عذاب الله ، وأليم عقابه .

وقوله (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) يقول : فبأى تجويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذى أتاهم به من عند الله فى آى كتابه يصدقون ، إن لم يصدقوا بهذا الكتاب الذى جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى .

(١) لم أشر على هذا البيت ، ولا على قائله . وأثبتته كما رأيت فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ بدار الكتب ، وهو محرف غامض .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٤٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : إن إعراض هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا ، التاركى النظر في حجج الله والفكر فيها ، لإضلال الله إياهم ، ولو هداهم الله لاعتبروا وتدبروا ، فأبصروا ورشدتم ، ولكن الله أضلهم فلا يبصرون رشداً ، ولا يهتدون سبيلاً ، ومن أضله عن الرشاد فلا هادى له ، ولكن الله يدعهم في تماديهم في كفرهم وتمردهم في شركهم يترددون ، ليستوجبوا الغاية التي كتبها الله لهم من عقوبته وأليم نكاله .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِمُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّبُهَا لَوْ قِفَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِن
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤٧﴾

اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ) فقال بعضهم : عنى بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وكانوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : إن بيننا وبينك قرابة ، فأسر إلينا متى الساعة ؟ فقال الله (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) .

وقال آخرون : بل عنى به قوم من اليهود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال حمل بن أبي قشير وسمول بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً ، كما تقول ، فإننا نعلم متى هي ، فأنزل الله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِمُهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي) . . . إلى قوله (وَلَٰكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن مخارق بن شهاب ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِمُهَا) . ❖ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن قوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن الساعة ، فأنزل الله هذه الآية ، وجائز أن يكون كانوا من قريش ، وجائز أن يكونوا كانوا من اليهود ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أى ذلك كان .

فتأويل الآية إذن : يسئلك القوم الذين يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ، يقول : متى قيامها . ومعنى أيان : متى في كلام العرب ، ومنه قول الراجز :

أيان تقضي حاجتي أيانا أما ترى لنجحها إيانا

ومعنى قوله (مرساها) : قيامها ، من قول القائل : أرساها الله فهي مرساة ، وأرساها القوم : إذا حبسوها ، ورست هي ترسو رسوا .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) : يقول متى قيامها .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) : متى قيامها .

وقال آخرون : معنى ذلك : منهاها ، وذلك قريب المعنى من معنى من قال : معناه : قيامها ، لأن انتهاءها : بلوغها وقتها . وقد بينا أن أصل ذلك الحبس والوقوف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المنفى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) يعنى : منهاها .
وأما قوله (قل إنما علمها عند ربى ، لا يجليها لوقتها إلا هو) فإنه أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يجيب سائليه عن الساعة ، بأنه لا يعلم وقت قيامها إلا الله الذى يعلم الغيب ، وإنه لا يظهرها لوقتها ، ولا يعلمها غيره جل ذكره .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو) يقول : علمها عند الله ، هو يجليها لوقتها ، لا يعلم ذلك إلا الله .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لا يجليها) : يأتي بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ججاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد : (لا يجليها) : لا يأتي بها (إلا هو) .

(١) البيت أنشده صاحب اللسان فى (أبى) قال : إبان كل شيء بالكسر والتشديد : وقته وحينه الذى يكون فيه ، يقال : جنته على إبان ذلك ، أى على زمنه ، وأخذ الشيء بإبانته ، أى بزمانه . . . قال الراجز : أيان . . . البيت . وأيان : قال فى اللسان معناه حين ، وهو سؤال عن زمان ، مثل متى . وفى التنزيل العزيز : « أيان مرساها ؟ » ابن سيده : أيان بمعنى متى .

حدثني محمد بن الحسين قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لا يُجَلِّبُهَا لِيَوْقَتِهَا إِلَّا هُوَ) يقول : لا يرسلها لوقتها إلا هو .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ثَقُلْتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ :
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ثقلت الساعة على أهل السموات والأرض أن يعرفوا وقتها ومجيئها لحفاتها عنهم ، واستئثار الله بعلمها .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (ثَقُلْتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : خفيت في السموات والأرض ، فلم يعلم قيامها متى تقوم ملك مقرب ، ولا نبي مرسل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق جميعا ، عن معمر ، عن بعض أهل التأويل (ثَقُلْتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : ثقل علمها على أهل السموات وأهل الأرض أنهم لا يعلمون .
وقال آخرون : معنى ذلك : أنها كبرت عند مجيئها على أهل السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق جميعا ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، في قوله (ثَقُلْتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يعني : إذا جاءت ثقلت على أهل السماء وأهل الأرض ، يقول : كبرت عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (ثَقُلْتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : إذا جاءت انشقت السماء ، وانتثرت النجوم ، وكورت الشمس ، وسيرت الجبال ، وكان ما قال الله ، فذلك ثقلها .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال بعض الناس في ثقلت : عظمت .

وقال آخرون : معنى قوله (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) : على السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثَقُلْتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) : أي على السموات والأرض .

قال أبو جعفر : وأولى ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها ، لأن الله أخفى ذلك عن خلقه ، فلم يطلع عليه منهم أحدا ، وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله (قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّبُهَا لِيَوْقَتِهَا إِلَّا هُوَ) وأخبر

بعده أنها لا تأتي إلا بغتة ، فالذي هو أولى أن يكون ما بين ذلك أيضا خبرا عن خفاء علمها عن الخلق ، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك .

وأما قوله (لا تأتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) فإنه يقول : لا تجيء الساعة إلا فجأة ، لا تشعرون بمجيئها . كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لا تأتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) يقول : يبعثهم قيامها ، تأتيهم على غفلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لا تأتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) قضى الله أنها لا تأتيكم إلا بغتة ، قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إن الساعة تهيج بالناس ، والرجل يصلاح حوضه ، والرجل يسقي ماشيته ، والرجل يقيم سلعته في السوق ، والرجل يخفص ميزانه ويرفعه » .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : يسئلك هؤلاء القوم عن الساعة ، كأنك حفي عنها ، فقال بعضهم : يسئلونك عنها كأنك حفي بهم . وقالوا : معنى قوله : عنها : التقديم ، وإن كان مؤخرا .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) يقول : كأن بينك وبينهم مودة ، كأنك صديق لهم . قال ابن عباس : لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدا حفي بهم ، فأوحى الله إليه : إنما علمها عنده ، استأثر بعلمها ، فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة : قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : إن بيننا وبينك قرابة ، فأسر إلينا متى الساعة ؟ فقال الله (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) : أي حفي بهم ، قال : قالت قريش : يا محمد أسر إلينا علم الساعة لما بيننا وبينك من القرابة ، لقرابتنا منك . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر وهاني بن سعيد ، عن حجاج ، عن خصيف ، عن مجاهد وعكرمة (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) قال : حفي بهم حين يسألونك .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) قال : قربت منهم ، وتحفي عليهم . قال : وقال أبو مالك : كأنك حفي بهم ، قال : قريب منهم ، وتحفي عليهم . قال : وقال أبو مالك : كأنك حفي بهم فتحدثهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) كأنك صديق لهم . وقال آخرون : بل معنى ذلك : كأنك قد استحفيت المسئلة عنها فعلمتها . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كأنك حَفِيٌّ عَنْهَا) استحفيت عنها السؤال حتى علمتها .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد في قوله (كأنك حَفِيٌّ عَنْهَا) قال : استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) قال : كأنك عالم بها .

قال : ثنا حامد بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) قال : كأنك تعلمها .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) يقول : يسئلونك عن الساعة ، كأن عندك علما منها ، (قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن بعضهم (كأنك حَفِيٌّ عَنْهَا) : كأنك عالم بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كأنك حَفِيٌّ عَنْهَا) قال : كأنك عالم بها . وقال : أخفى علمها على خلقه ، وقرأ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) ، حتى ختم السورة .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) يقول : كأنك يعجبك سؤا لهم إياك (قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ) .

وقوله (كأنك حَفِيٌّ عَنْهَا) يقول : لطيف بها ، فوجه هؤلاء تأويل قوله (كأنك حَفِيٌّ عَنْهَا) إلى حفي بها ، وقالوا : تقول العرب : تحفيت له في المسئلة ، وتحفيت عنه ، قالوا : ولذلك قيل : أتينا فلانا نسأل به ، بمعنى نسأل عنه . قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : كأنك حفي بالمسئلة عنها فتعلمها .

فإن قال قائل : وكيف قيل (حَفِيٌّ عَنْهَا) ولم يقل حفي بها ، إن كان ذلك تأويل الكلام ؟ قيل :

إن ذلك قيل كذلك ، لأن الحفاوة إنما تكون في المسئلة ، وهي البشاشة للمسئول عند المسئلة ، والإكثار من السؤال عنه ، والسؤال يوصل بعن مرة وبالباء مرة ، فيقال : سألت عنه ، وسألت به ؛ فلما وضع قوله حتى موضع السؤال ، وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما السؤال ، وهو عن ، كما قال الشاعر :

سؤالَ حَفِيٍّ عَنِّ أَخِيهِ كَأَنَّهُ يُذَكِّرُهُ وَسَنَانٌ أَوْ مُتَوَاسِنٌ ١

وأما قوله (قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ) فإن معناه : قل يا محمد لسائلك عن وقت الساعة وحين مجيئها : لا أعلم لي بذلك ، ولا يعلم به إلا الله الذي يعلم غيب السموات والأرض (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلا الله ، بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ

وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنَّ آتِيَ الْبَشِيرُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٤٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لسائلك عن الساعة أيان مرساها : (لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا) يقول : لا أقدر على اجتلاب نفع إلى نفسي ، ولا دفع ضرر يجل بها عنها إلا ما شاء الله أن أملكه من ذلك ، بأن يقويني عليه ، ويعينني (وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ) يقول : لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد ، لاستكثرت من الخير ، يقول : لأعددت الكثير من الخير . ثم اختلف أهل التأويل في معنى الخير الذي عناه الله بقوله (لا استكثرت من الخير) فقال بعضهم : معنى ذلك : لا استكثرت من العمل الصالح . ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قوله (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) قال : الهدى والضلالة (لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ) قال : أعلم الغيب متى أموت ، لا استكثرت من العمل الصالح .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) في (اللسان : حن) : وقوله تعالى : « يسألونك كأنك حن عنها » : قال الزجاج : يسألونك عن أمر القيامة كأنك فرح بسؤالهم . وقيل معناه : كأنك أكثر المسألة عنها . وقال الفراء : فيه تقديم وتأخير ، معناه : يسألونك عنها ، كأنك حن بها . قال : ويقال في التفسير كأنك حن عنها : كأنك عالم بها معناه : حاف عالم . وقيل : كأنك معنى بها . وأنشد للأعشى :

فإن تسألني عني فيارب سائل
حفي عن الأعشى به حيث أصددا

معناه : معنى ، وبالأعشى بالسؤال عنه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) قال : لاجتنبت ما يكون من الشرِّ واتقيته .
وقال آخرون : معنى ذلك : ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجذبة من المحصبة ، ولعرفت الغلاء من الرخص ، واستعددت له في الرخص .

وقوله (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) يقول : وما مسني الضر (إن أنا إلا نذيرٌ وبشيرٌ) يقول : ما أنا إلا رسول الله أرسلني إليكم ، أنذر عقابه من عصاه منكم وخالف أمره ، وأبشر بثوابه وكرامته ، من آمن به وأطاعه منكم ، وقوله (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : يصدقون بأني لله رسول ، ويقرّون بحقية ماجئهم به من عنده .

القول في تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ
حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُ مَلِينًا تَبْتَغِي لَهُ سَبِيلًا لِيُكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٦٩﴾

يقول تعالى ذكره (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يعني بالنفس الواحدة : آدم .
كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) قال : آدم عليه السلام .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) من آدم ، ويعني بقوله (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) : وجعل من النفس الواحدة ، وهو آدم ، زوجها حواء .

كما حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) : حواء ، فجعلت من ضلع من أضلاعه ليسكن إليها .

ويعني بقوله (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) : ليأوي إليها لقضاء الحاجة ولذاته : ويعني بقوله (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا) فلما تذررها لقضاء حاجته منها ، ففضى حاجته منها (حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا) وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما حذف ، وذلك قوله (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ) وإنما الكلام : فلما تغشاه ففضى حاجته منها حملت . وقوله (حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا) يعني : بنحفة الحمل : الماء الذي حملته حواء في رحمها من آدم أنه كان حملاً خفيفاً ، وكذلك هو حمل المرأة ماء الرجل خفيف عليها . وأما قوله (فَامْرَأَتٌ بِهِ) فإنه يعني : استمرت بالماء : قامت به وقعدت ، وأتمت الحمل .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي عمير ، عن أيوب ، قال : سألت الحسن عن قوله (حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ) قال : لو كنت امرأ عربيا لعرفت ماهي ، إنما هي فاستمرت به . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلٌ خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ) استبان حملها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَمَرَّتْ بِهِ) قال : استمرت حملها .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا) قال : هي النطفة . وقوله (فَمَرَّتْ بِهِ) يقول : استمرت به . وقال آخرون : معنى ذلك : فشكت فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (فَمَرَّتْ بِهِ) قال : فشكت أحملت أم لا ، ويعني بقوله (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) فلما صار مافي بطنها من الحمل الذي كان خفيفا ثقيلًا ، ودنت ولادتها ، يقال منه : أثقلت فلانة إذا صارت ذات ثقل بحملها كما يقال : أتمر فلان : إذا صار ذا تمر .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) : كبر الولد في بطنها .

قال أبو جعفر : (دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا) ، يقول : نادى آدم وحواء ربهما وقالوا : ياربنا لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين .

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي أقسم آدم وحواء عليهما السلام أنه إن آتاها صالحا في حمل حواء لنكونن من الشاكرين ، فقال بعضهم : ذلك هو أن يكون الحمل غلاما .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، في قوله (لئن آتيتنا صالحا) قال : غلاما .

وقال آخرون : بل هو أن يكون المولود بشرا سويا مثلهما ، ولا يكون بهيمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن زيد بن جبيرة الحسبي ، عن أبي البختري ، في قوله (لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين) قال : أشفقا أن يكون شيئا دون الإنسان .

قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن زيد بن جبيرة ، عن أبي البختري ، قال : أشفقا أن لا يكون إنسانا

قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : لما حملت امرأة آدم فأثقلت ، كان يشفقان أن يكون بهيمة (فَدَعَا رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا) . . . الآية .

قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاک ، عن ابن عباس ، قال : أشفقنا أن يكون بهيمة . حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال سعيد بن جبیر : لما هبط آدم وحواء ، أُلقيت الشهوة في نفسه فأصابها ، فليس إلا أن أصابها حملت ، فليس إلا أن حملت تحرك في بطنها ولدها ، قالت : ما هذا ؟ فجاءها إبليس ، فقال : أترين في الأرض إلا ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة ؟ هو بعض ذلك ؛ قالت : والله ما مني شيء إلا وهو يضيق عن ذلك ، قال : فأطعيني وسميه عبد الحرث تلدى شبيهكما مثلكما ، قال : فذكرت ذلك لآدم عليه السلام ، فقال : هو صاحبنا الذي قد أخرجنا من الجنة ، فمات ، ثم حملت بآخر ، فجاءها فقال : أطعيني وسميه عبد الحرث ، وكان اسمه في الملائكة الحرث ، وإلا ولدت ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة ، أو قتلته ، فإني أنا قتلت الأول ، قال : فذكرت ذلك لآدم ، فكأنه لم يكرهه ، فسمته عبد الحرث ، فذلك قوله (لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا) يقول : شبهنا مثلنا ، فلما آتاها صالحا ، قال : شبيههما مثلهما .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) كبر الولد في بطنها جاءها إبليس ، فخوفها وقال لها : ما يدريك ما في بطنك ، لعله كلب أو خنزير أو حمار ، وما يدريك من أين يخرج ؟ أمن دبرك فيقتلك ، أو من قبلك ، أو ينشق بطنك فيقتلك ، فذلك حين (دَعَا رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا) يقول : مثلنا (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء ، وأقسما لئن أعطاهما في بطن حواء صالحا ل يكونان لله من الشاكرين . والصلاح قد يشمل معاني كثيرة : منها الصلاح في استواء الخلق . ومنها الصلاح في الدين ، والصلاح في العقل والتدبير . وإذا كان ذلك كذلك ، ولا يخبر عن الرسول يوجب الحججة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض ، ولا فيه من العقل دليل وجب أن يتعمم كما عمه الله ، فيقال : لئن آتيتنا صالحا بجميع معاني الصلاح . وأما معنى قوله (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) فإنه لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت له من الولد صالحا .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَهُمَا شُرَكَاءَ فِيهَا إِذْ نَسِيَ اللَّهُ آلِهَةَ الَّتِي كَانُوا يُشْرِكُونَ ﴿١٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : فلما رزقهما الله ولدا صالحا كما سألا جعل له شركاء فيما آتاها ورزقهما . ثم اختلف أهل التأويل في الشركاء التي جعلها فيما أوتيا من المولود ، فقال بعضهم : جعل له شركاء في الاسم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا عمر بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « كَانَتْ حَوَاءُ لَا يَعْيشُ لَهَا وَلَدٌ ، فَتَنَدَّرَتْ لِئِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ لَتُسَمِّيَنَّهُ عَبْدَ الْحَرِثِ ، فَعَاشَ لَهَا وَلَدٌ ، فَسَمَّيْتُهُ عَبْدَ الْحَرِثِ ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ » .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو العلاء ، عن سمرة بن جندب أنه حدث أن آدم عليه السلام سمي ابنه عبد الحرث ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا ابن علية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي العلاء بن الشخير ، عن سمرة بن جندب ، قال : سمي آدم ابنه : عبد الحرث . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت حواء تلد لآدم ، فتعبدهم لله ، وتسميه عبد الله ، وعبيد الله ونحو ذلك ، فيصيهم الموت ، فأتاها إبليس وآدم ، فقال : إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش ، فولدت له رجلا ، فسماه عبد الحرث ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) . . . إلى قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) . . . إلى آخر الآية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس قوله في آدم (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) . . . إلى قوله (فَفَرَّتْ بِهِ) فشكت أحبلت أم لا ؟ (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا) . . . الآية ، فأتاهما الشيطان فقال : هل تدريان ما يولد لكما ، أم هل تدريان ما يكون ، أبهيمة تكون أم لا ؟ وزين لهما الباطل إنه غوى مبين وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فأتاها ، فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويا ومات كما مات الأولان ، فسميا ولدهما عبد الحرث فذلك قوله (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : لما وُلد له أول ولد ، أتاه إبليس فقال : إني سأنصح لك في شأن ولدك هذا تسميه عبد الحرث ، فقال آدم : أعوذ بالله من طاعتك ، إني أطعتك في أكل الشجرة ، فأخرجتني من الجنة ، فلن أطيعك ، فمات ولده ، ثم وُلد له بعد ذلك ولد آخر ، فقال : أطعني وإلا مات كما مات الأول ، فعصاه ، فمات ، فقال : لأزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحرث ، فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث ، فذلك قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) : أشركه في طاعته في غير عبادة ، ولم يُشرك بالله ، ولكن أطاعه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن هارون ، قال : أخبرنا الزبير بن الخريت ، عن عكرمة ،

قال : ما أشرك آدم ولا حواء ، وكان لا يعيش لهما ولد ، فأتاها الشيطان فقال : إن سر كما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث ، فهو قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهُمَا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا تَخَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا) قال : كان آدم عليه السلام لا يولد له ولد إلا مات ، فجاءه الشيطان ، فقال : إن سر كما أن يعيش ولدك هذا ، فسميه عبد الحرث ، ففعل ، قال : فأشركا في الاسم ولم يُشركا في العبادة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهُمَا) ذكر لنا أنه كان لا يعيش لهما ولد ، فأتاها الشيطان ، فقال لهما : اسمياه عبد الحرث ، وكان من وحى الشيطان وأمره ، وكان شركا في طاعته ، ولم يكن شركا في عبادته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال : كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد ، فقال لهما الشيطان : إذا ولد لكما ولد ، فسمياه عبد الحرث ، ففعلوا وأطاعاه ، فذلك قول الله (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن سالم بن أبي حفصة ، عن سعيد بن جبیر ، قوله (أَثْقَلَتْ دَعَاؤَ اللَّهِ رَبَّهُمَا) . . . إلى قوله تعالى (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال : لما حملت حواء في أول ولد ولدتها حين أثقلت ، أتاه إبليس قبل أن تلد ، فقال : يا حواء ما هذا الذي في بطنك ؟ فقالت : ما أدري ، فقال : من أين يخرج ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من أذنك ؟ قالت : لا أدري ، قال : رأيت إن خرج سليبا أتطيعيني أنت فيما أمرك به ؟ قالت : نعم ، قال : سميه عبد الحرث ، وقد كان يسمى إبليس الحرث ، فقالت نعم ، ثم قالت بعد ذلك لآدم : أتاني آت في النوم فقال لي كذا وكذا ، فقال إن ذلك الشيطان فاحذريه ، فإنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة ؛ ثم أتاه إبليس ، فأعاد عليها ، فقالت نعم فلما وضعته أخرجته الله سليبا ، فسمته عبد الحرث ، فهو قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهُمَا ، فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وابن فضيل ، عن عبد الملك ، عن سعيد بن جبیر ، قال : قيل له أشرك آدم قال : أعوذ بالله أن أزعم أن آدم أشرك ، ولكن حواء لما أثقلت ، أتاه إبليس فقال لها : من أين يخرج هذا ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من فيك ؟ فقنطها ، ثم قال : رأيت إن خرج سويا ؛ زاد ابن فضيل : لم يضرك ولم يقتلك أتطيعيني ؟ قالت : نعم ، قال : فسميه عبد الحرث ، ففعلت . زاد جرير : وإنما كان شركه في الاسم .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : فولدت غلاما ، يعني حواء ، فأتاها إبليس فقال : سموه عبدي وإلا قتلتك ، قال له آدم عليه السلام : قد أطعتك وأخرجتني من الجنة ، فأبى أن يطيعه ، فسماه عبد الرحمن ، فسلط الله عليه إبليس فقتله ، فحملت بآخر ؛ فلما ولدتها

قال لها : سميه عبدى وإلا قتلته ، قال له آدم : قد أطعتك فأخرجتنى من الجنة ، فأبى ، فسماه صالحا فقتله ، فلما أن كان الثالث ، قال لهما : فاذا غلبتم فسموه عبدالحرث ، وكان اسم إبليس ؛ وإنما سمي إبليس حين أبلس ، ففعلوا ، فذلك حين يقول الله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) يعنى فى التسمية .

وقال آخرون : بل المعنى بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بنى آدم جعل الله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما مارزقهما من الولد ، وقالوا : معنى الكلام : هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما تغشاها : أى هذا الرجل الكافر ، حملت حملا خفيفا ، فلما أثقلت دعوتما الله ربكما ، قالوا : وهذا مما ابتدئ به الكلام على وجه الخطاب ، ثم رد إلى الخبر عن الغائب ، كما قيل (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ) وقد بينا نظائر ذلك بشواهد فى ما مضى قبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) قال : كان هذا فى بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : عنى بهذا ذرية آدم ، من أشرك منهم بعده ، يعنى بقوله (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى ، رزقهم الله أولادا فهو دوا ونصروا .

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب قول من قال : عنى بقوله (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ) فى الاسم لافى العبادة ، وأن المعنى بذلك آدم وحواء لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

فإن قال قائل : فما أنت قائل إذ كان الأمر على ما وصفت فى تأويل هذه الآية ، وأن المعنى بها آدم وحواء فى قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) أهو استنكاف من الله أن يكون له فى الأسماء شريك أو فى العبادة ؟ فإن قلت فى الأسماء دل على فساده قوله (أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ) وإن قلت فى العبادة ، قيل لك : أفكان آدم أشرك فى عبادة الله غيره ؟ قيل له : إن القول فى تأويل قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ليس بالذى ظننت ، وإنما القول فيه ، فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان . فأما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قوله (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) ثم استؤنف قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : هذه فصل من آية آدم خاصة فى آلهة العرب .

واختلفت القرآء فى قراءة قوله (شُرَكَاءَ) فقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين

(جَعَلَا لَهُ شِرْكََا) بكسر الشين ، بمعنى الشركة . وقرأه بعض المكيين وعامة قرآء الكوفيين وبعض البصريين (جَعَلَا لَهُ شُرْكَاءَ) بضم الشين ، بمعنى جمع شريك .
 * * * وهذه القراءة أولى القراءتين بالصواب ، لأن القراءة لو صحت بكسر الشين لوجب أن يكون الكلام : فلما آتاها صالحا ، جعلها لغيره فيه شركا ، لأن آدم وحواء لم يدينا بأن ولدهما من عطية إبليس ، ثم يجعل الله فيه شركا لتسميتهما إياه بعبد الله ، وإنما كانا يدينان لاشك بأن ولدهما من رزق الله وعطيته ، ثم سمياه عبد الحرث ، فجعلنا لإبليس فيه شركا بالاسم ، فلو كانت قراءة من قرأ (شِرْكََا) صحيحة وجب ما قلنا أن يكون الكلام جعلها لغيره فيه شركا ، وفي نزول وحى الله بقوله (جَعَلَا لَهُ) ما يوضح عن أن الصحيح من القراءة (شُرْكَاءَ) بضم الشين على ما بينت قبل .

* * * فإن قال قائل : فإن آدم وحواء إنما سميا ابنيهما عبد الحرث ، والحرث واحد ، وقوله (شُرْكَاءَ) جماعة ، فكيف وصفهما جل ثناؤه بأنهما جعلوا له شركاء ، وإنما أشركا واحدا ؟ قيل : قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة إذا لم تقصد واحدا بعينه ، ولم تسمه ، كقوله (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) وإنما كان القائل ذلك واحدا ، فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة ، إذ لم يقصد قصده ، وذلك مستفيض في كلام العرب وأشعارها .
 وأما قوله (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) فتزويه من الله تبارك وتعالى نفسه ، وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون ، ويدعون معه من الآلهة والأوثان .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال : هو الإنكاف ، أنكف نفسه جل وعز ، يقول : عظم نفسه ، وأنكفته الملائكة وماسبح له .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، قال : سمعت صدقة يحدث عن السدي ، قال : هذا من الموصول والمفصول قوله (جَعَلَا لَهُ شُرْكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) في شأن آدم وحواء ، ثم قال الله تبارك وتعالى (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) قال : عما يشرك المشركون ، ولم يعنهما .
 القول في تأويل قوله تعالى

أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٤١﴾

* * * يقول تعالى ذكره : أيشركون في عبادة الله ، فيعبدون معه ما لا يخلق شيئا والله يخلقها وينشئها ، وإنما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق .

وكان ابن زيد يقول في ذلك بما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال :
 وُلِدَ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ وَلَدٌ ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ : مَا سَمَّيْتُمَا يَا آدَمَ وَيَا حَوَّاءَ ابْنَيْكُمَا ؟ قَالَ :
 وَكَانَ وُلِدَ لهُمَا قَبْلَ ذَلِكَ وَلَدٌ ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ اللَّهِ ، فَمَاتَ ؛ فَقَالَا : سَمَّيْنَاهُ عَبْدَ اللَّهِ ، فَقَالَ إِبْلِيسُ : أَتَظُنَّانِ

(١) لعل لفظة قال هذه : زيادة من قلم الناسخ ، وقد وقع مثلها كثيرا فيما مضى .

أن الله تارك عبده عندكما ، لا والله ليذهبن به ، كما ذهب بالآخر ، ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتا ، فسمياه عبد شمس ، قال : فذلك قول الله تبارك وتعالى (أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) الشمس تخلق شيئا حتى يكون لها عبد ، إنما هي مخلوقة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَدَعَهُمَا مَرَّتَيْنِ : خَدَعَهُمَا فِي الْجَنَّةِ ، وَخَدَعَهُمَا فِي الْأَرْضِ » . وقيل : (وَهُمْ يُخْلَقُونَ) ، فأخرج مكنيهم مخرج مكنى بنى آدم ، وقد قال : أيشركون ما ، فأخرج ذكرهم بما لا بمن مخرج الخبر عن غير بنى آدم ، لأن الذي كانوا يعبدونه إنما كان حجرا أو خشبا أو نحاسا ، أو بعض الأشياء التي يخبر عنها « بما » لا « بمن » ، فقيل لذلك « ما » ، ثم قيل : وهم ، فأخرجت كنياتهم مخرج كناية بنى آدم ، لأن الخبر عنها بتعظيم المشركين إياها نظير الخبر عن تعظيم الناس بعضهم بعضا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٦﴾

يقول تعالى ذكره : أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله ما لا يخلق شيئا من خلق الله ، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله بهم سوءا ، أو أحل بهم عقوبة ، ولا هو قادر إن أراد به سوءا نصر نفسه ، ولا دفع ضرر عنها ، وإنما العابد يعبد ما يعبد ، لا اجتلاب نفع منه ، أو لدفع ضرر منه عن نفسه ، وآلهتهم التي يعبدونها ويشركونها في عبادة الله ، لا تنفعهم ولا تضرهم ، بل لا تجتلب إلى نفسها نفعا ، ولا تدفع عنها ضرا ، فهي من نفع غير أنفسها ، أو دفع الضرر عنها أبعد ، يعجب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطايا هؤلاء الذين يشركون في عبادتهم الله غيره .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٧﴾

يقول تعالى ذكره في وصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء المشركون في عبادتهم ربهم إياه ، ومن صفته أنكم أيها الناس إن تدعوهم إلى الطريق المستقيم ، والأمر الصحيح السديد ، لا يتبعوكم ، لأنها ليست تعقل شيئا ، فترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلا جائرا ، وترك ما كان مستقيا سديدا . وإنما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها تنبيههم على عظيم خطئهم ، وقبح اختيارهم ، يقول جل ثناؤه : فكيف يهديكم إلى الرشاد من إن دعى إلى الرشاد وعرفه لم يعرفه ، ولم يفهم رشادا من ضلال ، وكان سواء دعاء داعيه إلى الرشاد وسكوته ، لأنه لا يفهم دعاءه ، ولا يسمع صوته ، ولا يعقل ما يقال له ، يقول : فكيف يُعبد من كانت هذه صفته ، أم كيف يشكل عظيم جهل من اتخذ ما هذه صفته إلها ، وإنما الرب المعبود هو النافع من عبده ، الضار من يعصيه ، الناصر وليه ، الخاذل عدوه ، الهادي إلى الرشاد من أطاعه ، السامع دعاء من دعاه . وقيل (سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) فعطف بقوله : صامتون ، وهو اسم على قوله : أدعوتموهم ، وهو فعل ماض ، ولم يقل أم صمتم ، كما قال الشاعر :

سَوَاءٌ عَلَيْكَ الْفَقْرُ أَمْ بَيْتٌ لَيْلَةٌ بِأَهْلِ الْقِيَابِ مِنْ نَمْتِيرِ بْنِ عَامِرٍ ^(١) وقد ينشد : أم أنت بائت .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾

يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان موبخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الأصنام : إن الذين تدعون أيها المشركون آلهة من دون الله ، وتعبدونها شركا منكم ، وكفرا بالله ، عباد أمثالكم ، يقول : هم أملاك لربكم ، كما أنتم له ممالك ، فإن كنتم صادقين أنها تضر وتنفع ، وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم ، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتهم ، فإن لم يستجيبوا لكم لأنها لا تسمع دعاءكم ، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر ، لأن الضر والنفع إنما يكونان ممن إذا سئل سمع مسألة سائل ، وأعطى وأفضل ؛ ومن إذا سئى إليه من شيء سمع فضر من استحق العقوبة ، ونفع من لا يستوجب الضر .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلْهَمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الأصنام من دونه معرفتهم ، جهل ما هم عليه مقيمون ، الأصنامكم هذه أيها القوم (أرجل يمشون بها) فيسعون معكم ولكم في حوائجكم ، ويتصرفون بها في منافعكم (أم لهم أيدي يبطشون بها) فيدفعون عنكم وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم بشر ومكروه (أم لهم أعين يبصرون بها) فيعرفونكم ما عاينوا ، وأبصروا مما تغيبون عنه فلا ترونه (أم لهم آذان يسمعون بها) فيخبروكم بما سمعوا دونكم ، مما لم تسمعوه ، يقول جل ثناؤه : فإن كانت آلهتكم التي تعبديها ليس فيها شيء من هذه الآلات التي ذكرتها ، والمعظم من الأشياء إنما يعظم لما يرجى منه من المنافع التي توصل إليه بعض هذه المعاني عندكم ، فما وجه عبادتكم أصنامكم التي تعبديها ، وهي خالية من كل هذه الأشياء التي بها يوصل إلى اجتلاب النفع ودفع الضر .

وقوله (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدوا) أنتم وهن (فلا تنظرون) يقول : فلا تؤخرون

(١) البيت من شواهد الكسائي ، نقله الفراء في كتابه (معاني القرآن ص ١١٦ من مصورة جامعة القاهرة) قال : وقوله « سواء عليكم ادعوتهم ، أم أنتم صامتون » ، ولم يقل : أم صمتم ؛ وعلى هذا أكثر كلام العرب أن يقولوا : سواء على أقمت أم تعدت . ويجوز : سواء على أقمت أم أنت قاعد ، قال الشاعر : سواء عليك الفقر . . . البيت . وأنشده بعضهم : أو أنت بائت . وجاز فيها (أو) لقوله : « الفقر » ، لأنك تقول : سواء عليك الخير والشر . ويجوز مكان الواو « أو » ، لأن المعنى جزاء ، كما تقول : اضربه قام أو قعد . (فأو) تذهب إلى معنى العموم ، كذهاب الواو .

بالكيد والمكر ، ولكن عجلوا بذلك ، يُعلمه جل ثناؤه بذلك أنهم لم يضرّوه ، وأنه قد عصمه منهم ، ويعرف الكفرة به عجز أوثانهم عن نصره من بغى أولياءهم بسوء .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٤٦﴾

✽✽ يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للمشركين من عبدة الأوثان : إن ولي نصيري ومعيني وظهرى عليكم الله الذي نزل الكتاب على بالحق ، وهو الذي يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٤٧﴾

✽✽ وهذا أيضا أمر من الله جل ثناؤه لنبية أن يقوله للمشركين بقوله تعالى : قل لهم : إن الله نصيري وظهرى . والذين تدعون أنتم أيها المشركون من دون الله من الآلهة ، لا يستطيعون نصركم ، ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم ، يقدرون على نصره أنفسهم ، فأى هذين أولى بالعبادة ، وأحق بالآلوهة ، أمن ينصر وليه ، ويمنع نفسه ممن أراده ، أم من لا يستطيع نصر وليه ، ويعجز عن منع نفسه ممن أراده ، وبغاه بمكروه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٤٨﴾

✽✽ يقول جل ثناؤه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل للمشركين : وإن تدعوا أيها المشركون آلهتكم إلى الهدى ، وهو الاستقامة إلى السداد ، لا يسمعوا ، يقول : لا يسمعوا دعاءكم ، وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ، وهذا خطاب من الله لنبية صلى الله عليه وسلم ، يقول : وترى يا محمد آلهتهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ، ولذلك وحد ، ولو كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب المشركين لقال : وتروهم ينظرون إليكم .

وقد روى عن السدى في ذلك ما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ، وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) قال : هؤلاء المشركون ، وقد يحتمل قول السدى : هذا أن يكون أراد بقوله : هؤلاء المشركون قول الله (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا)

وقد كان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح

عن مجاهد (وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) ما تدعوهم إلى الهدى ، وكان مجاهدا وجه معنى الكلام ، إلى أن معناه : وترى المشركين ينظرون إليك وهم لا يبصرون ، فهو وجه ، ولكن الكلام في سياق الخبر عن الآلهة فهو بوصفها أشبه .
 قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فما معنى قوله (وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) وهل يجوز أن يكون شيء ينظر إلى شيء ، ولا يراه . قيل : إن العرب تقول للشئ إذا قابل شيئا أو حاذاه هو ينظر إلى كذا ، ويقال : منزل فلان ينظر إلى منزلي إذا قابله . وحكى عنها : إذا أتيت موضع كذا وكذا ، فنظر إليك الجبل ، فخذ يمينا أو شمالا . وحدثت عن أبي عبيد ، قال : قال الكسائي : الحائط ينظر إليك إذا كان قريبا منك حيث تراه ، ومنه قول الشاعر :

إِذَا نَظَرْتُ بِلَادَ بَنِي تَمِيمٍ بَعَيْنٍ أَوْ بِلَادَ بَنِي صُبَّاحٍ

يريد : تقابل نبتها وعشبتها وتحاذى .

فمعى الكلام : وترى يا محمد آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان ، يقابلونك ويحاذونك ، وهم لا يبصرونك ، لأنه لا أبصار لهم . وقيل : وتراها ، لأنها صور مصورة على صور بني آدم .
 القول في تأويل قوله تعالى :

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله : خذ العفو من أخلاق الناس ، وهو الفضل ، وما لا يجهدهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن مجاهد ، في قوله (خذ العفو) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

حدثنا يعقوب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عليه ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله (خذ العفو) قال : عفو أخلاق الناس ، وعفو أمورهم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ثنى ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ،

(١) أراد بقوله « نظرت » معنى قابلت . يقال : تناظرت الداران : تقابلتا . ونظر إليك الجبل : قابلك . وإذا أخذت في طريق كذا فنظر إليك الجبل ، فخذ عن يمينه أو يساره . وقوله تعالى : « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » : ذهب أبو عبيدة إلى أنه أراد الأصنام : أى تقابلك ، وليس هناك نظر ، لكن لما كان النظر لا يكون إلا بمقابلة حسن ، وقال : وتراهم وإن كانت لاتعقل ، لأنهم يضعونها موضع من يعقل . وقال الفراء في معاني القرآن (ص ١١٧ مصورة جامعة القاهرة) : وقوله « وتراهم ينظرون إليك » يريد الآلهة ، لأنها صور لاتبصر ، ولم يقل : وتراها ، لأن لها أجساما وحيونا . والعرب تقول للرجل القريب من الشئ : هو ينظر وهو لا يراه . والمنازل تتناظر : إذا كان بعضها بجذاء بعضها . وقال في التاج : بنو صباح بالضم : بطون : منها بطن في عبد القيس ، وبطن في ضبة ، وبطن في غنى ، وبطن في عذرة .

في قوله (خذِ الْعَفْوَ) . . . الآية . قال عروة : أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أبي الزبير ، قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس (خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) الآية . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني عن مجاهد (خذِ الْعَفْوَ) من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان ، عن أبي الزبير (خذِ الْعَفْوَ) قال من أخلاق الناس ، والله لا أخذنه منهم ما صحبتهم .

قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أبي الزبير ، قال : إنما أنزل الله (خذِ الْعَفْوَ) من أخلاق الناس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (خذِ الْعَفْوَ) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس أو تحسس ، شك أبو عاصم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (خذِ الْعَفْوَ) من أموال الناس ، وهو الفضل . قالوا : وأمر بذلك قبل نزول الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (خذِ الْعَفْوَ) يعني : خذ ما عفا لك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذ ، فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها ، وما انتهت الصدقات إليه .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (خذِ الْعَفْوَ) أما العفو : فالفضل من المال ، نسختها الزكاة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک ، يقول في قوله (خذِ الْعَفْوَ) يقول : خذ ما عفا من أموالهم ، وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة .

وقال آخرون : بل ذلك أمر من الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين ، وترك الغلظة عليهم قبل أن يفرض قتالهم عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (خذِ الْعَفْوَ) قال : أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة ، قال : ثم أمره بالغلظة عليهم وأن يقعد لهم كل مرصد وأن يحذروهم ، ثم قال (فإن تابوا وأقاموا الصلاة) الآية كلها ، وقرأ (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظْ)

عَلَيْهِمْ) قال : وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم ، فقال (يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) بعد ما كان أمرهم بالعفو ، وقرأ قول الله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام أو القتل ، فنسخت هذه الآية العفو .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : خذ العفو من أخلاق الناس ، وارك الغلظة عليهم . وقال : أمر بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم في المشركين .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمه نبيه صلى الله عليه وسلم محاجته المشركين في الكلام ، وذلك قوله (قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ) ، وعقبه بقوله (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) ، وإذا لم تأت بهم بآية قالوا لولا اجتبتبستها) فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيه صلى الله عليه وسلم في عشرتهم به أشبه وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين .

فإن قال قائل : أفسوخ ذلك ؟ قيل : لادلالة عندنا على أنه منسوخ ، إذ كان جائزا أن يكون ، وإن كان الله أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام في تعريفه عشرة ، من لم يؤمر بقتاله من المشركين مرادا به تأديب نبي الله والمسلمين جميعا في عشرة الناس ، وأمرهم بأخذ عفو أخلاقهم ، فيكون وإن كان من أجلهم نزل تعليما من الله خلقه صفة عشرة بعضهم بعضا ، لم يجب استعمال الغلظة والشدة في بعضهم ، فإذا وجب استعمال ذلك فيهم ، استعمل الواجب ، فيكون قوله (خُذِ الْعَفْوَ) أمرا بأخذه ما لم يجب غير العفو ، فإذا وجب غيره ، أخذ الواجب وغير الواجب إذا أمكن ذلك فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة لما قد بينا ذلك في نظائره في غير موضع من كتبنا .

وأما قوله (وَأْمُرُ بِالْعُرْفِ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم بما حدثني الحسن بن الزبرقان النخعي ، قال : ثنا حسين الجعفي ، عن سفيان بن عيينة ، عن رجل قد سماه ، قال : لما نزلت هذه الآية (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرُ بِالْعُرْفِ) وأعرض عن الجاهليين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا جبريل ما هذا؟ قال : ما أدري حتى أسأل العالم ، قال : ثم قال جبريل : يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك» .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن أبي ، قال : «لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (خُذِ الْعَفْوَ) وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهليين) قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا جبريل؟ قال : إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك .

وقال آخرون بما حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (وَأْمُرُ بِالْعُرْفِ) يقول : بالمعروف .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وأمرٌ بالعرفِ) قال : أما العرف : فالمعروف . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأمرٌ بالعرفِ) أي بالمعروف . قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعرف ، وهو المعروف في كلام العرب ، مصدر في معنى المعروف ، يقال أوليته عرفاً وعارفاً وعارفة كل ذلك بمعنى المعروف . فإذا كان معنى العرف ذلك ، فمن المعروف صلة رحم من قُطِع ، وإعطاء من حُرِم ، والعفو عن ظلم ، وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه ، فهو من العرف ، ولم يخص الله من ذلك معنى دون معنى ؛ فالحق فيه أن يقال : قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله لا ببعض معانيه دون بعض .

وأما قوله (وأعرض عن الجاهلين) فإنه أمر من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عن جهل ، وذلك وإن كان أمراً من الله لنبيه ، فإنه تأديب منه عز ذكره لخلق باحتمال من ظلمهم ، أو اعتدى عليهم ، لا بالإعراض عن جهل الواجب عليه من حق الله ، ولا بالصفح عن كفر بالله ، وجهل وحدانيته ، وهو للمسلمين حرب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خذ العفو ، وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) قال : أخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، ودله عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

يعنى جل ثناؤه بقوله (وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) وإما يفضببك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ، ويحملك على مجازاتهم (فاستعذ بالله) يقول : فاستجبر بالله من نزغه (إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول : إن الله الذي تستعبد به من نزغ الشيطان سميع لجهل الجاهل عليك ، ولاستعادتك به من نزغه ، ولغير ذلك من كلام خلقه ، لا يحنى عليه منه شيء ، عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان ، وغير ذلك من أمور خلقه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فكيّف بالغضب يارب »

قال : (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) قال : علم الله أن هذا العدو منيع ومريد ، وأصل النزغ : الفساد ، يقول : نزغ الشيطان بين القوم : إذا أفسد بينهم ، وحمل بعضهم على بعض ، ويقال منه : نزغ ينزغ ، ونغز ينغز .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا) الله من خلقه ، فخافوا عقابه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) يقول : إذا ألم بهم طيف من الشيطان من غضب أو غيره ، مما يصد عن واجب حق الله عليهم ، تذكروا عقاب الله وثوابه ، ووعده ووعيده ، وأبصروا الحق فعملوا به ، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم ، وتركوا فيه طاعة الشيطان .
واختلفت القراء في قراءة قوله (طَائِفٌ) فقراءته عامة قراء أهل المدينة والكوفة (طَائِفٌ) على مثال فاعل ، وقراءه بعض المكيين والبصريين والكوفيين (طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ) .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين الطائف والطيف . قال بعض البصريين : الطائف والطيف سواء ، وهو ما كان كالحيال والشيء يلم بك . قال : ويجوز أن يكون الطيف مخففاً عن طيف مثل ميئت وميئت . وقال بعض الكوفيين : الطائف : ما طاف بك من وسوسة الشيطان : وأما الطيف : فإنما هو من اللمم والممس . وقال آخر منهم : الطيف : اللمم . والطائف : كل شيء طاف بالإنسان . وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول : الطيف : الوسوسة .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ (طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ) لأن أهل التأويل ، تأولوا ذلك بمعنى الغضب والزلة تكون من المطيف به . وإذا كان ذلك معناه ، كان معلوماً إذ كان الطيف إنما هو مصدر من قول القائل : طاف يطيف أن ذلك خبر من الله عما يمس الذين اتقوا من الشيطان ، وإنما يمسهم ما طاف بهم من أسبابه ، وذلك كالغضب والوسوسة ، وإنما يطوف الشيطان بابن آدم ليستزله عن طاعة ربه ، أو ليوسوس له ، والوسوسة والاستزلال هو الطائف من الشيطان ، وأما الطيف فلإنما هو الحيال ، وهو مصدر من طاف يطيف ، ويقول : لم أسمع في ذلك طاف يطيف ، ويتأوله بأنه بمعنى الميت وهو من الواو . وحكى البصريون وبعض الكوفيين سماعاً من العرب : طاف يطيف ، وطففت أطفيف ، وأنشدوا في ذلك :

(١) في التاج : قال الفراء : نغز بينهم : أغرى ، وحمل بعضهم على بعض ، كنزغ . قلت : ولم يضبط المضارع ، وقد يفهم قوله كنزغ أنه مثله في المعنى والصفة ، فيكون من باب منع . أما إذا كان التمثيل للمعنى وحده ، فإنه يجوز فيه كونه من باب نصر وكونه من باب ضرب ، كما في شرح الرضي على شافية ابن الحاجب .

أَتَى أَلَمَّ بِكَ الْخِيَالُ يَطِيفُ وَمَطَافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وَشُغُوفٌ

وأما أهل التأويل ، فإنهم اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : ذلك الطائف : هو الغضب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (إذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ) قال : الطيف : الغضب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن مجاهد ، في قوله (إذا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ) قال : هو الغضب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : الغضب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إذا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) قال : هو الغضب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ) قال : الغضب .

وقال آخرون : هو اللّمة ، والزلة من الشيطان .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (إن الذين اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) الطائف : اللمة من الشيطان (فإذا هم مبصرون) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إن الذين اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ) يقول : نزع من الشيطان (تَذَكَّرُوا) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إن الذين اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) يقول : إذا زلوا تابوا .

قال أبو جعفر : وهذان التأويلان متقاربا المعنى ، لأن الغضب من استزلال الشيطان . واللّمة من الخطيئة

أيضا منه ، وكان ذلك من طائف الشيطان . وإذا كان ذلك كذلك ، فلا وجه لخصوص معنى منه دون

معنى ، بل الصواب أن يعم كما عمه جل ثناؤه ، فيقال : إن الذين اتَّقَوْا إذا عرض لهم عارض من أسباب

الشيطان ما كان ذلك العارض ، تذكروا أمر الله ، وانتهوا إلى أمره .

(١) البيت في (اللسان : طيف) . قال : وطاف الخيال يطيف طيفا ومطافا : ألم في النوم . قال كعب بن زهير : أفي ألم . . .

البيت . قال : وأطاف : لغة . والطيّف والطيّف (بفتح الطاء المشددة وكسرهما) الخيال نفسه . الأخيرة عن كراع . والشغوف بالضم

مصدر شغفه الحب : إذا اشتد عليه . أو جمع شغف (بسكون العين) ، والمصدر شغف ، بفتحهما .

وأما قوله (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) فإنه يعني: فإذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه، فنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان. كما حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) يقول: إذا هم منتهون عن المعصية، آخذون بأمر الله، عاصون للشيطان. القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿١٢٢﴾

يقول تعالى ذكره: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي، يعني بقوله (يَمُدُّونَهُمْ) يزيدونهم (ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) عما قصر عنه الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان، وإنما هذا خبر من الله عن فريق الإيمان والكفر، بأن فريق الإيمان وأهل تقوى الله إذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه، فكفهم رهبتهم عن معاصيه، وردتهم إلى التوبة والإنابة إلى الله مما كان منهم من زلة، وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيا إلى غيرهم إذا ركبوا معصية من معاصي الله، ولا يحجزهم تقوى الله، ولا خوف المعاد إليه عن التماذي فيها والزيادة منها، فهو أبدا في زيادة من ركوب الإثم والشيطان، يزيده أبدا، لا يقصر الإنسى عن شيء من ركوب الفواحش، ولا الشيطان من مدّه منه.

كما حدثني المثني، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) قال: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تمسك عنهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) يقول: هم الجن يوحون إلى أوليائهم من الإنس، ثم لا يقصرون، يقول: لا يسأمون.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ) إخوان الشياطين من المشركين، يمدهم الشيطان في الغي (ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال عبد الله بن كثير وإخوانهم من الجن، يمدون إخوانهم من الإنس، ثم لا يقصرون، ثم يقول لا يقصر الإنسان. قال: والمدّ الزيادة، يعني: أهل الشرك، يقول: لا يقصر أهل الشرك، كما يقصر الذين اتقوا لأنهم لا يحجزهم الإيمان. قال ابن جريج، قال مجاهد (وَإِخْوَانُهُمْ) من الشياطين (يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) استجهالاً يمدون أهل الشرك. قال ابن جريج: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ) قال: فهو لاء الإنس يقول الله (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ).

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) قال : إخوان الشياطين يمدّهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِخْوَانُهُمْ) من الشياطين (يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ) استجھالاً .
وكان بعضهم يتأول قوله (ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) بمعنى : ولا الشياطين يقصرون في مدّهم إخوانهم من الغي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) عنهم ، ولا يرحمونهم .
قال أبو جعفر : وقد بيّنا أولى التأويلين عندنا بالصواب ، وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك على ما بيّناه ، لأن الله وصف في الآية قبلها أهل الإيمان به ، وارتداعهم عن معصيته ، وما يكرهه إلى محبته عند تذكركم عظمتهم ، ثم أتبع ذلك الخبر عن إخوان الشياطين ، وركوبهم معاصيه ، وكان الأولى وصفهم بتأديبهم فيها ، إذ كان عقيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها .
وأما قوله (يَمُدُّونَهُمْ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأه بعض المدنيين (يَمُدُّونَهُمْ) بضم الياء من أمدت ، وقرأته عامة قراء الكوفيين والبصريين (يَمُدُّونَهُمْ) بفتح الياء من مددت .
قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا (يَمُدُّونَهُمْ) بفتح الياء ، لأن الذي يمدّ الشياطين إخوانهم من المشركين ، إنما هو زيادة من جنس الممدود ، وإذا كان الذي مدّ من جنس الممدود كان كلام العرب مددت لأمدت .
وأما قوله (يُقْصِرُونَ) فإن القراء على لغة من قال : أقصرت أقصير ، وللعرب فيه لغتان : قصرت عن الشيء ، وأقصرت عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَافُ الَّذِي تَرَكَمُ وَهَدَىٰ

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا لم تأت بهم آية قالوا لولا اجتبت هذا ، وإذ لم تأت يا محمد هؤلاء المشركين بآية من الله (قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول : قالوا هلا اخترتها واصطفتيتها ، من قول الله تعالى (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) يعني : يختار ويصطنع . وقد بيّنا ذلك في مواضعه بشواهد .

ثم، اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: هلا افتعلتها من قبيل نفسك واختلقها؟ بمعنى: هلا اجتبتبها اختلاقاً كما تقول العرب: لقد اختار فلان هذا الأمر وتخيره اختلاقاً.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) أي لولا أتيتنا بها من قبل نفسك؛ هذا قول كفار قريش.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قوله (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا: لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) قالوا: لولا اقتضبتبها، قالوا: تخرجها من نفسك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) قالوا: لولا تقولتها، جئت بها من عندك.

حدثني المثنى، قال: ثنى عبد الله، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول: لولا تلقيتها. وقال مرة أخرى: لولا أحدثها فأنشأتها.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي (قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول: لولا أحدثها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) قال: لولا جئت بها من نفسك.

وقال آخرون: معنى ذلك: هلا أخذتها من ربك، وتقبلتها منه.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول: لولا تقبلتها من الله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول: لولا تلقيتها من ربك.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله (لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) يقول: لولا أخذتها أنت، فجئت بها من السماء.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من قال تأويله: هلا أحدثها من نفسك، لدلالة قول الله (قُلْ إِنَّمَا اتَّبِعُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي، هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ) بين ذلك أن الله إنما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه إليه، لأنه يحدث من قبيل نفسه قولاً، وينشئه، فيدعو الناس إليه.

وحكى عن الفراء أنه كان يقول: اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته: إذا افتعلته من قبيل نفسك.

حدثني بذلك الحرث ، قال : ثنا القاسم عنه ، قال : أبو عبيد ، وكان أبو زيد يقول : إنما تقول العرب ذلك للكلام بيديه الرجل لم يكن أعدّه قبل ذلك في نفسه ، قال أبو عبيد : واختره مثل ذلك . القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِيَّايَ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للقائلين لك إذا لم تأتهم بآية : هلا أحدثها من قبل نفسك ، إن ذلك ليس لي ، ولا يجوز لي فعله ، لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إلي من عنده ، فانما أتبع ما يوحى إلي من ربي ، لأني عبده ، وإلى أمره أنهى ، وإياه أطيع (هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول : هذا القرآن والوحي الذي أتوه عليكم بصائر من ربكم ، يقول : حجج عليكم ، وبيان لكم من ربكم ، وأحدثها : بصيرة ، كما قال جل ثناؤه (هَذَا بَصَائِرٌ لِلنَّاسِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وإنما ذكر هذا ووحد في قوله (هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ) لما وصفت من أنه مراد به القرآن والوحي ، وقوله (وَهُدًى) يقول : وبيان يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم ، ورحمة رحم الله به عباده المؤمنين ، فأنقذهم به من الضلالة والهلكة (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول : هو بصائر من الله وهدى ورحمة لمن آمن ، يقول : لمن صدق بالقرآن أنه تنزيل الله ووحيه ، وعمل بما فيه دون من كذب به وجحده ، وكفر به بل هو على الذين لا يؤمنون به غم وخزي .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٤﴾

* يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ، المصدقين بكتابه ، الذين القرآن لهم هدى ورحمة (إِذَا قُرِئَ) عليكم أيها المؤمنون (الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) يقول : أصغوا له سمعكم لتفهموا آياته ، وتعتبروا بمواعظه وأنصتوا إليه لتعقلوه وتندبروه ، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه ، واعتباركم بعبده ، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آيه . ثم اختلف أهل التأويل في الحال التي أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن إذا قرأ والإنصات له ، فقال بعضهم : ذلك حال كون المصلي في الصلاة خلف إمام يأتّم به ، وهو يسمع قراءة الإمام عليه أن يسمع لقراءته ، وقالوا في ذلك أنزلت هذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن المسيب بن رافع ، قال : كان عبد الله يقول : كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة ، سلام على فلان ، وسلام على فلان ، قال : فجاء القرآن (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) .

قال : ثنا حفص بن غياث ، عن إبراهيم الهجرى عن أبي عياض ، عن أبي هريرة ، قال : كانوا

يتكلمون في الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ) والآية الأخرى ، أمروا بالإنصات .
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن الزهري ، قال : نزلت هذه الآية في فتي
من الأنصار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئاً قرأه ، فنزلت (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي : عن داود بن أبي هند ، عن بشير بن جابر ، قال : صلى ابن
مسعود ، فسمع ناساً يقرءون مع الإمام ، فلما انصرف ، قال : أما أن لكم أن تفقهوا ؟ أما أن لكم أن تعقلوا
(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) كما أمركم الله .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا الجريري ، عن طلحة بن عبيد الله بن
كريب ، قال : رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان ، والقاص يقص ، فقلت : ألا تستمعان
إلى الذكر وتستوجبان الموعود ؟ قال : فنظرا إلى ثم أقبلتا على حديثهما ، قال : فأعدت فنظرا إلى ، ثم أقبلتا
على حديثهما ، قال : فأعدت الثالثة ، قال : فنظرا إلى فقالا : إنما ذلك في الصلاة (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : سمعت الأوزاعي ، قال : ثنا عبد الله بن عامر
قال : ثنا زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن هذه الآية (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا
لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : نزلت في رفع الأصوات ، وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير ، عن
مجاهد في قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : في الصلاة .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن رجل ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب
(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : في الصلاة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : في الصلاة .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت حميدا الأعرج ، قال :
سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : في الصلاة .

قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا حميد ، عن مجاهد بمثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : في الصلاة المكتوبة .

قال : ثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد ، وعن حجاج ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، وعن
ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال :
في الصلاة المكتوبة .

- قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد في الصلاة المكتوبة .
- قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .
- قال : ثنا المحاربي وأبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : في الصلاة المكتوبة .
- قال : ثنا جرير وابن فضيل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : في الصلاة المكتوبة .
- حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : كانوا يتكلمون في صلاتهم بحوائجهم أول ما فرضت عليهم ، فأنزل الله ما تسمعون (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) .
- حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم : كم صليتم ؟ كم بقي ؟ فأنزل الله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) وقال غيره : كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار ، فأنزل الله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ) .
- حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد والمحاربي ، عن أشعث ، عن الزهري ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ورجل يقرأ ، فنزلت (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا)
- قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن الهجرى عن أبي عياض ، عن أبي هريرة ، قال : كانوا يتكلمون في الصلاة ، فلما نزلت (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : هذا في الصلاة .
- قال : ثنا أبي ، عن حريث ، عن عامر ، قال : في الصلاة المكتوبة .
- حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : إذا قرئ في الصلاة .
- حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) يعني : في الصلاة المفروضة .
- حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد قال : هذا في الصلاة في قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) .
- قال : أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد أنه كره إذا مر الإمام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد من خلفه شيئاً ، قال : السكوت .
- قال : أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم .
- حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) قال : هذا إذا قام الإمام للصلاة فاستمعوا له وأنصتوا .
- حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : لا يقرأ من وراء الإمام فيما يجهر به من القراءة ، تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يسمعهم صوته ، ولكنهم يقرعون فيما

لم يجهر به سرّاً في أنفسهم ، ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرّاً ولا علانية ، قال الله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة ، عن ابن عباس أنه كان يقول في هذه (وَآذُكُرُّ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَخْشَرُ عَاوِخِيفَةً) هذا في المكتوبة . وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك ، فإنما هي نافلة ، إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة مكتوبة ، وقرأ وراءه أصحابه ، فخلطوا عليه ، قال : فنزل القرآن (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) فهذا في المكتوبة .

وقال آخرون : بل عنى بهذه الآية الأمر بالإنصات للإمام في الخطبة إذا قرئ القرآن في خطبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : الإنصات للإمام يوم الجمعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد وابن أبي عتبة ، عن العوام ، عن مجاهد ، قال في خطبة يوم الجمعة وقال آخرون : عنى بذلك : الإنصات في الصلاة ، وفي الخطبة .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، قال : سمعت إبراهيم ابن أبي حمزة ، يحدث أنه سمع مجاهدا يقول في هذه الآية (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : في الصلاة ، والخطبة يوم الجمعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن عطاء ، قال : وجب الصموت في اثنتين : عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلي ، وعند الإمام وهو يخطب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن جابر ، عن مجاهد (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ) وجب الإنصات ، قال : وجب في اثنتين : في الصلاة والإمام يقرأ ، والجمعة والإمام يخطب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال هشيم ، أخبرنا من سمع الحسن يقول : في الصلاة المكتوبة ، وعند الذكر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : وجب الإنصات في اثنتين : في الصلاة ، ويوم الجمعة .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن بقية بن الوليد ، قال : سمعت ثابت بن عجلان يقول : سمعت سعيد بن جبیر يقول في قوله (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) قال : الإنصات : يوم الأضحى ، ويوم الفطر ، ويوم الجمعة ، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الربيع بن صبيح عن الحسن ، قال :
في الصلاة ، وعند الذكر .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا يحيى بن أيوب ، قال : ثنا ابن جريج ، عن
عطاء بن أبي رباح ، قال : أوجب الإنصات يوم الجمعة قول الله تعالى (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا
لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) وفي الصلاة مثل ذلك .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا
قرأ الإمام ، وكان من خلفه ممن يأتّم به يسمعه ، وفي الخطبة .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إذا
قرأ الإمام فأنصتوا » ، وإجماع الجميع على أن من سمع خطبة الإمام من عليه الجمعة ، الاستماع والإنصات
لها ، مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا وقت يجب على أحد استماع
القرآن ، والإنصات لسامعه من قارئه ، إلا في هاتين الحالتين ، على اختلاف في إحداهما ، وهي حالة أن
يكون خلف إمام مؤتمّ به . وقد صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من قوله « إذا قرأ
الإمام فأنصتوا » فالإنصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتما سامعا قراءته بعموم ظاهر القرآن ،
والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأذْكَرَّ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا

تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : واذكر أيها المستمع المنصت للقرآن ، إذا قرئ في صلاة ، أو خطبة (رَبِّكَ
فِي نَفْسِكَ) يقول : اتعظ بما في آي القرآن ، واعتبر به ، وتذكر معادك إليه عند سماعك (تَضَرُّعًا)
يقول : افعّل ذلك تخشعا لله ، وتواضعا له (وَخِيفَةً) يقول : وخوفا من الله أن يعاقبك على تقصير يكون
منك في الاتعاض به والاعتبار ، وغفلة عما بين الله فيه من حدوده ، (وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) يقول :
ودعاء باللسان لله في خفاء لاجهار ، يقول : ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن في دعاء إن دعوت غير
جهار ، ولكن في خفاء من القول .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأذْكَرَّ رَبِّكَ
فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) لا يجهر بذلك .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول في قوله
(وَأذْكَرَّ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ، وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) . . . الآية ، قال :
أمروا أن يذكروه في الصدور تضرعا وخيفة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن التيمي ، عن أبيه ، عن حيان بن عمير ، عن عبيد بن عمير ، في قوله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ) قال : « يقول الله إذا ذكرني عبدى في نفسه ، ذكرته في نفسى ، وإذا ذكرني عبدى وحده ذكرته وحدى ، وإذا ذكرني في ملا ذكرته في أحسن منهم وأكرم » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً) قال : يؤمر بالتضرع في الدعاء والاستكانة ، ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء .

وأما قوله (بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ) فإنه يعنى بالبكر والعشيات . وأما الأصال فجمع .

واختلف أهل العربية فيها ؛ فقال بعضهم : هي جمع أصيل ، . كما الأيمان جمع يمين ، والأسرار جمع سرير . وقال آخرون منهم : هي جمع أصل ، والأصل جمع أصيل . وقال آخرون منهم : هي جمع أصل وأصيل . قال : وإن شئت جعلت الأصل جمعا للأصيل ، وإن شئت جعلته واحدا . قال : والعرب تقول : قد دنا الأصل فيجعلونه واحدا .

وهذا القول أولى بالصواب في ذلك ، وهو أنه جائز أن يكون جمع أصيل وأصل ، لأنهما قد يجمعان على أفعال . وأما الأصال فهي فيما يقال في كلام العرب ما بين العصر إلى المغرب .

وأما قوله (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) فإنه يقول : ولا تكن من اللاهين إذا قرئ القرآن عن عظاته وعبره ، وما فيه من عجائبه ، ولكن تدبر ذلك وتفهمه ، وأشعره قلبك بذكر الله وخضوع له ، وخوف من قدرة الله عليك ، إن أنت غفلت عن ذلك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ) قال : بالبكر والعشى (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا معترف بن واصل السعدى ، قال : سمعت أبا وائل يقول لغلامه عند مغيب الشمس : أصلنا بعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد ، قوله (بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ) قال : الغدو : آخر الفجر صلاة الصبح ، والأصال : آخر العشى صلاة العصر ، قال : وكل ذلك لها وقت أول الفجر وآخره ، وذلك مثل قوله في سورة آل عمران (وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) وقيل : العشى : ميل الشمس إلى أن تغيب ، والإبكار : أول الفجر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن محمد بن شريك ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، سئل عن صلاة الفجر ، فقال : إنها لفي كتاب الله ، ولا يقوم عليها ، ثم قرأ (فِي بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ) . . . الآية .

(١) قوله ولا يقوم عليها : كذا بالأصل ، ولعل الساقط : لإلّا مؤمن ، أو نحو ذلك ، وحرر الرواية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً) . . . إلى قوله (بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) أمر الله بذكره ، ونهى عن الغفلة . أما بالغدو : فصلاة الصبح ، والآصال : بالعشي .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿١٥﴾

✽ يقول تعالى ذكره : لا تستكبر أيها المستمع المنصت للقرآن عن عبادة ربك ، واذكره إذا قرأ القرآن تضرعًا وخيفة ، ودون الجهر من القول ، فإن الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون عن التواضع له ، والتخشع ، وذلك هو العبادة (ويسبحونه) يقول : ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم (وَلَهُ يَسْجُدُونَ) يقول : ولله يصلون ، وهو سجدتهم ، فصلوا أنتم أيضا له ، وعظموه بالعبادة كما يفعله من عنده من ملائكته .

(٨) سُورَةُ الْأَنْفَالِ مَكْنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَمْسٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الأنفال

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

اختلف أهل التأويل في معنى الأنفال التي ذكرها الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هي الغنائم ، وقالوا : معنى الكلام : يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التي غنمها أنت وأصحابك يوم بدر لمن هي ، فقل هي لله ولرسوله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن عكرمة (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : الأنفال : الغنائم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : الأنفال : الغنائم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الأنفال : المغنم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ)
قال : الغنائم .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك
يقول في قوله (الأنفال) قال : يعنى الغنائم .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن
عباس ، قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : الأنفال : الغنائم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) الأنفال : الغنائم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ)
قال : الأنفال : الغنائم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الأنفال : الغنائم .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن عطاء

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : الغنائم .
وقال آخرون : هي أنفال السرايا .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا علي بن صالح بن حي ، قال : بلغني في قوله
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : السرايا .

وقال آخرون : الأنفال ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عبد أو دابة وما أشبه ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، في قوله (يَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) قال : هو ما شذ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال دابة
أو عبد أو متاع ، ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال :
هي ما شذ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع أو نفل ، فهو للنبي صلى الله عليه
وسلم يصنع فيه ما شاء .

قال : ثنا عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهري ، أن ابن عباس سئل عن الأنفال ، فقال : السلب
والفرس .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ،
ويقال : الأنفال : ما أخذ مما سقط من المتاع بعد ما تقسم الغنائم ، فهي نفل لله ولرسوله .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني عثمان بن أبي سليمان ، عن محمد بن شهاب أن رجلا قال لابن عباس : ما الأنفال ؟ قال : الفرس والدرع والرمح . حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : قال ابن جريج ، قال عطاء : الأنفال : الفرس الشاذ ، والدرع ، والثوب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن عباس ، قال : كان ينقل الرجل فرس الرجل وسلبه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن القاسم ابن محمد ، قال : سمعت رجلا سأل ابن عباس عن الأنفال ، فقال ابن عباس : الفرس من النفل ، والسلب من النفل ، ثم عاد لمسأله ، فقال ابن عباس ذلك أيضا ، ثم قال الرجل : الأنفال التي قال الله في كتابه ما هي ؟ قال القاسم : فلم يزل يسأله حتى كاد يخرجه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن القاسم ابن محمد ، قال : قال ابن عباس : كان عمر رضي الله عنه إذا سئل عن شيء قال : لا أمرك ولا أنهاك ؛ ثم قال ابن عباس والله ما بعث الله نبيه عليه السلام إلا زاجرا أمرا محلا محرما ؛ قال القاسم فسلط على ابن عباس رجل يسأله عن الأنفال ، فقال ابن عباس : كان الرجل ينقل فرس الرجل وسلاحه فأعاد عليه الرجل ، فقال له مثل ذلك ، ثم أعاد عليه حتى أغضبه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر حتى سالت الدماء على عقبه ، أو على رجليه ، فقال الرجل : أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن عبد الملك ، عن عطاء : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : يسألونك فيما شذ من المشركين إلى المسلمين في غير قتال من دابة أو عبد ، فهو نفل للنبي صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : النفل : الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : هو الخمس ، قال : المهاجرون : لم يرفع عنا هذا الخمس ؟ لم يخرج منا ؟ فقال الله : هو لله والرسول .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أنهم سألو النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الأربعة الأحماس ، فنزلت (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) .

(١) هو صبيغ كأمير بن شريك بن المنذر بن يربوع التيمي ، كان يعنت الناس بالفوامض والسؤالات من متشابه القرآن ، فنفاه عمر إلى البصرة .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في معنى الأنفال قول من قال : هي زيادات يزيدنها الإمام بعض الجيش أو جميعهم ؛ إما من سلبه على حقوقهم من القسمة ، وإما مما وصل إليه بالنفل ، أو ببعض أسبابه ، ترغيباً له ، وتحريضاً لمن معه من جيشه ، على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين ، أو صلاح أحد الفريقين ، وقد يدخل في ذلك ما قال ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك ، ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبد أو فرس ، لأن ذلك أمره إلى الإمام إذا لم يكن ما وصلوا إليه لغلبة وقهر ، يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام ، وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر .

ولنما قلنا : ذلك أولى الأقوال بالصواب ، لأن النفل في كلام العرب ، إنما هو الزيادة على الشيء ، يقال منه : نفلت كذا ، وأنفلتك : إذا زدتك ، والأنفال : جمع نفل ؛ ومنه قول لبيد بن ربيعة :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفَلٌ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّي وَعَجَلٌ^١

فإذا كان معناه ما ذكرنا ، فكل من زيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة ، إن كان ذلك لبلاء أبلاه ، أو لغناء كان منه عن المسلمين ، بتنفيل الوالي ذلك إياه ، فيصير حكم ذلك له كالسلب الذي يسلبه القاتل ، فهو منفل ما زيد من ذلك ، لأن الزيادة وإن كانت مستوجبة في بعض الأحوال بحق ، فليست من الغنيمة التي تقع فيها القسمة ، وكذلك كل ما رضح لمن لا سهم له في الغنيمة فهو نفل ، لأنه وإن كان مغلوباً عليه ، فليس مما وقعت عليه القسمة ، فالفصل إذ كان الأمر على ما وصفنا بين الغنيمة ؛ والنفل : أن الغنيمة هي ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر نفل منه منفل ، أو لم ينفل ؛ والنفل : هو ما أعطيه الرجل على البلاء والغناء عن الجيش على غير قسمة . وإذا كان ذلك معنى النفل ، فتأويل الكلام : يسألك أصحابك يا محمد عن الفضل من المال الذي تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا بيدك لمن هو قل لهم يا محمد : هو لله ولرسوله دونكم ، يجعله حيث شاء .

واختلف في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية ، فقال بعضهم : نزلت في غنائم بدر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان نفل أقواماً على بلاء ، فأبلى أقواماً وتخلّف آخرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختلفوا فيها بعد انقضاء الحرب ، فأنزل الله هذه الآية على رسوله ، يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففاض جائز .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : سمعت داود بن أبي هند يحدث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَتَى مَكَانَ كَذَاً وَكَذَاً ، فَلَهُ كَذَاً وَكَذَاً ، أَوْ فَعَلَ كَذَاً وَكَذَاً ، فَلَهُ كَذَاً وَكَذَاً ، فَتَسَارِعْ إِلَيْهِ الشَّبَانُ ، وَبَقِيَ الشُّيُوخُ عِنْدَ

(١) البيت في ديوانه (طبعة ليدن سنة ١٨٩١ ص ١١) و (اللسان : نفل) قال : النفل بالتحريك : الغنيمة والهبة ، قال لبيد : إن تقوى . . . البيت والجمع أنفال ونفال . والريث : البطء ، وهو ضد العجل .

الرايات ، فلما فتح الله عليهم ، جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم الأشياخ : لا تذهبوا به دوننا ، فأنزل الله عليه الآية (فاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) .
 حدثنا المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما كان يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَنَعَ كَذًّا وَكَذًّا ، فَلَهُ كَذًّا وَكَذًّا » قال : فتسارع في ذلك شبان الرجال ، وبقيت الشيوخ تحت الرايات ؛ فلما كانت الغنائم ، جاءوا يطلبون الذي جعل لهم ، فقالت الشيوخ : لا تستأثروا علينا ، فإننا كنا رداء لكم ، وكنا تحت الرايات ، ولو انكشفتم لفتحتم إلينا فتنازعوا ، فأنزل الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ، فاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما كان يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ فَعَلَ كَذًّا فَلَهُ كَذًّا وَكَذًّا مِنَ النَّفْلِ » قال : فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات ، فلم يبرحوا ، فلما فتح عليهم ، قالت المشيخة : كنا رداء لكم ، فلما هزمتهم انخرتم إلينا ، لا تذهبوا بالمغنم دوننا ، فأبى الفتيان وقالوا : جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا ، فأنزل الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) قال : فكان ذلك خيرا لهم ٢ ، وكذلك أيضا : أطيعوني فإني أعلم .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة في هذه الآية : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) قال : لما كان يوم بدر قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَنَعَ كَذًّا فَلَهُ مِنَ النَّفْلِ كَذًّا ، فخرج شبان من الرجال فجعلوا يصنعونه ، فلما كان عند القسمة ، قال الشيوخ : نحن أصحاب الرايات ، وقد كنا رداء لكم ، فأنزل الله في ذلك (قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ، فاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب الزبيري ، قال : ثنا المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن سليمان بن موسى ، عن مكحول مولى هذيل ، عن أبي سلام ، عن أبي أمية الباهلي ، عن عبادة ابن الصامت ، قال : أنزل الله حين اختلف القوم في الغنائم يوم بدر (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) . . . إلى قوله (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم عن سواء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن الحرث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأسدي ، عن مكحول ، عن أبي أمية الباهلي ، قال : سألت عبادة بن الصامت ، عن الأنفال ، فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فزعه الله

(١) كذا في المخطوطة رقم ١٠٠ وفي القرطبي (٧ : ٣٦٤) : لا تذهبون ، بالنون .

(٢) المعطوف هنا لم يسبقه معطوف عليه . وفي العبارة شيء ساقط ، ولكنها كذلك جاءت في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ .

من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن سواء ، يقول : على السواء ، فكان في ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات البين .

وقال آخرون : إنما نزلت هذه الآية لأن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله من المغنم شيئا قبل قسمتها ، فلم يعطه إياه ، إذ كان شركا بين الجيش ، فجعل الله جميع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسماعيل بن موسى السدي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن عاصم ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر بسيف ، فقلت : يا رسول الله هذا السيف قد شني الله به من المشركين ، فسألته إياه ، فقال : ليس هذا لي ولالك ، قال : فلما وليت ، قلت : أخاف أن يعطيه من لم يبلى بلأني ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلني ، قال : فقلت : أخاف أن يكون نزل في شيء ، قال : إن السيف قد صار لي ، قال : فأعطانيه ، ونزلت (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا عاصم ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن مالك ، قال : لما كان يوم بدر ، جثت بسيف ، قال : فقلت : يا رسول الله ، إن الله قد شني صدرى من المشركين أو نحو هذا ، فهب لي هذا السيف ، فقال لي : هَذَا لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ ، فرجعت فقلت : عسى أن يعطى هذا من لم يبلى بلأني ، فجاءني الرسول ، فقلت : حدث في حدث ، فلما انتهيت ، قال : « يَا سَعْدُ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي السَّيْفَ وَلَيْسَ لِي ، وَإِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي فَهُوَ لَكَ . » ونزلت (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال : أصبت سيفا يوم بدر ، فأعجبني ، فقلت : يا رسول الله هبه لي ، فأنزل الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) .

حدثنا ابن المثنى وابن وكيع ، قال ابن المثنى ، ثنى معاوية ، وقال ابن وكيع : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الشيباني ، عن محمد بن عبيد الله ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص ، وأخذت سيفه ، وكان يسمى ذا الكتيفة ، فجثت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذْهَبْ فَاطْرَحْهُ فِي الْقَبْضِ ، فَطَرَحْتَهُ وَرَجَعْتَ وَبِي مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَتْلِ أَخِي وَأَخَذِ سَلْبِي ، » قال : فما جاوزت إلا قريبا ، حتى نزلت عليه سورة الأنفال ، فقال : اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ » ولفظ الحديث لابن المثنى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة جميعا ، عن محمد ابن إسحاق ، قال : ثنى عبد الله بن أبي بكر ، عن قيس بن ساعدة ، قال : سمعت أبا أسيد بن مالك

ابن ربيعة يقول : أصبت سيف ابن عائد يوم بدر ، وكان السيف يدعى المرزبان ؛ فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوا ما في أيديهم من النفل ، أقبلت به فألقيته في النفل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئاً يسأله ، فرآه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه إياه .
حدثني يحيى بن جعفر ، قال : ثنا أحمد بن أبي بكر ، عن يحيى بن عمران ، عن جده عثمان بن الأرقم ، عن عمه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : رُدُّوا ما كان من الأنفال ، فوضع أبو أسيد الساعدي سيف بن عائد المرزبان ، فعرفه الأرقم فقال هبه لي يا رسول الله ، قال : فأعطاه إياه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن مصعب ابن سعد ، عن أبيه ، قال : أصبت سيفاً ، قال : فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله نفلني ، فقال : ضعه ، ثم قام فقال : يا رسول الله نفلني ، أوجعل كمن لا غناء له ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ضعه من حيث أخذته ، فنزلت هذه الآية (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد ، قال : أخذت سيفاً من المغنم ، فقلت : يا رسول الله هب لي هذا ، فنزلت (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، في قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : قال سعد : كنت أخذت سيف سعيد بن العاص بن أمية ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أعطني هذا السيف يا رسول الله ، فسكت فنزلت : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) . . . إلى قوله (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) قال : فأعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل نزلت لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر فأعلمهم الله أن ذلك لله ولرسوله دونهم ، ليس لهم فيه شيء . وقالوا : معنى « عن » في هذا الموضع « من » وإنما معنى الكلام : يسألونك من الأنفال ، وقالوا : قد كان ابن مسعود يقرؤه (يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالِ) على هذا التأويل .

ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، قال : كان أصحاب عبد الله يقرءونها (يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : هي في قراءة ابن مسعود (يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) قال : الأنفال : المغنم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، ليس لأحد منها شيء ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به ، فمن حبس منه إبرة أو سلكا فهو غلول ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم منها ، قال الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ) لي ؛ جعلتها لرسولي ليس لكم فيها شيء (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ، ثم أنزل الله (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) ثم قسم ذلك الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولمن سمي في الآية .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدر ، قال : واختلفوا فكانوا أثلاثا ، قال : فنزلت : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) وملكه الله رسوله ، فقسمه كما أراه الله .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن الناس سألو النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم بدر ، فنزلت : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) .

قال : ثنا عباد بن العوام ، عن جويبر ، عن الضحاك (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : يسألونك أن تُنْفَلَهُمْ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا أيوب ، عن عكرمة ، في قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قال : يسألونك الأنفال .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى أخبر في هذه الآية عن قوم سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنفال أن يعطيهموها ، فأخبرهم الله أنها لله ، وأنه جعلها لرسوله ، وإذا كان ذلك معناه جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله السيف الذي ذكرنا عن سعد أنه سأله إياه ، وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسم ذلك بين الجيش .

واختلفوا فيها ، أمنسوخة هي أم غير منسوخة ؟ فقال بعضهم : هي منسوخة ، وقالوا : نسخها قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) . . . الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة ، قالوا : كانت الأنفال لله وللرسول فنسخها (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْأَنْفَالِ) قَالَ : أَصَابَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ يَوْمَ بَدْرٍ سَيْفًا ، فَاخْتَصَمَ فِيهِ وَنَاسٌ مَعَهُ ، فَسَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ اللَّهُ (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) . . . الْآيَةُ ، فَكَانَتْ الْغَنَائِمُ يَوْمَئِذٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَةً ، فَنَسَخَهَا اللَّهُ بِالْخُمْسِ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حِجَابُ ، قَالَ : ثَنَا جَرِيحُ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَلِيمُ مَوْلَى أُمِّ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِهِ (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) قَالَ : نَسَخَهَا (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : ثَنَا شَرِيكُ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ ، أَوْ عُكْرَمَةَ وَعَامِرَ ، قَالَا : نَسَخَتِ الْأَنْفَالُ (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ) . وَقَالَ آخَرُونَ : هِيَ مُحْكَمَةٌ وَلَيْسَتْ مَنْسُوخَةٌ .

وَإِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ : قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ ، وَهِيَ لِاشْتِكَ اللَّهِ مَعَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا وَالْآخِرَةَ ، وَلِلرَّسُولِ يَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِوَضْعِهَا فِيهِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فَسَلِمُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ بِحُكْمَانِ فِيهَا بِمَا شَاءَ ، وَيَضَعَانَهَا حَيْثُ أَرَادَا ، فَقَالُوا : نَعَمْ ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ) . . . الْآيَةَ ، وَلَكُمْ أَرْبَعَةٌ أَخْمَاسُ ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ : «وَهَذَا الْخُمْسُ مُرَدُّودٌ عَلَى فُقَرَائِكُمْ يَصْنَعُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي ذَلِكَ الْخُمْسِ مَا أَحَبَّ ، وَيَضَعَانِهِ حَيْثُ أَحَبَّ ، ثُمَّ أَخْبَرَنَا اللَّهُ الَّذِي يَجِبُ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ (لِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْلًا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ : إِنْ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَ الْأَنْفَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْفَلُ مِنْ شَاءَ ، فَفَنَفَلَ الْقَاتِلُ السَّلْبَ ، وَجَعَلَ لِلْجَيْشِ فِي الْبَدَاءَةِ الرَّبِيعَ ، وَفِي الرَّجْعَةِ الثَّلَاثَ بَعْدَ الْخُمْسِ ، وَنَفَلَ قَوْمًا بَعْدَ سَهْمَانِهِمْ بَعِيرًا بَعِيرًا فِي بَعْضِ الْمَغَازِي ، فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ حُكْمَ الْأَنْفَالِ إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْفَلُ عَلَى مَا يَرَى مِمَّا فِيهِ صَلَاحٌ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَى مَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأُمَّةِ أَنْ يَسْتَنُوا بِسُنَّتِهِ فِي ذَلِكَ ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ حُكْمَهَا مَنْسُوخٌ لِاحْتِمَالِهَا مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْمَعْنَى الَّتِي وَصَفْتُ وَغَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يُحْكَمَ بِحُكْمٍ قَدْ نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا ، فَقَدْ دَلَّلْنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِنَا عَلَى أَنَّ الْمَنْسُوخَ إِلَّا مَا أَبْطَلَ حُكْمَهُ حَادِثٌ حُكْمٌ بِخِلَافِهِ ، يَنْفِيهِ مِنْ كُلِّ مَعَانِيهِ ، أَوْ يَأْتِي خَبْرًا يُوْجِبُ الْحُجَّةَ أَنْ أَحَدَهُمَا نَاسَخَ الْآخَرَ . وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّهُ كَانَ يَنْكُرُ أَنْ يَكُونَ التَّنْفِيلُ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْوِيلًا مِنْهُ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، قال : أرسل سعيد بن المسيب غلامه إلى قوم سألوه عن شيء ، فقال : إنكم أرسلتم إلى تسألوني عن الأنفال ، فلا نفل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بينا أن للأئمة أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في مغازيهم بفعله ، فينفلوا على نحو ما كان ينفل ، إذا كان التنفيل صلاحاً للمسلمين .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ :

يقول تعالى ذكره : فخافوا الله أيها القوم ، واتقوه بطاعته ، واجتنبوا معاصيه ، وأصلحوا الحال بينكم .

واختلف أهل التأويل في الذي عنى بقوله (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) فقال بعضهم : هو أمر من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر ، وشهدوا الواقعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اختلفوا في الغنيمة أن يردوا ما أصابوا منها بعضهم على بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) قال : كان نبي الله ينقل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار إذا قتله ، ثم أنزل الله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) أمرهم أن يرد بعضهم على بعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان ينفل الرجل على قدر جده وغنائه على ما رأى ، حتى إذا كان يوم بدر وملا الناس أيديهم غنائم ، قال أهل الضعف من الناس : ذهب أهل القوة بالغنائم ، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت (قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ (ليرد أهل القوة على أهل الضعف .

وقال آخرون : هذا تحريج من الله على القوم ، ونهى لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة وغيره .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا خالد بن يزيد ، وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا أبو إسرائيل ، عن فضيل ، عن مجاهد ، في قول الله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) قال : حرج عليهم .

حدثني الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) قال : هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم ، قال عباد ، قال سفيان : هذا حين اختلفوا في الغنائم يوم بدر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) : أي لاتستبوا .

واختلف أهل العربية في وجه تأنيث البين ، فقال بعض نحويي البصرة : أضاف ذات إلى البين وجعله ذاتا ، لأن بعض الأشياء يوضع عليه اسم مؤنث ، وبعضها يذكر نحو الدار ، والحائط أنث الدار وذكر الحائط . وقال بعضهم : إنما أراد بقوله (ذات بينكم) : الحال التي للبين فقال : وكذلك ذات العشاء يريد الساعة التي فيها العشاء . قال : ولم يضعوا مذكرا لمؤنث ، ولا مؤنثا لمذكر إلا لمعنى .

قال أبو جعفر : هذا القول أولى القولين بالصواب للعلة التي ذكرتها له .

وأما قوله (وأطيعوا الله ورسوله) فإن معناه : وانتهوا أيها القوم الطالبون الأنفال إلى أمر الله وأمر رسوله فيما أفاء الله عليكم ، فقد بين لكم وجوهه وسبله (إن كنتم مؤمنين) يقول : إن كنتم مصدقين رسول الله فيما آتاكم به من عند ربكم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) فسلموا لله ورسوله بحكمانيها بما شاء ، ويضعانها حيث أرادا .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا نُلِيتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى ذكره : ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله ، ويترك اتباع ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه ، والانقياد لحكمه ، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وجل قلبه ، وانقاد لأمره ، وخضع لذكره خوفا منه ، وفرقا من عقابه ، وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدق بها ، وأيقن أنها من عند الله ، فازداد بتصديقه بذلك إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك تصديقا ، وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله إياهم إيمانا (وعلى ربهم يتوكلون) يقول : وباللّه يوقنون في أن قضاءه فيهم ماض فلا يرجون غيره ، ولا يرهبون سواه .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إنمّا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال : المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ، ولا يتوكلون على الله ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا

يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) فَأَدَّوْا فَرَاثُضَهُ (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) يَقُولُ : تَصَدِيقًا (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يَقُولُ : لَا يَرْجُونَ غَيْرَهُ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : فرقت .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن السدي (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : إذا ذكر الله عند الشيء وجل قلبه .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) يقول : إذا ذكر الله وجل قلبه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : فرقت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) فرقت .

قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، قال : سمعت السدي يقول في قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : هو الرجل يريد أن يظلم ، أو قال : بهم بمعصية ، أحسبه قال : فينزعه عنه .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي الدرداء ، في قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : الوجل في القلب كإحراق السعفة ، أما تجد له قشعريرة؟ قال : بلى ، قال : إذا وجدت ذلك في القلب فادع الله ، فإن الدعاء يذهب بذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) قال : فرقا من الله ، ووجلا من الله ، وخوفا من الله تبارك وتعالى .

وأما قوله (زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) فقد ذكرت قول ابن عباس فيه .

وقال غيره فيه : ما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) قال : خشية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) قال : هذا نعت أهل الإيمان ، فأثبت نعمهم ، ووصفهم فأثبت صفتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٨٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٨١﴾

يقول تعالى ذكره : الذين يؤدّون الصلاة المفروضة بحدودها ، وينفقون مما رزقهم الله من الأموال فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه ، من زكاة وجهاد وحجّ وعمرة ، ونفقة على من تجب عليهم نفقته فيؤدّون حقوقهم (أولئك) يقول : هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال (همُ المؤمنون) لا الذين يقولون بألسنتهم : قد آمنا ، وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقا ، لا يقيمون صلاة ، ولا يؤدّون زكاة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن عليّ ، عن ابن عباس (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يقول : الصلوات الخمس (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يقول : زكاة أموالهم (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) يقول : برثوا من الكفر . ثم وصف الله النفاق وأهله ، فقال (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ) . . . إلى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) فجعل الله المؤمن مؤمنا حقا ، وجعل الكافر كافرا حقا ، وهو قوله (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ، فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) قال : استحقوا الإيمان بحقّ ، فأحقه الله لهم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ :

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (لَهُمْ دَرَجَاتٌ) لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم درجات ، وهى مراتب رفيعة .

ثم اختلف أهل التأويل في هذه الدرجات التى ذكر الله أنها لهم عنده ما هى ؟ فقال بعضهم : هى أعمال رفيعة ، وفضائل قدّموها في أيام حياتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى القتات ، عن مجاهد (لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : أعمال رفيعة .

وقال آخرون : بل ذلك مراتب في الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن هشام بن جبلة ، عن عطية ، عن

ابن محيريز (لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال: الدرجات سبعون درجة، كل درجة حضر الفرس الجواد المضمّر سبعين سنة. وقوله (وَمَغْفِرَةٌ) يقول: وعفوعن ذنوبهم، وتغطية عليها (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قيل: الجنة، وهو عندي ما أعدّ الله في الجنة لهم من مزيد الماء كل والمشارب، وهنىء العيش. حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، عن هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة (وَمَغْفِرَةٌ) قال: لذنوبهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قال: الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى:

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥١﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٥٢﴾

اختلف أهل التأويل في الجالب لهذه الكاف التي في قوله (كَمَا أَخْرَجَكَ) وما الذي شبه باخراج الله نبيه صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق؛ فقال بعضهم: شبه به في الصلاح للمؤمنين، اتقاؤهم ربهم، وإصلاحهم ذات بينهم، وطاعتهم الله ورسوله. وقالوا: معنى ذلك: يقول الله: وأصلحوا ذات بينكم، فإن ذلك خير لكم، كما أخرج الله محمدا صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق كان خيرا له.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) . . . الآية: أى إن هذا خير لكم، كما كان إخراجك من بيتك بالحق خيرا لك.

وقال آخرون: معنى ذلك: كما أخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) قال: كذلك يجادلونك في الحق.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) كذلك يجادلونك في الحق: القتال.

قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) قال: كذلك أخرجك ربك.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدى، قال: أنزل الله في خروجه، بغنى خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر، ومجادلتهم إياه، فقال (كَمَا أَخْرَجَكَ

رَبِّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) لطلب المشركين (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ).

اختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحوي الكوفيين : ذلك أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يمضي لأمره في الغنائم ، على كره من أصحابه ، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون . وقال آخرون منهم : معنى ذلك : يسئلونك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر ، فقالوا : أخرجتنا للعير ، ولم تعلمنا قتالا فنستعد له . وقال بعض نحوي البصرة : يجوز أن يكون هذا الكاف في (كما أخرجك) على قوله (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا - كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) وقيل : الكاف بمعنى على .

وقال آخرون منهم : هي بمعنى القسم . قال : ومعنى الكلام . والذي أخرجك ربك .
 قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال في ذلك بقول مجاهد ، وقال معناه : كما أخرجك ربك بالحق ، على كره من فريق من المؤمنين ، كذلك يجادلونك في الحق بعد ما تبين ، لأن كلا الأمرين قد كان ، أعنى خروج بعض من خرج من المدينة كارها ، وجداهم في لقاء العدو عند دنو القوم بعضهم من بعض ، فتشبه بعض ذلك ببعض مع قرب أحدهما من الآخر ، أولى من تشبيهه بما بعد عنه : وقال مجاهد في الحق الذي ذكر أنهم يجادلون فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تبينوه ، هو القتال .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ) قال : القتال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 وأما قوله (مِنْ بَيْتِكَ) فإن بعضهم قال : معناه : من المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي بزة (كما أخرجك ربك من بيتك) المدينة إلى بدر .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني محمد بن عباد ابن جعفر ، في قوله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) قال : من المدينة إلى بدر .
 وأما قوله (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) فإن كراهتهم كانت كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله ابن أبي بكر ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، قالوا : « لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشام ، ندب إليهم المسلمين ، وقال : هذه عير

قريش فيها أموالهم ، فأخرجوا إليها لعلّ الله أن ينفلتكموها ، فانتدب الناس ، فحفف بعضهم ، وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي حرباً .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وإن فريقتا من المؤمنين لكارهون) لطلب المشركين .
ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ) فقال بعضهم : عنى بذلك : أهل الإيمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه حين توجه إلى بدر للقاء المشركين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء القوم ، وقال له سعد بن عباد ما قال ، وذلك يوم بدر أمر الناس ، فتعبوا للقتال ، وأمرهم بالشوكة ، وكره ذلك أهل الإيمان ، فأنزل الله (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ، يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) .
حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : ثم ذكر القوم ، يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين عرف القوم أن قريشا قد سارت إليهم ، وأنهم إنما خرجوا يريدون العير طمعا في الغنيمة ، فقال (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) . . . إلى قوله (لَكَارِهُونَ) أى كراهية للقاء القوم ، وإنكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم .
وقال آخرون : عنى بذلك المشركون .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) قال : هؤلاء المشركون جادلوك فى الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام ، وهم ينظرون ، قال : وليس هذا من صفة الآخرين ، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر .
حدثني المنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنى عبد العزيز بن محمد ، عن ابن أخى الزهرى ، عن عمه ، قال : كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر : (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العير .
قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما قاله ابن عباس وابن إسحاق ، من أن ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين أنهم كرهوا لقاء العدو ، وكان جداهم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن قالوا : لم يعلمنا أنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم ، وإنما خرجنا للعير ، ومما يدل على صحة قوله (وَإِذْ يَعِدْكُمْ اللَّهُ إِحْدَى

الطَّائِفَتَيْنِ أَتَّهَمَ لَكُمْ، وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ) في ذلك الدليل الواضح لمن فهم عن الله أن القوم قد كانوا للشوكة كارهين وأن جداهم كان في القتال ، كما قال مجاهد : كراهية منهم له ، وأن لامعنى لما قال ابن زيد ، لأن الذي قبل قوله (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ) خبر عن أهل الإيمان ، والذي يتلوه خبر عنهم ، فأن يكون خبرا عمّ أولى منه بأن يكون خبرا عن من لم يجز له ذكر .
وأما قوله (بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : بعد ما تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ) أنك لا تصنع إلا ما أمرك الله به .

وقال آخرون : معناه يجادلونك في القتال بعد ما أمرت به .

ذكر من قال ذلك

روى الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس :
وأما قوله (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) فإن معناه : كأن هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدو من كراهتهم للقائم إذا دعوا إلى لقاءهم للقتال يساقون إلى الموت .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) : أي كراهة للقاء القوم ، وإنكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : واذكروا أيها القوم (إذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) يعني : إحدى الفرقتين ، فرقة أبي سفيان بن حرب والعيير ، وفرقة المشركين الذين نفرؤا من مكة لمنع غيرهم . وقوله (أَتَّهَمَ لَكُمْ) يقول : إن ما معهم غنيمة لكم (وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ) يقول : وتحبون أن تكون تلك الطائفة التي ليست لها شوكة ، يقول : ليس لها حدّ ، ولا فيها قتال أن تكون لكم ، يقول : تودون أن تكون لكم العير التي ليس فيها قتال لكم دون جماعة قريش الذين جاءوا لمنع غيرهم الذين في لقاءهم القتال والحرب ، وأصل الشوكة من الشوك :

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن نصر ، وعبد الوارث بن عبد الصمد ، قالوا : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة : أن أبا سفيان أقبل ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشام ، فسلكوا طريق الساحل ؛ فلما سمع بهم النبي صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه ، وحدثهم بما معهم من الأموال ، وبقلة عددهم ، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان ، والركب معه لا يرونها إلا غنيمة لهم ، لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا رأوهم ، وهي ما أنزل الله (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كل قد حدثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم ، وقال : هذه غير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ، لعل الله أن ينفلكموها ، فانتدب الناس ، فخفف بعضهم ، وثقل بعض ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقي حربا . وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان تخوفا من الناس ، حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشا يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، حتى بلغ واديا يقال له ذفران ، فخرج منه ، حتى إذا كان ببعضه ، نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ، ليمنعوا غيرهم ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض إلى حيث أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لنسرت بنا إلى برك الغماد ، يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ثم دعا له بنخير ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أيها الناس ، وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة ، قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم ، قال : فلما قال ذلك رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ، قال : فقد آمننا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن يلقانا عدونا غدا ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ، ثم قال : «سِيرُوا عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَاللَّهُ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الْآنَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ غَدًا» .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي أن أبا سفيان أقبل في غير من الشام فيها تجارة قريش ، وهي اللطيمة ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أقبلت فاستنفر الناس ، فخرجوا معه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، فبعث عينا له من جهينة ، حليفا للأنصار يدعى ابن الأريقط ، فأتاه بجزيرة القوم ، وبلغ أبا سفيان خروج محمد صلى الله عليه وسلم ، فبعث إلى أهل مكة يستعينهم ، فبعث رجلا من بني غفار يدعى ضمضم بن عمرو ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يشعر بخروج قريش ، فأخبره الله بخروجهم ، فتخوف من الأنصار أن يخذلوه ويقولوا : إنا عاهدنا أن نمنعك إن أرادك أحد ببلدنا ، فأقبل على أصحابه فاستشارهم في طلب العير ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : إني قد سلكت هذا الطريق ، فأنا أعلم به ، وقد فارقه الرجل بمكان كذا وكذا ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عاد فشاورهم ، فجعلوا يشيرون عليه بالعير ، فلما أكثر المشورة ، تكلم سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله ، أراك تشاور أصحابك في شيرون عليك ، وتعود فتشاورهم ، فكأنك لا ترضى ما يشيرون عليك وكأنك تتخوف أن تتخلف عنك الأنصار ، أنت رسول الله ، وعليك أنزل الكتاب ، وقد أمرك الله بالقتال ووعده النصر ، والله لا يخلف الميعاد ، امض لما أمرت به ، فوالذي بعثك بالحق ، لا يتخلف عنك رجل من الأنصار ، ثم قام المقداد بن الأسود الكندي ، فقال : يا رسول الله إنا لانقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ولكننا نقول : أقدام فقاتل إنا معك مقاتلون ، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال : «إِنَّ رَبِّي وَعَدَنِي الْقَوْمَ وَقَدْ خَرَجُوا فَسِيرُوا إِلَيْهِمْ ، فساروا» .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قال : الطائفتان إحداهما أبو سفيان بن حرب إذ أقبل بالعير من الشام ، والطائفة الأخرى أبو جهل معه نفر من قريش ، فكره المسلمون الشوكة والقتال ، وأحبوا أن يلقوا العير ، وأراد الله ما أراد .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) قال : أقبلت عير أهل مكة ، يريد : من الشام

فبلغ أهل المدينة ذلك ، فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريدون العير ، فبلغ ذلك أهل مكة ، فسارعوا السير إليها لا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الله وعدهم لإحدى الطائفتين ، فكانوا أن يلقوا العير أحب إليهم وأيسر شوكة ، وأحضر مغنا ؛ فلما سبقت العير ، وفاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين ، يريد القوم ، فكره القوم مسيرهم لشوكة في القوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قال : أرادوا العير ، قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في شهر ربيع الأول ، فأغار كرز بن جابر الفهري يريد سرح المدينة حتى بلغ الصفراء ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فركب في أثره ، فسبقه كرز بن جابر ، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقام سنته ، ثم إن أبا سفيان أقبل من الشام في عير لقريش ، حتى إذا كان قريبا من بدر ، نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأوحى إليه (وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) فنفر النبي صلى الله عليه وسلم بجميع المسلمين ، وهو يومئذ ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلا ، منهم سبعون ومثتان من الأنصار ، وسائرهم من المهاجرين ، وبلغ أبا سفيان الخبر وهو بالبطم ، فبعث إلى جميع قريش وهم بمكة ، فنفرت قريش وغضبت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قال : كان جبريل عليه السلام قد نزل ، فأخبره بمسير قريش ، وهي تريد غيرها ، ووعدته : إما العير ، وإما قريشا ، وذلك كان ببدر ، وأخذوا السقاة وسألوهم ، فأخبروهم ، فذلك قوله (وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) هم أهل مكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) . . . إلى آخر الآية ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر وهم يريدون يعترضون عيرا لقريش ، قال : وخرج الشيطان في صورة سراقه بن جعشم ، حتى أتى أهل مكة ، فاستغواهم وقال : إن محمدا وأصحابه قد عرضوا لعيركم ، وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس من مثلكم ، وإني جار لكم أن تكونوا على ما يكره الله ، فخرجوا ونادوا أن لا يتخلف منا أحد إلا هدمنا داره واستبحناه ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالروحاء عينا للقوم ، فأخبره بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد وعدكم العير أو القوم ، فكانت العير أحب إلى القوم من القوم ، كان القتال في الشوكة ، والعير ليس فيها قتال ، وذلك قول الله (وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قال : الشوكة : القتال ، وغير الشوكة : العير .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، قال : ثنا عبد الله بن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن ابن أبي حبيب ، عن أبي عمران ، عن أبي أيوب ، قال : أنزل الله جلّ وعزّ (وَإِذْ يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ لِأَحَدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ) فلما وعدنا إحدى الطائفتين أنها لنا طابت أنفسنا ، والطائفتان : عير أبي سفيان ، أو قریش .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم أبي عمران الأنصارى ، أحسبه قال : قال أبو أيوب (وَإِذْ يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ لِأَحَدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ) ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) قالوا : الشوكة : القوم وغير الشوكة : العير ؛ فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين : إما العير ، وإما القوم ، طابت أنفسنا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنا غير واحد ، في قوله (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) إن الشوكة قریش .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) هي عير أبي سفيان ، ود أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العير كانت لهم ، وأن القتال صُرف عنهم .

حدثنا ابن هبيل ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) : أى الغنيمة دون الحرب .

وأما قوله (أَنَّهُمَا لَكُمْ) ففتحت على تكرير يبعِدُ ، وذلك أن قوله (يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ) قد عمل في إحدى الطائفتين .

فتأويل الكلام (وَإِذْ يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ لِأَحَدَى الطَّائِفَتَيْنِ) يعدكم أن إحدى الطائفتين لكم ، كما قال (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) قال : (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) فأنث « ذات » لأنه مراد بها الطائفة .

ومعنى الكلام : وتودون أن الطائفة التي هي غير ذات الشوكة تكون لكم ، دون الطائفة ذات الشوكة . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ : يقول تعالى ذكره : ويريد الله أن يحق الإسلام ويعليه بكلماته ، يقول : بأمره إياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار ، وأنتم تريدون الغنيمة والمال .

وقوله (وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) يقول : يريد أن يجب أصل الجاحدين توحيد الله . وقد بينا فيما مضى معنى دابر ، وأنه المتأخر ، وأن معنى قطعه الإتيان على الجميع منهم : وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) أن يقتل هؤلاء الذين أراد أن يقطع دابرهم ، هذا خير لكم من العير .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) : أي الوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر .
القول في تأويل قوله تعالى :

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره : ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين كما يحق الحق ، كما يعبد الله وحده دون الآلهة والأصنام ، ويعز الإسلام ، وذلك هو تحقيق الحق ، ويبطل الباطل ، يقول ويبطل عبادة الآلهة والأوثان والكفر ، ولو كره ذلك الذين أجزموا ، فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفار .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيُحِقَّ الْحَقَّ ، وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) هم المشركون ، وقيل : إن الحق في هذا الموضع : الله عز وجل .
القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : ويبطل الباطل حين تستغيثون ربكم ، فإذا من صلة من يبطل ، ومعنى قوله (تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) : تستجيرون به من عدوكم ، وتدعونه للنصر عليهم : (فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) يقول : فأجاب دعاءكم بأنني ممدكم بالف من الملائكة يردف بعضهم بعضا ، ويتلو بعضهم بعضا .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، وجاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ذكر الأخبار بذلك

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عمار ، قال : ثنا سماك الحنفي ، قال : سمعت ابن عباس يقول : ثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعدتهم ، ونظر إلى أصحابه نيفا على ثلاث مئة ، فاستقبل القبلة ، فجعل يدعو ويقول : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ، لاتعبد في الأرض ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، وأخذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فوضع رداؤه عليه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : كفاك يا نبي الله ، بأبي وأمي مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ، فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : لما اصطف

القوم ، قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصروه ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، فقال : « يَا رَبَّ إِن تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيَّ الْكِتَابَ ، وَأْمُرْتَنِي بِالْقِتَالِ ، وَوَعَدْتَنِي بِالنَّصْرِ ، وَلَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (الَّذِينَ يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ، بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن ابن إسحاق ، عن زيد بن نفيح ، قال : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ، يقول : اللَّهُمَّ انصُرْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ . قال : فقال أبو بكر : بعض مناشدتك منجزك ما وعدك .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويستغيثه ويستنصره ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةَ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) قال : دعا النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) : أي بدعائكم حين نظروا إلى كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ، فاستجاب لكم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم معه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، قال : لما كان يوم بدر ، جعل النبي صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشدَّ النشدة ، يدعو فاتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله بعض نشدتك ، فوالله ليفين الله لك بما وعدك .

وأما قوله (أَتَىٰ مُمِدُّكُمْ بِاللَّيْلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) فقد بينا معناه .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَتَىٰ مُمِدُّكُمْ بِاللَّيْلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) يقول : المزيد ، كما تقول : ائت الرجل ، فزده كذا وكذا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أحمد بن بشير ، عن هارون بن عنبرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (مُرْدِفِينَ) قال : متتابعين .

قال : ثني أبي ، عن سفیان ، عن هارون بن عنبرة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) قال : وراء كل ملك ملك .
حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (مُرْدِفِينَ) قال : متتابعين .

قال : ثنا هاني بن سعيد ، عن حجاج بن أرطاة ، عن قابوس ، قال : سمعت أبا ظبيان يقول (مُرْدِفِينَ) قال : الملائكة بعضهم على إثر بعض .

قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال (مُرْدِفِينَ) قال : بعضهم على إثر بعض .
حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (مُرْدِفِينَ) قال : ممدين . قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قال (مُرْدِفِينَ) الإمداد بهم .
حدثني بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) أي متتابعين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) يتبع بعضهم بعضا .
حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مُرْدِفِينَ) قال : المردفين بعضهم على إثر بعض ، يتبع بعضهم بعضا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) يقول : متتابعين يوم بدر .
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءه عامة قراء أهل المدينة (مُرْدِفِينَ) ينصب الدال ، وقراه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين والبصريين (مُرْدِفِينَ) . وكان أبو عمرو يقرؤه كذلك ، ويقول فيما ذكر عنه : هو من أردف بعضهم بعضا ، وأنكر هذا القول من قول أبي عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب ، وقال : إنما الإرداف : أن يحمل الرجل صاحبه خلفه ، قال : ولم يسمع هذا في نعت الملائكة يوم بدر .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى ذلك إذا قرئ بفتح الدال أو بكسرها ، فقال بعض البصريين والكوفيين : معنى ذلك : إذا قرئ بالكسر أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضا على لغة من قال : أردفته وقالوا : العرب تقول : أردفته وردفته ، بمعنى : تبعته وأتبعته ، واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر :

إِذَا الْجَوَازُ أُرْدِفَتِ الثَّرِيَا ظَنَنْتُ بِأَلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا

(١) البيت في (اللسان : ردف) لخزيمة بن مالك بن نهد . قال : وأردفه أمر : لغة في ردفه ، مثل تبعه وأتبعه بمعنى ، قال خزيمة إذا الجواز . . . البيت . يعني فاطمة بنت يذكر بن عنزة ، أحد القارظين . قال : ومعنى بيت خزيمة على ما حكاه عن أبي بكر ابن السراج : أن الجوزاء تردف الثريا في شدة الحر ، فتكبد السماء في آخر الليل ، وعند ذلك تنقطع المياه وتجف ، فتفرق الناس

قالوا : فقال الشاعر : أردفت ، وإنما أراد أردفتُ جاءت بعدها ، لأن الجوزاء تجيء بعد الثريا ، وقالوا : معناه : إذا قرئ (مُرْدَفِين) أنه مفعول بهم ، كأن معناه : بألف من الملائكة يُردف الله بعضهم بعضا . وقال آخرون : معنى ذلك : إذا كسرت الدال أردفت الملائكة بعضها بعضا ، وإذا قرئ بفتحها : أردف الله المسلمين بهم .

والصواب من القراءة في ذلك عندى قراءة من قرأ (بألفٍ من الملائكة مُردَفِين) بكسر الدال لإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم ، أن معناه : يتبع بعضهم بعضا ومتتابعين ، ففى إجماعهم على ذلك من التأويل الدليل الواضح ، على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا فى ذلك من كسر الدال ، بمعنى : أردف بعض الملائكة بعضا ، ومسموع من العرب : جثت مردفا لفلان : أى جثت بعده . وأما قول من قال : معنى ذلك : إذا قرئ (مُرْدَفِين) بفتح الدال ، أن الله أردف المسلمين بهم ، فقول لامعنى له ، إذ الذكر الذى فى مردفين من الملائكة دون المؤمنين .

وإنما معنى الكلام : أن يمدكم بألف من الملائكة يردف بعضهم ببعض ، ثم حذف ذكر الفاعل ، وأخرج الخبر غير مسمى فاعله ، فقبل (مُرْدَفِين) بمعنى : مردف بعض الملائكة ببعض ، ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله ، وجب أن يكون فى المردفين ذكر المسلمين لذكر الملائكة ، وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر القرآن .

وقد ذكر فى ذلك قراءة أخرى ، وهى ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : قال عبد الله بن يزيد : مُرْدَفِين ، ومُرْدَفِين ، ومُرْدَفِين ، مثقل على معنى : مرتدفين . حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، قال : ثنى عبد العزيز بن عمران عن الربعى ، عن أبى الحويرث ، عن محمد بن جبير ، عن على رضى الله عنه ، قال : نزل جبريل فى ألف من الملائكة ، عن ميمنة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيها أبو بكر رضى الله عنه ، ونزل ميكائيل عليه السلام فى ألف من الملائكة ، عن ميسرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنا فيها . القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : لم يجعل الله إرداف الملائكة بعضها بعضا ، وتتابعها بالمصير إليكم أيها المؤمنون مددا لكم إلا بشرى لكم : أى بشارة لكم تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم (وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ

فى طلب المياه ، فتليب عنه محبوبته ، فلا يدرى أين مضت ، ولا أين نزلت ؟ وفى حديث بدر : « فأمدم الله بألف من الملائكة مردفين » : أى متتابعين ، يردف بعضهم بعضا .

يقول : ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم ، وتوقن بنصرة الله لكم (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) : يقول : وما تُنصرون على عدوكم أيها المؤمنون إلا أن ينصركم الله عليهم ، لا بشدة بأسكم وقواكم ، بل بنصر الله لكم ، لأن ذلك بيده وإليه ، ينصر من يشاء من خلقه (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يقول : إن الله الذي ينصركم ويده نصر من يشاء من خلقه ، عزيز لا يقهره شيء ، ولا يغلبه غالب ، بل يقهر كل شيء ويغلبه ، لأنه خلقه حكيم ، يقول : حكيم في تدبيره ونصره من نصر ، وخذلانه من خذل من خلقه ، لا يدخل تدبيره وهن ولا خلل .

وروى عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول : ما مدّ النبي صلى الله عليه وسلم مما ذكر الله غير ألف من الملائكة مردفين ، وذكر الثلاثة والحمسة بشرى ، ما مدوا بأكثر من هذه الألف الذي ذكر الله عز وجل في الأنفال . وأما الثلاثة والحمسة ، فكانت بشرى ، وقد أتينا على ذلك في سورة آل عمران بما فيه الكفاية .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢

يقول تعالى ذكره : ولتطمئن به قلوبكم إذ يغشاكم النعاس ، ويعنى بقوله (يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ) : يلتقي عليكم النعاس (أَمْنَةً) يقول : أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم ، وكذلك النعاس في الحرب أمانة من الله عز وجل .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن عبد الله ، قال : النعاس في القتال أمانة من الله عز وجل ، وفي الصلاة من الشيطان .

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، في قوله : يغشاكم النعاس أمانة منه ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن عبد الله ، بنحوه ، قال : قال عبد الله : فذكر مثله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن عبد الله بنحوه ، والأمانة : مصدر من قول القائل : أمنت من كذا أمانة وأمانا وأمنا ، وكل ذلك بمعنى واحد . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَمْنَةٌ مِنْهُ) : أمانا من الله عز وجل

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدالله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَمْنَةٌ) قال : أمانا من الله .

حدثني يونس ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ) قال : أنزل الله عز وجل النعاس أمانة من الخوف الذي أصابهم يوم أُحد ، فقراً (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ) فقراً ذلك عامة قراء أهل المدينة (يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ) بضم الياء وتخفيف الشين ونصب النعاس ، من أغشاهم الله النعاس ، فهو يغشيه ؛ وقراءته عامة قراء الكوفيين (يُغَشِّيكُمْ) بضم الياء وتشديد الشين من غشاهم الله النعاس ، فهو يغشيه ؛ وقراً ذلك بعض المكيين والبصريين (يَغَشَّاكُمُ النُّعَاسُ) بفتح الياء ورفع النعاس ، بمعنى غشيهم النعاس ، فهو يغشاهم ، واستشهد هؤلاء لصحة قراءتهم كذلك بقوله في آل عمران (يَغَشِّي طَائِفَةٌ) .
 وأولى ذلك بالصواب : (إِذْ يُغَشِّيكُمْ) على ما ذكرت من قراءة الكوفيين ، لإجماع جميع القراء على قراءة قوله (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً) بتوجيه ذلك إلى أنه من فعل الله عز وجل ، فكذلك الواجب أن يكون كذلك (يُغَشِّيكُمْ) إذ كان قوله (وَيُنَزِّلُ) عطفاً على يُغَشِّي ، ليكون الكلام متسقاً على نحو واحد .

وأما قوله عز وجل (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ) فإن ذلك مطر أنزله الله من السماء يوم بدر ، ليظهر به المؤمنين لصلاتهم ، لأنهم كانوا أصبحوا يومئذ مجنبيين على غير ماء ؛ فلما أنزل الله عليهم الماء ، اغتسلوا وتطهروا ، وكان الشيطان وسوس لهم بما حزنهم به ، من إصباحهم مجنبيين على غير ماء ، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر فذلك ربطه على قلوبهم وتقويته أسبابهم وتثبيتته بذلك المطر أقدامهم ، لأنهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة هَشَاءَ ، فلبدّها المطر ، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها ، توطئة من الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام وأوليائه ، أسباب التمكن من علومهم والظفر بهم . وبمثل الذي قلنا ، تتابعت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من أهل العلم .

ذكر الأخبار الواردة بذلك

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : ثنا مصعب بن المقدم ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن علي رضي الله عنه ، قال : أصابنا من الليل طش من المطر ، يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر ، فانطلقنا تحت الشجر والحجف ، نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم

يدعوه ربه : « اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ » فلما أن طلع الفجر نادى :
الصَّلَاةَ عِبَادَ اللَّهِ ، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وحرّض على القتال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث وأبو خالد ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب (ماء
لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ) قال : طش يوم بدر .

حدثني الحسن بن يزيد ، قال : ثنا حفص ، عن داود ، عن سعيد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن أبي عديّ وعبد الأعلى ، عن داود ، عن الشعبيّ وسعيد بن

المسيب ، قالا : طش يوم بدر .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن داود ، عن الشعبيّ وسعيد بن المسيب في هذه الآية

(يُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ ، وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) قالا :

طش كان يوم بدر ، فثبت الله به الأقدام .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذْ يَغْشَاكُمُْ النُّعَاسُ
أَمْنَةً مِنْهُ) . . . الآية ، ذكر لنا أنهم مطروا يومئذ حتى سال الوادي ماء ، واقتتلوا على كثيب أعفر ،

فلبده الله بالماء ، وشرب المسلمون وتوضئوا وسقوا ، وأذهب الله عنهم وسواس الشيطان .

حدثني المني ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : نزل النبيّ

صلى الله عليه وسلم ، يعني حين سار إلى بدر والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة ١ ، فأصاب المسلمين

ضعف شديد ، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ ، فوسوس بينهم : تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ،

وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجننين ، فأمطر الله عليهم مطرا شديدا ، فشرب المسلمون

وتطهروا ، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وثبت الرمل حين أصابه المطر ، ومشى الناس عليه والدواب

فساروا إلى القوم ، وأمدّ الله نبيه بألف من الملائكة ، فكان جبريل عليه السلام في خمس مئة من الملائكة

مجنبة ، وميكائيل في خمس مئة مجنبة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

قوله (إِذْ يَغْشَاكُمُْ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ) . . . إلى قوله (وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) وذلك أن المشركين

من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها ، نزلوا على الماء يوم بدر ، فغلبوا المؤمنين عليه ، فأصاب

المؤمنين الظم ، فجعلوا يصلون مجننين محدثين ، حتى تعاضم ذلك في صدور أصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي ، فشرب المسلمون وملثوا الأسقية ، وسقوا الركاب

واغتسلوا من الجنابة ، فجعل الله في ذلك طهورا ، وثبت الأقدام ، وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة

فبعث الله عليها المطر ، فضر بها حتى اشتدت ، وثبتت عليها الأقدام .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : بينا

(١) الدعصة : الطائفة من الرمل المجتمع (اللسان : دعص) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فسبقهم المشركون إلى ماء بدر ، فنزلوا عليه ، وانصرف أبو سفيان وأصحابه ، تلقاء البحر ، فانطلقوا ، قال : فنزلوا على أعلى الوادي ، ونزل محمد صلى الله عليه وسلم في أسفله ، فكان الرجل من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام يُجنب فلا يقدر على الماء ، فيصلى جنباً ، فألقى الشيطان في قلوبهم ، فقال : كيف ترجون أن تظهروا عليهم ، وأحدكم يقوم إلى الصلاة جنباً على غير وضوء ، قال : فأرسل الله عليهم المطر ، فاغتسلوا وتوضئوا وشربوا ، واشتدت لهم الأرض ، وكانت بطحاء تدخل فيها أرجلهم ، فاشتدت لهم من المطر واشتدوا عليها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : غلب المشركون المسلمين في أول أمرهم على الماء فظمى المسلمون ، وصلوا مجننين محدثين ، وكانت بينهم رمال ، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن ، فقال : تزعمون أن فيكم نبياً ، وأنكم أولياء الله ، وقد غلبتم على الماء ، وتصلون مجننين محدثين . قال : فأنزل الله ماء من السماء ، فسال كل واد ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وثبتت أقدامهم ، وذهبت وسوسة الشيطان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (ماءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ) قال : المطر أنزله عليهم قبل النعاس . رجز الشيطان ، قال : وسوسته ، قال : فأطفأ بالمطر الغبار ، والتبدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ماءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ) أنزله عليهم قبل النعاس ، طبق المطر الغبار ، ولبدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به الأقدام . أنزل عليهم مثل النعاس ، طبق بالمطر الغبار ، ولبدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به الأقدام . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ماءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ) قال : القطر ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وساوسه ، أطفأ بالمطر الغبار ، ولبدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، رجز الشيطان : وسوسته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ) قال : هذا يوم بدر أنزل عليهم القطر (وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) الذي ألقى في قلوبكم ليس لكم بهولاء طاقة (وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (إِذْ يَغْشَاكُمْ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ) . . . إلى قوله (وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) أن المشركين نزلوا بالماء يوم بدر ، وغلبوا المسلمين عليه ، فأصاب المسلمين الظمأ ، وصلوا محدثين مجننين ، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن ، ووسوس فيها : إنكم تزعمون أنكم أولياء الله ، وإن محمداً نبي الله

وقد غلبتم على الماء ، وأنتم تصلون محدثين مجننين ، فأمطر الله السماء حتى سال كل واد ، فشرّب المسلمون وملئوا أسقيتهم ، وسقوا دوابهم ، واغتسلوا من الجنابة ، وثبت الله به الأقدام ، وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوهم رملة لا تجوزها الدواب ، ولا يمشى فيها الماشى إلا بجهد ، فضرّبها الله بالمطر حتى اشتدت وثبتت فيها الأقدام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِذْ يَغْشَاكُمُْ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ) : أى أنزلت عليكم الأمانة حتى نتم لا تخافون ، ونزل عليكم من السماء المطر الذى أصابهم تلك الليلة ، فحبس المشركون أن يسبقوا إلى الماء ، وخطى سبيل المؤمنين إليه (لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ، وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ، وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) : ليذهب عنهم شك الشيطان بتخويفه إياهم عدوهم ، واستجلاد الأرض لهم ، حتى انتهوا إلى منزلهم الذى سبق إليه عدوهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : ثم ذكر ما ألقى الشيطان في قلوبهم من شأن الجنابة ، وقيامهم يصلون بغير وضوء ، فقال (إِذْ يَغْشَاكُمُْ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ ، وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمُْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ، وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ، وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ، وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) حتى تشتدون على الرمل ، وهو كهيئة الأرض .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، قال : قال رجل عند سعيد بن المسيب ، وقال مرة قرأ (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمُْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمُْ بِهَا) فقال سعيد : إنما هي (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمُْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمُْ بِهِ) قال : وقال الشعبي : كان ذلك طشا يوم بدر . وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة ، أن مجاز قوله (وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) ويفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم ، فيثبتون لعدوهم ، وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين ، وحسب قول خطأ ، أن يكون خلافا لقول من ذكرنا . وقد بينا أقوالهم فيه ، وأن معناه : ويثبت أقدام المؤمنين بتلييد المطر الرمل حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم .

وأما قوله (إِذْ يُوحى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْتِ مَعَكُمْ) أنصركم (فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) يقول : قووا عزمهم ، وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين ، وقد قيل : إن تثبيت الملائكة المؤمنين ، كان حضورهم حربهم معهم ، وقيل : كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم ، وقيل : كان ذلك بأن الملك يأتى الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول : سمعت هؤلاء القوم ، يعنى المشركين يقولون : والله لئن حملوا علينا لننكشفن ، فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك ، فتقوى أنفسهم ، قالوا وذلك كان وحي الله إلى ملائكته .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) أى فأزروا الذين آمنوا .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَأُلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ ، فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ :

يقول تعالى ذكره : سأرعب قلوب الذين كفروا بي أيها المومنون منكم ، وأملؤها فرقا حتى ينهزموا عنكم ، فاضربوا فوق الأعناق .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (فَوْقَ الْأَعْنَاقِ) فقال بعضهم : معناه : فاضربوا الأعناق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (فاضربوا فوق الأعناق) قال : اضربوا الأعناق .

قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن القاسم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لم أبعث لأعدب ببعذاب الله ، إنما بعثت لضرب الأعناق ، وشد الوثاق » .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فاضربوا فوق الأعناق) يقول : اضربوا الرقاب . واحتج قائلو هذه المقالة بأن العرب تقول : رأيت نفس فلان ، بمعنى رأيت ، قالوا : فكذلك قوله (فاضربوا فوق الأعناق) إنما معناه : فاضربوا الأعناق .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فاضربوا الرءوس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : وحدثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (فاضربوا فوق الأعناق) قال : الرءوس . واعتل قائلو هذه المقالة بأن الذي فوق الأعناق : الرءوس ، وقالوا : وغير جائز أن تقول : فوق الأعناق ، فيكون معناه : الأعناق . قالوا : ولو جاز ذلك كان أن يقال تحت الأعناق ، فيكون معناه : الأعناق . قالوا : وذلك خلاف المعقول من الخطاب ، وقلب معاني الكلام .

وقال آخرون : معنى ذلك : فاضربوا على الأعناق ، وقالوا : على وفوق معناها متقاربان ، فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أمر المؤمنين معلمهم كيفية قتل المشركين وضرهم بالسيف أن يضربوا فوق الأعناق منهم والأيدي والأرجل ؛ وقوله (فَوْقَ الْأَعْنَاقِ) محتمل أن يكون مرادا به الرءوس ، ومحتمل أن يكون مرادا به فوق جلدة الأعناق ، فيكون معناه : على الأعناق ، وإذا احتمل ذلك صح قول من قال : معناه : الأعناق ، وإذا كان الأمر محتملا ما ذكرنا من التأويل ، لم يكن لنا أن نوجهه إلى بعض معانيه دون بعض ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، ولا حجة تدل على خصوصه ، فالواجب

أن يقال : إن الله أمر بضرب رموس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بدرًا .

وأما قوله (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) فإن معناه : واضربوا أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم ، والبنان : جمع بنانة ، وهى أطراف أصابع اليدين والرجلين ، ومن ذلك قول الشاعر :

أَلَا لَيْتَنِي قَطَعْتُ مِنْهُ بِنَانَةً وَلَا قَيْتَهُ فِي الْبَيْتِ يَقْظَانُ حَازِرًا ١

يعنى بالبنانة : واحدة البنان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال : كل مفصل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال : المفاصل ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال : كل مفصل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال : الأطراف ، ويقال : كل مفصل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) يعنى بالبنان : الأطراف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال : الأطراف .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) يعنى الأطراف .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥١﴾

(١) البيت فى (اللسان : بن) قال : والبنان : الأصابع . وقيل أطرافها ، واحدها : بنانة . وأنشد ابن برى لعباس بن مرداس :
أَلَا لَيْتَنِي . . . البيت . . . وقوله عز وجل : « وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ » : قال أبو إسحاق : البنان هاهنا : جميع أعضاء البدن .
وحكى الأزهرى عن الزجاج ، قال : واحد البنان : بنانة . ومعناها هاهنا : الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء . وقال الليث : البنان : أطراف الأصابع من اليدين والرجلين . قال : والبنان فى كتاب الله : هو الشوى ، وهى الأيدى والأرجل . قال : والبنانة : الإصبع اه .
وقال الفراء فى معانى القرآن (ص ١١٧ مصورة جامعة القاهرة) وقوله : فاضربوا فوق الأعناق : علمهم مواضع الضرب ، فقال : اضربوا الرموس والأيدى والأرجل ، فذلك قوله : واضربوا منهم كل بنان . اه . والحاذر : المستعد للقتال بالسلاح .

﴿ يعني تعالى ذكره بقوله (ذلك بأنهم) هذا الفعل من ضرب هؤلاء الكفرة فوق الأعناق ، وضرب كل بنان منهم ، جزاء لهم بشقاقهم الله ورسوله ، وعقاب لهم عليه ؛ ومعنى قوله (شاقوا الله ورسوله) فارقوا أمر الله ورسوله وعصوهما ، وأطاعوا أمر الشيطان ؛ ومعنى قوله (ومن يشاقق الله ورسوله) ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله ، وفارق طاعتهما (فإن الله شديد العقاب) له ، وشدة عقابه له في الدنيا : إحلاله به ما كان يحل بأعدائه من النقم ، وفي الآخرة الخلود في نار جهنم ، وحذف له من الكلام لدلالة الكلام عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : هذا العقاب الذي عجلته لكم أيها الكافرون ، المشاقون لله ورسوله في الدنيا ، من الضرب فوق الأعناق منكم ، وضرب كل بنان بأيدي أوليائى المؤمنين ، فذوقوه عاجلا ، واعلموا أن لكم في الآجل والمعاد عذاب النار .

ولفتح « أن » من قوله (وأن للكافرين) من الإعراب وجهان : أحدهما الرفع ، والآخر النصب ، فأما الرفع فبمعنى ذلكم : فذوقوه ذلكم ، وأن للكافرين عذاب النار بنية تكرير ذلكم ، كأنه قيل : ذلكم الأمر وهذا . وأما النصب فمن وجهين : أحدهما ذلكم فذوقوه ، واعلموا ، أو وأيقنوا أن للكافرين ، فيكون نصبه بنية فعل مضمر ، قال الشاعر :

ورأيت زوجهك في الوغى متقلدا سيفا ورُمحا

بمعنى : وحاملا رمحا ، والآخر بمعنى : ذلكم فذوقوه ، وبأن للكافرين عذاب النار ، ثم حذف الباء فنصبت .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفَا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولُوهُمْ
يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُمْ إِلَى الْأَمْتِ حَرِّ الْقِتَالِ أَوْ مَتَّحِيظًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ
جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْأَبْصِيرُ ﴿١٦﴾

﴿ يعني تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (إذا لقيتكم الذين كفروا في القتال زحفا) يقول : متزاحفا بعضكم إلى بعض ، والتزاحف : التذاني والتقارب (فلا تولوهم الأدبار) يقول : فلا تولوهم ظهوركم فتهزموا عنهم ، ولكن اثبتوا لهم ، فإن الله معكم عليهم (ومن يولوهم) يَوْمَئِذٍ

(١) البيت تقدم إيشاده في عدة مواضع من التفسير ، وشرحناه في هامش (ج ٣ : ٢٧٥) .

دُبْرَةٌ) يقول : ومن يولهم منكم ظهره ، إلا متحرفاً لقتال ، يقول : إلا مستطرداً لقتال عدوه بطلب عورة له يمكنه إصابتها ، فيكره عليه ، أو متحيزاً إلى فئة ، أو إلا أن يولهم ظهره متحيزاً إلى فئة ، يقول : صائراً إلى حيز المؤمنين الذين يفيثون به معهم إليهم لقتالهم ، ويرجعون به معهم إليهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جوير ، عن الضحاك (إلا متحرفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ) قال : المتحرف : المتقدم من أصحابه ليرى غرة من العدو فيصيبها ، قال : والمتحيز : الفار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكذلك من فرّ اليوم إلى أميره أو أصحابه ، قال الضحاك : وإنما هذا وعيد من الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أن لا يفرّوا ، وإنما كان النبي عليه الصلاة والسلام فثمهم .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ) أما المتحرف يقول : إلا مستطرداً ، يريد العودة أو متحيزاً إلى فئة ، قال : المتحيز إلى الإمام وجنده إن هو كرّ فلم يكن له بهم طاقة ، ولا يعذر الناس وإن كثروا أن يولوا عن الإمام .

واختلف أهل العلم في حكم قول الله عز وجل (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ) هل هو خاص في أهل بدر ، أم هو في المؤمنين جميعاً ، فقال : قوم هو لأهل بدر خاصة ، لأنه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوه وينهزموا عنه ، فاليوم أفلهم الانهزام ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن أبي نضرة ، في قول الله عز وجل (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) قال : ذاك يوم بدر ، ولم يكن لهم أن ينحازوا ، ولو انحاز أحد لم ينحز إلا إلى . قال أبو موسى : يعني إلى المشركين .

حدثنا إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، قوله عز وجل (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : ولو انحازوا انحازوا إلى المشركين ، ولم يكن يومئذ مسلم في الأرض غيرهم .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن مفضل ، قال : ثنا داود ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، قال : نزلت في يوم بدر (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) .

حدثني ابن المثني ، وعلى بن مسلم الطوسي ، قال ابن المثني : ثنا عبد الصمد ، وقال علي : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبه ، عن داود ، يعني ابن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ) .

يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : يوم بدر ، قال أبو موسى : حدثت أن في كتاب غندر (١) هذا الحديث ، عن داود ، عن الشعبي ، عن أبي سعيد .

حدثنا أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا علي بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي نصره ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : إنما كان ذلك يوم بدر لم يكن للمسلمين فئة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بعد ذلك ، فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن أبي نصره (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : هذه نزلت في أهل بدر .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن ابن عون ، قال : كتبت إلى نافع أسأله ، عن قوله (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) أكان ذلك اليوم أم هو بعد ؟ قال : وكتب إلى : إنما كان ذلك يوم بدر .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، عن سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : إنما كان الفرار يوم بدر ، ولم يكن لهم ملجأ يلجئون إليه ، فأما اليوم فليس فرار .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الربيع ، عن الحسن (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : كانت هذه يوم بدر خاصة ليس الفرار من الزحف من الكبائر ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ،

عن الضحاك (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : كانت هذه يوم بدر خاصة ، قال : ثنا روح بن عبادة ، عن حبيب بن الشهيد ، عن الحسن (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : نزلت في أهل بدر .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : ذلكم يوم بدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : ذلك يوم بدر ، فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر ، أحسبه قال : فلا بأس به .

حدثني المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن عون ، قال : كتبت إلى نافع (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : إنما هذا يوم بدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، قال : ثنا يزيد ابن أبي حبيب ، قال : أوجب الله لمن فر يوم بدر النار ، قال (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) إلا

مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ، أَوْ مُتَحَسِّرًا إِلَى فِئَةٍ ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبِ اللَّهِ) فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال (إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ، وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ) ثم كان حين بعد

ذلك بسبع سنين ، فقال (يَوْمَئِذٍ يُدْعَى الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى اللَّهِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ وَجْهًا لَهَا) ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا ابن عون ، عن محمد ، أن عمر رضي الله عنه بلغه قتل أبي عبيد ، فقال : لو تحيز إلى لكنت له فئة .

(١) غندر : لقب محمد بن جعفر الهذلي ، مولاهم البصرى أبو عبد الله الكرابيسى الحافظ ربيب شعبة بن الحجاج توفى سنة ١٩٣

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جرير بن حازم ، قال : ثنا قيس بن سعيد ، قال : سألت عطاء بن أبي رباح ، عن قوله (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : هذه منسوخة بالآية التي في الأنفال (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) قال : وليس لقوم أن يفروا من مثلهم ، قال : ونسخت تلك إلا هذه العدة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، قال : لما قتل أبو عبيد جاء الخبر إلى عمر ، فقال : يا أيها الناس أنا فثتكم ، قال ابن المبارك ، عن معمر وسفيان الثوري وابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال عمر رضى الله عنه : أنا فئة كل مسلم . وقال آخرون : بل هذه الآية حكما عام في كل من ولى الدبر عن العدو منهزما .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : أكبر الكبائر : الشرك بالله ، والفرار من الزحف ، لأن الله عز وجل يقول : (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ . . . فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) . وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب : عندي قول من قال : حكما محكم ، وأنها نزلت في أهل بدر ، وحكما ثابت في جميع المؤمنين ، وإن الله حرم على المؤمنين إذا لقوا العدو أن يولوهم الدبر منهزمين ، إلا لتحرف القتال ، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام ، وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزما بغير نية إحدى الحلتين اللتين أباح الله التولية بهما ، فقد استوجب من الله وعيده إلا أن يتفضل عليه بعفوه .

ولأنما قلنا : هي محكمة غير منسوخة لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ ، وله في غير النسخ وجه ، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر يقطع العذر ، أو حجة عقل ، ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عز وجل (وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ، أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ) .

وأما قوله (فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) يقول : فقد رجع بغضب من الله (وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ) يقول : ومصيره الذى يصير إليه في معاده يوم القيامة جهنم وبئس المصير ، يقول : وبئس الموضع الذى يصير إليه ذلك المصير .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَاتَهُمْ وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِئِبْلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ
بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش ، فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم ، ولكن الله قتلهم ، وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه ، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين ، إذ كان جل ثناؤه هو مسبب قتلهم ، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم ، ففي ذلك أدل الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صنع به ، وصلوا إليها ، وكذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) فأضاف الرمي إلى نبي الله ، ثم نفاه عنه ، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي ، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمى به إلى الذين رموا من به المشركين ، والمسبب الرمية لرسوله ، فيقال للمسلمين ما ذكرنا ، قد علمتم إضافة الله رمى نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين إلى نفسه ، بعد وصفه نبيه به ، وإضافته إليه ذلك فعل واحد كان من الله بتسبيبه وتسديده ، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذف والإرسال ، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة من الله ، الإنشاء والإنجاز بالتسبيب ، ومن الخلق الاكتساب بالقوى ، فلن يقولوا في أحدهما قولاً إلا ألزموا في الآخر مثله .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ) لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، حين قال : هذا قتلت ، وهذا قتلت (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) قال لمحمد حين حصب الكفار .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) قال : رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحصباء يوم بدر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة ، قال : ما وقع منها شيء إلا في عين رجل .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، قال : لما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال : هَذِهِ مَصَارِعُهُمْ ، ووجد المشركون النبي صلى الله عليه وسلم ، قد سبقهم إليه ونزل عليه ، فلما طلوعوا عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ جَاءَتْ بِحَيْلِهَا وَفَخَّرَهَا ، تَحَادُّكَ وَتُكَدِّبُ رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا وَعَدْتَنِي ، فلما أقبلوا استقبالهم ، فحثوا في وجوههم ، فهزمهم الله عز وجل .

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز بن عمران ، قال : ثنا

موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة ، عن يزيد بن عبد الله ، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حشمة ،

عن حكيم بن حزام ، قال : لما كان يوم بدر ، سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست ، ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية ، فانهزمتنا .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي ، قالا : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب ، فرمى بها في وجوه القوم ، وقال : شاهت الوجوه ، فدخلت في أعينهم كلهم ، وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرونهم ، وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) . . . الآية ، إلى (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) . . . الآية ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ، ورمى بها في وجوه الكفار ، فهزموا عند الحجر الثالث .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التقى الجمعان يوم بدر لعلّ رضي الله عنه : أعطيتني حصاة من الأرض فناوله حبيبي عليه تراب فرمى به وجوه القوم ، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ، ثم ردّ فيهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، فذكر رمية النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال (فَلَمَّ تَقَتَّلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) قال : هذا يوم بدر ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات ، فرمى بحصاة في ميمنة القوم ، وحصاة في ميسرة القوم ، وحصاة بين أظهرهم وقال : شاهت الوجوه ، فانهزموا ، فذلك قول الله عز وجل (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر ، فقال : يَا رَبِّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا ، فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب ، فأخذ قبضة من التراب ، فرمى بها في وجوههم فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال الله عز وجل في رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصباء من يده حين رامهم (وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) : أي لم يكن ذلك برميته ، لولا الذي جعل الله فيها من نصرك ، وما ألقى في صدور عدوك منها حين هزمتهم .

وروي عن الزهري في ذلك قول خلاف هذه الأقوال ، وهو ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) قال : «جاء أبي بن خلف الجمحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ، فقال الله : محي هذا يا محمد وهو رميم ، وهو يفت

العظم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يُحْيِيهِ اللهُ ، ثُمَّ يُمَيِّتُكَ ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ قال : فلما كان يوم أحد ، قال : والله لأقتلن محمدا إذا رأيته ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله .

وأما قوله (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا) فإن معناه : ولينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر بأعدائهم ، ويغنمهم ما معهم ، ويثبت لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك البلاء الحسن ، روى الله هؤلاء المشركين ، ويعنى بالبلاء الحسن : النعمة الحسنة الجميلة ، وهي ما وصفت ، وما في معناه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال في قوله (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا) : أى ليعرف المؤمنين من نعمه عليهم في إظهارهم على عدوهم مع كثرة عددهم ، وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه ، وليشكروا بذلك نعمته .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يعنى : إن الله سميع أيها المؤمنون لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ومناشدته ربه ، ومسلته إياه إهلاك عدوه وعدوكم ، ولقيلكم ، وقيل جميع خلقه ، عليم بذلك كله ، وبما فيه صلاحكم ، وصلاح عباده ، وغير ذلك من الأشياء محيط به ، فاتقوه وأطيعوا أمره ، وأمر رسوله .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَالِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾

﴿١٨﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله (ذَالِكُمْ) : هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم ، حتى انهزموا ، وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم ، وإمكانهم من قتلهم ، وأسرهم فعلنا الذى فعلنا (وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ) يقول : واعلموا أن الله مع ذلك مضعف كيد الكافرين ، يعنى مكرهم ، حتى يذلوا ، وينقادوا للحق ويهلكوا . وفي فتح « أن » من الوجوه ما في قوله (ذَالِكُمْ فَذُوقُوهُ ، وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ) وقد بينته هنالك .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (مُوهِنٌ) فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والبهريين (مُوهِنٌ) بالتشديد من وهنت الشيء : ضعفته . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (مُوهِنٌ) من أوهنته فأنا موهنه ، بمعنى أضعفته ؛ والتشديد في ذلك أعجب إلى ، لأن الله تعالى كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، عقدا بعد عقد ، وشيئا بعد شيء ، وإن كان الآخر وجها صحيحا .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كُثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره للمشركين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) يعنى : إن تستحكموا الله على أقطع الحزبين للرحم ، وأظلم الفئتين ، وتستنصروه عليه ، فقد جاءكم حكم الله ونصره المظلوم على الظالم ، والمحق على المبطل .
وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جوير ، عن الضحاك (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قال : إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء .

قال : ثنا سويد بن عمرو الكلبي ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قال : إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء .

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) يعنى بذلك المشركين ، إن تستنصروا فقد جاءكم المدد .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن كثير ، عن ابن عباس ، قوله (إن تستفتحوا) قال : إن تستقضوا القضاء ، وإنه كان يقول (وإن تنتهوا فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد ، ولكن تغني عنكم فيثكم شيئا) قلت : للمشركين ؟ قال : لانعلم إلا ذلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قال : كفار قريش فى قولهم : ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه ، ففتح بينهم يوم بدر .

حدثني المنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قال : استفتح أبو جهل ، فقال : اللهم يعنى محمدا ونفسه ، أينما كان أفجر لك ، اللهم ، وأقطع للرحم ، فأحنه اليوم ، قال الله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، فى قوله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قال : استفتح أبو جهل بن هشام ، فقال : اللهم أينما كان أفجر لك وأقطع للرحم ، فأحنه اليوم ، يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام ونفسه ، قال الله عز وجل (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) فضر به ابنا عفراء : عوف ومعوذ ، وأجهز عليه ابن مسعود .

حدثني المنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنا عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدوى ، حليف بنى زهرة ، أن المستفتح يومئذ أبو جهل ، وأنه قال حين

التي القوم : أينا أقطع للرحم ، وآتانا بما لا يعرف ، فأحنه الغداة ، فكان ذلك استفتاحه ، فأنزل الله في ذلك : (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) . . . الآية ، يقول : قد كانت بدر قضاء وعبرة لمن اعتبر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كان المشركون حين خرجوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، أخذوا بأستار الكعبة ، واستنصروا الله ، وقالوا : اللهم انصر أعز الجندين ، وأكرم الفئتين ، وخير القبيلتين ، فقال الله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) يقول : نصرت ما قلتم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) . . . إلى قوله (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) وذلك حين خرج المشركون ينظرون غيرهم ، وإن أهل العير أبا سفيان وأصحابه ، أرسلوا إلى المشركين بمكة يستنصرونهم ، فقال أبو جهل : أينا كان خيرا عندك فانصره ، وهو قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا) يقول : تستنصروا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) قال : إن تستفتحوا العذاب ، فعذبوا يوم بدر ، قال : وكان استفتاحهم بمكة ، قالوا (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ) قال : فجاءهم العذاب يوم بدر ، وأخبر عن يوم أحد (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ ، وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية ، قال : قال أبو جهل يوم بدر : اللهم انصر أهدي الفئتين ، وخير الفئتين وأفضل ، فنزلت (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) قال : ثنا عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهري ، أن أبا جهل هو الذي استفتح يوم بدر وقال : اللهم أينا كان أفجر وأقطع لرحمه ، فأحنه اليوم ، فأنزل الله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل ، قال يوم بدر : اللهم أقطعنا لرحمه ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ، وكان ذلك استفتاحا منه ، فنزلت (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) . . . الآية .

قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير ، قال : كان المستفتح يوم بدر أبا جهل ، قال : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ، فأنزل الله (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) .

حدثنا ابن هب ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله

ابن ثعلبة بن صعير ، حليف بني زهرة ، قال : لما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لانعرف ، فأحنه الغداة ، فكان هو المستفتح على نفسه .

قال ابن إسحاق : فقال الله (إِنَّ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) لقول أبي جهل : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لانعرف ، فأحنه الغداة ، قال : الاستفتاح : الإنصاف في الدعاء .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان وغيره ، قال أبو جهل يوم بدر : اللهم انصر أحب الدينين إليك ، ديننا العتيق ، أم دينهم الحديث ، فأنزل الله (إِنَّ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) . . . إلى قوله (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) .

وأما قوله (وَإِنْ تَنَتَّهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) فإنه يقول : وإن تنهوا يا معشر قريش وجماعة الكفار عن الكفر بالله ورسوله ، وقاتل نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، فهو خير لكم في دنياكم وآخرتكم (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ) يقول : وإن تعودوا لحربه وقاتله وقاتل أتباعه المؤمنين ، نعد : أى بمثل الواقعة التي أوقعت بكم يوم بدر .

وقوله (وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ) يقول : وإن تعودوا نعد لهلاككم بأيدي أوليائى وهزيمتكم ، ولن تغنى عنكم عند عودى لقتلكم بأيديهم وسيديكم ، وهزمكم فئتكم شيئا ولو كثرت ، يعنى جندهم وجماعتهم من المشركين ، كما لم يغنوا عنهم يوم بدر مع كثرة عددهم ، وقلة عدد المؤمنين شيئا (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول جل ذكره : وأن الله مع من آمن به من عباده على من كفر به منهم ، ينصروهم عليهم ، أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فى قوله (وَإِنْ تَنَتَّهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) قال : يقول لقريش : وإن تعودوا نعد لمثل الواقعة التي أصابتكم يوم بدر (وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) : أى وإن كثر عددكم فى أنفسكم ، لن يغنى عنكم شيئا ، وأن الله مع المؤمنين ينصروهم على من خالفهم .

وقد قيل : إن معنى قوله (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ) وإن تعودوا للاستفتاح ، نعد لفتح محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا معنى له لأن الله تعالى قد كان ضمن لنبيه عليه الصلاة والسلام حين أذن له فى حرب أعدائه إظهار دينه ، وإعلاء كلمته من قبل أن يستفتح أبو جهل وحزبه ، فلا وجه لأن يقال والأمر كذلك ، إن تنهوا عن الاستفتاح ، فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد ، لأن الله قد كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم الفتح بقوله (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُبْقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) استفتح المشركون أو لم يستفتحوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ) : إن تستفتحوا الثانية نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم (وَلَنْ تَغْنِيَ عَنْكُمْ فِئْتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) : محمد وأصحابه .
واختلفت القراء في قراءة قوله (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) ففتحها عامة قراء أهل المدينة بمعنى : ولن تغني عنكم فئتك شيئا ولو كثرت ، وأن الله مع المؤمنين ، فعطف بأن على موضع ولو كثرت كأنه قال لكثرتها ، ولأن الله مع المؤمنين ، ويكون موضع أن حينئذ نصبا على هذا القول . وكان بعض أهل العربية يزعم أن فتحها إذا فتحت على (وَأَنَّ اللَّهَ مَوْهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ) ، (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) عطفا بالأخرى على الأولى وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين (وَإِنَّ اللَّهَ) بكسر الألف على الابتداء ، واعتلوا بأنها في قراءة عبد الله (وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) .
* وأولى القراءتين بالصواب ، قراءة من كسر « إن » للابتداء ، لتقضى الخبر قبل ذلك عما يقتضى قوله (وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٥﴾

* يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فيما أمركم به ، وفيما نهاكم عنه (وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ) يقول : ولا تدبروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مخالفين أمره ونهيه ، وأنتم تسمعون أمره إياكم ونهيه ، وأنتم به مؤمنون .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأنْتُمْ تَسْمَعُونَ) : أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون ، لقوله وتزعمون أنكم مؤمنون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٦﴾

* يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم : لا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمشركين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم ، قالوا قد سمعنا بأذاننا وهم لا يسمعون ، يقول : وهم لا يعتبرون ما يسمعون بأذانهم ، ولا ينتفعون به لإعراضهم عنه ، وتركهم أن يوعوه قلوبهم ، ويتدبروه ، فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وإن كانوا قد سمعوها بأذانهم ، بمنزلة من لم يسمعها ، يقول جل ثناؤه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكونوا أنتم في الإعراض عن أمر رسول الله ، وترك الانتهاء إليه ، وأنتم تسمعون بأذانكم كهؤلاء المشركين الذين

يسمعون مواظب كتاب الله بأذآتهم ، ويقولون : قد سمعنا وهم عن الاستماع لها ، والاتعاظ بها معرضون ،
كن لم يسمعها .

وكان ابن إسحاق يقول في ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) : أي كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ، ويسرون المعصية .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في
قول الله (وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) قال : عاصون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
وللذي قال ابن إسحاق وجه ، ولكن قوله (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)
في سياق قصص المشركين ، ويتلوه الخبر عنهم بدمهم ، وهو قوله (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ
الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ) فلأن يكون ما بينهما خبرا عنهم ، أولى من أن يكون خبرا عن غيرهم .
القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن شر ما دب على الأرض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه
فيعتروا به ، ويتعظوا به ، وينكصون عنه إن نطقوا به ، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه ، فيستعملوا
بهما أبدانهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ
اللَّهِ) قال : الدواب : الخلق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، عن عكرمة ، قال :
وكانوا يقولون : إنا صم بكم عما يدعوننا إليه محمد ، لانسمعه منه ، ولا نجيبه به بتصديق ، فقتلوا جميعا
بأحد ، وكانوا أصحاب اللواء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :
الصم البكم : الذين لا يعقلون ، قال : الذين لا يتبعون الحق .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ
اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ) وليس بالأصم في الدنيا ، ولا بالأبكم ، ولكن صم القلوب وبكمها
وعميها ، وقرأ (فَلِئِنَّهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .

واختلف فيمن عنى بهذه الآية ، فقال بعضهم : عنى بها نفر من المشركين .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس : الصمُّ البكم الذين لا يعقلون : نفر من بني عبد الدار ، لا يتبعون الحق .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الصمُّ البكم الذين لا يعقلون) قال : لا يتبعون الحق ، قال : قال ابن عباس : هم نفر من بني عبد الدار .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
وقال آخرون : عنى بها المنافقون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إن شرَّ الدوابِّ عند الله الصمُّ البكم الذين لا يعقلون) : لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النعمة والسعة .
وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : بقول ابن عباس : وأنه عنى بهذه الآية مشركو قريش ، لأنها في سياق الخبر عنهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٦﴾

اختلف أهل التأويل ، فمن عنى بهذه الآية وفي معناها ، فقال بعضهم : عنى بها المشركون ، وقال : معناها : أنهم لو رزقهم الله الفهم لما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم لم يؤمنوا به ، لأن الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا) ولقالوا : لولا اجتبيتها ، ولو جاءهم بقرآن غيره لتولوا وهم معرضون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) قال : لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك ، ولتولوا وهم معرضون .
وحدثني به مرة أخرى ، فقال : لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، ولو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما نفعهم ، بعد أن نفذ علمه بأنهم لا ينتفعون به .

وقال آخرون : بل عنى بها المنافقون .
قالوا : ومعناه : ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ

خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ) لأنفذ لهم قولهم الذي قالوه بألسنتهم ، ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ، ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون ، فأوفوا لكم بشرّ مما خرجوا عليه .
 وَأُولَى الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي مَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ زَيْدٍ لَمَّا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلَ مِنَ الْعِلَّةِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ .

فتأويل الآية إذن : ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيرا لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره ، حتى يعقلوا عن الله حججه منه ، ولكنه قد علم أنه لاخير فيهم ، وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون ، ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا لتولوا عن الله ، وعن رسوله ، وهم معرضون عن الإيمان بما دهم على حقيقته ، مواعظ الله وعبره وحججه معاندون للحق بعد العلم به .
 القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ
 بَيْنَ الْعَرَّةِ وَوَلِيِّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يَحُولُ

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) فقال بعضهم : معناه : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم للإيمان :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : أما يحييكم فهو الإسلام ، أحياءهم بعد موتهم ، بعد كفرهم .
 وقال آخرون : للحق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : الحق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : الحق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : للحق .
 وقال آخرون : معناه : إذا دعاكم إلى ما في القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) قال : هو هذا القرآن فيه الحياة والعفة والعصمة في الدنيا والآخرة .

وقال آخرون : معناه : إذا دعاكم إلى الحرب ، وجهاد العدو .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) : أي للحرب الذي أعزكم الله بها بعد الذل ، وقواكم بعد الضعف ، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : استجبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق ، وذلك أن ذلك إذا كان معناه كان داخلا فيه الأمر باجابتهم ، لقتال العدو والجهاد ، والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن ، وفي الإجابة إلى كل ذلك حياة المحيى . أما في الدنيا ، فيقال : الذكر الجميل ، وذلك له فيه حياة . وأما في الآخرة ، فحياة الأبد في الجنان والخلود فيها .

وأما قول من قال : معناه : الإسلام ، فقول لا معنى له : لأن الله قد وصفهم بالإيمان بقوله (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) فلا وجه لأن يقال للمؤمن استجب لله وللرسول إذا دعاكم إلى الإسلام والإيمان .

وبعد : يفما حدثنا أحمد بن المقدم العجلي ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا روح بن القاسم ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي ، وهو يصلي ، فدعاه : أي أبي ، فالتفت إليه أبي ، ولم يجبه ، ثم إن أبا خفف الصلاة ، ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك : أي رسول الله ، قال : وَعَلَيْكَ ، ما منعك إذ دعوتك أن تجيبني ؟ قال : يا رسول الله كنت أصلي ، قال : أفلم تجد فيما أوحى إلي ، استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ؟ قال : بلى يا رسول الله ، لا أعود .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي وهو قائم يصلي ، فصرخ به ، فلم يجبه ، ثم جاء فقال : يا أبي ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك ، أليس الله يقول (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) قال أبي : لا جرم يا رسول الله ، لا تدعوني إلا أجبت ، وإن كنت أصلي ما بين اعن أن المعنى بالآية هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما فيه حياتهم باجابتهم إليه من الحق بعد إسلامهم ، لأن أبا لاشك أنه كان مسلما في الوقت الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا في هذين الخبرين .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ ﴾ :

(١) قوله « ما بين » : مبتدأ تقدم خبره ، وهو قوله « فبينما »

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : يحول بين الكافر والإيمان ، وبين المؤمن والكفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي ، عن سعيد بن جبير (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : بين الكافر أن يؤمن ، وبين المؤمن أن يكفر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا الثوري ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازي ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

حدثني أبو زائدة زكريا بن أبي زائدة ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله ابن عبد الله ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثني أبو السائب وابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) يحول بين الكافر والإيمان وطاعة الله . قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، وعبد العزيز بن أبي رواد ، عن الضحاك ، في قوله (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين الكافر وطاعته ، وبين المؤمن ومعصيته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي روق ، عن الضحاك بن مزاحم ، بنحوه . قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : يحول بين المرء وبين أن يكفر ، وبين الكافر وبين أن يؤمن .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا عبد العزيز بن أبي رواد ، عن الضحاك ابن مزاحم (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين الكافر وبين طاعة الله ، وبين المؤمن ومعصية الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا ابن أبي رواد ، عن الضحاك ، نحوه . وحدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم ، يقول : فذكر نحوه .

حدثني الثني ، قال : ثنا الحجاج بن منهال ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عبد العزيز

ابن أبي رواد يحدث عن الضحاک بن مزاحم ، فی قوله (یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : یحول بین المؤمن ومعصيته .

حدثنی المثنی ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنی معاوية ، عن علی ، عن ابن عباس (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) یقول : یحول بین المؤمن و بین الکافر ، و یحول بین الکافر و بین الإیمان . حدثنی محمد بن سعد ، قال : ثنی أبی ، قال : ثنی عمی ، قال : ثنی أبی ، عن أبیه ، عن ابن عباس (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) یقول : یحول بین الکافر و بین طاعته ، و یحول بین المؤمن و بین معصيته .

حدثنا ابن وکیع ، قال : ثنا المحاربی ، عن لیث ، عن مجاهد (یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : یحول بین المؤمن و بین الکافر ، و بین الکافر و بین الإیمان . قال : ثنا أبی ، عن ابن أبي رواد ، عن الضحاک (یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) یقول : یحول بین الکافر و بین طاعته ، و بین المؤمن و بین معصيته .

قال : ثنا إسحاق بن إسماعیل ، عن یعقوب القمی ، عن جعفر ، عن سعید بن جبیر (یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) یحول بین المؤمن و المعاصی ، و بین الکافر و الإیمان . قال : ثنا عبیده ، عن إسماعیل ، عن أبی صالح (یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : یحول بین المؤمن و المعاصی . وقال آخرون : بل معنی ذلك : یحول بین المرء و عقله ، فلا یدری ما یعمل .

ذکر من قال ذلك

حدثنا عبید الله بن محمد الفریابی ، قال : ثنا عبد المجید ، عن ابن جریج ، عن مجاهد ، قوله (یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : یحول بین المرء و عقله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عیسی ، عن ابن أبی نجیح ، عن مجاهد (یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) حتی یرکه لایعقل .

حدثنا المثنی ، قال : ثنا أبو حذیفه ، قال : ثنا عیسی ، عن ابن أبی نجیح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنی المثنی ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبی نجیح ، عن مجاهد ، فی قوله (یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : هی یحول بین المرء و قلبه حتی یرکه لایعقل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبید الله ، عن حمید ، عن مجاهد (یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : إذا حال بینک و بین قلبک کیف تعمل .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شریک ، عن خصیف ، عن مجاهد (یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : یحول بین قلب الکافر ، وأن یعمل خیرا .

وقال آخرون : معناه یحول بین المرء و قلبه ، أن یقدر علی إیمان أو کفر إلا بإذنه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : يحول بين الإنسان وقلبه ، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه قريب من قلبه لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسرّه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) قال : هي كقوله (أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) .
 وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال : إن ذلك خبر من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم ، وإنه يحول بينهم وبينها إذا شاء ، حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئا من إيمان أو كفر ، أو أن يعي به شيئا ، أو أن يفهم إلا بإذنه ومشئته ، وذلك أن الحول بين الشيء والشيء إنما هو الحجز بينهما ، وإذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه ، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إدراكه سبيل . وإذا كان ذلك معناه ، دخل في ذلك قول من قال : يحول بين المؤمن والكافر ، وبين الكافر والإيمان ، وقول من قال : يحول بينه وبين عقله ، وقول من قال : يحول بينه وبين قلبه ، حتى لا يستطيع أن يؤمن ، ولا يكفر إلا بإذنه ، لأن الله عز وجل إذا حال بين عبد وقلبه ، لم يفهم العبد بقلبه الذي قد حيل بينه وبينه ما منع إدراكه به على ما بينت ، غير أنه ينبغي أن يقال : إن الله عم بقوله : (وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه ، ولم يخص من المعاني التي ذكرنا شيئا دون شيء ، والكلام محتمل كل هذه المعاني ، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له .

وأما قوله (وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) فإن معناه : واعلموا أيها المؤمنون أيضا مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه ، أن الله الذي يقدر على قلوبكم ، وهو أملك بها منكم ، إليه مصيركم ومرجعكم في القيامة ، فيوفيكم جزاء أعمالكم ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه ، وأن لا تستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحييكم ، فيوجب ذلك سخطه ، وتستحقوا به ألم عذابه حين تحشرون إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : اتقوا أيها المؤمنون فتنة ، يقول : اختبارا من الله يمتبركم ، وبلاء يبتليكم ، لا تصيب هذه الفتنة النبي حذر تكورها الذين ظلموا ، وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعلا ،

لما أجماع أصابوها ، وذنوب بينهم وبين الله ركبوها ، يحذّرهم جلّ ثناؤه أن يركبوا له معصية ، أو يأتوا ما ثمّما يستحقون بذلك منه عقوبة . وقيل : إن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين عنوا بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن إبراهيم ، قال : ثنا الحسن بن أبي جعفر ، قال : ثنا داود ابن أبي هند ، عن الحسن ، في قوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً) قال : نزلت في عليّ وعثمان وطلحة والزبير ، رضی الله عنهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً) قال قتادة : قال الزبير بن العوام : لقد نزلت وما نرى أحدا منا يقع بها ، ثم خصتنا في إصابتنا خاصة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا زيد بن عوف أبو ربيعة ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن ، أن الزبير بن العوام ، قال : نزلت هذه الآية (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً) وما نظرنا أهلها ، ونحن عينا بها .

قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن الصلت بن دينار ، عن ابن صبهان ، قال : سمعت الزبير بن العوام يقول : قرأت هذه الآية زمانا ، وما أرانا من أهلها ، فإذا نحن المعنيون بها (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً) ، وأعلموا أن الله شديد العقاب .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً) قال : هذه نزلت في أهل بدر خاصة ، وأصابهم يوم الجمل فاقتلوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي خالد ، عن السدي (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً) وأعلموا أن الله شديد العقاب) قال : أصحاب الجمل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً) قال : أمر الله المؤمنين أن لا يقرّوا المنكر بين أظهرهم ، فيعذبهم الله بالعذاب ،

قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً) قال : هي أيضا لكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً) قال : الفتنة : الضلالة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن القاسم ، قال : قال عبد الله : ما منكم من

أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، إن الله يقول (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) فليستعد بالله من مُضلات الفتن .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : قال الزبير : لقد خوفنا بها ، يعني قوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً) . واختلف أهل العربية في تأويل ذلك ، فقال بعض نحوي البصرة (اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ) قوله : لا تصيبن ، ليس بجواب ، ولكنه نهى بعد أمره ، ولو كان جوابا ما دخلت النون . وقال بعض نحوي الكوفة : قوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ) أمرهم ثم نهاهم ، ومنكم ظرف من الجزاء وإن كان نهيا ، قال : ومثله قوله (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ) أمرهم ثم نهاهم ، وفيه تأويل الجزاء ، وكأن معنى الكلام عنده : اتقوا فتنة إن لم تقوها أصابتكم . وأما قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) فانه تحذير من الله ، ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره إياها بقوله (وَاتَّقُوا فِتْنَةً) يقول : اعلّموا أيها المؤمنون أن ربكم شديد عقابه لمن افتتن بظلم نفسه وخالف أمره ، فأثم به .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُنْصِرُهُمْ وَرِزْقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾

وهذا تذكير من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناصحة . يقول : أطيعوا الله ورسوله أيها المؤمنون ، واستجيبوا له إذا دعاكم لما يحييكم ، ولا تخالفوا أمره ، وإن أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدة ، فإن الله يهونه عليكم بطاعتكم إياه ، ويعجل لكم منه ما تحبون ، كما فعل بكم إذ آمنتم به واتبعتموه ، وأنتم قليل مستضعفون الكفار ، فيفتنونكم عن دينكم ، وينالونكم بالمكروه في أنفسكم وأعراضكم تخافون منهم أن يتخطفوكم فيقتلوكم ، ويصطلموا جميعكم ، فأواكم ، يقول : فجعل لكم مأوى تأوون إليه منهم (وَأَيْدِيكُمْ يُنْصِرُهُمْ) يقول : وقواكم بنصره عليهم ، حتى قتلتهم منهم من قتلتهم بيد (وَرِزْقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : وأطعمكم غنيمتهم حلالا طيبا (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول : لكي تشكروا على ما رزقكم ، وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم .

واختلف أهل التأويل في الناس الذين عنوا بقوله (أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) فقال بعضهم : كفار قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله

(وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) قَالَ :
يعنى بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن تبعه من قريش وحلفائها ومواليها قبل الهجرة .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي أوقتادة أو كليهما (وَإِذْ كُرُوا
إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ) أنها نزلت في يوم بدر ، كانوا يومئذ يخافون أن يتخطفهم الناس ،
فآواهم الله وأيدهم بنصره .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .
وقال آخرون : بل عنى به غير قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرني أبي ، قال : سمعت وهب
ابن منبه يقول في قوله عز وجل (تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) قال : فارس .
قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد ، أنه سمع وهب بن منبه
يقول ، وقرأ (وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ
النَّاسُ) والناس إذ ذاك : فارس ، والروم .

قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ
فِي الْأَرْضِ) قال : كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلاً ، وأشقاء عيشاً ، وأجوعه بطونا ، وأعره
جلوداً ، وأبينه ضللاً ؛ من عاش منهم عاش شقياً ، ومن مات منهم ردى في النار ، يؤكلون ولا يأكلون ،
والله ما نعلم قبيلة من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشرف منهم منزلاً ، حتى جاء الله بالإسلام ، فكأن به
في البلاد ، ووسع به في الرزق ، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس ، فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ،
فاشكروا الله على نعمه ، فإن ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى .
وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب ، قول من قال : عنى بذلك مشركو قريش ، لأن المسلمين
لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم ، لأنهم كانوا أدنى الكفار منهم إليهم ، وأشدّهم عليهم
يومئذ مع كثرة عددهم ، وقلة عدد المسلمين .

وأما قوله (فَأَوَّاكُمْ) فإنه يعنى : آواكم المدينة ، وكذلك قوله (وَأَيَّدَكُمُ بِنَصْرِهِ) بالأنصار .
وبنحو الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَأَوَّاكُمْ)
قال : إلى الأنصار بالمدينة (وَأَيَّدَكُمُ بِنَصْرِهِ) وهؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أيدهم
بنصره يوم بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة (فَأَوْأَكُمُ
وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ ، وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) يعنى بالمدينة .
القول في تأويل قوله تعالى :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم : يا أيها الذين صدقوا الله
ورسوله ، لا تخونوا الله ، وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة ، وهو يستسر الكفر والغش لهم في الباطن ، يدلون المشركين على
عورتهم ، ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم .

وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية ، وفي السبب الذي نزلت فيه ، فقال بعضهم : نزلت
في منافق كتب إلى أبي سفيان يطلعه على سر المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم بن بشر بن معروف ، قال : ثنا شبابة بن سوار ، قال : ثنا محمد بن المحرم ، قال :
لقيت عطاء بن أبي رباح ، فحدثني ، قال : ثنى جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة ، فأتى جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه :
إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا فَاحْرُجُوا إِلَيْهِ وَآكُتْمُوا ، قال : فكتب رجل من المنافقين
إلى أبي سفيان : إن محمدا يريدكم ، فخذوا حذرکم ، فأنزل الله عز وجل (لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) .

وقال آخرون : بل نزلت في أبي لبابة الذي كان من أمره وأمر بني قريظة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهري ، قوله (لَا تَخُونُوا
اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) قال : نزلت في أبي لبابة ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأشار إلى حلقه أنه الذبح ، قال الزهري : فقال أبو لبابة : لا والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت ،
أو يتوب الله عليّ ، فكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا ، حتى خر مغشيا عليه ، ثم تاب الله عليه ،
ف قيل له : يا أيها لبابة قد تيب عليك ، قال : والله لأأحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذي يحلني ، فجاءه فحله بيده ، ثم قال أبو لبابة : إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت بها
الذنب ، وأن أنخلع من مالي ، قال : يجزيك الثلث أن تصدق به .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، قال : سمعت عبد الله بن أبي قتادة ، يقول : نزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسولَ و تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) في أبي لبابة .
وقال آخرون : بل نزلت في شأن عثمان رضي الله عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يونس بن الحرث الطائفي ، قال : ثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفي ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسولَ) . . . الآية .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله نهى المؤمنين عن خيائته ، وخيانة رسوله ، وخيانة أمانته . وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة ، وجائز أن تكون نزلت في غيره ، ولا خبر عندنا بأى ذلك كان يجب التسليم له بصحته ، فغنى الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسولَ) قال : نهاكم أن تخونوا الله والرسولَ ، كما صنع المنافقون .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لا تخونوا الله والرسولَ) . . . الآية ، قال : كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم الحديث فيفسونه حتى يبلغ المشركين .

واختلفوا في تأويل قوله (و تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) فقال بعضهم : لا تخونوا الله والرسولَ ، فإن ذلك خيانة لأماناتكم وهلاك لها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسولَ و تخونوا أماناتكم) فإنهم إذا خانوا الله والرسولَ فقد خانوا أماناتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسولَ و تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) : أي لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه في السر إلى غيره ، فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم ، فعلى هذا التأويل ، قوله (و تخونوا أماناتكم) في موضع نصب على الظرف ، كما قال الشاعر :

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثلهُ
عارٌ عليك إذا فعلت عظيمًا

ويروى : وتأتي مثله .

(١) البيت تقدم لإشاده وشرحه ، والنظره في (ج ٢ : ١٨٥) .

وقال آخرون : معناه : لا تخونوا الله والرسول ، ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم) يقول : لا تخونوا : يعنى لا تنقصوها ، فعلى هذا التأويل : لا تخونوا الله والرسول ، ولا تخونوا أماناتكم .
واختلف أهل التأويل فى معنى الأمانة التى ذكرها الله فى قوله (وتخونوا أماناتكم) فقال بعضهم : هى ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وتخونوا أماناتكم) والأمانة : الأعمال التى أمن الله عليها العباد ، يعنى : الفريضة ، يقول : ولا تخونوا : يعنى لا تنقصوها .

حدثنا عليّ بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله) يقول : بترك فرائضه والرسول ، يقول : بترك سننه وارتكاب معصيته قال : وقال مرة أخرى : لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ، والأمانة : الأعمال ثم نحو حديث المثنى .

وقال آخرون : معنى الأمانات ههنا : الدين .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وتخونوا أماناتكم) دينكم (وأنتم تعلمون) قال : قد فعل ذلك المنافقون وهم يعلمون أنهم كفار ، يظهرن الإيمان ، وقرأ (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) . . . الآية ، قال : هؤلاء المنافقون أمنهم الله ورسوله على دينه فخانوا ، أظهروا الإيمان ، وأسروا الكفر .

فتأويل الكلام إذن : يا أيها الذين آمنوا لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ولا رسوله من واجب طاعته عليكم ، ولكن أطيعوهما فيما أمركم به ونهياكم عنه ، لا تنقصوهما ، وتخونوا أماناتكم ، وتنقصوا أديانكم ، وواجب أعمالكم ، ولازمها لكم ، وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم وواجبة بالحجج ، التى قد ثبتت لله عليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين : واعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم التى خولكموها الله ، وأولادكم التى

وهيها الله لكم اختبار وبلاء أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها ، والانتهاى إلى أمره ونهيه فيها ، وإن الله عنده أجر عظيم ، يقول : واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم في أموالكم وأولادكم ، التي اختبركم بها في الدنيا ، وأطيعوا الله فيما لمفكم فيها تنالوا به الجزيل من ثوابه في معادكم .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا المسعودي ، عن القاسم ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود ، في قوله (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) قال : ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، فن استعاذ منكم ، فليتعد بالله من مضلات الفتن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) قال : فتنة الاختبار ، اختبارهم ، وقرأ (وَنَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْحَسْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجِعُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) صدقوا الله ورسوله (إِن تَتَّقُوا اللَّهَ) بطاعته ، وأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، وترك خيائته ، خيانة رسوله ، وخيانة أماناتكم (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) : يقول : يجعل لكم فصلا وفرقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم المشركين بنصره إياكم عليهم ، وإعطائكم الظفر بهم (وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) يقول : ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه ، ويغفر لكم) يقول : ويغطيها ، فيسترها عليكم ، فلا يؤاخذكم بها (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) يقول : والله الذي يفعل ذلك بكم ، له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بقوله ذلك ، وفعل أمثاله ، وإن فعله جزاء منه لعبده على طاعته إياه ، لأنه الموفق عبده لطاعته التي اكتسبها ، حتى استحق من ربه الجزاء الذي وعده عليها .

وقد اختلف أهل التأويل في العبارة عن تأويل قوله (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) فقال بعضهم : مخرجا . وقال بعضهم : نجاة . وقال بعضهم : فصلا ، وكل لك متقارب المعنى وإن اختلفت العبارات عنها ، وقد بينت صحة ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .

ذكر من قال معناه المخرج

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) قال : مخرجا .

قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)
قال : مخرجا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن جابر ، عن مجاهد (فُرْقَانًا) : مخرجا .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
(فُرْقَانًا) قال : مخرجا في الدنيا والآخرة .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاني بن سعيد ، عن حجاج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فُرْقَانًا)
قال : الفرقان : المخرج .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فُرْقَانًا)
يقول : مخرجا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد
(فُرْقَانًا) : مخرجا .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء البصرى ، قال : ثنا زائدة . عن منصور ، عن مجاهد مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك (فُرْقَانًا) قال : مخرجا .
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : سمعت عبيدا يقول : سمعت الضحاك
يقول (فُرْقَانًا) : مخرجا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد ، عن زهير ، عن جابر ، عن عكرمة ، قال : الفرقان : المخرج .
ذكر من قال : معناه : النجاة

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن عكرمة (إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ
لَكُمْ فُرْقَانًا) قال : نجاة .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن رجل ، عن عكرمة ومجاهد ،
في قوله (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) قال عكرمة : المخرج ، وقال مجاهد : النجاة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يَجْعَلْ لَكُمْ
فُرْقَانًا) قال : نجاة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن ابن عباس ،
(يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) : يقول يجعل لكم نجاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) : أى نجاة .

ذكر من قال فصلا (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) قال : فرقان يفرق في قلوبهم بين الحق والباطل حتى يعرفوه ، ويهتدوا بذلك الفرقان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) : أى فصلا بين الحق والباطل ، يظهر به حكم ، ويخفى به باطل من خالفكم ، والفرقان في كلام العرب مصدر ، من قولهم : فرقت بين الشيء والشيء أفرق بينهما فرقا وفرقانا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٤٠﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مذكره نعمه عليه : واذكر يا محمد ، إذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا من مشركى قومك كى يثبتوك . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (لِيُثْبِتُوكَ) فقال بعضهم : معناه : ليقيدوك . ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) يعنى : ليوثقوك ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لِيُثْبِتُوكَ) ليوثقوك . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) . . . الآية ، يقول : ليثدوك وثاقا ، وأرادوا بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وميقات ، قالوا : أوثقوه بالوثاق .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (لِيُثْبِتُوكَ) قال : الإثبات : هو الحبس والوثاق .

وقال آخرون : بل معناه : الحبس :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سألت عطاء ، عن قوله (لِيُثْبِتُوكَ) قال : يسجنوك ، وقالها عبد الله بن كثير .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قالوا : اسجنوه :

وقال آخرون : بل معناه : ليسعروك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن إسماعيل البصري المعروف بالوساوسي ، قال : ثنا عبد المجيد بن أبي رواد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير بن المطلب بن أبي وداعة ، أن أباطالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يَأْتِمِرُ به قومك ؟ قال : يُرِيدُونَ أَنْ يَسْحَرُونِي وَيَقْتُلُونِي وَيُخْرِجُونِي ، فقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : ربي ، قال : نعم الرب ربك ، فاستوص به خيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أَسْتَوْصِي بِهِ ؟ بَلْ هُوَ يَسْتَوْصِي بِي خَيْرًا ، فنزلت (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال عطاء : سمعت عبيد بن عمير يقول : لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يثبته أو يخرجوه ، قال له أبوطالب : هل تدري ما ائتمروا بك ؟ قال : نعم ، قال : فأخبره ، قال : من أخبرك ؟ قال : ربي ، قال : نعم الرب ربك ، استوص به خيرا ، قال : أنا أَسْتَوْصِي بِهِ ، أَوْ هُوَ يَسْتَوْصِي بِي ؟

وكان معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبته كما حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : وحدثني الكلبي ، عن زاذان مولى أم هانئ ، عن ابن عباس : أن نفرا من قريش من أشرف كل قبيلة ، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم ، فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح ، قالوا : أجل ادخل ، فدخل معهم ، فقال : انظروا في شأن هذا الرجل ، والله ليوشكن أن يواثبكم في أموركم بأمره ، قال : فقال قائل : احبسوه في وثاق ، ثم تربصوا به ريب المنون ، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء ، زهير والنابغة ، إنما هو كأحدهم ، قال : فصرخ عدو الله الشيخ النجدي ، فقال : والله ما هذا لكم رأي ، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ، فيمنعوه منكم ، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم ، قالوا : فانظروا في غير هذا ، قال : فقال قائل : أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه ، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم ، وكان أمره في غيركم ، فقال الشيخ النجدي : والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه ، والله لئن فعلتم ، ثم استعرض العرب ، لتجتمعن عليكم ، ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ، ويقتل أشرافكم ، قالوا : صدق والله ، فانظروا رأيا غير هذا ، قال : فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد ، ما أرى غيره ، قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلاما وسطا شابا نهذا ، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ، فلا أظن هذا الحى من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها ، فإنهم إذا رأوا

(١) في سياق هذا الخبر اختلاف في اللفظ عما في السيرة لابن هشام والسيرة الحلبية والمواهب اللدنية .

ذلك قبلوا العقل واسترحنا ، وقطعنا عنا أذاه ، فقال الشيخ النجدي : هذا والله الرأى القول ما قال الفتي ، لا أرى غيره ، قال : فتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له ، قال : فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة الأنفال يذكره نعمه عليه ، وبلاءه عنده (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ؛ وأنزل في قولهم : (تَرَبَّصُوا بِهِ رَبِّبَ الْمَنُونِ) حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء ، (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمَنُونِ) وكان يسمى ذلك اليوم : يوم الزحمة للذي اجتمعوا عليه من الرأى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ومقسم ، في قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) قالوا : تشاوروا فيه ليلة وهم بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأوثقوه بالوثاق . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل اخرجوه ؛ فلما أصبحوا رأوا علياً رضي الله عنه ، فرد الله مكرهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرني أبي ، عن عكرمة ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ، أمر علي بن أبي طالب ، فنام في مضجعه ، فبات المشركون يحرسونه ، فاذا رأوه نأثما حسبوا أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فتركوه ؛ فلما أصبحوا ثاروا إليه ، وهم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا هم بعلي ، فقالوا : أين صاحبك ؟ قال : لا أدري ، قال : فركبوا الصعب والذلول في طلبه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : أخبرني عثمان الجريدي : أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس ، في قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل اخرجوه ، فأطلع الله نبيه على ذلك ، فبات علي رضي الله عنه على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً ، يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوه علياً رضي الله عنه ، رد الله مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك ؟ قال : لا أدري ، فاقتصوا أثره ؛ فلما بلغوا الجبل ، ومروا بالغار ، رأوا على بابه نسيج العنكبوت ، قالوا : لو دخل ههنا لم يكن نسيج على بابه ، فكث فيه ثلاثاً .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) قال : اجتمعت مشيخة قريش يتشاورون في النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما أسلمت الأنصار ، وفرقوا أن يتعالى أمره إذا وجد ملجأً لحاً إليه ، فجاء إبليس في صورة رجل من أهل نجد ،

فدخل معهم في دار الندوة ؛ فلما أنكروه قالوا : من أنت ، فوالله ما كل قومنا أعلمناهم مجلسنا هذا ؟ قال : أنا رجل من أهل نجد أسمع من حديثكم ، وأشير عليكم ، فاستحيوا فخلوا عنه ، فقال بعضهم : خذوا محمدا إذا اصطحب على فراشه ، فاجعلوه في بيت نربص به ريب المنون . والريب : هو الموت ، والمنون : هو الدهر ، قال إبليس : بثما قلت تجعلونه في بيت ، فيأتي أصحابه فيخرجونه ، فيكون بينكم قتال ، قالوا : صدق الشيخ ؛ قال : أخرجوه من قريبتكم ، قال إبليس : بثما قلت : تخرجونه من قريبتكم وقد أفسد سفهاءكم ، فيأتي قرية أخرى ، فيفسد سفهاءهم فيأتيكم بالخييل والرجال ، قالوا : صدق الشيخ ؛ قال أبو جهل : وكان أولاهم بطاعة إبليس : بل نعمد إلى كل بطن من بطون قريش ، فنخرج منهم رجلا فنعطيمه السلاح ، فيشدون على محمد جميعا ، فيضربونه ضربة رجل واحد ، فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يقتلوا قريشا ، فليس لهم إلا الدية ، قال إبليس : صدق ، وهذا الفتى هو أجودكم رأيا ، فقاموا على ذلك ، وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فنام على الفراش ، وجعلوا عليه العيون ؛ فلما كان في بعض الليل ، انطلق هو وأبو بكر إلى الغار ، ونام على بن أبي طالب على الفراش ، فذلك حين يقول الله : (لِيُشْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) والإثبات : هو الحبس والوثاق ، وهو قوله (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذْ أَنْ لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا) يقول : يهلكهم ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لقيه عمر ، فقال له : ما فعل القوم وهو يرى أنهم قد أهلكوا حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، وكذلك كان يصنع بالأمم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَخْرُوا بِالْقِتَالِ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لِيُشْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ) قال : كفار قريش أرادوا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من مكة .

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .
حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا هاني بن سعيد ، عن حجاج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه إلا أنه قال : فعلوا ذلك بمحمد .

حدثني محمد بن سعد قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُشْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ) . . . الآية ، هو النبي صلى الله عليه وسلم مكروا به وهو بمكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُشْبِتُوكَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : اجتمعوا فتشاوروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : اقتلوا هذا الرجل ، فقال بعضهم : لا يقتله رجل إلا قتل به ، قالوا : خذوه فاسجنوه واجعلوا عليه حديدا ، قالوا : فلا يدعكم أهل بيته ، قالوا : أخرجوه ، قالوا : إذا استغوى الناس عليكم ، قال :

وإبليس معهم في صورة رجل من أهل نجد، واجتمع رأيهم أنه إذا جاء يطوف البيت ويستسلم أن يجتمعوا عليه فيعموه ويقتلوه، فإنه لا يدري أهله من قتله، فيرضون بالعقل فنقتله ونستريح ونعقله؛ فلما أن جاء يطوف بالبيت اجتمعوا عليه، فعموه، فأتى أبو بكر، فقيل له ذلك، فأتى فلم يجد مدخلا؛ فلما أن لم يجد مدخلا، قال: أنقتلون رجلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟ قال: ثم فرجها الله عنه؛ فلما أن كان الليل أتاه جبريل عليه السلام، فقال: من أصحابك؟ فقال: فلان وفلان وفلان، فقال: لا نحن أعلم بهم منك يا محمد، هو ناموس ليل ١، قال: وأخذ أولئك من مضاجعهم وهم نيام، فأتى بهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقدم أحدهم إلى جبريل، فكحله، ثم أرسله، فقال: ما صورته؟ يا جبريل؟ قال: كفيته يا نبي الله، ثم قدم آخر فنقر فوق رأسه بعصا نقرة، ثم أرسله فقال: ما صورته؟ يا جبريل؟ فقال: كفيته يا نبي الله، ثم أتى بآخر فنقر في ركبته، فقال: ما صورته؟ يا جبريل، قال: كفيته، ثم أتى بآخر، فسقاه مذقة، فقال: ما صورته؟ يا جبريل؟ قال: كفيته يا نبي الله، وأتى بالخامس، فلما غدا من بيته مر بنبال، فتعلق مشقص بردائه فالتوى، فقطع الأكل من رجله؛ وأما الذي كحلت عيناه فأصبح وقد عمى؛ وأما الذي سقى مذقة فأصبح وقد استسقى بطنه؛ وأما الذي نقر فوق رأسه، فأخذته النقدة، والنقدة: قرحة عظيمة أخذته في رأسه؛ وأما الذي طعن في ركبته، فأصبح وقد أقعد، فذلك قول الله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قوله (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ): أي فكرت لهم بكيدى المتين حتى خلصتك منهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال: هذه مكية. قال ابن جريج: قال مجاهد: هذه مكية.

فتأويل الكلام إذن: واذكر يا محمد نعمتي عندك بمكرى بمن حاول المكر بك من مشركى قومك، بإثباتك، أو قتلك، أو إخراجك من وطنك، حتى استنفذتكم منهم وأهلكتهم، فامض لأمرى في حرب من حاربك من المشركين، وتولى عن إجابة ما أرسلتك به من الدين القيم، ولا يرعبك كثرة عددهم، فإن ربك خير الماكرين بمن كفر به، وعبد غيره، وخالف أمره ونهيه. وقد بيدنا معنى المكر فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِذْ اتَّسَلَى عَلَيْهِمْ أَيُّسُّنَا قَالُوا أَقَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢١﴾

(١) كذا بالأصل. ومن معاني الناموس في لسان العرب: الاحتيال والمكر والخداع. فلعله يريد: ليس هؤلاء الذين سميتهم هم الذين يهدون الأذى والمكر بك وخدمهم، وإنما هم قوم كثير تأمروا عليك، ونحن أعلم بهم منك.

يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آيات كتاب الله الواضحة لمن شرح الله صدره لفهمه قالوا: جهلا منهم، وعنادا للحق، وهم يعلمون أنهم كاذبون في قيلهم (لَوْ نَشَاءُ لَقَلْنَا مِثْلَ هَذَا) الذي تلى علينا: (إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) : يعني أنهم يقولون ما هذا القرآن الذي يتلى عليهم إلا أساطير الأولين، والأساطير: جمع أسطر، وهو جمع الجمع، لأن واحد الأسطر: سطر، ثم يجمع السطر: أسطر وسطور، ثم يجمع الأسطر: أساطير وأساطر. وقد كان بعض أهل العربية يقول: واحد الأساطير: أسطورة.

وإنما عني المشركون بقولهم (إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) : إن هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد إلا ما سطر الأولون وكتبوه من أخبار الأمم، كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بني آدم، وأنه لم يوحه الله إليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله (وَأِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقَلْنَا مِثْلَ هَذَا) قال: كان النضر بن الحرث يختلف تاجرا إلى فارس، فيمر بالعبادا وهم يقرءون الإنجيل، ويركعون ويسجدون، فجاء مكة، فوجد محمدا صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد، فقال النضر: قد سمعنا، لو نشاء لقلنا مثل هذا، للذي سمع من العباد، فنزلت (وَأِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقَلْنَا مِثْلَ هَذَا) قال: فقص ربنا ما كانوا قالوا بمكة، وقص قولهم (إِذَا قَالُوا لِلَّهِمْ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ) . . . الآية.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: كان النضر بن الحرث بن علقمة أخو بني عبد الدار يختلف إلى الحيرة، فيسمع سجع أهلها وكلامهم؛ فلما قدم مكة، سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن، فقال (قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقَلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) يقول: أساجيع أهل الحيرة.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبورا: عقبة بن أبي معيط، وطعيمة بن عدى، والنضر بن الحارث؛ وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله، قال المقداد: يا رسول الله أسيري، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا يَقُولُ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، فقال المقداد: أسيري، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللَّهُمَّ اغْنِ الْمِقْدَادَ مِنْ فَضْلِكَ،

(١) العباد، بكسر العين: ألفاف من قبائل شتى، اجتمعوا بالحيرة على النصرانية، فسبوا عبادا، منهم عدى بن زيد التميمي العبادي.

فقال المقداد : هذا الذي أردت ، وفيه أنزلت هذه الآية (وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) . . . الآية .
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبرا المطعم بن عدى^١ ، والنضر بن الحرث ،
 وعقبة بن أبي معيط ، قال : فلما أمر بقتل النضر ، قال المقداد بن الأسود : أسيرى يا رسول الله ، قال :
 إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي رَسُولِهِ مَا كَانَ يَقُولُ ، قال : فقال ذلك : مرتين أو ثلاثا ، فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ أَغْنِ الْمِقْدَادَ مِنْ فَضْلِكَ ، وكان المقداد أسر النضر .
 القول في تأويل قوله تعالى :

**وَإِذَا قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ
 آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٦﴾**

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد أيضا ما حلّ بمن قال (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ
 عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) إذ مكرت لهم ، فأتيهم بعذاب
 أليم ، وكان ذلك العذاب : قتلهم بالسيف يوم بدر ، وهذه الآية أيضا ذكر أنها نزلت في النضر بن الحرث .
 ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَإِذَا قَالُوا
 اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ) قال : نزلت
 في النضر بن الحرث .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
 قوله (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ) قال : قول النضر بن الحرث بن علقمة^٢ بن كلدة .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (اللَّهُمَّ إِنْ
 كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ) قول النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة من بني عبد الدار ، قال :
 أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنْ
 كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ) قال : هو النضر بن الحرث بن كلدة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : قال رجل
 من بني عبد الدار ، يقال له : النضر بن كلدة (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ
 عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) فقال الله (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ
 يَوْمِ الْحِسَابِ) وقال (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) وقال (سَأَلَ سَائِلٌ
 بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ) قال عطاء : لقد نزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله .

(١) قال ابن كثير : ذكر المظم بدل طعيمة غلط ، لأن المظم لم يكن حيا يوم بدر . اهـ . (٢) علقمة ساقط من لفظ ابن إسحاق .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : فقال يعني النضر بن الحرث : اللهم إن كان ما يقول محمد هو الحق من عندك (فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) قال الله (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (إن كان هذا هو الحق من عندك) . . . الآية ، قال (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) . . . الآية ، قال : قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهاتها ، فعاد الله بعائده ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهاتها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم ذكر غيرة قريش واستفتحهم على أنفسهم ، إذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك : أي ما جاء به محمد ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، كما أمطرتها على قوم لوط ، أو ائتنا بعذاب أليم : أي ببعض ما عذبت به الأمم قبلنا .

واختلف أهل العربية في وجه دخول هو في الكلام ، فقال بعض البصريين : نصب الحق ، لأن هو والله أعلم حوت زائدة في الكلام صلة توكيد كزيادة ما ، ولا تزد إلا في كل فعل لا يستغنى عن خبر ، وليس هو بصفة لهذا ، لأنك لو قلت : رأيت هذا هو لم يكن كلاما ، ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة ، ولكنها تكون من صفة المضمرة ، نحو قوله (ولكن كانوا هم الظالمين - وتجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) لأنك تقول : وجدته هو وإياي فتكون هو صفة ، وقد تكون في هذا المعنى أيضا غير صفة ، ولكنها تكون زائدة كما كان في الأول ، وقد تجرى في جميع هذا مجرى الاسم ، فيرفع ما بعدها إن كان بعدها ظاهرا أو مضمرا في لغة بني تميم ، يقولون في قوله (إن كان هذا هو الحق من عندك) (ولكن كانوا هم الظالمين - وتجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) كما تقول : كانوا آباؤهم الظالمون ، جعلوا هذا المضمرة نحو هو وهما وأنت زائدا في هذا المكان ، ولم تجعل مواضع الصفة ، لأنه فصل أراد أن يبين به أنه ليس ما بعده صفة لما قبله ، ولم يحتج إلى هذا في الموضع الذي لا يكون له خبر .

وكان بعض الكوفيين يقول : لم تدخل هو التي هي عماد في الكلام إلا للمعنى صحيح ، وقال : كأنه قال : زيد قائم ، فقلت : أنت : بل عمرو هو القائم ، فهو لمعهود الاسم والألف ، واللام لمعهود الفعل التي هي صلة في الكلام مخالفة لمعنى هو ، لأن دخولها وخروجها واحد في الكلام ، وليست كذلك هو ، وأما التي تدخل صلة في الكلام ، فتوكيد شبيه بقولهم : وجدته نفسه تقول ذلك ، وليست بصفة كالظريف والعامل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ؕ إِنْ
أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله (وما كان الله ليُعذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) : أي وأنت مقيم بين أظهرهم ، قال : وأنزلت هذه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ، قال : ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، فاستغفر من بها من المسلمين ، فأنزل بعد خروجه عليه حين استغفر أولئك بها (وما كان الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم ، فعذب الكفار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبيزى ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأنزل الله (وما كان الله ليُعذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) قال : فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأنزل الله (وما كان الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون ، يعني بمكة ؛ فلما خرجوا أنزل الله عليه (وما لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ) قال : فأذن الله له في فتح مكة ، فهو العذاب الذي وعدهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك ، في قوله (وما كان الله ليُعذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (وما كان الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يعني : من بها من المسلمين (وما لَهُمْ آلَا يُعذِّبَهُمُ اللَّهُ) يعني مكة ، وفيها الكفار .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قول الله (وما كان الله ليُعذِّبَهُمْ) يعني : أهل مكة (وما كان الله مُعَذِّبَهُمْ) وفيهم المؤمنون ، يستغفرون : يغفر لمن فيهم من المسلمين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل الرازي وأبو داود الحفري ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبيزى (وما كان الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : بقية من بقي من المسلمين منهم ، فلما خرجوا ، قال (وما لَهُمْ آلَا يُعذِّبَهُمُ اللَّهُ) قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبي مالك (وما كان الله ليُعذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) قال : أهل مكة .

وأخبرنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك (وما كان الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : المؤمنون من أهل مكة (وما لَهُمْ آلَا يُعذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) قال : المشركون من أهل مكة .

قال : ثنا أبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)
قال : المؤمنون يستغفرون بين ظهرانيهم .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقول : الذين آمنوا معك يستغفرون بمكة ،
حتى أخرجك والذين آمنوا معك .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال : ابن عباس
لم يعذب قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا معه ويلحقه بحيث أمر (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ) يعنى المؤمنين ، ثم أعاد إلى المشركين ، فقال (وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ) .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنْتَ فِيهِمْ) قال : يعنى أهل مكة .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم
يا محمد ، حتى أخرجك من بينهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ) وهؤلاء المشركون يقولون : يا رب غفرانك
وما أشبه ذلك من معانى الاستغفار بالقول ، قالوا : وقوله (وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ) فى الآخرة .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن منصور الرمادى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا عكرمة ، عن أبي زميل ، عن ابن
عباس : إن المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون : لبيك لا شريك لك لبيك ، فيقول النبي صلى الله عليه
وسلم : قد قد ، فيقولون : لا شريك لك ، إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، ويقولون : غفرانك
غفرانك ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ) فقال ابن عباس : كان فيهم أمانان : نبي الله والاستغفار ، قال : فذهب النبي صلى الله
عليه وسلم ، وبقى الاستغفار (وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ) قال : فهذا عذاب الآخرة ، قال : وذلك عذاب الدنيا .
حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس
قالا : قالت قريش بعضها لبعض : محمد أكرمه الله من بيننا (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ
عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا) . . . الآية ؛ فلما أمسوا ندموا على ما قالوا ، فقالوا : غفرانك اللهم ،
فأنزل الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) . . . إلى قوله (لَا يَعْلَمُونَ) .
حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كانوا يقولون : يعنى المشركين : والله
إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ، ولا يعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجها عنها ، وذلك من قولهم ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر له جهالتهم وغررتهم واستفتاحهم
على أنفسهم ، إذ قالوا (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ

(السَّمَاءِ) كما أمطرتها على قوم لوط ، وقال حين نعى عليهم سوء أعمالهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) : أى بقولهم : وإن كانوا يستغفرون كما قال (وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) من آمن الله وعبدته : أى أنت ومن تبعك .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، قال : ثنا أبو بردة ، عن أبي موسى ، قال : إنه كان فيكم أمانان : قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى ، وأما الاستغفار فهو دائر فيكم إلى يوم القيامة .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن عامر أبي الخطاب الثوري قال : سمعت أبا العلاء يقول : كان لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أمستان : فذهبت إحداها ، وبقيت الأخرى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) . . . الآية .

وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ يا محمد ، وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون ، أن لو استغفروا قالوا : ولم يكونوا يستغفرون ، فقال جل ثناؤه : إذ لم يكونوا يستغفرون (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : إن القوم لم يكونوا يستغفرون ، ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا ، وكان بعض أهل العلم يقول : هما أمانان أنزلهما الله ، فأما أحدهما فضى نبي الله ، وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم ، الاستغفار والتوبة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال الله لرسوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقول : ما كنت أعذبهم وهم يستغفرون ، ولو استغفروا وأقرؤا بالذنوب لكانوا مؤمنين ، وكيف لأعذبهم وهم لا يستغفرون ، وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يقول : لو استغفروا لم أعذبهم . وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْلَمُونَ .

قالوا : واستغفارهم كان في هذا الموضع : لإسلامهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا عبد الملك بن الصباح ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، في قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : سألت أبا العلاء فقال : لم يكن ليُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، ولم يكن ليُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَنْتَ فِيهِمْ) قال : بين أظهرهم ، وقوله (وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يسلمون .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) بين أظهرهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : وهم يسلمون (وَمَا لَهُمْ إِلَّا أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .
 حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا محمد بن عبيد الله ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) قال : بين أظهرهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : دخولهم في الإسلام .
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) يقول : ما كان الله سبحانه يعذب قوما وأنبياءهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ، ثم قال (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقول : ومنهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان ، وهو الاستغفار ، ثم قال (وَمَا لَهُمْ إِلَّا أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) فعذبهم يوم بدر بالسيف .

وقال آخرون : بل معناه : وما كان الله معذبهم وهم يصلون .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يعني : يصلون ، يعني بهذا أهل مكة .
 حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا حسين الجعفي ، عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قول الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يصلون .
 حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک بن مزاحم يقول في قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) يعني : أهل مكة ، يقول : لم أكن لأعذبكم وفيكم محمد ، ثم قال (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يعني : يؤمنون ويصلون .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : وهم يصلون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما كان الله ليعذب المشركين وهم يستغفرون ، قالوا ثم نسخ ذلك بقوله (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . . .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة والحسن البصري ، قالا : قال في الأنفال (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) فانسختها الآية التي تليها (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) . . . إلى قوله (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) فقتلوا بمكة ، وأصابهم فيها الجوع والحصر .

وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال : تأويله : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وبين أظهرهم مقيم ، حتى أخرجك من بين أظهرهم ، لأنى لأهلك قرية وفيها نبيها ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم ، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك ، بل هم مصرون عليه ، فهم للعذاب مستحقون ، كما يقال : ما كنت لأحسن إليك ، وأنت تسيء إلى ، يراد بذلك : لأحسن إليك إذا أسأت إلى ، ولو أسأت إلى لم أحسن إليك ، ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إلى ، وكذلك ذلك ، ثم قيل (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) بمعنى : وما شأنهم وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم ، فيؤمنوا به ، وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام .

ولإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لأن القوم : أعنى مشركى مكة ، كانوا استعجلوا العذاب ، فقالوا : اللهم إن كان ما جاء به محمد ، هو الحق ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم ، فقال الله لنبيه : ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم ، وما كنت لأعذبهم لو استغفروا ، وكيف لأعذبهم بعد إخراجك منهم ، وهم يصدون عن المسجد الحرام ، فأعلمه جل ثناؤه أن الذين استعجلوا العذاب ، حائق بهم ونازل ، وأعلمهم حال نزوله بهم ، وذلك بعد إخراجهم إياه من بين أظهرهم ، ولا وجه لإيعادهم العذاب في الآخرة ، وهم مستعجلوه في العاجل ، ولا شك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون ، بل في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر ، الدليل الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا ، وكذلك لا وجه لقول من وجه قوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) إلى أنه عنى به المؤمنين ، وهو في سياق الخبر عنهم ، وعمما الله فاعل بهم ، ولا دليل على أن الخبر عنهم قد تقضى ، وعلى أن ذلك به عنوا ، ولا خلاف في تأويله من أهله موجود ، وكذلك أيضا لا وجه لقول من قال : ذلك منسوخ بقوله (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . . . الآية ، لأن قوله جل ثناؤه (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) خبر ، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ ، وإنما يكون النسخ للأمر والنهي .

واختلف أهل العربية في وجه دخول « أن » في قوله (وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) فقال بعض نحوي البصرة : هي زائدة ههنا ، وقد عملت كما عملت « لا » وهي زائدة ، وجاء في الشعر :

لَوْ لَمْ تَكُنْ غَطْفَانُ لَأَذْنُوبَ لَهَا إِلَى لَامٍ ذَوُو أَحْسَابِهَا عُمرًا

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية ، وقال : لم تدخل « أن » إلا لمعنى صحيح ، لأن معنى (وَمَا لَهُمْ) ما يمنعهم من أن يعذبوا ، قال : فدخلت « أن » لهذا المعنى ، وأخرج بلا ، ليعلم أنه بمعنى الجحد ، لأن المنع جحد ، قال : ولا في البيت صحيح معناها ، لأن الجحد إذا وقع عليه جحد صار خبرا ، وقال : ألا ترى إلى قولك : ما زيد ليس قائما ، فقد أوجبت القيام ، قال : وكذلك « لا » في هذا البيت .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ، إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله ، وهم يصدون عن المسجد الحرام ، ولم يكونوا أولياء الله ، إن أولياؤه ، يقول : ما أولياء الله إلا المتقون ، يعنى : الذين يتقون الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون ، بل يحسبون أنهم أولياء الله .

وبنحو ما قلنا ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ) هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ) مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ، إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ) الذين يخرجون منه ، ويقومون الصلاة عنده : أى أنت ، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن بك (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

(١) البيت من شواهد النحويين (الخزانة ٢ : ٨٧) على أن لا في قوله « لا ذنوب لها » زائدة ، ومع ذلك عملت « لا » النافية للجنس ، فبنيت النكرة معها على الفتح ، والمعنى : لها ذنوب إلى ، وعمل لا الزائدة شاذ . والبيت للفرزدق يهجو عمر بن هبيرة الفزاري . وفي رواية الخزانة : « إذن للام . . . الخ » . ومعناه : لو كانت غطفان غير مسيئة إلى ، للام أشرافها عمر بن هبيرة في تعرضه لى ، ومنعوه عنى . وكان عمر بن هبيرة من عمال سليمان بن عبد الملك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله ، وهم يصدون عن المسجد الحرام الذي يصلون لله فيه ويعبدونه ، ولم يكونوا لله أولياء ، بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام ، وهم لا يصلون في المسجد الحرام (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ) يعني : بيت الله العتيق (إِلَّا مُكَاءً) وهو الصغير ، يقال منه : مكأ يمكو مكوا ومكأ . وقد قيل : إن المكو : أن يجتمع الرجل يديه ثم يدخلهما في فيه ، ثم يصيح ، ويقال منه : مكأ است الدابة مكأ : إذا نفخت بالريح ، ويقال : إنه لا يمكو إلا است مكشوفة ، ولذلك قيل للاست المكوة ، سميت بذلك ، ومن ذلك قول عنزة :

وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكَتُ مُجَدَّلاً^١ تَمَكُّو فَرِيصَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ^٢

وقول الطرمح :

فَنَحَا لِأُولَاهَا بِطَعْنَةٍ مُحْفَظٍ تَمَكُّو جَوَانِبُهَا مِنَ الْإِنْهَارِ^٢

بمعنى : تصوت . وأما التصدية فأنها التصفيق ، يقال منه : صدى يصدى تصدية ، وصفح وصفح بمعنى واحد وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن موسى بن قيس ، عن حجر بن عنبس (إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال : المكاء : التصفير ، والتصدية : التصفيق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) المكاء : التصفير ، والتصدية : التصفيق .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) يقول : كانت صلاة المشركين عند البيت مكأ ، يعني : التصفير ، وتصدية يقول : التصفيق .

(١) البيت لعنزة بن عمرو بن شداد العبسي ، وهو السادس والأربعون في معلقته (مختار الشعر الجاهل طبعة الحلبي ص ٣٧٥) . والحليل : الزوج ، يروى بالحاء وبالحاء جميعا . والغانية : الشابة . وقيل : هي المرأة غنيت بجمالها عن الزينة . أو غنيت وأقامت في خدرها لا تبرحه ، لأن لها من يخدمها . ومجدلا : مصروعا على الجدالة ، وهي الأرض . وتمكو : تصفر بخروج الدم . والفريصة : لحمة تحت الإبطن ، بجذاء القلب ، ترعد عند الخوف . والأعلم : مشقوق الشفة العليا . يقول : إن فريصة الفارس تصفر صغيرا كصفير شدق البعير ، من اتساع الطعنة وشدة خروج الدم منها . وانظروا في (اللسان : مكأ) .

(٢) البيت للطرمح بن حكيم يصف الثور حين طمن الكلاب (ديوانه طبعة ليدن سنة ١٩٢٧ ص ١٤٩) و (كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ص ٩٨٣) وقال في شرحه : نحأ : انحرف . والمحفظ : المنغضب . تمكو : تصفر ، وذلك عند سيلانها . والإنهار : أن توسع الطعنة ، ومنه قول قيس بن الخطيم . . . « فأنهت فتقها » .

حدثني محمد بن عمار الأسديّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا فضيل ، عن عطية (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال : التصفيق والصفير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن قرّة بن خالد ، عن عطية ، عن ابن عمر ، قال : المكاء : التصفيق ، والتصدية : الصفير . قال : وأمال ابن عمر خده إلى جانب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا وكيع ، عن قرّة بن خالد ، عن عطية ، عن ابن عمر (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال : المكاء والتصدية : الصفير والتصفيق .

حدثني الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال سمعت محمد بن الحسين يحدث عن قرّة بن خالد ، عن عطية العوفى ، عن ابن عمر ، قال : المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرّة ، عن عطية ، عن ابن عمر ، في قوله (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال : المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق .

وقال قرّة : وحكى لنا عطية فعل ابن عمر فصفّر ، وأمال خده ، وصفح يديه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة ، قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يقول في قول الله (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال بكر : فجمع لي جعفر كفيه ، ثم نفخ فيهما صفيرا ، كما قال له أبو سلمة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سلمة بن سابور ، عن عطية ، عن ابن عمر (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال تصفير وتصفيق .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن ابن عمر ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جبوية أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون ، فأنزل الله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) فأمروا بالثياب .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قال : كانت قريش يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف يستهزئون به ، يصفرون به ويصفقون ، فنزلت (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إِلَّا مُكَاءً) قال : كانوا ينفخون في أيديهم ، والتصدية : التصفيق .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد

(إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) قال : المكاء : إدخال أصابعهم في أفواههم ، والتصديّة : التصفيق ، يخلطون بذلك على محمد صلى الله عليه وسلم صلواته .

حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه لم يقل صلواته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : المكاء : إدخال أصابعهم في أفواههم ، والتصديّة : التصفيق . قال نفر من بني عبد الدار كانوا يخلطون بذلك كله على محمد صلواته .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبير (وما كان صلواتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّةً) قال : من بين الأصابع ، قال أحمد : سقط على حرف وما أراه إلا الخذف والنفخ والصفير منها ، وأراني سعيد بن جبير حيث كانوا يمكنون من ناحية أبي قبيس .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : أخبرنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وما كان صلواتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّةً) قال : المكاء : كانوا يشبكون بين أصابعهم ويصفرون بها ، فذلك المكاء . قال : وأراني سعيد بن جبير المكان الذي كانوا يمكنون فيه نحو أبي قبيس .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن جعفر بن ربيعة ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، في قوله (مكاءً وتصديّةً) قال : المكاء : النفخ ، وأشار بكفه قبّل فيه ، والتصديّة : التصفيق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الماربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : المكاء : الصفير ، والتصديّة : التصفيق .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وما كان صلواتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّةً) قال : كنا نحدث أن المكاء : التصفيق بالأيدي ، والتصديّة : صياح كانوا يعارضون به القرآن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مكاءً وتصديّةً) قال : المكاء : الصفير ، والتصديّة : التصفيق .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وما كان صلواتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّةً) والمكاء : الصفير على نحو طير أبيض يقال له المكاء يكون بأرض الحجاز ، التصديّة : التصفيق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وما كان صلواتهم عند

الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَّةً) قال : المكاء : صفيح كان أهل الجاهلية يعلنون به ، قال : وقال في المكاء أيضا صفيح في أيديهم ولعب ؛ وقد قيل في التصدية : إنها الصدء عن بيت الله الحرام ، وذلك قول لاوجه له لأن التصدية مصدر من قول القائل : صدت تصدية . وأما الصدء فلا يقال منه : صدت ، إنما يقال منه صددت ، فإن شدت منها الدال على معنى تكرير الفعل ، قيل : صدت تصدية ، إلا أن يكون صاحب هذا القول وجه التصدية إلى أنه من صدت ، ثم قلبت إحدى داليه ياء ، كما يقال : تظنيت من ظننت ، وكما قال الراجز :

تَقَضَى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ^١

يعنى : تقضض البازي ، فقلب إحدى ضاديه ياء ، فيكون ذلك وجهها يوجه إليه .

ذكر من قال ما ذكرنا في تأويل التصدية

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبيرة (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) : صدّهم عن بيت الله الحرام .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : أخبرنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبيرة (وتصدية) قال : التصدية : صدّهم الناس عن البيت الحرام .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وتصدية) قال : التصدية عن سبيل الله ، وصدّهم عن الصلاة ، وعن دين الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال : ما كان صلاتهم التي يزعمون أنها يدرأ بها عنهم إلامكاء وتصدية ، وذلك ما لا يرضى الله ، ولا يجب ، ولا ما افترض عليهم ، ولا ما أمرهم به .

وأما قوله (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) فإنه يعنى العذاب الذى وعدهم به بالسيف يوم بدر ، يقول للمشركين الذين قالوا (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) . الآية ، حين أتاهم بما استعجلوه من العذاب ، ذوقوا : أى اطعموا وليس بذوق بضم ، ولكنه ذوق بالحسن ، ووجود طعم ألمه بالقلوب ، يقول لهم : فذوقوا العذاب بما كنتم

(١) البيت للمعراج (ديوانه طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ١٧ من قصيدة له مطولة) من مشطور الرجز ، مطلعها : « قد جبر الدين الإله فجبر » ، يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وكان عبد الملك بن مروان وجهه إلى أبي فديك الحرورى حين خرج عليه ، فأوقع به . وبيت الشاهد هو الخامس والسبعون ، وقبلة :

إِذَا الْكِرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ ابْتَدَرَ دَأَى جَنَاحِيهِ مِنَ الطُّورِ فَفَرَّ

وقد أنشده صاحب اللسان مع البيت الأول من هذين البيتين . شبهه بطائر ضم جناحيه إلى نفسه ، وانقض على الصيد . ويحتمل أن يكون شبهه بالعقاب ، وشبه الجيش حوله بالجناحين ، لأن جيشه أنهضه إلى ما أراد ، كما ينهض العقاب جناحها . ومعنى كسر : ضم جناحيه وانقض . وقوله « تقضى البازي » : أراد تقضضه ، كالتقطى أصله التمطط فأبدل الضاد التي هي لام الفعل ياء ، استثقالا لاجتماع الأمثال ، وكسر ما قبلها لتصح ، وانتصابه على المصدر المشبه به . والتقدير : مر مرورا مثل تقضى البازي . (الاقتضاب لابن السيد ص ٤١٣) .

تجحدون أن الله معذبكم به على جحودكم توحيد ربكم ، ورسالة نبيكم صلى الله عليه وسلم .
وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) :
أى ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون) قال : هؤلاء أهل بدر يوم عذبهم الله .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك
يقول في قوله (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) يعنى أهل بدر عذبهم الله يوم بدر
بالقتل والأسر .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا شُرًّا
تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم ، فيعطونها أمثالهم من المشركين
ليتقوا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، ليصدوا المؤمنين بالله ورسوله ، عن
الإيمان بالله ورسوله ، فسيفقدون أموالهم في ذلك ، ثم تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة ، يقول : تصير
ندامة عليهم ، لأن أموالهم تذهب ، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله ، وإعلاء
كلمة الكفر على كلمة الله ، لأن الله معلى كلمته ، وجاعل كلمة الكفر السفلى ، ثم يغلبهم المؤمنون ،
ويحشر الله الذين كفروا به ورسوله إلى جهنم ، فيعذبون فيها ، فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم
ومن هلك ؛ أما الحى فحرب ماله ، وذهب باطلا في غير درك ولا نفع ، ورجع مغلوبا مقهورا محزونا مسلوبا ؛
وأما الهالك : فقتل وسلب ، وعجل به إلى نار الله يخلد فيها ، نعوذ بالله من غضبه ، وكان الذى تولى
النفقة التى ذكرها الله فى هذه الآية فيما ذكر أبا سفيان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبیر ، فى قوله (إن الذين
كفروا ينفقون أموالهم) . . . الآية (والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) قال : نزلت
فى أبى سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بنى كنانة ، فقاتل بهم النبى صلى الله
عليه وسلم ، وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك :

وَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ
أَحَابِيشٌ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعٌ

ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ ثَلَاثُ مِثِينَ إِنْ كَثُرْنَا فَارْبَعٌ ۱
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن ابن أبى (إن
 الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) قال : نزلت في أبى سفيان ، استأجر
 يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب قال : أخبرنا أبى
 عن خطاب بن عثمان العصفري ، عن الحكم بن عتيبة (إن الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) قال : نزلت في أبى سفيان ، أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب ،
 وكانت الأوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إن الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) . . . الآية ، قال : لما قدم أبوسفيان بالعرير إلى مكة ، أنشد الناس
 ودعاهم إلى القتال حتى غزا نبي الله من العام المقبل ، وكانت بدر في رمضان يوم الجمعة ، صبيحة سابع عشرة
 من شهر رمضان ، وكانت أحد في شوال يوم السبت لإحدى عشرة خلت منه في العام الرابع .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : قال
 الله فيما كان المشركون ، ومنهم أبوسفيان يستأجرون الرجال يقاتلون محمدا بهم (إن الَّذِينَ كَفَرُوا
 يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ
 تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) يقول : ندامة يوم القيامة ، وويلا ، ثم يغلبون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، في
 قول الله (يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) . . . الآية ، حتى قوله (أُولَئِكَ هُمُ
 الْخَاسِرُونَ) قال : في نفقة أبى سفيان على الكفار يوم أحد .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب
 الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبدالرحمن وعمرو بن سعد بن معاذ
 قالوا : لما أصابت المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ورجع فلهم إلى مكة ، ورجع
 أبوسفيان بعيره ، مشى عبد الله بن ربيعة ، وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش
 أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلموا أباسفيان بن حرب ، ومن كان له في تلك العير من
 قريش تجارة ، فقالوا : يامعشر قريش ، إن محمدا قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على
 حربه لعلنا أن ندرك منه ثارا بمن أصيب منا ، ففعلوا ، قال : ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله (إن
 الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) . . . إلى قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) .

(١) البيتان لكعب بن مالك ، أوردهما ابن هشام في مختصر سيرة ابن إسحاق (ج ٣ : ١٤١ طبعة الحلبي) الحاسر : الذى لادرع
 عليه ولا مغفر . والمقنع : الذى لبس المغفر على رأسه . والنصبة : خيار القوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (يُحْشَرُونَ) يعني النفر الذين مشوا إلى أبي سفيان ، وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة ، فسألوهم أن يعينوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ففعلوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سعيد بن أبي أيوب ، عن عطاء بن دينار ، في قول الله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) . . . الآية ، نزلت في أبي سفيان بن حرب ، وقال بعضهم : عني بذلك المشركون من أهل بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) . . . الآية ، قال : هم أهل بدر .

والصواب من القول في ذلك عندي ما قلنا ، وهو أن يقال : إن الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركي قريش أنهم ينفقون أموالهم ، ليصدوا عن سبيل الله ، لم يخبرنا بأى أولئك عني ، غير أنه عم بالخبر الذين كفروا ، وجائز أن يكون عني : المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد ، وجائز أن يكون عني المنفقين منهم ذلك ببدر ، وجائز أن يكون عني الفريقين . وإذا كان ذلك كذلك ، فالصواب في ذلك أن يعم كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكَبُ جَمِيعًا

فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره : يحشر الله هؤلاء الذين كفروا بزبهم ، وينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله إلى جهنم ، ليفرق بينهم وهم أهل الخبث ، كما قال وسامهم : الخبيث ، وبين المؤمنين بالله وبرسوله ، وهم الطيبون ، كما سماهم جل ثناؤه ، فيزجل ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الإيمان به وبرسوله جناته ، وأنزل أهل الكفر ناره .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) فيز أهل السعادة من أهل الشقاوة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ثم ذكر

المشركين ، وما يصنع بهم يوم القيامة ، فقال (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) يقول : يميز المؤمن من الكافر (فَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ) ويعني جل ثناؤه بقوله (فَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ) فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض (فَيَرُكُمَهُ جَمِيعًا) يقول : فنجعلهم ركاما ، وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا ، كما قال جل ثناؤه في صفة السحاب (ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا) : أي مجتمعا كثيفا .

وكما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَيَرُكُمَهُ جَمِيعًا) قال : فيجمعه جميعا بعضه على بعض ، وقوله (فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ) يقول : فيجعل الخبيث جميعا في جهنم ، فوحد الخبر عنهم لتوحيد قوله (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ) ، ثم قال (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فجمع ولم يقل : ذلك هو الخاسر ، فردّه إلى أول الخبر ، ويعني بأولئك الذين كفروا ، وتأويله : هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله هم الخاسرون ، ويعني بقوله : (الْخَاسِرُونَ) الذين غبت صفقتهم ، وخسرت تجارتهم ، وذلك أنهم شروا بأموالهم عذاب الله في الآخرة ، وتعجلوا بانفاقهم إياها فيما أنفقوا من قتال نبي الله والمؤمنين به الخزي والذل .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ

سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾

✽✽ يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للذين كفروا من مشركي قومك : إن ينتهوا عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله ، وقتالك وقاتل المؤمنين ، فإنيبوا إلى الإيمان ، يغفر الله لهم ، ما قد خلا ومضى من ذنوبهم ، قبل إيمانهم وإنابتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله بإيمانهم وتوبتهم وإن يعودوا يقول : وإن يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الواقعة التي أوقعها بهم يوم بدر ، فقد مضت سنتي في الأولين منهم ببدر ، ومن غيرهم من القرون الحالية ، إذ طغوا وكذبوا رسلي ، ولم يقبلوا نصحتهم من إحلال عاجل النقم بهم ، فأحلّ بهمؤلاء إن عادوا للحربك وقتالك ، مثل الذين أحللت بهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) في قریش يوم بدر وغيرها من الأمم قبل ذلك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَقَدْ مَضَتْ سَنَةٌ الْأُولِينَ) قال : في قريش وغيرها من الأمم قبل ذلك .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : في قوله (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ، وَإِنْ يَعُودُوا) لحربك (فَقَدْ مَضَتْ سَنَةٌ الْأُولِينَ) : أي من قتل منهم يوم بدر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : وإن يعودوا لقتالك ، فقد مضت سنة الأولين من أهل بدر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا عَمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٢١﴾

❖ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : وإن يعد هؤلاء لحربك ، فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر ، وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم ، فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ، ولا يُعبد إلا الله وحده لا شريك له ، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة ، ويكون الدين كله لله ، يقول : حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) يعني : حتى لا يكون شرك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، في قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) قال : الفتنة : الشرك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) : يقول : قاتلوهم حتى لا يكون شرك ، و (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) حتى يقال : لا إله إلا الله ، عليها قاتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وإليها دعا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) قال : حتى لا يكون شرك .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، في قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) قال : حتى لا يكون بلاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى

لَا تَكُونُ فِتْنَةً ، وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِيهِ) : أى لا يفتر مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ، ويخلج مادونه من الأنداد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونُ فِتْنَةً) قال : حتى لا يكون كفر (وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِيهِ) لا يكون مع دينكم كفر .

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبىه ، أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء ، فكتب إليه عروة : سلام عليك ، فإنى أحمد الله إليك ، الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فإنك كتبت إلىّ تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وسأخبرك به ، ولا حول ولا قوة إلا بالله :

كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، أن الله أعطاه النبوة ، فنعى النبي ونعم السيد ، ونعم العشيرة ، فجزاه الله خيرا وعرفنا وجهه فى الجنة ، وأحيانا على ملته ، وأماتنا عليها ، وبعثنا عليها ، وإنه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذى أنزل عليه ، لم ينفروا منه أول ما دعاهم إليه ، وكانوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم ، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال ، أنكر ذلك عليه ناس ، واشتدوا عليه ، وكرهوا ما قال ، وأغروا به من أطاعهم ، فانعطف عنه عامة الناس ، فتركوه ، إلا من حفظه الله منهم وهم قليل ، فكث بذلك ما قدر الله أن يمكث ، ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال ، فافتتن من افتتن ، وعصم الله من شاء منهم ، فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشى لا يظلم أحد بأرضه ، وكان يثنى عليه مع ذلك ، وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها ، ومساكن لتجارهم يجدون فيها رتاعا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا ، فأمرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهب إليها عامتهم لما قهرها بمكة ، وخافوا عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يبرح ، فكث ذلك سنوات يشتدّون على من أسلم منهم ، ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشرفهم ومنعتهم ، فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ، وكانت الفتنة الأولى هى أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل أرض الحبشة مخافتها ، وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال ، فلما استرخى عنهم ودخل فى الإسلام من دخل منهم ، تحدث بهذا الاسترخاء عنهم ، فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قد استرخى عن من كان منهم بمكة ، وأنهم لا يفتنون ، فرجعوا إلى مكة ، وكادوا يأمنون بها ، وجعلوا يزدادون ويكثرون ، وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ، وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما رأت قريش ذلك ، توأمت على أن يفتنوهم ، ويشدوا عليهم ، فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم ، فأصابهم جهد شديد ، وكانت الفتنة الآخرة ، فكانت ثنتين : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وأذن لهم فى الخروج إليها ، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتهم من أهل المدينة ، ثم إنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نفسا

(١) توأمت : لغة يمينية فى تأمرت ونحوه ، يقولون : آكله وواكله ، وآسأه وواسأه .

رعوس الذين أسلموا ، فوافوه بالحج ، فبايعوه بالعقبة ، وأعطوه على : أنا منك وأنت منا ، وعلى : أن من جاء من أصحابك أو جئتنا ، فإننا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا ، فاشتدت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة ، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وخرج هو ، وهي التي أنزل الله فيها (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عروة بن الزبير ، أنه كتب إلى الوليد : أما بعد ، فإنك كتبت إلى تسألني عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وعندى بحمد الله من ذلك علم بكل ما كتبت تسألني عنه ، وسأخبرك إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق : قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن الأعمش ، عن مجاهد (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً) قال : يساف ونائلة صلمان كانا يعبدان .

وأما قوله (فَإِنْ انْتَهَوْا) فإن معناه : فإن انتهوا عن الفتنة ، وهي الشرك بالله ، وصاروا إلى الدين الحق معكم (فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول : فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر ، والدخول في دين الإسلام ، لأنه يبصركم ، ويبصر أعمالكم ، والأشياء كلها متجلية له ، لا تغيب عنه ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، إلا في كتاب مبين . وقد قال بعضهم : معنى ذلك : فإن انتهوا عن القتال .

والذي قلنا في ذلك أولى بالصواب ، لأن المشركين وإن انتهوا عن القتال ، فإنه كان فرضا على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰىكُمْ نِعْمَ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيْرُ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره : وإن أدبر هؤلاء المشركون عما دعوتهم إليه أيها المؤمنون من الإيمان بالله ورسوله ، وترك قتالكم على كفرهم ، فأبوا إلا الإصرار على الكفر وقاتلكم . فقاتلوهم وأيقنوا أن الله معينكم عليهم ، وناصركم (نِعْمَ الْمَوْلَى) هو لكم يقول : نعم المعين لكم ولأوليائه (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) وهو الناصر . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ) الذي أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر في كثرة عددهم . وقلة عددكم (نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) .

تم الجزء التاسع من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،

ويليه الجزء العاشر

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ)

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِمِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ

الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢١٠ هـ

الْجُزْءُ الْعَاشِرُ

دار الفكر

بَيْتُكَ

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

المكاتب، البناية المركزية - هاتف، ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب. ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل، حارة حرّيك - شارع عبد النور - هاتف، ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
بَيرُوت } لَبْنَان
بَرقِيَا، فِكْسِي - تَلِكْس ٤١٣٩٢ فِكْر FIKR 41392 LE



مشعلاء و تجا رس لوف
حقوق المؤلف محفوظة

نأ بقا رجا رس لوف
رج بقا رس لوف

ة بسفلا ت لولما : راء لاء رس بقا
ة بسفلا ت لولما وسفلامه : راء لاء رس بقا
رءامقلا : سالكاء رس بقا
قبهنا شوء لولما : واء رس بقا

المشكلات ، السكينة المحترمة ، متانف ، ٢١٢٢٢١ ، عر سة ، ٢٠١١
الطابع والمكمل ، عداد محترمة ، شان عبة النور ، عر سة ، ٢٠١١
بوقيا ، ففسي ، سالكس ، ١١٢٢٢ ، فكر ، FIKR 41392 LE

شوروت
لشكان

فهارس الجزء العاشر من جامع البيان من تأويل آي القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤١	واعلموا أنما غنمتم من شيء...	١	٦٤	يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك...	٣٧
٤٢	إذ أنتم بالعدوة الدنيا...	٩	٦٥	يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال...	٣٨
٤٣	إذ يريدكم الله في منامك قليلا...	١٢	٦٦	الآن خفف الله عنكم...	٣٨
٤٤	وإذ يريدكمهم إذ التقيتم في أعينكم...	١٣	٦٧	ما كان لنبي أن يكون له أسرى...	٤٢
٤٥	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة...	١٤	٦٨	لولا كتاب من الله سبق...	٤٤
٤٦	وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا...	١٥	٦٩	فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا...	٤٨
٤٧	ولا تكونوا كالذين خرجوا...	١٦	٧٠	يا أيها النبي قل لمن في أيديكم...	٤٨
٤٨	وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم...	١٨	٧١	وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا...	٥٠
٤٩	إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم...	٢٠	٧٢	إن الذين آمنوا وهاجروا...	٥١
٥٠	ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا...	٢٢	٧٣	والذين كفروا بعضهم أولياء بعض...	٥٤
٥١	ذلك بما قدمت أيديكم...	٢٣	٧٤	والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا...	٥٦
٥٢	كذاب آل فرعون والذين من قبلهم...	٢٣	٧٥	والذين آمنوا من بعد وهاجروا...	٥٧
٥٣	ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة...	٢٤	سورة التوبة		
٥٤	كذاب آل فرعون والذين من قبلهم...	٢٤	١	براءة من الله ورسوله...	٥٨
٥٥	إن شرّ الدواب عند الله...	٢٥	٢	فسيحوا في الأرض أربعة أشهر...	٥٨
٥٦	الذين عاهدت منهم ثم ينقضون...	٢٥	٣	وأذان من الله ورسوله إلى الناس...	٦٧
٥٧	فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم...	٢٥	٤	إلا الذين عاهدتكم من المشركين...	٧٦
٥٨	ولما تخافن من قوم خيانة...	٢٦	٥	فإذا انسلخ الأشهر الحرم...	٧٧
٥٩	ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا...	٢٨	٦	وإن أحد من المشركين استجارك...	٧٩
٦٠	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...	٢٩	٧	كيف يكون للمشركين عهد عند الله...	٨١
٦١	وإن جنحوا للسلم فاجنح لها...	٣٣	٨	كيف وإن يظهروا عليكم...	٨٣
٦٢	وإن يريدوا أن يخدعوك...	٣٥	٩	اشترؤا بآيات الله ثمنا قليلا...	٨٦
٦٣	وألّف بين قلوبهم...	٣٥	١٠	لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة...	٨٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١	فإن تابوا وأقاموا الصلاة . . .	٨٦	٣٩	إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما . . .	١٣٤
١٢	وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم . . .	٨٧	٤٠	إلا تنصروه فقد نصره الله . . .	١٣٥
١٣	ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم . . .	٨٩	٤١	انفروا خفافا وثقالا . . .	١٣٧
١٤	قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم . . .	٩٠	٤٢	لو كان عرضا قريبا . . .	١٤١
١٥	ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله . . .	٩١	٤٣	عفا الله عنك لم أذنت لهم . . .	١٤١
١٦	أم حسبتم أن تركوا ولما يعلم الله . . .	٩٢	٤٤	لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله . . .	١٤٢
١٧	ما كان للمشركين أن يعمرُوا . . .	٩٣	٤٥	إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله . . .	١٤٣
١٨	إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله . . .	٩٤	٤٦	ولو أرادوا الخروج . . .	١٤٤
١٩	أجعلتم سقاية الحاج . . .	٩٤	٤٧	لو خرجوا فيكم . . .	١٤٤
٢٠	الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا . . .	٩٧	٤٨	لقد ابتغوا الفتنة من قبل . . .	١٤٦
٢١	يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان . . .	٩٧	٤٩	وم منهم من يقول ائذن لي . . .	١٤٨
٢٢	خالدين فيها أبدا . . .	٩٧	٥٠	إن تصيبك حسنة تسوهم . . .	١٤٩
٢٣	يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم . . .	٩٨	٥١	قل إن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا . . .	١٥٠
٢٤	قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم . . .	٩٨	٥٢	قل هل تربصون بنا . . .	١٥٠
٢٥	لقد نصركم الله في مواطن كثيرة . . .	٩٩	٥٣	قل أنفقوا طوعا أو كرها . . .	١٥١
٢٦	ثم أنزل الله سكينته على رسوله . . .	١٠٤	٥٤	وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم . . .	١٥٢
٢٧	ثم يتوب الله من بعد ذلك . . .	١٠٤	٥٥	فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم . . .	١٥٣
٢٨	يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون . . .	١٠٥	٥٦	ويخلفون بالله إنهم لمنكم . . .	١٥٤
٢٩	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله . . .	١٠٩	٥٧	لو يجدون ملجأ أو مغارات . . .	١٥٤
٣٠	وقالت اليهود عزيز ابن الله . . .	١١٠	٥٨	وم منهم من يلمزك في الصدقات . . .	١٥٥
٣١	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا . . .	١١٣	٥٩	واوأنهم رضوا مما آتاهم الله . . .	١٥٧
٣٢	يريدون أن يطفئوا نور الله . . .	١١٦	٦٠	إنما الصدقات للفقراء والمساكين . . .	١٥٧
٣٣	هو الذي أرسله رسوله بالهدى . . .	١١٦	٦١	وم منهم الذين يؤذون النبي . . .	١٦٧
٣٤	يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا . . .	١١٧	٦٢	يخلفون بالله ليرضوكم . . .	١٧٠
٣٥	يوم يحمى عليها في نار جهنم . . .	١٢٣	٦٣	ألم يعلموا أنه من يحادد الله . . .	١٧٠
٣٦	إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر . . .	١٢٤	٦٤	يحدر المنافقون أن تنزل عليهم سورة . . .	١٧١
٣٧	إنما النسيء زيادة في الكفر . . .	١٢٩	٦٥	ولئن سألتهم ليقولن . . .	١٧١
٣٨	يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل . . .	١٣٣	٦٦	لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم . . .	١٧٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٧	المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض....	١٧٤	٨٠	استغفر لهم أو لا تستغفر لهم...	١٩٨
٦٨	وعد الله المنافقين والمنافقات...	١٧٥	٨١	فرح المخلفون بمقعدهم...	٢٠٠
٦٩	كالذين من قبلكم كانوا أشد...	١٧٥	٨٢	فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا...	٢٠٢
٧٠	ألم يأتيهم نبي الذين من قبلهم...	١٧٧	٨٣	فإن رجعت الله إلى طائفة منهم...	٢٠٣
٧١	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء...	١٧٨	٨٤	ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا...	٢٠٤
٧٢	وعد الله المؤمنين والمؤمنات...	١٧٩	٨٥	ولا تعجبك أموالهم وأولادهم...	٢٠٦
٧٣	يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين...	١٨٣	٨٦	وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله...	٢٠٧
٧٤	يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا...	١٨٤	٨٧	رضوا بأن يكونوا مع الخوالف...	٢٠٧
٧٥	ومنها من عاهد الله...	١٨٨	٨٨	لكن الرسول والذين آمنوا...	٢٠٨
٧٦	فلما آتاهم من فضله نجحوا به...	١٨٨	٨٩	أعدّ الله لهم جنات تجري...	٢٠٩
٧٧	فأعقبهم نفاقا في قلوبهم...	١٨٨	٩٠	وجاء المعتذرون من الأعراب...	٢٠٩
٧٨	ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم...	١٩٣	٩١	ليس على الضعفاء ولا على المرضى...	٢١١
٧٩	الذين يلمزون المطوعين...	١٩٤	٩٢	ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم...	٢١٢

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٦٧	١
الخلاف في يوم الحج الأكبر ، والسبب	معنى الغنيمة والنيء .
في هذه التسمية .	٢
٨١	١١
القبائل التي كان لهم عهد عند المسجد الحرام ،	التقاء المشركين بالمؤمنين في بدر كان على
ومن نقض منهم ذلك .	غير ميعاد .
٩٠	١٣
ما فعلته قريش من نقض العهد بقتالهم خزاعة	ما جعله الله من الأسباب لنصر المؤمنين ببدر .
خلفاء رسول الله .	١٥
٩٤	بأسباب المنازعة .
ما أبطله الله من افتخار المشركين بسقاية	١٨
الحاج وغيرها .	ما صنعه إبليس يوم بدر من تصوّره بصورة
٩٩	سراقة بن مالك وفراره .
قصة حنين وتعيين المكان .	٢٦
١٠٥	ما يجوز به فسخ المعاهدة التي بين المسلمين
السبب في تسمية المشركين نجسا .	وغيرهم .
١١٠	٢٩
من قال من اليهود في عزيز إنه ابن الله ،	معنى القوة التي أمر الله باعدادها للعدوّ .
والسبب في اعتقادهم فيه .	٣٨
١١٤	ما يجب على المؤمنين من مصابرتهم لمثلهم من
معنى اتخاذ اليهود والنصارى أحبارهم	العدوّ .
ورهبانهم أربابا من دون الله .	٤٢
١١٨	ما عاتب الله به المؤمنين على أخذهم الفداء من
الخلاف في معنى الكنز الذي ورد فيه الوعيد	المشركين يوم بدر .
١٢٤	٤٨
المراد بالأشهر الحرم ، ومعنى ظلم الناس	ما وعد الله به الأسرى من الغفران والخير إن
فيهنّ .	علم ما في قلوبهم ، وتمام ذلك لبعضهم .
١٢٩	٥٧
معنى النسب وما كانت العرب تفعله في	ما كان بين المهاجرين والأنصار من التوارث .
حجها .	٥٨
١٣٥	القول في تفسير السورة التي يذكر فيها التوبة .
خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى	٦٢
الغار لما أراد الخروج إلى الهجرة .	الصواب في الأجل الذي جعله الله لأهل
١٤١	العهد من المشركين .
طرف من غزوة تبوك ، وما فعله المنافقون	٦٤
بها .	تولية أبي بكر للحج بالناس ، وإرسال عليّ
١٥٥	لقطع العلائق بين رسول الله والمشركين .
ما لمز به المنافقون رسول الله في أمر الصدقة .	

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
		ر		أ	
١٠٩	فَدَاكُ	١١	الجُوذَرُ	٢٧	السَّوَاءِ
		٢٠٠	حَصِيرَا		ب
	ل	١١٢	بِرَا	١٠٣	المُطَلَّبُ
١٠٦	يَعِيلُ	١١٢	مَكْرَا	٨٥	لَا يَكْذِبُ
١٣٣	القَبِيلُ	١١٢	فَرَا	٨٣	وَكَثِيبُ
٩٩	الأَبْطَالُ			٣١	وَالرَّهَبِ
٢٨	وَجَعَائِلُهُ	ز		٣٣	غَالِبِ
١١	بِاقْبَالِ	١٢١	مَكْنُوزُ		ت
	م	١٥٦	اللُّمَزَةُ		تَقَلَّتْ
٨٥	الرَّحِيمُ	١٥٥	وَلَمَزِي	١٥٢	المَلَكَاتِ
٢٠	وَمَحُوا		س	٢٠٩	لِدَاتِي
٨٥	النَّعَامِ	١٣٢	القَلَمَسُ	١٦٥	مَعْلُوفَاتِهَا
	ن		ع	١٢٨	د
١٦٨	وَأُذِنُ	١٤٤	وَأَضَعُ	١٥٤	خَدُوا
١٨٠	عَدَنُ		ف	١٥	عَدَدِ
٣٣	كَلَانَا		ف	٩٧	نَدَى
١٢٢	جَنُونَا	١٢٢	مُخْتَلِفُ	٢٨	المُلْحَدِ

٤ - فهرس الأحاديث

مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة
أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم الحج الأكبر... ٧٤	٧٤	أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم النحر... ٧٤	٧٤
أتدرون أي يوم يومكم؟ قالوا: يوم النحر... ٧٣	٧٣	أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب... ١١٤	١١٤
أحبسوا علي هؤلاء الركب... ١٧٢	١٧٢	أحذروا هذا واشباهه... ١٥٦	١٥٦
أحذروا أن تأخذوا منهم الفداء... ٤٦	٤٦	أرجعوا شاهت الوجوه... ١٠٣	١٠٣
أسمع ربي قد رخص لي فيهم فوالله... ٢٠٠	٢٠٠	أغزوا تبوك تغنموا بنات الأصفر... ١٤٨	١٤٨
أغزوا تبوك تغنموا بنات الأصفر... ١٤٨	١٤٨	أقيموا على سقائتكم فإن لكم فيها خيراً... ٩٦	٩٦
ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم... ١٢٥	١٢٥	ألا إن الرمي هو القوة... ٣٠	٣٠
ألا إن القوة الرمي... ٣٢، ٣٠	٣٢، ٣٠	ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم... ١٢٥	١٢٥
أنتم اليوم عالة فلا ينفلتن أحد... ٤٤	٤٤	ألا إن القوة الرمي... ٣٢، ٣٠	٣٢، ٣٠
أنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم... ١٨٥	١٨٥	أنتم اليوم عالة فلا ينفلتن أحد... ٤٤	٤٤
إنه أقال لرسول الله ﷺ: ادع الله... ١٨٩	١٨٩	أنهيت إلى النبي ﷺ وهو يقرأ... ١١٤	١١٤
إنه قد قيل لي استغفر لهم... ١٩٩	١٩٩	إن شتم قتلتموهم، وإن شتم فاديتموهم... ٤٦	٤٦
إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام... ٦	٦	الأنصار كرشبي وعيبي... ١٠١	١٠١
إنه يحضر البيت مشركون يطوفون... ٦٢	٦٢	أن أم رسول الله ﷺ التي أرضعته... ١٠١	١٠١
إني لا أملكهم وإنما لي منهم نصيبي... ١٠١	١٠١	أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إني حملت... ٢٣	٢٣
انهزموا ورب الكعبة... ١٠٢	١٠٢	أن رسول الله ﷺ أراد أن يصلي... ٢٠٥	٢٠٥
أي رب آتني ما وعدتني... ١٠٠	١٠٠	أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ببراءة... ٦٤	٦٤
أين الأنصار؟ أين الذين بايعوا... ١٠١	١٠١	أن رسول الله ﷺ خطب يوم عرفة فقال:... ٦٩	٦٩
بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت... ١٩٧	١٩٧	أن رأس المنافقين مات بالمدينة فأوصى... ٢٠٥	٢٠٥
بارك الله لك فيما أعطيت... ١٩٧	١٩٧	إن الزمان قد استدار كهيئته... ١٣٢، ١٣١، ١٢٥	١٣٢، ١٣١، ١٢٥
بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت... ١٩٥	١٩٥		
بيننا أنا مع رسول الله ﷺ في الغار... ١٣٦	١٣٦		
بيننا رسول الله يقسم قسماً إذ جاءه... ١٥٧	١٥٧		
تباً للذهب، تباً للفضة... ١١٩	١١٩		
تراصوا في الصفوف... ١٤٥	١٤٥		
تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثاً... ١٩٥	١٩٥		
توفي رجل من أهل الصفة فوجد... ١١٩	١١٩		
ثلاثة متواليات: ذو القعدة... ١٢٥	١٢٥		

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
٦٥	لما نزلت براءة على رسول الله ...	١٩١	ثلاث من كن فيه صار منافقاً ...
١١٩	لما نزلت هذه الآية ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ ...	١٩٢	ثلاث من كن فيه فهو منافق ...
١١٩	لما نزلت ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ ...	١٩٣	ثلاث من كن فيه وإن صلى وصام ...
١١٩	لما نزلت ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ ...	٢٠٤	جاء ابن عبد الله بن أبي بن سلول ...
٤٨	لو عذبنا في هذا الأمر يا عمر ...	٢٠٥	جاء النبي ﷺ عبد الله بن أبي ...
٤٨	لو نزل عذاب من السماء لم ينج ...	١٧٦	حذرکم ان تحدثوا في الاسلام حدثاً ...
١٦٠	ليس المسكين بالذي ترده اللقمة ...	٧٤	خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر ...
٤٥	ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤوس ...	١٩٩	سأزيد على سبعين استغفارة ...
١١٩	مات رجل من أهل الصفة فوجد ...		سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ قال: قصر من لؤلؤة ...
١٩	ما رؤي ابليس يوماً هو أصغر فيه ...	١٧٩	سمعت رسول الله ﷺ يقرأ سورة براءة ...
١٢٠	ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله ...	١١٤	عدن داره ...
١٢٤	من ترك بعده كنزاً مثل له يوم القيامة ...	١٨٠	قال رجل: يا رسول الله إني رأيت ...
١١٩	من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها ...	٢٢	قام فينا رسول الله ﷺ على ناقة حمراء ...
١٤٩	من سيدكم يا بني سلمة ...	٧٣	قد خيرني ربي فلا يزيدنهم على سبعين ...
٧٨	من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده ...	٢٠٠	قصر في الجنة من لؤلؤ ...
١٩٧	من يتصدق اليوم بصدقة أشهد له بها ...	١٧٩	كنا في سفر ونحن نسير مع رسول الله ...
٤٧	نصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجداً ...	١١٩	لأزيدن في الاستغفار لهم ...
٦٩	هذا يوم الحج الأكبر ...	١٩٨	لا تحل الصدقة لغني إلا لثلاثة ...
١٤٨	هل لك يا جدّ العام في جلاّد بني الأصفر ...	١٦٥	لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة ...
١٧٦	والذي نفسي بيده لتتبعن سنن ...	١٦٥	لا نورث، ما تركنا صدقة ...
٢٠٢	والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم ...	٧	لا هجرة بعد الفتح ...
١٠١	والذي نفسي بيده لو سلكت الأنصار ...	٥٥	اللهم ان قريشاً أقبلت بفخرها ...
١٥٦	والذي نفسي بيده، ما أعطيتكم شيئاً ...	١٧	لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ...
٢٠٦	وما يغني عنه قيصي من الله ...	٦٥	لتأخذن كما أخذ الأمم من قبلكم ...
١٨٩	ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره ...	١٧٦	لما أسروا الأسارى يوم بدر ...
١٥٦	ويلك فن ذا يعدل عليك بعدي؟ ...	٤٤	لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله ...
١٥٧	ويلك ومن يعدل إن لم يعدل ...	٢٠٥	الى النبي ﷺ فسأله أن يعطيه ...
١٣٦	يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ ...	٢٠٥	لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول دعي ...
١٢٥	يا أيها الناس، إن الزمان قد استدار ...	٦	لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذي القرنى ...
١٠٠	يا معشر الأنصار ما هذا الذي بلغني؟ ...	٤٣	لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى قال ...
		٢٠٠	لما نزلت ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّذِي خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِي أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾

قال أبو جعفر : وهذا تعليم من الله عز وجل المؤمنين قسم غنائمهم إذا غنموها ، يقول تعالى ذكره :
واعلموا أيها المؤمنون أنما غنمتم من غنيمة .

واختلف أهل العلم في معنى الغنيمة والنبي ، فقال بعضهم : فيها معنيان كل واحد منهما غير صاحبه .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن الحسن بن صالح ، قال : سألت عطاء بن السائب
عن هذه الآية (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّذِي خُمُسَهُ) وهذه الآية (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ
رَسُولِهِ) قال قلت غنمتم ما النبي وما الغنيمة ؟ قال : إذا ظهر المسلمون على المشركين ، وعلى أرضهم ،
وأخذوهم عنوة فما أخذوا من مال ظهروا عليه فهو غنيمة . وأما الأرض فهي في سوادنا هذا في .
وقال آخرون : الغنيمة ما أخذ عنوة . والنبي : ما كان عن صلح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان الثوري ، قال : الغنيمة : ما أصاب المسلمون عنوة
بقتال فيه الخمس ، وأربعة أخماسه لمن شهدها ، والنبي : ما صولحوا عليه بغير قتال ، وليس فيه خمس هو
لمن سمي الله . وقال آخرون : الغنيمة والنبي بمعنى واحد ، وقالوا : هذه الآية التي في الأنفال ناسخة قوله (مَا أَفَاءَ
اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِللَّهِ وَلِلرَّسُولِ) . . . الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) قال : كان النية في هؤلاء ، ثم نسخ ذلك في سورة الأنفال ، فقال (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسته وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الحشر ، وجعل الخمس لمن كان له النية في سورة الحشر ، وسائر ذلك لمن قاتل عليه . وقد بيئنا فيما مضى الغنيمة ، وأنها المال يوصل إليه من مال من خول الله ماله أهل دينه بغلبة عليه ، وقهر بقتال . فأما النية ، فإنه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك ، وهو ما رده عليهم منها يصلح ، من غير إيجاب خيل ولا ركاب . وقد يجوز أن يسمى ما رده عليهم منها سيوفهم ورماحهم ، وغير ذلك من سلاحهم فيئا ، لأن النية إنما هو مصدر من قول القائل : فاء الشيء نية فيئا : إذا رجع وأفاءه الله : إذا رده ، غير أن الذي ورد حكم الله فيه من النية يحكيه في سورة الحشر إنما هو ما وصفت صفته من النية دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب ، لعل قد بينتها في كتابنا : [كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الدين] وسنبيته أيضا في تفسير سورة الحشر إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى .

وأما قول من قال : الآية التي في سورة الأنفال ناسخة الآية التي في سورة الحشر فلا معنى له ، إذ كان لا معنى في إحدى الآيتين ، ينفي حكم الأخرى . وقد بيئنا معنى النسخ ، وهو نفي حكم قد ثبت بحكم بخلافه في غير موضع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وأما قوله (من شيء) فإنه مراد به كل ما وقع عليه اسم شيء مما خوله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين مما وقع فيه القسم حتى الخيط والخيط .

كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (واعلموا أنما غنمتم من شيء) قال : الخيط من الشيء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد بمثله . حدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ :

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : قوله (فإن لله خمسته) مفتاح كلام ، والله الدنيا والآخرة وما فيهما ، وإنما معنى الكلام : فإن للرسول خمسة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سألت الحسن

عن قول الله (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) قال: هذا مفتاح كلام ،
لله الدنيا والآخرة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سألت الحسن بن محمد ،
عن قوله (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : هذا مفتاح كلام ، لله الدنيا
والآخرة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا أبو شهاب ، عن ورقاء ، عن نهشل ، عن
الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية فغنموا خمس الغنيمة
فضرب ذلك الخمس في خمسة ، ثم قرأ (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ)
قال : وقوله (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) مفتاح كلام ، لله ما في السموات وما في الأرض ، فجعل سهم الله وسهم
الرسول واحدا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : لله كل شيء .
حدثنا المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله
(وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : لله كل شيء ، وخمس لله ورسوله ،
ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت الغنيمة تقسم
خمسه أخماس ، فأربعة أخماس لمن قاتل عليها ، ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس ، فخمس لله والرسول .
حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا أبان ، عن الحسن ، قال : أوصى
أبو بكر رضي الله عنه بالخمسة من ماله وقال : ألا أرضى من مالي بما رضي الله لنفسه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ
مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) قال : خمس الله وخمس رسوله واحد ، كان النبي صلى الله عليه
وسلم يحمل منه ، ويصنع فيه ما شاء .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن أصحابه ، عن إبراهيم
(وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : كل شيء لله ، الخمس للرسول ،
ولذي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل .

وقال آخرون : معنى ذلك : فإن لبيت الله خمسة وللرسول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن
أبي العالية الرياحي ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتي بالغنيمة ، فيقسمها على خمسة تكون

(١) الذي في ابن كثير ، عن ابن جرير : أوصى الحسن .

أربعة أخماس لمن شهدها ، ثم يأخذ الخمس ، فيضرب بيده فيه ، فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة ، وهو سهم الله ، ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول ، وسهم لذى القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) . . . إلى آخر الآية ، قال : فكان يجاء بالغنيمة فتوضع فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسهم ، فيجعل أربعة بين الناس ، ويأخذ سهما ، ثم يضرب بيده في جميع ذلك السهم ، فما قبض عليه من شيء جعله للكعبة ، فهو الذي أُسْمِيَ لله ، ويقول : لا تجعلوا لله نصيبا ، فإن لله الدنيا والآخرة ، ثم يقسم بقيته على خمسة أسهم : سهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وسهم لذوى القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل .

وقال آخرون : ماسمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وإنما هو مراد به قرابته ، وليس لله ولا لرسوله منه شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس ، فأربعة منها لمن قاتل عليها ، وخمس واحد يقسم على أربع ؛ فربع لله والرسول ولذى القربى ، يعنى قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئا ، والربع الثاني لليتامى ، والربع الثالث للمساكين ، والربع الرابع لابن السبيل .

❦ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال ، قوله (فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) افتتاح كلام ، وذلك لإجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم ، ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو العالية ، لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوما على ستة أسهم . وإنما اختلف أهل العلم في قسمه على خمسة فما دونها ، فأما على أكثر من ذلك ، فما لانعلم قائلا قاله غير الذي ذكرنا من الخبر عن أبي العالية ، وفي إجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا . فأما من قال : سهم الرسول لذوى القربى ، فقد أوجب للرسول سهما وإن كان صلى الله عليه وسلم صرفه إلى ذوى قرابته ، فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم .

وقد حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) . . . الآية ، قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا غنم غنيمة جعلت أخماسا ، فكان خمس لله ولرسوله ، ويقسم المسلمون ما بقي ، وكان الخمس الذي جعل لله ولرسوله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فكان هذا الخمس خمسة أخماس : خمس لله ورسوله ، وخمس لذوى القربى ، وخمس لليتامى ، وخمس للمساكين ، وخمس لابن السبيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، قال : سألت يحيى بن الجزار ، عن سهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو خمس الخمس .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، وجريير عن موسى بن أبي عائشة ، عن يحيى بن الجزار ، مثله .
 حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن يحيى بن الجزار ، مثله .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال :
 أربعة أخماس لمن حضر البأس ، والخمس الباقي لله ، وللرسول خمسة يضعه حيث رأى ، وخمسه لذوى القربى
 وخمسه لليتامى ، وخمسه للمساكين ، ولا بن السبيل خمسة .
 وأما قوله (وَلِذِي الْقُرْبَىٰ) فإن أهل التأويل اختلفوا فيهم ، فقال بعضهم : هم قرابة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من بنى هاشم .

ذكر من قال ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : كان آل محمد
 صلى الله عليه وسلم لا تحل لهم الصدقة ، فجعل لهم خمس الخمس .
 حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال :
 كان النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته لا يأكلون الصدقة ، فجعل لهم خمس الخمس .
 حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : قد علم
 الله أن في بنى هاشم الفقراء ، فجعل لهم الخمس مكان الصدقة .
 حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المزني ، عن السدي ،
 عن ابن الديلمي ، قال : قال علي بن الحسين رضى الله عنه لرجل من أهل الشام : أما قرأت في الأنفال :
 (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) . . . الآية ؟ قال : نعم ، قال :
 فإنكم لأنتم هم ؟ قال : نعم .
 حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : هؤلاء
 قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل لهم الصدقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، أن
 نبذة كتب إليه يسأله عن ذوى القربى ، فكتب إليه كتابا نزع من أنا نحن هم ، فأبى ذلك علينا قومنا .
 قال : حدثنا الحسين قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال : أربعة أخماس لمن
 حضر البأس ، والخمس الباقي لله ، وللرسول خمسة يضعه حيث رأى ، وخمس لذوى القربى ، وخمس
 لليتامى ، وخمس للمساكين ، ولا بن السبيل خمسة .
 وقال آخرون : بل هم قريش كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرني عبد الله بن نافع ، عن أبي معشر ، عن سعيد المقبري ، قال : كتب نجدة إلى ابن عباس يسأله عن ذى القربى ، قال : فكتب إليه ابن عباس : قد كنا نقول : إنا هم ، فأبى ذلك علينا قومنا ، وقالوا : قريش كلها ذوقربى . وقال آخرون : سهم ذى القربى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صار من بعده لولى الأمر من بعده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أنه سئل عن سهم ذى القربى ، فقال : كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا ، فلما توفي جعل لولى الأمر من بعده . وقال آخرون : بل سهم ذى القربى كان لبني هاشم وبني المطلب خاصة ، ومن قال ذلك الشافعي ، وكانت علة في ذلك ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن جبير بن مطعم ، قال : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذى القربى من خير على بنى هاشم وبني المطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقلنا : يا رسول الله ، هؤلاء إخوتك بنو هاشم ، لانكر فضاهم لمكانك الذى جعلك الله به منهم ، أرأيت إخواننا بنى المطلب ، أعطيتهم وتركنا ، وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة ، فقال : إنا هم كمن يفارقونا في جاهلية ولا إسلام ، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ، ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إحداهما بالأخرى .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي ، قول من قال : سهم ذى القربى كان لقراة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وحلفائهم من بنى المطلب ، لأن حليف القوم منهم ، ولصحة الخبر الذى ذكرناه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واختلف أهل العلم في حكم هذين السهمين ، أعنى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذى القربى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال بعضهم : يصرقان في معونة الإسلام وأهله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، قال : ثنا أبو شهاب ، عن ورقاء ، عن نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : جعل سهم الله وسهم الرسول واحدا ولذى القربى ، فجعل هذان السهمان في الخيل والسلاح ، وجعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل لا يعطى غيرهم . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سألت الحسن عن قول الله (واعلموا أنما غنمتم من شيء ، فإن لله الخمسة وللرسول ولذى القربى) قال : هذا مفتاح كلام ، لله الدنيا والآخرة .

ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قائلون : سهم النبي صلى الله عليه وسلم لقربة النبي صلى الله عليه وسلم . وقال قائلون : سهم القرابة لقربة الخليفة ، واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدّة في سبيل الله ، فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سألت الحسن بن محمد ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح ، فقلت لإبراهيم : ما كان على رضي الله عنه يقول فيه ؟ قال : كان على أشدّهم فيه .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ عن ابن عباس ، قوله (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ) . . . الآية . قال ابن عباس : فكانت للغنيمة تقسم على خمسة أخماس ، أربعة بين من قاتل عليها ، وخمس واحد يقسم على أربعة : لله ، وللرسول ، ولذو القربى ، يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، فما كان لله وللرسول فهو لقربة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئا ، فلما قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، ردّ أبو بكر رضي الله عنه نصيب القرابة في المسلمين ، فجعل يحمل به في سبيل الله ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَانُورَثُ ، مَا تَرَكَنَا صِدْقَةً » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أنه سئل عن سهم ذي القربى ، فقال : كان طعممة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما توفي حمل عليه أبو بكر وعمر في سبيل الله صدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : سهم ذوى القربى من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وليّ أمر المسلمين :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن عمران بن ظبيان ، عن حكيم ابن سعد ، عن عليّ رضي الله عنه ، قال : يعطى كل إنسان نصيبه من الخمس ، ويلى الإمام سهم الله ورسوله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة أنه سئل عن سهم ذوى القربى ، فقال : كان طعممة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا ، فلما توفي جعل لوليّ الأمر من بعده .

وقال آخرون : سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس ، والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم ، على اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وذلك قول جماعة من أهل العراق .
وقال آخرون : الخمس كله لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الغفار ، قال : ثنا المنهال بن عمرو ، قال : سألت عبد الله بن محمد بن عليّ ، وعليّ بن الحسين عن الخمس ، فقال : هو لنا ، فقلت لعليّ : إن الله يقول (واليتامى والمساكين وابن السبيل) فقال : يتامانا ومساكيننا .
والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس ، والخمس مقسوم على أربعة أسهم على ما روى عن ابن عباس : للقراءة سهم ، ولليتامى سهم ، وللمساكين سهم ، ولابن السبيل سهم ، لأن الله أوجب الخمس لأقوام موصوفين بصفات ، كما أوجب الأربعة الأخماس الآخرين ، وقد أجمعوا أن حق الأربعة الأخماس لن يستحقه غيرهم ، فكذلك حق أهل الخمس لن يستحقه غيرهم ، فغير جائز أن يخرج عنهم إلى غيرهم ، كما غير جائز أن تخرج بعض السهمان التي جعلها الله لمن سماه في كتابه بفقد بعض من يستحقه إلى غير أهل السهمان الآخر . وأما اليتامى : فهم أطفال المسلمين الذين قد هلك آباؤهم . والمساكين : هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين . وابن السبيل : المجتاز سفرا قد انقطع به .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : الخمس الرابع لابن السبيل ، وهو الضيف الفقير الذي ينزل بالمسلمين .

القول في تأويل قوله تعالى : **هُوَ الَّذِي كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّنْقِيهِ الْجَمْعَانِ ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** :

يقول تعالى ذكره : أيقنوا أيها المؤمنون أنما غنتم من شيء فقسوم القسّم الذي بينته ، وصدقوا به إن كنتم أقررتم بوحداية الله ، وبما أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم فرق بين الحق والباطل بيدر ، فأبان فلج المؤمنين وظهورهم على عدوهم ، وذلك يوم التقى الجمعان : جمع المؤمنين ، وجمع المشركين ، والله على إهلاك أهل الكفر وإذلالهم بأيدي المؤمنين ، وعلى غير ذلك مما يشاء قدير لا يمتنع عليه شيء أرادته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) يعني بالفرقان : يوم بدر ، ففرّق الله فيه بين الحق والباطل .
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى الليث ، قال : ثنى عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير وإسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، يزيد أحدهما على صاحبه في قوله (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) يوم فرق الله بين الحق والباطل ، وهو يوم بدر ، وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة ، فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مئة وبضعة عشر رجلا ، والمشركون مابين الألف والتسع مئة ، فهزم الله يومئذ المشركين ، وقتل منهم زيادة على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن مقسم (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) قال : يوم بدر ، فرق الله بين الحق والباطل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عثمان الجزرى ، عن مقسم ، في قوله (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) قال : يوم بدر ، فرق الله بين الحق والباطل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ) يوم بدر ، وبدر بين المدينة ومكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنى يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن ابن عون ، عن محمد بن عبد الله الثقفى ، عن أبي عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب ، قال : قال الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه : كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من شهر رمضان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ) قال ابن جريج : قال ابن كثير : يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ) : أى يوم فرق بين الحق والباطل ببدر : أى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ) وذاكم يوم بدر ، يوم فرق الله بين الحق والباطل .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : أيقنوا أيها المؤمنون واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بينه لكم ربكم إن كنتم آمنتم

بالله وما أنزل على عبده يوم بدر ، إذ فرق بين الحق والباطل ، من نصر رسوله (إذ أنتم) حينئذ (بالعدوة الدنيا) يقول : بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة (وهم بالعدوة القصوى) يقول : وعدوكم من المشركين نزول بشفير الوادي الأقصى إلى مكة (والركب أسفل منكم) يقول : والعرير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) قال : شفير الوادي الأدنى ، وهم بشفير الوادي الأقصى (والركب أسفل منكم) قال : أبو سفيان وأصحابه أسفل منهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) وهما شفير الوادي ، كان نبي الله أعلى الوادي ، والمشركون بأسفله (والركب أسفل منكم) يعني أبو سفيان ، انحدر بالعرير على حوزته حتى قدم بها مكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) من الوادي إلى مكة (والركب أسفل منكم) : أي عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا لينعواها عن غير ميعاد منكم ولا منهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (والركب أسفل منكم) قال : أبو سفيان وأصحابه مقبلون من الشام تجارا ، لم يشعروا بأصحاب بدر ، ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ، ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه ، حتى التقيا على ماء بدر من يسقى لهم كلهم ، فاقتتلوا ، فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فأسروهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ذكر

منازل القوم والعرير ، فقال (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) والركب : هو أبو سفيان وعيره ، أسفل منكم على شاطئ البحر .

واختلفت القراء في قراءة قوله (إذ أنتم بالعدوة) فقرأ ذلك عامة قرآء المدنيين والكوفيين : (بالعدوة) بضم العين . وقرأه بعض المكيين والبصريين (بالعدوة) بكسر العين ، وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، يُنشَد بيت الراعي :

(١) قوله « من يسقى » بدل من الألف في قوله : التقيا . ويفسر قوله الآتي قريبا : حتى التقى السقاء .

وَعَيْنَانِ حُمْرٌ مَّا قِيَهُمَا كَمَا نَظَرَ الْعِدْوَةَ الْجُوْ ذَرًّا

بكسر العين من العدو ، وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر :
وفارس لو تحل الخيل عدوته ولوا سراعا وما هموا بإقبال^٢
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِئْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ ، وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ :

يعنى تعالى ذكره : ولو كان اجتماعكم في الموضع الذى اجتمعتم فيه أنما أيها المؤمنون ، وعدوكم من المشركين عن ميعاد منكم ومنهم ، لاختلفتم في الميعاد لكثرة عدد عدوكم ، وقلة عددكم ، ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، وذلك القضاء من الله كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله ، وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر بالقتل والأسر .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِئْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ) ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم (وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) : أى ليقضى الله ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله ، عن غير بلاء منكم ، فعل ما أراد من ذلك بلطفه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أخبرني يونس بن شهاب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب ، قال : سمعت كعب بن مالك يقول في غزوة بدر ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قریش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن عمر بن إسحاق ، قال : أقبل أبو سفيان في الركب من الشام ، وخرج أبو جهل ليمنع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فالتقوا ببدر ، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ، ولا هؤلاء بهؤلاء ، حتى التقت السقاة ، قال : ونظر الناس بعضهم لبعض .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿لِيَسْهَلَكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْئَتِهِ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيْئَتِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ولكن الله جمعهم هنالك ليقضى أمرا كان مفعولا (لِيَسْهَلَكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْئَتِهِ) وهذه اللام في قوله (لِيَسْهَلَكَ) مكررة على اللام في قوله (لِيَقْضِيَ) كأنه قال : ولكن ليهلك من هلك عن بيئته جمعكم .

(١) في اللسان : العدو بالضم والكسر (في العين) : جانب الوادى . وقيل : العدو : المكان المرتفع شيئا على ما هو منه اه . والجوذر ، بضم الذال وفتحها : ولد الظبية . والمعنى : ينظر الجوذر إلى عدوة الوادى ، أو إلى جانب الأرض التى هو فيها ، مادام بصره ، هل يرى شيئا يريه .

(٢) عدوته : ناحيته وجانبه ، كما في الشاهد السابق ، والمعنى : أن الخيل لو حلت بجانب الفارس أو قريبا منه ، لفزعت من منظره وهوله ، وولت مسرعة عنه . ولعل البيت من قصيدته التى يرثى بها فضالة بن كلدة الأسدى (انظر شعراء النصرانية ص ٤٩٢) .

ويعنى بقوله (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنَّا بَيِّنَةً) ليموت من مات من خلقه عن حجة لله قد أثبتت له ، وقطعت عذره ، وعبرة قد عاينها ورآها (وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنَّا بَيِّنَةً) يقول : وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أثبتت له ، وظهرت لعينه ، فعلمها جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك .
وقال ابن إسحاق في ذلك بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنَّا بَيِّنَةً) لما رأى من الآيات والعبر ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك .

وأما قوله (وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) فإن معناه : وإن الله أيها المؤمنون لسميع لقولكم وقول غيركم حين يرى الله نبيه في منامه ، ويريكم عدوكم في أعينكم قليلا وهم كثير ، ويراكم عدوكم في أعينهم قليلا ، عليم بما تضره نفوسكم ، وتنطوي عليه قلوبكم حينئذ ؛ وفي كل حال يقول جل ثناؤه لهم ولعباده : واتقوا ربكم أيها الناس في منطقتكم أن تنطقوا بغير حق ، وفي قلوبكم أن تعتقدوا فيها غير الرشيد ، فإن الله لا يخفى عليه خافية من ظاهر أو باطن .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَ رَبُّكَ وَعَدُوَّهُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْ أَصْحَابُكَ ، فَجَبْنُوا وَخَافُوا ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى حَرْبِ الْقَوْمِ ، وَلَتَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٦﴾

✽ يقول تعالى ذكره : وإن الله يا محمد سمع لما يقول أصحابك ، عليم بما يضرهم ، إذ يريك الله عدوك وعدوهم (فِي مَنَامِكَ) قليلا يقول : يريكهم في نومك قليلا فتخبرهم بذلك ، حتى قويت قلوبهم ، واجترأوا على حرب عدوهم ، ولو أراك ربك وعدوهم كثيرا لفشل أصحابك ، فجنبوا وخافوا ، ولم يقدرُوا على حرب القوم ، ولتنازعوا في ذلك ، ولكن الله سلمهم من ذلك بما أراك في منامك من الرؤيا ، إنه عليم بما تخفيه الصدور ، لا يخفى عليه شيء مما تضره القلوب .

وقد زعم بعضهم أن معنى قوله (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا) : أي في عينك التي تنام بها ، فصير المنام هو العين ، كأنه أراد : إذ يريكهم الله في عينك قليلا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا) قال : أراه الله إياهم في منامه قليلا ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك ، فكان تثبيتا لهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِذْ يُرِيكَهُمْ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا) . . . الآية فكان أول ما أراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم ، شجعهم بها على عدوهم ، وكفاهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) فقال بعضهم : معناه : ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) يقول : سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولكن الله سلم أمره فيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) قال : سلم أمره فيهم .

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي ما قاله ابن عباس ، وهو أن الله سلم القوم بما أرى نبيه صلى الله عليه وسلم في منامه من الفشل والتنازع ، حتى قويت قلوبهم ، واجترأوا على حرب عدوهم ، وذلك أن قوله (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) عقيب قوله (وَلَوْ أَرَأَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ) فالذي هو أولى بالخبر عنه ، أنه سلمهم منه جل ثناؤه ما كان مخوفا منه ، لو لم ير نبيه صلى الله عليه وسلم من قلة القوم في منامه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ يُرِيكَهُمْ إِذْ النَّمِيمَ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا

كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : وإن الله لسميع عليم إذ يرى الله نبيه في منامه المشركين قليلا ، وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم في أعينهم قليلا ، وهم كثير عددهم ، ويقلل المؤمنين في أعينهم ، ليتركوا الاستعداد لهم فيهن على المؤمنين شوكتهم .

كما حدثني ابن بزيع البغدادي ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي : تراهم سبعين ، قال أراهم مئة ، قال : فأسرنا رجلا منهم ، فقلنا : كم هم ؟ قال : كنا ألفا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيَّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا) قال ابن مسعود : قُلُّوا فِي أَعْيُنِنَا حَتَّى قَلَّتْ لِرَجُلٍ : أَتْرَاهُمْ يَكُونُونَ مِثَّةً ؟

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال ناس من المشركين : إن العير قد انصرفت فارجعوا ، فقال أبو جهل : الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه ، فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم ، وقال : يا قوم لا تقتلوهم بالسلاح ، ولكن خذوهم أخذا ، فاربطوهم بالحبال ، يقوله من القدرة في نفسه .

وقوله (لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) يقول جل ثناؤه : قَلَّلْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَرَيْتَكُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ مَا قَضَى مِنْ قِتَالِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، وَإِظْهَارِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَالظَّفْرُ بِهِمْ ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ، وَذَلِكَ أَمْرٌ كَانَ اللَّهُ فَاعِلَهُ ، وَبِالْغَا فِيهِ أَمْرُهُ .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) أَي لِيُؤَلَّفَ بَيْنَهُمْ عَلَى الْحَرْبِ لِلنَّقْمَةِ مِمَّنْ أَرَادَ الْإِنْتِقَامَ مِنْهُ ، وَالْإِنْعَامَ عَلَى مَنْ أَرَادَ إِتِمَامَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : مُصِيرَ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ ، فَيَجْازِي أَهْلَهَا عَلَى قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِمُ الْحَسَنَ بِإِحْسَانِهِ ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

﴿١٥﴾

وَهَذَا تَعْرِيفٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِالسَّيْرِ فِي حَرْبِ أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ ، وَالْأَفْعَالُ الَّتِي تَرْجَى لَهُمْ بِاسْتِعْمَالِهَا عِنْدَ لِقَائِهِمُ النَّصْرَةَ عَلَيْهِمْ ، وَالظَّفْرُ بِهِمْ ، ثُمَّ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِذَا لَقِيتُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ ، فَاثْبُتُوا لِقِتَابِهِمْ ، وَلَا تَهْزَمُوا عَنْهُمْ ، وَلَا تَوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ هَارِبِينَ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالِ ، أَوْ مَتَحَرِّزًا إِلَى فِئَةٍ مِنْكُمْ (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) يَقُولُ : وَادْعُوا اللَّهَ بِالنَّصْرِ عَلَيْهِمْ ، وَالظَّفْرُ بِهِمْ ، وَأَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ وَالسَّنْتَكُمْ ذَكَرَهُ (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) يَقُولُ : كَيْفَا تَنْجَحُوا فَتَظْفَرُوا بَعْدُوكُمْ ، وَيُرْزَقُكُمْ اللَّهُ النَّصْرَ وَالظَّفْرَ عَلَيْهِمْ .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون عند الضراب بالسيوف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً) يقاتلونكم

في سبيل الله (فَاتَّبِعُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) اذكروا الله الذي بذلتم له أنفسكم ، والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم (لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله ، فيما أمركم به ، ونهاكم عنه ، ولا تخالفوهما في شيء (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا) يقول : ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا ، يقول : فتضعفوا وتجنّبوا (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) وهذا مثل يقال للرجل إذا كان مقبلا عليه ما يحبه ويسر به الريح مقبلة عليه ، يعني بذلك ما يحبه ، ومن ذلك قول عبيد بن الأبرص :

كَمَا حَمَيْتَكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَطْبِ
وَالْفَضْلِ لِلْقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدِ

يعني من البأس والكثرة ، وإنما يراد به في هذا الموضع : وتذهب قوتكم وبأسكم فتضعفوا ، ويدخلكم الوهن والحلل .

(وَأَصْبِرُوا) يقول : اصبروا مع نبي الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم ، ولا تنهزموا عنه وتركوه (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) يقول : اصبروا فإنني معكم .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قال : نصركم ، قال : وذهبت ريح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد .

حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) فذكر نحوه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال : ريح أصحاب محمد حين تركوه يوم أحد .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قال : حربكم وجدكم .

حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قال : ريح الحرب .

(١) البيت لعبيد بن الأبرص (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٣ ص ٤٦) . وشطب : اسم جبل بديار بني أسد . وفي معجم ما استعجم للبكري : بديار بني تميم . والنعف : أسفل الجبل . والفضل للقوم : يقول : الريح معهم ، والعدد لهم . ويروى : « من أصوت ومن غرد » . والغرد : يريد الصوت ههنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قال : الريح : النصر ، لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو ، فإذا كان ذلك لم يكن لهم قوام . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا) أي لا تختلفوا فيتفرق أمركم (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) فيذهب جدكم (وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) : أي إني معكم إذا فعلتم ذلك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا) قال : الفشل : الضعف عن جهاد عدوه ، والانكسار لهم ، فذلك الفشل .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٧﴾

وهذا تقدم من الله جل ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله لا يعملوا عملاً إلا لله خاصة ، وطلب ما عنده لارئاء الناس كما فعل القوم من المشركين في مسيرهم إلى بدر طلب رياء الناس ، وذلك أنهم أخبروا بفوت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقيل لهم : انصرفوا فقد سلمت العير التي جئتم لنصرتها ، فأبوا وقالوا نأتى بدرًا فنشرب بها الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتتحدث بنا العرب لمكانتنا فيها ، فسقوا مكان الخمر كئوس المنايا .

كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا أبان ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة قال : كانت قريش قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد جاءهم ركب من أبي سفيان ، والركب الذين معه ، إنا قد أجزنا القوم فارجعوا ، فجاء الركب الذين بعثهم أبو سفيان الذين يأمرون قريشا بالرجعة بالحففة ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نزل بدرًا ، فنقيم فيه ثلاث ليال ، ويرانا من غشينا من أهل الحجاز ، فإنه لن يرانا أحد من العرب ، وما جمعنا فيقاتلنا ، وهم الذين قال الله (الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ) والتقوا هم والنبي صلى الله عليه وسلم ، ففتح الله على رسوله وأخزى أئمة الكفر ، وشفى صدور المؤمنين منهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق في حديث ذكره ، قال : ثنى محمد بن مسلم وعاصم بن عمرو ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، عن ابن عباس ، قال : لما رأى أبو سفيان أنه أحرز غيره ، أرسل إلى قريش أنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرًا ، وكان بدر موسمًا من مواسم العرب ، يجتمع لهم بها سوق كل عام ، فنقيم عليه ثلاثًا ، وننحر الخزر ، وننظم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبدًا فامضوا .

قال ابن حميد : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًّا وَرِثَاءَ النَّاسِ) : أى لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه الذين قالوا : لانرجع حتى نأتى بدر ، وننحر بها الجزر ، ونسقى بها الحمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا : أى لا يكونن أمركم رياء ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس ، وأخلصوا لله النية والحسبة فى نصر دينكم ، وموازرة نبيكم : أى لا تعملوا إلا لله ، ولا تطلبوا غيره .

حدثني محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، وحدثنا أحمد ابن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًّا وَرِثَاءَ النَّاسِ) قال : أصحاب بدر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِطَرًّا وَرِثَاءَ النَّاسِ) قال : أبو جهل وأصحابه يوم بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير : هم مشركو قريش ، وذلك خروجهم إلى بدر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًّا وَرِثَاءَ النَّاسِ) يعنى المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًّا وَرِثَاءَ النَّاسِ) قال : هم قريش وأبوجهل وأصحابه الذين خرجوا يوم بدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًّا وَرِثَاءَ النَّاسِ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) قال : كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر خرجوا ولهم بغى وفخر ، وقد قيل لهم يومئذ : ارجعوا فقد انطلقت غيركم وقد ظفرتم ، قالوا : لا والله حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا . قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يومئذ « اللَّهُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا أَقْبَلَتْ بِفَخْرِهَا وَخَيْلِهَا لِتُحَادِّكَ وَرَسُولِكَ » .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : ذكر المشركين وما يطعمون على المياه ، فقال (لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًّا وَرِثَاءَ النَّاسِ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرًّا) قال : هم المشركون خرجوا إلى بدر أشرا وبطرا .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما خرجت قريش من مكة إلى بدر ، خرجوا بالقيان والدفوف ، فأنزل الله (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) .

فناويل الكلام إذن : ولا تكونوا أيها المؤمنون بالله ورسوله في العمل بالرياء والسمعة ، وترك إخلاص العمل لله ، واحتساب الأجر فيه كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرا ومراعاة الناس بزيهم وأموالهم وكثرة عددهم ، وشدة بطانتهم (وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : ويمنعون الناس من دين الله والدخول في الإسلام بقتالهم إياهم ، وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الإيمان بالله ، والله بما يعملون من الرياء ، والصد عن سبيل الله ، وغير ذلك من أفعالهم محبط ، يقول : عالم بجميع ذلك ، لا يخفى عليه منه شيء ، وذلك أن الأشياء كلها له متجلية ، لا يعزب عنه منها شيء ، فهو لهم بها معاقب ، وعليها معذب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) وحين زين لهم الشيطان أعمالهم ، وكان تزيينه ذلك لهم كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين ، معه رايته في صورة رجل من بني مدلج ، في صورة سراقه بن مالك بن جعشم ، فقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فلما اصطفت الناس ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب ، فرمى بها في وجوه المشركين ، فولوا مدبرين ، وأقبل جبريل إلى إبليس ، فلما رآه ، وكانت يده في يد رجل من المشركين ، انزع إبليس يده ، فولى مدبرا هو وشيعته ، فقال الرجل : ياسراقه تزعم أنك لنا جار ؟ قال : (إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) وذلك حين رأى الملائكة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أتى المشركين إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم الكنانى الشاعر ، ثم المدلجى ، فجاء على فرس فقال للمشركين (لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ) فقالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا جاركم سراقه ، وهؤلاء كنانة قد أتوكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق ، ثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ، يعني من الحرب ، فكاد ذلك أن يشبطهم فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن جعشم المدلجي ، وكان من أشرف بني كنانة ، فقال : أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق ، في قوله (وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ ، وَقَالَ لَأَغْلِبَنَّ لَكُمْ يَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ) فذكر استدراج إبليس إياهم وتشبهه بسراقه بن مالك بن جعشم ، حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب التي كانت بينهم ، يقول الله (فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ) ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة ، قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم (نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ ، وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) وصدق عدو الله أنه رأى ما لا يرون ، وقال : (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ، فأوردتهم ثم أسلمهم ، قال : فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقه بن مالك بن جعشم لا ينكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان ، كان الذي رآه حين نكص الحرت بن هشام أو عمير بن وهب الجمحي ، فذكر أحدهما فقال : أين سراقه ، أسلمنا عدو الله وذهب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ) . . . إلى قوله (شَدِيدُ الْعِقَابِ) قال : ذكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة ، فزعم عدو الله أنه لا يدي له بالملائكة ، وقال : إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله ، وكذب والله عدو الله ، ما به مخافة الله ، ولكن علم أن لاقوة له ولا منعة له ، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستعاذ به ، حتى إذا التقى الحق والباطل ، أسلمهم شر مسلم ، وتبرأ منهم عند ذلك .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ) . . . الآية ، قال : لما كان يوم بدر ، سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين ، وألقى في قلوب المشركين أن أحدا لن يغلبكم وإني جار لكم ، فلما التقوا ونظر الشيطان إلى أمداد الملائكة نكص على عقبيه ، قال : رجع مدبرا وقال (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) . . . الآية .

حدثنا أحمد بن الفرج ، قال : ثنا عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون ، قال : ثنا مالك ، عن إبراهيم ابن أبي عبلة ، عن طلحة بن عبيد الله بن كرز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا رُؤِيَ لِإِبْلِيسَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَغْيَظُ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَذَلِكَ مِمَّا يَرَى مِنْ تَنْزِيلِ الرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ عَنِ الذُّنُوبِ إِلَّا مَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ ؟ قَالَ : أَمَّا إِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ يَنْزِعُ الْمَلَائِكَةَ » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن

الحسن ، في قوله (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) قال : رأى جبريل معتجرا يبرد يمشى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي يده اللجام ما ركب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، قال : ثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، قال : قال الحسن : وتلا هذه الآية (وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ) . . . الآية ، قال : سار إبليس مع المشركين بيد برائته وجنوده ، وألقى في قلوب المشركين أن أحدا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم ، ولن تغلبوا كثرة ، فلما التقوا نكص على عقبيه ، يقول : رجع مدبرا ، وقال : إني برىء منكم ، إني أرى ما لا ترون ، يعني الملائكة .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : لما أجمعت قريش على السير ، قالوا : إنما نتخوف من بني بكر ، فقال لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم : أنا جار لكم من بني بكر ، ولا غالب لكم اليوم من الناس .

فتأويل الكلام : وإن الله لسميع عليم في هذه الأحوال وحين زين لهم الشيطان خروجهم إليكم أيها المؤمنون لحربكم وقتالكم ، وحسن ذلك لهم ، وحثهم عليكم وقال لهم : لا غالب لكم اليوم من بني آدم ، فاطمئنوا وأبشروا ، وإني جار لكم من كنانة أن تأتيكم من ورائكم فتغيركم أجيركم وأمنعكم منهم ، ولا تخافوهم ، واجعلوا جدكم وبأسكم على محمد وأصحابه (فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ) يقول : فما تراحت جنود الله من المؤمنين ، وجنود الشيطان من المشركين ، ونظر بعضهم إلى بعض (نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ) يقول : رجع القهقري على قفاه هاربا ، يقال منه : نكص ينكص وينكص نكوصا ، ومنه قول زهير :

هُمُ يَضْرِبُونَ حَبِيكَ الْبَيْضِ إِذْ لَحِقُوا لَا يَنْكُصُونَ إِذَا مَا اسْتُلْحِمُوا وَحَمُوا ١

وقال للمشركين (إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ) ، إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) يعني : أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مددا للمؤمنين ، والمشركون لا يرونهم ، إني أخاف عقاب الله ، وكذب عدو الله ، والله شديد العقاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : وإن الله لسميع عليم في هذه الأحوال ، وإذ يقول المنافقون ، وكر بقوله (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ) على قوله (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مِثَابِكِ قَلِيلًا) . (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) يعني : شك في الإسلام لم يصح يقينهم ، ولم تشرح بالإيمان صدورهم (غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ)

(١) البيت لزهير (ديوانه : مختار الشعر الجاهل طبعة الحلبي ص ٢٦٢) وحبك البيض : طرائقه . الواحدة : حبيكة . فقال أبو منصور الأزهري (اللسان : نكص) : نكص ينكص (بضم الكاف وكسرها) . والنكوص : الإحجام والانقذاع عن الشيء ، ونكص على عقبيه : رجع عما كان عليه من الخير ، ولا يقال ذلك إلا في الرجوع عن الخير خاصة . واستلحموا : أدركوا ولوبسوا . وحموا : اشتد غضبهم .

يقول : غرّ هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم دينهم ، وذلك الإسلام ، وذكر أن الذين قالوا هذا القول كانوا نفرا ممن كان قد تكلم بالإسلام من مشركى قريش ، ولم يستحکم الإسلام في قلوبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر في هذه الآية (إذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ) قال : كان ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين ، قالوا : (غرّ هؤلاء دينهم) .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، مثله .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (إذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ) قال : فئة من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحرث بن زمعة بن الأسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف ، والعاصي بن منبه بن الحجاج ، خرجوا مع قريش من مكة ، وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم ، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : غرّ هؤلاء دينهم ، حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم ، وكثرة عدوهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (إذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ) قال : هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر ، فسموا منافقين . قال معمر : وقال بعضهم : قوم كانوا أقرّوا بالإسلام وهم بمكة ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : غرّ هؤلاء دينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) . . . إلى قوله (فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) قال : رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله . وذكر لنا أن أبا جهل عدوّ الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قال : والله لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج في قوله (إذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) قال : ناس كانوا من المنافقين بمكة ، قالوه يوم بدر ، وهم يومئذ ثلاث مئة وبضعة عَشْرَ رجلا .

قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (إذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) قال : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، فقلل الله المسلمين في أعين المشركين ، وقلل المشركين في أعين المسلمين ، فقال المشركون : غرّ هؤلاء دينهم ، وإنما قالوا ذلك من قلوبهم في أعينهم ، وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك ، فقال الله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهََ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وأما قوله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فإن معناه : ومن يسلم أمره إلى الله ويثق به ، ويرض بقضائه ، فإن الله حافظه وناصره ، لأنه عزيز لا يغلبه شيء ، ولا يقهره أحد ، فجاره منيع ، ومن يتوكل عليه يكفه ، وهذا أمر من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم أن يفوضوا أمرهم إليه ، ويسلموا لقضائه ، كما يكفيهم أعداءهم ، ولا يستذلهم من ناوهم ، لأنه عزيز غير مغلوب ، فجاره غير مقهور حكيم ، يقول : هو فيما يدبر من أمر خلقه ، حكيم لا يدخل تدبيره خلل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو تعاین یا محمد حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار فتزعاها من أجسادهم ، تضرب الوجوه منهم والأستاه ، ويقولون لهم : ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) قال : يوم بدر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن أسلم ، عن إسماعيل بن كثير ، عن مجاهد (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) قال : وأستاههم ، ولكن الله كريم يكنى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، في قوله (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) قال : وأستاههم ، ولكن الله كريم يكنى .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : أخبرنا شعبة ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبیر ، في قوله (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) قال : إن الله كنى ولو شاء لقال : أستاههم ، وإنما عنى بأدبارهم : أستاههم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أستاههم يوم بدر .

قال ابن جريج : قال ابن عباس : إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف ، وإذا ولوا أدركتهم الملائكة ، ف ضربوا أدبارهم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن الحسن ، قال : « قال رجل : يا رسول الله إني رأيت بظهر أبي جهل ، مثل الشراك ، فما ذاك ؟ قال : ضَرَبُ الْمَلَائِكَةِ » .

حدثنا محمد ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد ، أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « إني حملت على رجل من المشركين ، فذهبت لأضربه ، فندر رأسه ، فقال : سَبَقَكَ إِلَيْهِ الْمَلَكُ » :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى حرملة ، أنه سمع عمر مولى غفرة يقول : إذا سمعت الله يقول (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) فإنما يريد أستاذهم .
 قال أبو جعفر : وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره ، وهو قوله (وَيَقُولُونَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) حذف يقولون ، كما حذف من قوله (وَكَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ، رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا) بمعنى : يقولون ربنا أبصرنا .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا بيدر أنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم : ذوقوا عذاب الله الذي يحرقكم ، هذا العذاب لكم بما قدمت أيديكم : أي بما كسبت أيديكم من الآثام والأوزار ، واجترحتم من معاصي الله أيام حياتكم ، فذوقوا اليوم العذاب ، وفي معادكم عذاب الحريق ، وذلك لكم بأن الله ليس بظلام للعبيد ، لا يعاقب أحدا من خلقه إلا بجرم اجترمه ، ولا يعذبه إلا بمعصيته إياه ، لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه ، وفي فتح أن من قوله ، (وأن الله) وجهان من الإعراب : أحدهما النصب ، وهو للعطف على « ما » التي في قوله (بِمَا قَدَّمْت) بمعنى ذلك : بما قدمت أيديكم ، وبأن الله ليس بظلام للعبيد في قول بعضهم ، والخفض في قول بعض ، و الآخر الرفع على ذلك بما قدمت ، وذلك أن الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

**كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا أَيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾**

يقول تعالى ذكره : فعل هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا بيدر كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعالهم ، وفعل من كذب بحجج الله ورسله من الأمم الخالية قبلهم ، ففعلنا بهم كفعالنا بأولئك . وقد بينا فيما مضى أن الدأب : هو الشأن والعادة ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثني الجرح ، قال : ثنى عبد العزيز ، قال : ثنا شيبان ، عن جابر ، عن عامر ومجاهد وعطاء (كذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ) : كفعال آل فرعون ، كسفن آل فرعون .
 وقوله (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ) يقول : فعاقبهم الله بتكذيبهم حججه ورسله ، ومعصيتهم ربهم ،

كما عاقب أشكاهم ، والأمم الذين قبلهم (إنَّ اللهَ قَوِيٌّ) لا يغلبه غالب ، ولا يردّ قضاءه رادّ ، ينفذ أمره ، ويمضي قضاءه في خلقه ، شديد عقابه لمن كفر بآياته ، وجحد حججه .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره : وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركي قريش بيد ربذنوبهم ، وفعلنا ذلك بهم ، بأنهم غيروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعائه رسوله منهم ، وبين أظهرهم ، باخراجهم إياه من بينهم ، وتكذيبهم له ، وحرهم إياه ، فغيرنا نعمتنا عليهم باهلاكنا إياهم ، كفعلنا ذلك في الماضين قبلهم ، ممن طغى علينا ، وعصى أمرنا .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (ذلك بأنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) يقول : نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم ، أنعم به على قريش وكفروا ، فنقله إلى الأنصار .

وقوله (وأنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول : لا يخفى عليه شيء من كلام خلقه ، يسمع كلام كل ناطق منهم بخير نطق أو بشر ، عليم بما تضره صدورهم ، وهو مجازيهم ومثيبيهم على ما يقولون ويعملون ، إن خيرا فخييرا ، وإن شرا فشرا .

القول في تأويل قوله تعالى :

كُتِبَ عَلَىٰ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذِبُوا آيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ

وَإِذْ نَادَىٰ فِرْعَوْنَ أَنِ ابْتَغِ بِطَوَائِفِ قَوْمِكَ بِأَدْيُنِكَ مِنَ الْكُفْرَانِ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : غيّر هؤلاء المشركون بالله ، المقتولون بيد ربهم التي أنعم بها عليهم ، بابتعائه محمدا منهم ، وبين أظهرهم ، داعيا لهم إلى الهدى ، بتكذيبهم إياه ، وحرهم له (كذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ) : كسنة آل فرعون وعاداتهم ، وفعلهم بموسى نبي الله في تكذيبهم إياه ، وتصديهم لحربه وعادة من قبلهم من الأمم المكذبة رسالها وصنيعهم (فأهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) بعضا بالرجفة ، وبعضا بالحسف ، وبعضا بالريح (وأغرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) في اليم (وكلُّ كانوا ظالمين) يقول : كل هؤلاء الأمم التي أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله من تكذيبهم رسل الله والحدود لآياته ، فكذلك أهلكنا

هؤلاء الذين أهلكتناهم بيدر ، إذ غيروا نعمة الله عندهم بالقتل بالسيف ، وأذللنا بعضهم بالإسار والسبأ .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره : إن شر ما دب على الأرض عند الله الذين كفروا بربههم ، فجحدوا وحدانيته ، وعبدوا غيره فهم لا يؤمنون ، يقول : فهم لا يصدقون رسل الله ، ولا يقرّون بوحيه وتريبه .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَسْرَفٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره : إن شرّ الدواب عند الله الذين كفروا ، الذين عاهدت منهم يا محمد ، يقول : أخذت عهودهم وموآثيقهم أن لا يحاربوك ، ولا يظاهروا عليك محاربا لك كقريظة ونظرائهم من كان بينك وبينهم عهد وعقد ، ثم ينقضون عهودهم وموآثيقهم ، كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك وظاهروا عليك ، وهم لا يتقون الله ، ولا يخافون في فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم .

كالذى حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ) قال : قريظة مآلثوا على محمد يوم الخندق أعداءه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِذَا تَشَفَّفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْتَهُمْ بِهَمٍّ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإذا تلقين في الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم ، فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة فتأسرهم (فَشَرَّدْتَهُمْ بِهَمٍّ مِّنْ خَلْفِهِمْ) يقول : فافعل بهم فعلا يكون مشردا من خلفهم من نظرائهم من بينك وبينه عهد وعقد ، والتشريد : التطريد والتبديد والتفريق ، وإنما أمر بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بالناقض العهد بينه وبينهم إذا قدر عليهم فعلا يكون إخافة لمن وراءهم ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه عهد ، حتى لا يجترأوا على مثل الذى اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم في هذه الآية من نقض العهد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن عليّ ، عن ابن عباس

قوله : (فِيمَا تَشَقَّفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) يعنى : نكل بهم من بعدهم .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس
(فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) يقول : نكل بهم من وراءهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فِيمَا تَشَقَّفَنَّهُمْ فِي
الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) يقول : عظ بهم من سواهم من الناس .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فِيمَا تَشَقَّفَنَّهُمْ
فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) يقول : نكل بهم من خلفهم من بعدهم من العدو ، لعلهم
يحدرون أن ينكثوا ، فيصنع بهم مثل ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبیر
(فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) قال : أنذر بهم من خلفهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن
ابن عباس ، قال : نكل بهم من خلفهم من بعدهم . قال ابن جريج ، قال عبد الله بن كثير : نكل بهم
من وراءهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فِيمَا تَشَقَّفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ
مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ) : أى نكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون :

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت
الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله (فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) يقول : نكل بهم من بعدهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (فِيمَا تَشَقَّفَنَّهُمْ
فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) قال : أخفهم بما تصنع بهؤلاء ، وقرأ (وَآخِرِينَ مِنْ
دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) .

وأما قوله (لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ) فإن معناه : كى يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم ،
فيحدروا نقض العهد الذى بينك وبينهم ، خوف أن ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء إذا هم نقضوه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : وإمّا تخافنّ يا محمد من عدوّك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده ، وينقض
عقده ويغدر بك ، وذلك هو الخيانة والغدر (فانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ) يقول : فناجزهم بالحرب ،
وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة

منهم ؛ حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب ، فيأخذوا للحرب آلتها ، وتبرأ من الغدر (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به ، فيحاربه قبل إعلامه إياه أنه له حرب ، وأنه قد فاسخه العقد .

فإن قال قائل : وكيف يجوز نقض العهد بخوف الخيانة والخوف ظن لا يقين ؟ قيل : إن الأمر بخلاف ما إليه ذهبت ، وإنما معناه : إذا ظهرت آثار الخيانة من عدوك ، وخفت وقوعهم بك ، فألق إليهم مقاليد السلم ، وآذنتهم بالحرب . وذلك كالذي كان من بني قريظة ، إذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين إلى مظاهرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحاربتهم معه بعد العهد الذي كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة ، ولن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت إجابتهم إياه إلى ذلك موجبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه منهم ، فكذلك حكم كل قوم أهل موادعة للمؤمنين ، ظهر لإمام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذي ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها ، فحُقَّ على إمام المسلمين أن ينبذ إليهم على سواء ، ويؤذنتهم بالحرب . ومعنى قوله (عَلَى سَوَاءٍ) : أي حتى يستوى علمك وعلمهم بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه لاسلم . وقيل : نزلت الآية في قريظة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فانبذ إليهم على سواء) قال قريظة . وقد قال بعضهم : السواء في هذا الموضع : المهمل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : إنه مما تبين لنا أن قوله (فانبذ إليهم على سواء) أنه على مهمل . كما حدثنا بكير عن مقاتل بن حيان في قول الله (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) وأما أهل العلم بكلام العرب ، فإنهم في معناه مختلفون ، فكان بعضهم يقول : معناه : فانبذ إليهم على عدل ، يعني حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة ، واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز :

وَأَضْرِبْ وَجُوهُ الْغُدَّرِ الْأَعْدَاءِ حَتَّى يُجَيِّبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ (١)

يعني إلى العدل . وكان آخرون يقولون : معناه الوسط من قول حسان :

(١) السواء والسوية : العدل والصفة . قال تعالى : « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ » أي عدل . وقال زهير :

أَرُونِي لَنْخُطَّةً لَا عَيْبَ فِيهَا يُسَوِّي بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ

يا وَيَحَ أَنْصَارِ الرَّسُولِ وَرَهْمَتِهِ بَعْدَ الْمُغَيْبِ فِي سَوَاءِ الْمُتَّحِدِ

بمعنى في وسط اللحد ، وكذلك هذه المعاني متقاربة ، لأن العدل وسط لا يعلو فوق الحق ، ولا يقصر عنه ، وكذلك الوسط عدل ، واستواء الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعض المهادنة ، عدل من الفعل ووسط . وأما الذي قاله الوليد بن مسلم من أن معناه المهل ، فما لأعلم له وجهها في كلام العرب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ) بكسر الألف من « إنهم - وبالتاء في « تحسبن - ، بمعنى : ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقونا ففاتونا بأنفسهم ، ثم ابتدئ الخبر عن قدرة الله عليهم ، فقيل : إن هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم إذا طلبهم وأراد تعذيبهم وإهلاكهم بأنفسهم ، فيفوتوه بها . وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالياء في يحسبن ، وكسر الألف من - إنهم - ، وهي قراءة غير حميدة لمعنيين : أحدهما خروجهما من قراءة القراء وشذوذها عنها ، والآخر بعدها من فصيح كلام العرب ، وذلك أن يحسب يطلب في كلام العرب منصوبا ، وخبره كقوله : عبد الله يحسب أخاك قائما ويقوم وقام ، فقارى هذه القراءة أصح يحسب خبرا لغير خبر عنه مذكور ، وإنما كان مراده بطى ، ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم لا يعجزوننا ، فلم يفكر في صواب مخرج الكلام وسقمه ، واستعمل في قراءته ذلك كذلك ما ظهر له من مفهوم الكلام ، وأحسب أن الذى دعاه إلى ذلك الاعتبار بقراءة عبد الله ، وذلك أنه فيما ذكر في مصحف عبد الله (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ) وهذا فصيح صحيح إذا أدخلت أنهم في الكلام ، لأن يحسبن عاملة في أنهم ، وإذا لم يكن في الكلام أنهم كانت خالية من اسم تعمل فيه . وللذى قرأ من ذلك من القراء وجهان في كلام العرب ، وإن كانا بعيدين من فصيح كلامهم : أحدهما أن يكون أريد به : ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا ، أو أنهم سبقوا ، ثم حذف أن وأنهم ، كما قال جل ثناؤه (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) بمعنى : أن يرينكم ، وقد ينشد في نحو ذلك بيت لذي الرمة :

أظنَّ ابنَ طرثوثٍ عَيْبِنَةُ ذَاهِبًا بِعَادِيَّتِي تَكْذَابُهُ وَجَعَائِلُهُ ١

بمعنى : أظن ابن طرثوث أن يذهب بعادييتي تكذابه وجعائله ، وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالياء ، يوجه

(١) البيت لحسان بن ثابت من قصيدة يرثي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . أورده صاحب اللسان في (سوا) شاهدا على أن : سوا الشيء وسواه (بضم السين وكسرها) : وسط . وقال تعالى . « فاطلع فرآه في سواه الجحيم » .

(٢) البيت لذي الرمة (ديوانه طبع كمبردج ١٩١٢ ص ٤٧٣ ، والرواية فيه « لعل » في موضوع « لظن » . وعيينة في موضع عيينة وأشار في هامشه إلى رواية الطبرى هذه . والعادية : بئر اختصاصها فيها . والبئر العادية : هي القديمة تنسب إلى عاد لأنه لا يعلم من حفرها . والجعائل : جمع جمالة وهي ما يجعل للحاكم من الرشا . ورواية المؤلف كرواية الفراء في معاني القرآن ص ١٢١ من مصورة جامعة القاهرة وكلامه في تخريج الإعراب مؤسس على كلام الفراء .

سبقوا إلى سابقين على هذا المعنى . والوجه الثاني على أنه أراد إضمار منصوب يحسب ، كأنه قال : ولا يحسب الذين كفروا أنهم سبقوا ، ثم حذف الهمز وأضمر . وقد وجه بعضهم معنى قوله (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) إنما ذلكم الشيطان يخوف المؤمن من أوليائه ، وأن ذكر المؤمن مضمر في قوله يخوف ، إذ كان الشيطان عنده لا يخوف أوليائه . وقرأ ذلك بعض أهل الشام (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالتَّاءِ مِنْ تَحْسَبَنَّ أَنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَ) بفتح الألف من أنهم ، بمعنى : ولا تحسبن الذين كفروا أنهم لا يعجزون ، ولا وجه لهذه القراءة يعقل إلا أن يكون أراد القارئ بلا التي في يعجزون « لا » التي تدخل في الكلام حشوا وصله .

فيكون معنى الكلام حينئذ : ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون ، ولا وجه لتوجيه حرف في كتاب الله إلى التطويل بغير حجة يجب التسليم لها وله في الصحة مخرج .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندى قراءة من قرأ (لَا تَحْسَبَنَّ) بالتاء (الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا) بكسر الألف من (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) بمعنى : ولا تحسبن أنت يا محمد الذين جحدوا حجج الله وكذبوا بها سبقونا بأنفسهم ، ففاتونا ، إنهم لا يعجزوننا : أى يفوتوننا بأنفسهم ، ولا يقدرون على الهرب منا .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا) بكسر الألف من (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) يقول : لا يفوتون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَالْآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : وأعدوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم الذين بينكم وبينهم عهد ، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله ما استطعتم من قوة ، يقول : ما أطقم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) يقول : تخيفون بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو إدريس ، قال : سمعت أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن

رجل من جهينة يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) « أَلَا إِنَّ الرَّمْيَ هُوَ الْقُوَّةُ ، أَلَا إِنَّ الرَّمْيَ هُوَ الْقُوَّةُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سعيد بن شرحبيل ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، وعبد الكريم بن الحرث ، عن أبي عليّ الهمداني ، أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول : قال الله (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ) ألا وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر « قال الله : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ثَلَاثًا » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محبوب وجعفر بن عون ووكيع وأبو أسامة وأبونعيم ، عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن رجل ، عن عقبة بن عامر الجهني « قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ) فقال : ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، ثلاث مرات » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن رجل ، عن عقبة ابن عامر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ، فذكر نحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن عقبة ابن عامر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا أحمد بن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه محمد بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله بن عبيدة ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن شعبة بن دينار ، عن عكرمة ، في قوله (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) قال : الحصون (وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ) قال : الإناث .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن رجاء بن أبي سلمة ، قال : لقي رجل مجاهدا بمكة ، ومع مجاهد جوائز قال : فقال مجاهد : هذا من القوة ومجاهد يتجهز للغزو .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) من سلاح .

وأما قوله (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) فقال ابن وكيع : حدثنا أبي عن إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة الثقفي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) قال : تخزون به عدو الله وعدوكم .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عثمان ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس (تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) قال : تخزون به عدو الله وعدوكم ، وكذا كان يقرأ بها ترهبون .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة وخصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (تَرْهَبُونَ بِهِ) تخزون به .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله :

يقال منه : أرهبت العدو ورهبتة ، فأنا أرهبه وأرهبه إرهاباً وترهيباً ، وهو الرهب والرهب ، ومنه قول طفيل الغنوي :

وَيْلٌ أَمْ حَتَّى دَفَعْتُمْ فِي نُحُورِهِمْ بَنِي كِلَابٍ غَدَاةَ الرَّعْبِ وَالرَّهَبِ

القول في تأويل قوله تعالى (وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُوهُمْ) الله يَعْلَمُهُمْ :

اختلف أهل التأويل في هؤلاء الآخرين من هم وما هم ، فقال بعضهم : هم بنو قريظة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ) يعني من بنو قريظة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ) قال قريظة .

وقال آخرون من فارس :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُوهُمْ) ، الله يَعْلَمُهُمْ) هؤلاء أهل فارس .

وقال آخرون : هم كل عدو للمسلمين غير الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرّد بهم من خلفهم ، قالوا : وهم المنافقون .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قول الله (فَلَمَّا تَشَقَّفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ

(١) يريد أن عباس كان يقرأ « تخزون » بدل « ترهبون » كما نقله عنه في الكشاف . هـ .

(٢) البيت اطفيل الغنوي (ديوانه طبع ليدن سنة ١٩٢٧) ص ٥٦ ، وهو أحد ثلاثة أبيات يمدح بها بنو جعفر بن كلاب ، يصفهم بالشجاعة وأن من عاداهم فلائمه الويل والشكل . قال : و يروى : لله قوم دفعتم في جنونهم . وأشار محققه إلى أن هذه الرواية في النقائض ص ٥٢٤ ، ورأيها ثمة .

فَشَرَدُوا بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ) قال : أخفهم بهم لما تصنع بهؤلاء ، وقرأ (وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) قال : هؤلاء المنافقون لاتعلمونهم لأنهم معكم يقولون لا إله إلا الله ويفزون معكم .

وقال آخرون : هم قوم من الجن .

❦ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أمر المؤمنين باعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمي وغير ذلك ورباط الخيل ، ولا وجه لأن يقال : عنى بالقوة معنى دون معنى من معانى القوة ، وقد عمّ الله الأمر بها .

❦ فإن قال قائل : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله « ألا إن القوة الرمي » قيل له : إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك فليس في الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمي خاصة دون سائر معانى القوة عليهم ، فإن الرمي أحد معانى القوة ، لأنه إنما قيل في الخبر « ألا إن القوة الرمي » ولم يقل دون غيرها . ومن القوة أيضا السيف والرمح والحربة ، وكل ما كان معونة على قتال المشركين ، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم ، هذا مع وهى سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله (وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمْ) فإن قول من قال : عنى به الجن أقرب ، وأشبه بالصواب ، لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) الأمر بارتباط الخيل لإرهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم ، ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم ، لعلمهم بأنهم مشركون ، وأنهم لهم حرب ، ولا معنى لأن يقال : وهم يعلمونهم لهم أعداء ، وآخرين من دونهم لاتعلمونهم ، ولكن معنى ذلك : إن شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل عدو الله وأعداءكم من بنى آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم لكفرهم بالله ورسوله ، وترهبون بذلك جنسا آخر من غير بنى آدم ، لاتعلمون أماكنهم وأحوالهم ، الله يعلمهم دونكم ، لأن بنى آدم لا يرونهم . وقيل : إن صهيل الخيل يرهب الجن ، وإن الجن لاتقرب دارا فيها فرس .

❦ فإن قال قائل : فإن المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون ، فما تنكر أن يكون عنى بذلك المنافقون؟ قيل : فإن المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم ، وإنما كان يروعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التي كانوا يستترون من الكفر ، وإنما أمر المؤمنون باعداد القوة لإرهاب العدو ، فأما من لم يرهبه ذلك ، فغير داخل في معنى من أمر باعداد ذلك له المؤمنون ، وقيل لاتعلمونهم ، فاكتفى للعلم بمنصوب واحد في هذا الموضع ، لأنه أريد لاتعرفونهم ، كما قال الشاعر :

فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَاتِ الْوَعْدِ وَأَنَا سَوْفَ بِبَيْتِهِ كَاتِبٌ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾
يقول تعالى ذكره: وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة في شراء آلة حرب من سلاح أو حراب، أو كراع، أو غير ذلك من النفقات في جهاد أعداء الله من المشركين يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويدخر لكم أجوركم على ذلك عنده، حتى يوفيكوها يوم القيامة (وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) يقول: يفعل ذلك بكم ربكم، فلا يضيع أجوركم عليه.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ): أي لا يضيع لكم عند الله أجره في الآخرة، وعاجل خلفه في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإما تخافن من قوم خيانة وغدرا، فانبذ إليهم على سواء، وأذنهم بالحرب (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا) وإن مالوا إلى مسالمتك، ومطاركتك الحرب، إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادعة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح (فاجنح لها) يقول: فقل إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه، يقال منه: جنح الرجل إلى كذا يجنح إليه جنوحا، وهي لتميم وقيس فيما ذكر عنها، تقول: يجنح بضم النون. وآخرون: يقولون: يجنح بكسر النون، وذلك إذا مال، ومنه قول نابغة بنى ذبيان:

جَوَانِحَ قَدَّ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانَ أَوَّلُ غَالِبٍ ٢

جوانح: موائل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

(١) البيت للنمر بن تولب أورده الزمخشري في المفصل في باب ما يضاف إليه «كلا» قال: وحق ما يضاف إليه «كلا» أن يكون معرفة ومثنى، أو ما هو في معنى المثنى، كقوله: . . . البيت. وفي (اللسان: علمت): وعلمت يتعدى إلى مفعولين، تقول علمت عبد الله عاقلا. ويجوز أن تقول: علمت الشيء، بمعنى: عرفته وخبرته. (ولم يورد له شاهدا).

(٢) البيت للنابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي ص ١٦١ وهو الثالث عشر من قصيدة يمدح بها الحارث الأعرج النسائي وجوانح: جمع جانح. وهو منصوب على الحال من عصائب الطير في بيت قبله. ومعناه أن الطير ترتقب غزوة هذا الملك، لتشيع من فرائسه حالة كونهن جوانح أي مائلات متهيئات للوقوع على الفرائس. وفي تاج العروس: جنح إليه يجنح، كيمع على القياس: لغة تميم، وهي الفصيحة، ويجنح بالضم: لغة قيس، ويجنح بالكسر، وقد قرئ بها شاذا كما في المحتسب وغيره نقله شيخنا، جنوحا، بالضم: مال، قال الله عز وجل: وإن جنحوا للسلم فاجنح لها، أي إن مالوا إليها فقل إليها، والسلم: المصالحة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ) قال : للصلح ، ونسخها قوله (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ) إلى الصلح (فَاجْنَحْ لَهَا) قال : وكانت هذه قبل براءة ، كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم إلى أجل ، فإما أن يسلموا ، وإما أن يقاتلوا ، ثم نسخ ذلك بعد في براءة ، فقال (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وقال (قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) ونبذ إلى كل ذي عهد عهده ، وأمره بقتالهم ، حتى يقولوا لا إله إلا الله ويسلموا ، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك ، وكل عهد كان في هذه السورة وفي غيرها ، وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به فإن براءة جاءت بنسخ ذلك ، فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى ، قالا (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا) نسختها الآية التي في براءة قوله (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) . . . إلى قوله (وَهُمْ صَاغِرُونَ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا) يقول : وإن أرادوا الصلح فأرده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا) : أى إن دعوك إلى السلم إلى الإسلام ، فصالحهم عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا) قال : فصالحهم ، قال : وهذا قد نسخه الجهاد .

فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله من أن هذه الآية منسوخة ، فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل . وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره ، على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفي حكم المنسوخ من كل وجه ، فأما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخا ، وقول الله في براءة (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) غير ناف حكمه قوله (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا) لأن قوله (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ) إنما عني به بنو قريظة ، وكان اليهود أهل كتاب ، وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ، ومشاركتهم الحرب ، على أخذ الجزية منهم ، وأما قوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) فإنما عني به مشركو العرب من عبدة الأوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم ، فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى ، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ) قال : قريظة .

وأما قوله (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يقول : فوَضَّ إِلَى اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ أَمْرَكَ ، وَاسْتَكْفَهُ وَاثْقَا بِهِ أَنَّهُ يَكْفِيكَ . كالذي حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) إِنْ اللَّهُ كَافِيكَ . وقوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يَعْنِي بِذَلِكَ : إِنْ اللَّهُ الَّذِي تَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ سَمِيعٌ لِمَا تَقُولُ أَنْتَ ، وَمَنْ تَسَالَمَهُ وَتَتَارَكَهُ الْحَرْبُ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَائِكَ عِنْدَ عَقْدِ السَّلْمِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، وَيَشْرَطُ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ الشَّرْطِ ، وَالْعَلِيمُ بِمَا يَضْمُرُهُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ لِلْفَرِيقِ الْآخَرَ مِنَ الْوَفَاءِ بِمَا عَاقَدَهُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ الْمَضْمُرِ ذَلِكَ مِنْكُمْ فِي قَلْبِهِ ، وَالْمَنْظُورِ عَلَى خِلَافِهِ لِصَاحِبِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : وَإِنْ يَرِدُ يَا مُحَمَّدُ هَوَاءَ الَّذِينَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ تَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سِوَاءِ ، إِنْ خَفَتْ مِنْهُمْ خِيَانَةٌ ، وَبِمَسَالِمِهِمْ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ خِدَاعَكَ وَالْمَكْرَ بِكَ (فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ) يَقُولُ : فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَهُمْ وَكَافِيكَ خِدَاعَهُمْ إِيَّاكَ ، لِأَنَّهُ مُتَكَفِّلٌ بِإِظْهَارِ دِينِكَ عَلَى الْأَدْيَانِ ، وَمَتَضَمَّنُ أَنْ يَجْعَلَ كَلِمَتَهُ الْعَلِيًّا ، وَكَلِمَةَ أَعْدَائِهِ السُّفْلَى (هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ) يَقُولُ : اللَّهُ الَّذِي قَوَّاهُ بِنَصْرِهِ إِيَّاكَ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ : يَعْنِي بِالْأَنْصَارِ .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ) قَالَ : قَرِيظَةٌ . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ) هُوَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ) قَالَ : بِالْأَنْصَارِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

يريد جل ثناؤه بقوله (وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) وَجَمَعَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخِزْرَجِ بَعْدَ التَّفَرُّقِ وَالتَّشْتِتِ عَلَى دِينِهِ الْحَقِّ ، فَصَيَّرَهُمْ بِهِ جَمِيعًا بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَشْتَاتًا ، وَإِخْوَانًا ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَعْدَاءً . وقوله (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ

صلى الله عليه وسلم : لو أنفقت يا محمد ما في الأرض جميعاً من ذهب وورق وعرض ، ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك ، ولكن الله جمعها على الهدى ، فائتلفت واجتمعت تقوية من الله لك وتأيداً منه ، ومعونة على عدوك ، يقول جل ثناؤه : والذي فعل ذلك ، وسببه لك ، حتى صاروا لك أعواناً وأنصاراً ويدا واحدة على من بغاك سوءاً هو الذي إن رام عدوً منك مرأماً يكفيك كيده ، وينصرك عليه ، فثق به وامض لأمره ، وتوكل عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وألّف بين قلوبهم) قال : هؤلاء الأنصار ألف بين قلوبهم من بعد حرب فيما كان بينهم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن بشير بن ثابت رجل من الأنصار ، أنه قال في هذه الآية (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم) يعني الأنصار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وألّف بين قلوبهم) على الهدى الذي بعثك به إليهم (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم) بدينه الذي جمعهم عليه ، يعني الأوس والخزرج .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إبراهيم الجزري ، عن الوليد بن أبي مغيث ، عن مجاهد قال : إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما ، قال : قلت لمجاهد : بمصافحة يغفر لهما ؟ فقال مجاهد : أما سمعته يقول (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم) فقال الوليد لمجاهد : أنت أعلم مني . حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا الوليد ، عن أبي عمرو ، قال : ثنا عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد ولقيته وأخذ بيدي ، فقال : إذا تراءى المتحابان في الله ، فأخذ أحدهما بيد صاحبه ، وضحك إليه ، تحات خطاياهما كما يتحات ورق الشجر ، قال عبدة : فقلت له : إن هذا ليسير ، قال : لا تقل ذلك ، فإن الله يقول (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم) قال عبدة : فعرفت أنه أفقه مني .

حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا فضيل بن غزوان ، قال : أتيت أبا إسحاق ، فسلمت عليه فقلت : أتعرفني ؟ فقال فضيل : نعم لولا الحياء منك لقبلتك .

حدثني أبو الأحوص ، عن عبد الله ، قال : نزلت هذه الآية في المتحابين في الله (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن عمير بن إسحاق ، قال : كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس ، أو قال عن الناس : الألفة :

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، عن الأوزاعي ، قال : ثنا عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد ، ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم ، عن الوليد : حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة وابن نمير وحفص بن غياث ، عن فضيل بن غزوان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : سمعت عبد الله يقول (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) . . . الآية ، قال : هم المتحابون في الله . وقوله (إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يقول : إن الله الذي ألف بين قلوب الأوس والخزرج بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما ، وجعلهم لك أنصارا عزيز لا يقهره شيء ، ولا يرد قضاءه راداً ، ولكنه ينفذ في خلقه حكمه ، يقول : فعليه فتوكل ، وبه فتق ، حكيم في تدبير خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبي حَسْبُكَ اللَّهُ ، وحسب من اتبعك من المؤمنين الله ، يقول لهم جل ثناؤه : ناهضوا عدوكم ، فإن الله كافيكم أمرهم ، ولا يهولنكم كثرة عددهم ، وقلة عددكم ، فإن الله مؤيدكم بنصره . وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا سفيان ، عن شوذب بن معاذ ، عن الشعبي في قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : حَسْبُكَ اللَّهُ وحسب من اتبعك من المؤمنين الله .

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن شوذب ، عن الشعبي ، في قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : حَسْبُكَ اللَّهُ وحسب من معك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن شوذب ، عن عامر ، بنحوه ، إلا أنه قال : حَسْبُكَ اللَّهُ ، وحسب من شهد معك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد ، في قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال : يا أيها النبي حَسْبُكَ اللَّهُ وحسب من اتبعك من المؤمنين ، أن حَسْبُكَ أنت وهم الله ، فمن من قوله (وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) على هذا التأويل الذي ذكرناه عن الشعبي نصب عطفاً على معنى الكاف في قوله (حَسْبُكَ اللَّهُ) لا على لفظه ، لأنها في محل خفض في الظاهر ، وفي محل نصب في المعنى ، لأن معنى الكلام يكفيك الله ، ويكفي من اتبعك من المؤمنين . وقد قال بعض

أهل العربية في « من » : إنها في موضع رفع على العطف على اسم الله ، كأنه قال : حسبك الله ، ومتبعوك إلى جهاد العدو من المؤمنين ، دون القاعدین عنك منهم ، واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله (حرّض المؤمنین على القتال) .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنَّمَا لَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (يا أيها النبي حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) حُتَّ متبعيك ومصديقك على ما جئتهم به من الحق على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ) رجلا (صَابِرُونَ) عند لقاء العدو ، يحتسبون أنفسهم ويثبتون لعدوهم (يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) من عدوهم ويقهروهم (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ) عند ذلك (يَغْلِبُوا) منهم (أَلْفًا) ، (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) يقول : من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ، ولا لطلب أجر ولا احتساب ، لأنهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتسابا ، وطلب موعودا لله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله ، فهم لا يثبتون إذا صدقوا في اللقاء خشية أن يقتلوا ، فتذهب دنياهم ، ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين ، إذ علم ضعفهم فقال لهم : (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) يعني أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفا (فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ) عند لقاءهم للثبات لهم (يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) منهم (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ) منهم (بِإِذْنِ اللَّهِ) يعني بتخليفة الله إياهم لغلبتهم ومعونته إياهم (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) لعدوهم ، وعدو الله احتسابا في صبره ، وطلبا لجزيل الثواب من ربه ، بالغون منه له ، والنصر عليه .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن مجيب ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن عطاء في قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) قال : كان الواحد لعشرة ، ثم جعل الواحد باثنين لا ينبغي له أن يفرّ منهما .

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا أنس ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : جعل على المسلمين على الرجل عشرة من الكفار ، فقال (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ

يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) فخفض ذلك عنهم ، فجعل على الرجل رجلا ، قال ابن عباس : فما أحب أن يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، ثنا عبد الله بن أبي نجيح المكني ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مثتين ، ومئة ألفا ، فخفض الله عنهم ، ففسخها بالآية الأخرى ، فقال (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ) قال : وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغي لهم أن يفرّوا منهم ، وإن كانوا دون ذلك لم يجب عليهم أن يقاتلوا ، وجزاز لهم أن يتحوزوا عنهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) قال : كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغي له أن يفرّ منهم ، فكانوا كذلك حتى أنزل الله (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين ، ففسخ الأمر الأول ، وقال مرة أخرى في قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار ، فشق ذلك على المؤمنين ورحمهم الله ، فقال (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بَاذِنَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) . . . إلى قوله (بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَتَفَقَهُونَ) وذلك أنه كان جعل على كل رجل من المسلمين عشرة من العدو يؤشبههم ، يعني يغريهم بذلك ، ليوطنوا أنفسهم على الغزو ، وإن الله ناصرهم على العدو ، ولم يكن أمرا عزمه الله عليهم ولا أوجبه ، ولكن كان تحريضا ، ووصية أمر الله بها نبيه ، ثم خفض عنهم فقال (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) فجعل على كل رجل رجلين بعد ذلك تخفيفا ، ليعلم المؤمنون أن الله بهم رحيم ، فتوكلوا على الله ، واصبروا وصدقوا ولو كان عليهم واجبا الغزو إذن ، بعد كل رجل من المسلمين عمن لقي من الكفار إذا كانوا أكثر منهم فلم يقاتلوهم ، فلا يغرنك قول رجال ، فإنني قد سمعت رجلا يقولون : إنه لا يصلح لرجل من المسلمين أن يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان ، وحتى يكون على كل رجلين أربعة ، ثم بحسب ذلك ، وزعموا أنهم يعصون الله إن قاتلوا حتى يبلغوا عدة ذلك ، وإنه لا حرج عليهم أن لا يقاتلوا حتى يبلغوا عدة أن يكون على كل رجل رجلان ، وعلى كل رجلين أربعة ، وقد قال الله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) وقال الله (فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،

لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَحَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ) فهو التحريض الذي أنزل الله عليهم في الأنفال ، فلا يعجزك قائل : قد سقطت بين ظهري أناس كما شاء الله أن يكونوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحصين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن قالا : قال في سورة الأنفال (إِنْ يَكُنْ مِنْهُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) ثم نسخ فقال (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) . . . إلى قوله (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عكرمة ، في قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ) قال : واحد من المسلمين وعشرة من المشركين ، ثم خفف عنهم ، فجعل عليهم أن لا يفر رجل من رجلين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ) . . . إلى قوله (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ) قال : هذا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، جعل على الرجل منهم عشرة من الكفار ، فضجوا من ذلك ، فجعل على الرجلين تخفيفا من الله .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار وأبي معبد عن ابن عباس ، قال : إنما أمر الرجل أن يصبر نفسه لعشرة ، والعشرة لمئة إذ المسلمون قليل ؛ فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم ، فأمر الرجل أن يصبر لرجلين ، والعشرة للعشرين ، والمئة للمئتين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ) قال : كان فرض عليهم إذا لقي عشرون مثنين أن لا يفرّوا فإنهم إن لم يفرّوا غلبوا ، ثم خفف الله عنهم ، وقال (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ) فيقول : لا ينبغي أن يفرّ ألف من ألفين ، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ) جعل الله على كل رجل رجلين ، بعد ما كان على كل رجل عشرة ، وهذا الحديث عن ابن عباس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن جرير بن حازم ، عن الزبير بن الخريت ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، كان فرض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ، قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا)

فشق ذلك عليهم ، فأنزل الله التخفيف ، فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين ، قوله (إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين) فخفف الله عنهم ، ونقصوا من الصبر بقدر ذلك .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (إن يكن منكم عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُونَ مِائَتَيْنِ) يقول : يقاتلوا مئتين ، فكانوا أضعف من ذلك ، فسخها الله عنهم ، فخفف فقال (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين) فجعل أول مرة الرجل عشرة ، ثم جعل الرجل لاثنين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إن يكن منكم عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُونَ مِائَتَيْنِ) قال : كان فرض عليهم إذا لقي عشرون مئتين أن لا يفرّوا ، فإنهم إن لم يفرّوا غلبوا ، ثم خفف الله عنهم ، فقال (إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين) وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) فيقول : لا ينبغي أن يفرّ ألف من ألفين ، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال كان هذا واجبا أن لا يفرّ واحد من عشرة .

وبه قال : أخبرنا الثورى ، عن ليث ، عن عطاء ، مثل ذلك .

وأما قوله (بَلَّغْتُمْ قَوْمًا لَّا يَفْقَهُونَ) فقد بينا تأويله .

وكان ابن إسحاق يقول في ذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (بَلَّغْتُمْ قَوْمًا لَّا يَفْقَهُونَ) : أى لا يقاتلون على نية ، ولا حق فيه ، ولا معرفة لخير ولا شر .

وهذه الآية ، أعنى قوله (إن يكن منكم عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُونَ مِائَتَيْنِ) وإن كان مخرجها مخرج الخبر ، فإن معناها الأمر ، يدل على ذلك قوله (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ) فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل ، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمئة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندبا لم يكن للتخفيف وجه ، لأن التخفيف إنما هو ترخيص فى ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو ، وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدما ، لم يكن للترخيص وجه ، إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد . وإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن حكم قوله (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) ناسخ لحكم قوله (إن يكن منكم عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُونَ مِائَتَيْنِ) ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) ، وقد بينا فى كتابنا [لطيف البيان عن أصول الأحكام] أن كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثوابا وجزاء ، وعلى تركه عقابا وعذابا ، وإن لم يكن خارجا ظاهره مخرج الأمر ، فى معنى الأمر بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) فقراه بعض المدنيين وبعض البصريين (وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) بضم الضاد فى جميع القرآن ، وتنوين الضعف على المصدر من ضعف الرجل ضعفا . وقرأ

ذلك عامة قرآء الكوفيين (وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) بفتح الضاد على المصدر أيضا من ضعف . وقرأه بعض المدنيين ضَعْفَاءَ على تقدير فعلاء ، جمع ضعيف على ضعفاء كما يجمع الشريك شركاء ، والرحيم رحماء . ❖ وأولى القراءة في ذلك بالصواب قراءة من قرأه : وعلم أن فيكم ضعفا وضعفا ، بفتح الضاد أو ضمها ، لأنهما القراءتان المعروفتان ، وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب . فأما قراءة من قرأ ذلك ضَعْفَاءَ فإنها عن قراءة القراء شاذة ، وإن كان لها في الصحة مخرج ، فلا أحب لقارئ القراءة بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ما كان لنبي أن يحتبس كافرا قدر عليه ، وصار في يده ، من عبادة الأوثان للفداء أو للمن ، والأسرى في كلام العرب : الحبس يقال منه : مأسور ، يراد به : محبوس ، ومسموع منهم : أناله لله أسرا ، وإنما قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه أن قتل المشركين الذين أسره صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، ثم فادى بهم كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم .

وقوله (حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) يقول : حتى يبالغ في قتل المشركين فيها ، ويقهرهم غلبة وقسرا ، يقال منه : أشخن فلان في هذا الأمر إذا بالغ فيه ، وحكى أئخته معرفة ، بمعنى : قتلته معرفة (تريدون) : يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا بأسركم المشركين ، وهو ما عرض للمرء منها من مال ومتاع ، يقول : تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطعمها (وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) يقول : والله يريد لكم زينة الآخرة ، وما أعد للمؤمنين وأهل ولايته في جناته بقتلكم إياهم ، وإثخانكم في الأرض ، يقول لهم : واطلبوا ما يريد الله لكم ، وله اعملوا لاما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) يقول : إن أنتم أردتم الآخرة لم يغلبكم عدو لكم ، لأن الله عزيز لا يقهر ولا يغلب ، وإنه (حَكِيمٌ) في تدبيره أمر خلقه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) وذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل ، فلما كثروا ، واشتد سلطانهم ، أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الأسارى (فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ) فجعل الله النبي والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار ، إن شاءوا قتلوهم ، وإن شاءوا استعبدوهم وإن شاءوا فادوهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كان لِنَسَبِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا) . . . الآية ، قال : أراد أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الفداء ، ففادوهم بأربعة آلاف ، ولعمري ما كان أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، وكان أول قتال قاتله المشركين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن مجاهد ، قال : الإثنان : القتل . حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (ما كان لِنَسَبِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) قال : إذا أسرتهم فلا تفادوهم حتى تشحنوا فيهم القتل .

قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد (ما كان لِنَسَبِيَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى) . . . الآية ، نزلت الرخصة بعد إن شئت فن ، وإن شئت ففاد . حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (ما كان لِنَسَبِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) يعني : الذين أسروا بيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (ما كان لِنَسَبِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى) من من عدوه (حتى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) : أي يشخن عدوه ، حتى ينفهم من الأرض (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا) : أي المتاع والفداء بأخذ الرجال (وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) بقتلهم لظهور الدين الذي يريدون إطفاءه ، الذي به تدرك الآخرة .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن عمرو ، بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : « لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأن بهم ، لعل الله أن يتوب عليهم ، وقال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخرجوك ، قدّمهم فاضرب أعناقهم . وقال عبد الله ابن رواحة : يا رسول الله ، انظر واديا كثير الحطب ، فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم نارا ، قال : فقال له العباس : قطعت رحمك ، قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ، ثم دخل فقال ناس " يأخذُ بقول أبي بكر ، وقال : ناس " يأخذُ بقول عمر ، وقال : ناس " يأخذُ بقول عبيد الله بن رواحة ، ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألّس من اللّس ، وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة ؛ وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم ، قال : (من تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم) ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ، قال : (إن تعدّبهم فإنهم عبادك) . . . الآية ، ومثلك يا عمر مثل نوح قال (رب لا تدرك على الأرض من الكافرين ديارا) ،

وَمَثَلُكَ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ كَمَثَلِ مُوسَى ، قَالَ (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ، وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَسْرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْتُمْ الْيَوْمَ عَالَةٌ ، فَلَا يَنْفَلِينَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبِ عُنُقٍ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : إِلَّا سَهِيلَ ابْنَ بَيْضَاءَ ، فَإِنِّي سَمِعْتَهُ يَذُكُرُ الْإِسْلَامَ ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا رَأَيْتَنِي فِي يَوْمٍ أَخُوفُ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ الْحِجَارَةُ مِنَ السَّمَاءِ مِنِّي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِلَّا سَهِيلَ ابْنَ بَيْضَاءَ ، قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) ... إِلَى آخِرِ الثَّلَاثِ الْآيَاتِ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عكرمة بن عمار ، قال : ثنا أبو زميل ، قال : ثنا عبد الله بن عباس ، قال : لما أسروا الأسارى يعني يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ ؟ » قال : ما ترون في الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله هم بنو العجم والعشيرة ، وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم للإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الحطَّابِ ؟ فقال : لا والذي لا إله إلا هو ما أرى الذي رأى أبو بكر يا نبي الله ، ولكن أرى أن تمكنا منهم ، فتمكن عليا من عقيل ، فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من العباس ، فيضرب عنقه ، وتمكني من فلان نسيب لعمر ، فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت . قال عمر : فلما كان من الغد جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان ، فقلت : يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكي للذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء ، ولقد عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة ، لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ) . . . إلى قوله (حَلَالًا طَيِّبًا) وأحلَّ الله الغنيمة لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى ذكره لأهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الأسرى الفداء (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ يَقُولُ : لَوْلَا قَضَاءٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَكُمْ أَهْلُ بَدْرٍ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بِأَنَّ اللَّهَ مَحَلُّ لِكُمُ الْغَنِيمَةِ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَضَى فِيمَا قَضَى ، أَنَّهُ لَا يَضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ، وَأَنَّهُ لَا يَعَذِّبُ أَحَدًا شَهِدَ الْمَشْهَدَ الَّذِي شَهِدْتُمُوهُ بِبَدْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاصِرًا دِينَ اللَّهِ لِنَالِكُمْ مِّنَ اللَّهِ بِأَخْذِكُمُ الْغَنِيمَةَ وَالْفِدَاءَ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

وبتحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) . . . الآية ، قال : إن الله كان مطعم هذه الأمة الغنيمة ، وإنهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به ، قال : فعاب الله ذلك عليهم ، ثم أحله الله .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قول الله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) . . . الآية ، وذلك يوم بدر أخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المغنم والأسارى قبل أن يؤمروا به ، وكان الله تبارك وتعالى قد كتب فى أم الكتاب المغنم والأسارى حلال لمحمد وأمته ، ولم يكن أحله لأمة قبلهم ، وأخذوا المغنم ، وأسروا الأسارى قبل أن ينزل إليهم فى ذلك ، قال الله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) يعنى فى الكتاب الأول أن المغنم والأسارى حلال لكم (لمسكم) فيما أخذتم عذاب عظيم) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) . . . الآية ، وكانت الغنائم قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فى الأمم إذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان ، وحرّم الله عليهم أن يأكلوا منه قليلا أو كثيرا ، حرّم ذلك على كل نبي ، وعلى أمته ، فكانوا لا يأكلون منه ، ولا يغنون منه ، ولا يأخذون منه قليلا ولا كثيرا ، إلا عذبهم الله عليه ، وكان الله حرمه عليهم تحريما شديدا ، فلم يحله لنبي إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكان قد سبق من الله فى قضائه إن المغنم له ولأمته حلال ، فذلك قوله يوم بدر فى أخذ الفداء من الأسارى (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عروة ، عن الحسن (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) قال : إن الله كان معطى هذه الأمة الغنيمة ، وفعلوا الذى فعلوا قبل أن تحل الغنيمة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الأعمش ، فى قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) قال : سبق من الله أن أحل لهم الغنيمة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن بشير بن ميمون ، قال : سمعت سعيدا يحدث عن أبي هريرة ، قال : قرأ هذه الآية (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قال : يعنى : لولا أنه سبق فى علمى أنى سأحل الغنائم ، لمسكم فيما أخذتم من الأسارى عذاب عظيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، وأبو معاوية ، بنحوه ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا أُحِلَّتِ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ سِوَايَ الرَّءُوسِ »

مِنْ قَبْلِكُمْ ، كَانَتْ تَنْزِيلُ نَارٍ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلُهَا ، حَتَّى كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي الْغَنَائِمِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ) ... حَتَّى بَلَغَ (حَلَالًا طَيِّبًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه ، قال : فلما كان يوم بدر أسرع الناس في الغنائم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث بن سوار ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : أسر المسلمون من المشركين سبعين ، وقتلوا سبعين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخْتَارُوا أَنْ تَأْخُذُوا مِنْهُمْ الْفِدَاءَ فَتَقْوُوا بِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَإِنْ قَبِلْتُمُوهُ قُتِلَ مِنْكُمْ سَبْعُونَ ، أَوْ تَقْتُلُوهُمْ ، فَقَالُوا : بَلْ نَأْخُذُ الْفِدْيَةَ مِنْهُمْ ، وَقَتْلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ . قَالَ عُبَيْدَةُ : وَطَلَبُوا الْخَيْرَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث بن سيرين ، عن عبيدة ، قال : كان فداء أسارى بدر : مئة أوقية ، والأوقية أربعون درهما ، ومن الدنانير : ستة دنانير .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، أنه قال في أسارى بدر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ ، وَاسْتَشْهَدَ مِنْكُمْ بَعْدَ تَيْهِمْ ، فَقَالُوا : بَلَى ، نَأْخُذُ الْفِدَاءَ فَتَسْتَمْتَعُ بِهِ ، وَيَسْتَشْهَدُ مِنْكُمْ بَعْدَهُمْ .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا همام بن يحيى ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : أمر عمر رضي الله عنه بقتل الأسارى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحالك يقول في قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ) قال : كان المغنم محرما على كل نبي وأمه ، وكانوا إذا غنموا يجعلون المغنم لله قربانا تأكله النار ، وكان سبق في قضاء الله وعلمه أن يحل المغنم لهذه الأمة يأكلونه في بطونهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن قول الله (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ) قال : كان في علم الله أن تحل لهم الغنائم ، فقال : لولا كتاب من الله سبق بأنه أحل لكم الغنائم ، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

وقال آخرون : معنى ذلك : لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن لا يعذبهم لمسهم عذاب عظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ) قال : لأهل بدر من السعادة .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) لأهل بدر مشهدهم .
 حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) قال : سبق من الله خير لأهل بدر .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) كان سبق لهم من الله خير ، وأحل لهم الغنائم :
 حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) قال : سبق أن لا يعذب أحدا من أهل بدر .
 حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) لأهل بدر ومشهدهم إياه .
 حدثني يونس ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل أن أحلها لكم ، فقال : سبق من الله العفو عنهم ، والرحمة لهم ؛ سبق أنه لا يعذب المؤمنين ، لأنه لا يعذب رسوله ، ومن آمن به ، وهاجر معه ونصره .
 وقال آخرون : معنى ذلك : لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤخذ أحدا بفعل أتاه على جهالة ، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) لأهل بدر ومشهدهم إياه ، قال : كتاب سبق لقوله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) سبق ذلك وسبق أن لا يؤخذ قوما فعلوا شيئا بجهالة (لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ) قال ابن جريج : قال ابن عباس : فيما أخذتم مما أسرتم ثم قال بعد : (فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ) .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : عاتبه في الأسارى ، وأخذ الغنائم ، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنما من عدو له .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، قال : ثنى أبو سلمة ، عن محمد ، قال : ثنى أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَجِئِلْتُ إِلَى الْأَرْضِ مُسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَكَمْ تَحِلُّ لِنَبِيِّ كَانَتْ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، خَمْسٌ لَمْ يُؤْتَهُنَّ نَبِيٌّ كَانَتْ قَبْلِي » .
 قال محمد : فقال (مَا كَانَ لِنَبِيِّ) أى قبلك (أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى) . . . إلى قوله (لَوْلَا كِتَابٌ

مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أُخِذْتُمْ) أى من الأسارى والمغانم (عَذَابٌ عَظِيمٌ) : أى لولا أنه سبق منى أن لا أعذب إلا بعد النهى ، ولم أكن نهيتكم لعذبتكم فيما صنعتم ، ثم أحلها له ولهم رحمة ونعمة ، وعائدة من الرحمن الرحيم .

❦ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ما قد بيناه قبل ، وذلك أن قوله (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) خبر عام غير محصور على معنى دون معنى ، وكل هذه المعانى التى ذكرتها عن ذكرى مما قد سبق فى كتاب الله أنه لا يؤخذ بشيء منها هذه الأمة ، وذلك ما عملوا من عمل بجهالة ، وإحلال الغنيمة والمغفرة لأهل بدر ، وكل ذلك مما كتب لهم . وإذ كان ذلك كذلك فلا وجه لأن يخص من ذلك معنى دون معنى ، وقد عمّ الله الخبر بكل ذلك بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : لم يكن من المؤمنين أحد ممن نصر إلا أحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب ، جعل لا يلقى أسيرا إلا ضرب عنقه وقال : يا رسول الله مالنا وللغنائم ، نحن قوم نجاهد فى دين الله ، حتى يعبد الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْ عَذَّبْنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ يَا عُمَرُ مَا نَجَا غَيْرُكَ . قال الله : لا تعودوا تستحلون قبل أن أحل لكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : لما نزلت (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) . . . الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِّنَ السَّمَاءِ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ إِلَّا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ . لقوله : يا نبي الله كان الإثنان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾

❦ يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر : فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين حلالا باحلاله لكم طيبا (وَاتَّقُوا اللَّهَ) يقول : وخافوا الله أن تعودوا أن تفعلوا فى دينكم شيئا بعد هذه من قبل أن يعهد فيه إليكم ، كما فعلتم فى أخذ الفداء وأكل الغنيمة ، وأخذتموها من قبل أن يحل لكم (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم .

وتأويل الكلام : فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ، إن الله غفور رحيم ، واتقوا الله ، ويعنى بقوله (إن الله غفور) لذنوب أهل الإيمان من عباده (رحيم) بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ

مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبى ، قل لمن فى يديك وفى يدي أصحابك من

أسري المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ إن يعلم الله في قلوبكم خيرا ، يقول : إن يعلم الله في قلوبكم إسلاما يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) يقول : ويصفح لكم عن عقوبة جرمكم الذي اجترتموه بقتالكم نبي الله وأصحابه ، وكفركم بالله (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لذنوب عباده إذا تابوا (رَحِيمٌ) أن يعاقبهم عليها بعد التوبة . وذكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول : في نزلت هذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبي إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : قال العباس : في نزلت (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامي ، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني فأبي ، فأبدلني الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر ، مالى في يديه .

وقد حدثنا بهذا الحديث ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد ، ثنا الكلبى ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله بن رباب ، قال : كان العباس بن عبد المطلب يقول : في والله نزلت حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامي ، ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى) . . . الآية ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا ، وقد توجها لصلاة الظهر ، فأعطى يومئذ شاكيا ، ولا حرم سائلا ، وما صلى يومئذ حتى فرقه ، وأمر العباس أن يأخذ منه ويحتشى ، فأخذ . قال : وكان العباس يقول : هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة . حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى) . . . الآية ، وكان العباس أسير يوم بدر ، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب ، فقال العباس حين نزلت هذه الآية : لقد أعطاني الله خصلتين ، ما أحب أن لى بهما الدنيا ، إني أسرت يوم بدر ، ففديت نفسي بأربعين أوقية ، فأتاني أربعين عبدا وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى) . . . إلى قوله (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يعنى بذلك من أسير يوم بدر ، يقول : إن عملتم بطاعتي ، ونصحتم لرسولي ، آتيتكم خيرا مما أخذ منكم ، وغفرت لكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى) عباس وأصحابه ، قال : قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : آمنا بما جئت به ، ونشهد أنك لرسول الله ، لننصحن لك على قومنا ، فنزل (إِنْ

يَعْلِمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُوْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ) إيماناً وتصديقاً ، يخلف لكم خيراً مما أصيب منكم (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) الشرك الذي كنتم عليه ، قال : فكان العباس يقول : ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا وأن لي الدنيا ، لقد قال (يُوْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ) فقد أعطاني خيراً مما أخذ مني مئة ضعف ، وقال (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) وأرجو أن يكون قد غفر لي .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى) . . . الآية ، يعني العباس وأصحابه أسروا يوم بدر ، يقول الله : إن عملتم بطاعتي ، ونصحتم لي ولرسولي ، أعطيتكم خيراً مما أخذ منكم ، وغفرت لكم . وكان العباس بن عبد المطلب يقول : لقد أعطانا الله نخصلتين ما شيء هو أفضل منهما : عشرين عبداً . وأما الثانية ، فنحن في موعود الصادق ، نتظر المغفرة من الله سبحانه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين في أيديكم خيانتك : أي الغدر بك والمكر والخداع ، بإظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم ، فقد خانوا الله من قبل ، يقول : فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر ، وأمکن منهم ببدر المؤمنين ، والله عليم بما يقولون بألسنتهم ، ويضمرونه في نفوسهم ، حكيم في تدبيرهم ، وتدبير أمور خلقه سواهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ) يعني : العباس وأصحابه في قولهم : آمننا بما جئت به ، ونشهد أنك رسول الله ، لننصحن لك على قومنا ، يقول : إن كان قولهم خيانة فقد خانوا الله من قبل ، فأمكن منهم يقول : قد كفروا وقتلوك ، فأمكنك الله منهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ) . . . الآية . قال : ذكر لنا أن رجلاً كتب لنبى الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عمد فنافق ، فلاحق بالمشركين بمكة ، ثم قال : ما كان محمد يكتب إلا ما شئت ؛ فلما سمع ذلك رجل من الأنصار ، نذر : لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف ؛ فلما كان يوم الفتح أمّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومقيس بن ضبابة ، وابن خطل ، وامرأة كانت تدعو على النبى صلى الله عليه وسلم كل صباح ، فجاء عثمان بابن أبي سرح ، وكان رضيعة أو أخاه من الرضاعة ، فقال : يا رسول الله هذا فلان

أقبل تائباً نادماً ، فأعرض نبي الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما سمع به الأنصارى أقبل متقلداً سيفه ، فأطاف به ، وجعل ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يومئ إليه ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم يده فبايعه ، فقال : أما والله لقد تلومتك فيه لتوفى نذرك ، فقال : يا نبي الله إني هبتك ، فلولا أومضت إلى فقال : إنه لا ينبغي لني أن يومض :

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ) يقول : قد كفروا بالله ، ونقضوا عهده فأمكن منهم بيدر .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا
أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا وَمَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا
وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله (وهاجروا) يعني : هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم ، يعني : تركوهم وخرجوا عنهم ، وهجرهم قومهم وعشيرتهم (وجاهدوا في سبيل الله) يقول : بالغوا في إتعاب نفوسهم وإنصابها في حرب أعداء الله من الكفار في سبيل الله ، يقول في دين الله الذي جعله طريقاً إلى رحمته ، والنجاة من عذابه (وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا) يقول : والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه ، يعني أنهم جعلوا لهم مأوى يأوون إليه ، وهو المثنوى والمسكن ، يقول : أسكنوهم وجعلوا لهم من منازلهم مساكن ، إذ أخرجهم قومهم من منازلهم ونصروا ، يقول : ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين (أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يقول : هاتان الفرقتان ، يعني المهاجرين والأنصار ، بعضهم أنصار بعض ، وأعوان على من سواهم من المشركين ، وأيديهم واحدة على من كفر بالله ، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم الكفار . وقد قيل : إنما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض وإن الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والأرحام ، وإن الله نسخ ذلك بعد بقوله (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) :

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا)

أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يعنى فى الميراث ، جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوى الأرحام ، قال الله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَالِكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) يقول : مالكم من ميراثهم من شىء ، وكانوا يعملون بذلك ، حتى أنزل الله هذه الآية (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) فى الميراث ، فنسخت التى قبلها ، وصار الميراث لذوى الأرحام . حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : لاهجرة بعد الفتح ، إنما هو الشهادة بعد ذلك (وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) ... إلى قوله (حتى يُهَاجِرُوا) وذلك أن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاث منازل ، منهم المؤمن المهاجر المبين لقومه فى الهجرة ، خرج إلى قوم مؤمنين فى ديارهم وعقارهم وأموالهم . وفى قوله (آوَوْا وَنَصَرُوا) وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة ، وشهروا السيوف على من كذب وجحد ، فهذان مؤمنان جعل الله بعضهم أولياء بعض ، فكانوا يتوارثون بينهم إذا توفى المؤمن المهاجر ورثه الأنصارى بالولاية فى الدين ، وكان الذى آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل أنه لم يهاجر ولم ينصر ، فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم ، وهى الولاية التى قال الله (مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) وكان حقا على المؤمنين الذين آووا ونصروا إذا استنصروهم فى الدين أن ينصروهم إن قاتلوا إلا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ميثاق ، فلا نصر لهم عليهم إلا على العدو الذى لا ميثاق لهم ، ثم أنزل الله بعد ذلك أن ألحق كل ذى رحم برحمه من المؤمنين الذين هاجروا والذين آمنوا ولم يهاجروا ، فجعل لكل إنسان من المؤمنين نصيبا مفروضا بقوله (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ، وبقوله (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) . حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الثلاث الآيات خواتيم الأنفال فهن ، ذكر ما كان من ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى المسلمين ، وبين الأنصار فى الميراث ، ثم نسخ ذلك آخرها (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا) . . إلى قوله (بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) قال : بلغنا أنها كانت فى الميراث لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا والمؤمنون الذين لم يهاجروا ، قال : ثم نزل بعد (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فتوارثوا ولم يهاجروا . قال ابن جريج ، قال مجاهد : خواتيم الأنفال الثلاث الآيات فهن ذكر ما كان والى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين الأنصار فى الميراث ، ثم نسخ ذلك آخرها (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) . . . إلى قوله (مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) قال : لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة ، والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجر شيئا ، ففسخ ذلك بعد ذلك قول الله (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا) : أى من أهل الشرك ، فأجيزت الوصية ، ولا ميراث لهم ، وصارت الموارث بالملل ، والمسلمون يرث بعضهم بعضا من المهاجرين والمؤمنين ، ولا يرث أهل ملتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن ، قالوا : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) كان الأعرابي لا يرث المهاجر ، ولا يرثه المهاجر ، ففسخها فقال (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الْمِيرَاثِ) (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا) وهؤلاء الأعراب (مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) في الميراث (وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الدِّينِ) يقول بأنهم مسلمون ، (فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) في الميراث (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ ، فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) الذين توارثوا على الهجرة في كتاب الله ، ثم نسخها الفرائض والموارث ، فتوارث الأعراب والمهاجرون .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ، وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ :

يعنى بقوله تعالى ذكره (وَالَّذِينَ آمَنُوا) الذين صدقوا بالله ورسوله (وَلَمْ يُهَاجِرُوا) قومهم الكفار ، ولم يفارقوا دار الكفر إلى دار الإسلام (مَا لَكُمْ) أيها المؤمنون بالله ورسوله المهاجرون قومهم المشركين وأرض الحرب (مِنْ وَلَايَتِهِمْ) يعنى : من نصرتهم وميراثهم ، وقد ذكرت قول بعض من قال : معنى الولاية ههنا : الميراث ، وسأذكر إن شاء الله من حضرني ذكره بعد (مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) قومهم ودورهم من دار الحرب إلى دار الإسلام (وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الدِّينِ) يقول : إن استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا في الدين ، يعنى بأنهم من أهل دينكم على أعدائكم وأعدائهم من المشركين ، فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والأنصار النصر ، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، يعنى عهد قد وثق به بعضكم على بعض أن لا يحاربه (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول : والله بما تعملون

فما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضا أيها المهاجرون والأنصار ، وترك ولاية من آمن ولم يهاجر ، ونصرتكم إياهم عند استنصاركم في الدين ، وغير ذلك من فرائض الله التي فرضها عليكم ، بصير : يراه ويصره ، فلا يخفى عليه من ذلك ، ولا من غيره شيء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) قال : كان المسلمون يتوارثون بالهجرة ، وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ، فكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة ، وكان الرجل يسلم ولا يهاجر لا يرث أخاه ، فنسخ ذلك قوله (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل في الإسلام ، فقال : تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان ، وأنت لا ترى نار مشرك إلا وأنت حرب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وإن استنصروكم في الدين) يعني : إن استنصركم الأعراب المسلمون أيها المهاجرون والأنصار على عدوهم فعليكم أن تنصروهم (إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : ترك النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم توفي على أربع منازل : مؤمن مهاجر ، والأنصار ، وأعرابي مؤمن لم يهاجر إن استنصره النبي صلى الله عليه وسلم نصره ، وإن تركه فهو إذن له ، وإن استنصر النبي صلى الله عليه وسلم في الدين كان حقا عليه أن ينصره ، فذلك قوله (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) والرابعة : التابعون بإحسان .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إن الذين آمنوا وهاجروا) . . . إلى آخر السورة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وترك الناس على أربع منازل : مؤمن مهاجر ، ومسلم أعرابي ، والذين آووا ونصروا ، والتابعون بإحسان .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يقول : بعضهم أعوان بعض وأنصاره ، وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله . وقد ذكرنا قول من قال : عن بيان أن بعضهم أحق بميراث بعض من قرابتهم من المؤمنين ، وسندكر بقية من حضرنا ذكره .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : قال رجل : نورث أرحامنا من المشركين ؟ فنزلت (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) الآية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) نزلت في مواريث مشركي أهل العهد :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) . . . إلى قوله (وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) قال : كان المؤمن المهاجر ، والمؤمن الذي ليس بمهاجر لا يتوارثان وإن كانا أخوين مؤمنين ، قال : وذلك لأن هذا الدين كان بهذا البلد قليلا حتى كان يوم الفتح ؛ فلما كان يوم الفتح ، وانقطعت الهجرة توارثوا حينما كانوا بالأرحام ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَاهِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَقَرَأَ (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) » :

وقال آخرون : معنى ذلك : إن الكفار بعضهم أنصار بعض وإنه لا يكون مؤمنا من كان مقبلا بدار الحرب ولم يهاجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) قال : كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين فيقول : إن ظهر هؤلاء كنت معهم ، وإن ظهر هؤلاء كنت معهم ، فأبى الله عليهم ذلك ، وأنزل الله في ذلك ، فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك إلا صاحب جزية مقرا بالخراج :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حض الله المؤمنين على التواصل ، فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض . أما قوله (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم : معناه : إلا تفعلوا أيها المؤمنون ما أمرتم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة ، والأنصار بالإيمان دون أقربائهم من أعراب المسلمين ، ودون الكفار تكن فتنة ، يقول : يحدث بلاء في الأرض بسبب ذلك ، وفساد كبير ، يعنى : ومعاصي الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) إلا تفعلوا هذا تركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون ، تكن فتنة

في الأوض وفساد كبير ، قال : ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الإيمان إلا بالهجرة ، ولا يجعلونهم منهم إلا بالهجرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يعني في الميراث (إِلَّا تَفْعَلُوهُ) يقول : إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به (تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) .
وقال آخرون : معنى ذلك : إلا تناصروا أيها المؤمنون في الدين تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : جعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن ، ثم رد المواريث إلى الأرحام .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) قال : إلا تعاونوا وتناصروا في الدين ، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بتأويل قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) قول من قال : معناه : أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين ، وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقام في دار الحرب ، وترك الهجرة ، لأن المعروف في كلام العرب من معنى الولي أنه النصير والمعين أو ابن العم والنسيب . فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه إلا بمعنى أنه يايه في القيام بآثره من بعده ، وذلك معنى بعيد ، وإن كان قد يحتمله الكلام . وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر ، أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك .

وإذ كان ذلك كذلك ، فبين أن أولى التأويلين بقوله (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) تأويل من قال : إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين تكن فتنة في الأرض ، إذ كان مبتدأ الآية من قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) بالحث على الموالة على الدين والتناصر جاء ، وكذلك الواجب أن يكون خاتمتها به .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ، ونصروهم ونصروا دين الله ، أولئك هم أهل الإيمان

بالله ورسوله حقا ، لامن آمن ولم يهاجر دار الشرك ، وأقام بين أظهر أهل الشرك ، ولم يغر مع المسلمين عدوهم (أَلْهَمُ مَغْفِرَةً) يقول : لهم ستر من الله على ذنوبهم بعفوه لهم عنها (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) يقول : لهم فى الجنة طعم ومشرب هنى كريم ، لا يتغير فى أجوافهم فىصير نجوا ، ولكنه يصير رشحا كرشح المسك ، وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا : إن معنى قول الله (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) فى هذه الآية ، وقوله (مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَايَتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ) إنما هو النصرة والمعونة دون الميراث ، لأنه جل ثناؤه عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار والخبر عما لهم عنده دون من لم يهاجر بقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا) . . . الآية ، ولو كان مرادا بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك إلا الحث على مضي الميراث على ما أمر ، وفى صحة ذلك كذلك الدليل الواضح على أن لانسوخ فى هذه الآيات لشيء ولا منسوخ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ

أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

يقول تعالى ذكره : والذين آمنوا بالله ورسوله من بعد تبيانى ما بينت من ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضا ، وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجر ، وهاجروا دار الكفر إلى دار الإسلام ، وجاهدوا معكم أيها المؤمنون ، فأولئك منكم فى الولاية يجب عليكم لهم من الحق والنصرة فى الدين والموارثة مثل الذى يجب لكم عابهم ، وابعضكم على بعض .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم رد الموارث إلى الأرحام التى بينهم فقال (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ ، فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ، وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) أى فى الميراث (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : والمتناسبون بالأرحام بعضهم أولى ببعض فى الميراث ، إذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيبا ، وحظا من الخليف والولى (فى كتاب الله) يقول : فى حكم الله الذى كتبه فى اللوح المحفوظ والسابق من القضاء (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : إن الله عالم بما يصلح عباده فى توريثه بعضهم من بعض فى القرابة والنسب دون الحلف بالعقد ، وبغير ذلك من الأمور كلها ، لا يحنق عليه شيء منها .
وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا قتادة أنه قال : كان لا يرث الأعرابي المهاجر حتى أنزل الله (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) .
 حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا ابن عون ، عن عيسى بن الحرث ، أن أخاه شريح بن الحرث كانت له سرية فولدت منه جارية ، فلما شبت الجارية زوجت ، فولدت غلاما ، ثم ماتت السرية ، واختصم شريح بن الحرث والغلام إلى شريح القاضي في ميراثها ، فجعل شريح بن الحرث يقول : ليس له ميراث في كتاب الله ، قال : فقضى شريح بالميراث للغلام ، قال (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) فركب ميسرة بن يزيد إلى ابن الزبير ، وأخبره بقضاء شريح وقوله ، فكتب ابن الزبير إلى شريح ، أن ميسرة أخبرني أنك قضيت بكذا وكذا وقلت (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) وإنه ليس كذلك ، إنما نزلت هذه الآية ، إن الرجل كان يعاقد الرجل يقول : ترثني وأرثك ، فنزلت (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) فجاء بالكتاب إلى شريح ، فقال شريح : أعتقها جنين بطنها ، وأبي أن يرجع عن قضائه .
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن ابن عون ، قال : ثنا عيسى بن الحرث ، قال : كانت لشريح بن الحرث سرية ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال في حديثه : كان الرجل يعاقد الرجل يقول : ترثني وأرثك ؛ فلما نزلت ترك ذلك .

(٩) سُورَةُ التَّوْبَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا تَشْتَعِ وَعَشْرُونَ وَفَاتُهَا

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها التوبة :

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩﴾ قَيْسِي حُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ ﴿١٠﴾

﴿٩﴾ يعني بقوله جل ثناؤه (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) هذه براءة من الله ورسوله ، براءة مرفوعة بمحذوف ، وهو هذه ، كما في قوله (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا) مرفوعة بمحذوف هو هذه ، ولو قال قائل : براءة مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله (إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ) وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها ، إذ كانت قد صارت بصلتها ، وهي قوله (مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) كالمعرفة ، وصار معنى الكلام براءة من الله ورسوله ، إلى الذين عاهدتم من المشركين ، كان مذهبا غير مدفوعة صحته ، وإن كان القول الأول أعجب إلى ، لأن من شأن العرب أن يضمروا اكل معاين نكرة كان أو معرفة ذلك المعاين ، هذا وهذه ، فيقولون عند معاينتهم الشيء الحسن حسن والله ، والقبيح قبيح والله ، يريدون هذا حسن والله ، وهذا قبيح والله ، فلذلك اخترت القول الأول ، وقال (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ) والمعنى : إلى الذين عاهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، لأن العهود بين المسلمين والمشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يتولى عقدها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو من يعقدها بأمره ، ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه ، وأن عقود النبي صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم ، لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين ، ولعقوده عليهم مسلمين ، فصار عقده عليهم ، كعقودهم على أنفسهم ، فلذلك قال (إلى الدين عاهدتم من المشركين) لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

وقد اختلف أهل التأويل فيمن برى الله ورسوله إليه من العهد الذى كان بينه وبين رسول الله من المشركين ، فأذن له فى السياحة فى الأرض أربعة أشهر ، فقال بعضهم : صنفان من المشركين : أحدهما : كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل من أربعة أشهر ، وأمهل بالسياحة أربعة أشهر ، والآخر منهما كانت مدة عهده بغير أجل محدود ، فقصر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه ، ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حينما أدرك ويؤسر إلا أن يتوب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميراً على الحاج من سنة تسع ليقيم للناس حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ، ونزلت سورة براءة فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم ، أن لا يصد عن البيت أحد جاءه ، وأن لا يخاف أحد فى الشهر الحرام ، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص إلى أجل مسمى ، فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ، منهم من سمي لنا ، ومنهم من لم يسم لنا ، فقال (براءة من الله ورسوله إلى الدين عاهدتم من المشركين) أى لأهل العهد العام من أهل الشرك من العرب ، (فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر) . . . إلى قوله (أن الله برىء من المشركين ورسوله) أى بعد هذه الحجة .

وقال آخرون : بل كان إمهال الله عز وجل بسياحة أربعة أشهر من كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فأما من لم يكن له من رسول الله عهد ، وإنما كان أجله خمسين ليلة ، وذلك عشرون من ذى الحجة والمحرم كله . قالوا : وإنما كان ذلك كذلك ، لأن أجل الذين لا عهد لهم كان إلى انسلاخ الأشهر الحرم ، كما قال الله (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) . . . الآية ، قالوا : والنداء ببراءة كان يوم الحج الأكبر ، وذلك يوم النحر فى قول قوم ؛ وفى قول آخرين : يوم عرفة ، وذلك خمسون يوماً ، قالوا : وأما تأجيل الأشهر الأربعة ، فانما كان لأهل العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم نزلت براءة ، قالوا : ونزلت فى أول شوال ،

فكان انقضاء مدة أجلهم انسلاخ الأشهر الحرم ، وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول : ابتداء التأجيل كان للفريقين واحدا ، أعني الذي له العهد ، والذي لاعهد له ، غير أن أجل الذي كان له عهد ، كان أربعة أشهر ، والذي لاعهد له : انسلاخ الأشهر الحرم ، وذلك انقضاء المحرم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) قال : حدث الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون فيها حيثما شاءوا ، وحدّ أجل من ليس له عهد ، انسلاخ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم ، فذلك خمسون ليلة ، فاذا انسلخ الأشهر الحرم أمره بأن يضع السيف فيمن عاهد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ) . . . إلى (وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ) يقول : براءة من المشركين الذين كان لهم عهد ، يوم نزلت براءة ، فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر ، وأمرهم أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن ينزل براءة انسلاخ الأشهر الحرم ، وانسلاخ الأشهر الحرم من يوم أذن براءة إلى انسلاخ المحرم وهي خمسون ليلة : عشرون من ذي الحجة ، وثلاثون من المحرم ، فاذا انسلخ الأشهر الحرم ، إلى قوله (وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ) يقول : لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة ، وانسلخ الأشهر الحرم ، ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن براءة إلى عشر من أول ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) قبل أن تنزل براءة عاهد ناسا من المشركين من أهل مكة وغيرهم ، فنزلت براءة من الله إلى كل أحد ممن كان عاهدك من المشركين ، فإني أنقض العهد الذي بينك وبينهم ، فأوَّجِّلهم أربعة أشهر يسيحون حيث شاءوا من الأرض آمنين ، وأجل من لم يكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد انسلاخ الأشهر الحرم من يوم أذن براءة ، وأذن بها يوم النحر ، فكان عشرين من ذي الحجة والمحرم ثلاثين ، فذلك خمسون ليلة ، فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد يقتلهم ، حتى يدخلوا في الإسلام وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعة من يوم النحر أن يضع فيهم السيف أيضا يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام ، فكانت مدة من لاعهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة من يوم النحر ، ومدة من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر يخالون من شهر ربيع الآخر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) . . . إلى قوله (وَبَشَّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) قال : ذكر لنا أن عليا نادى بالأذان ، وأمر على الحاج أبو بكر رضى الله عنهما ، وكان العام الذى حج فيه المسلمون والمشركون ، ولم يحج المشركون بعد ذلك العام .

قوله (الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) . . . إلى قوله (إِلَى مُدَّتِهِمْ) قال : هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ، وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر ، وأمر الله نبيه أن يوفى بعهدهم إلى مدتهم ، ومن لاعهد له انسلاخ المحرم ، ونبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وأمر بقتالهم ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ولا يقبل منهم إلا ذلك . وقال آخرون : كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر ، وانقضاء ذلك لجميعهم وقتا واحدا ، قالوا : وكان ابتداءه يوم الحج الأكبر ، وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) قال : لما نزلت هذه الآية ، برئ من عهد كل مشرك ، ولم يعاهد بعدها إلا من كان عاهد ، وأجرى لكل مدتهم (فَسَيَحُورُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) لمن دخل عهده فيها من عشر ذى الحجة والمحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشر من ربيع الآخر . حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، قال : ثنا محمد بن كعب القرظى وغيره ، قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع ، وبعث على بن أبى طالب رضى الله عنه بثلاثين أو أربعين آية من براءة ، فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الأرض ، فقرأ عليهم براءة يوم عرفة أجل المشركين عشرين من ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشرا من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم في منازلهم ، وقال : لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَسَيَحُورُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) عشرون من ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربع الأول ، وعشر من ربيع الآخر ، كان ذلك عهدهم الذى بينهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) إلى أهل العهد : خزاعة ، ومدلج ، ومن كان له عهد من غيرهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ، ثم قال : إنه يحضر المشركون ، فيطوفون عراة ، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك ، فأرسل أبا بكر وعليهما رضى الله عنهما ، فظافا بالناس بندى الحجاز وبأمكنهم التى كانوا يتبايعون بها ، وبالمواسم كلها ، فأذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا

أربعة أشهر ، فهي الأشهر المتواليات عشرون من آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ، ثم لاعهد لهم ، و آذن الناس كلها بالقتال إلا أن يؤمنوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) قال : أهل العهد مدلج ، والعرب الذين عاهدتم ، ومن كان له عهد ، قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد الحج ، ثم قال : « إِنَّهُ يَحْضُرُ الْبَيْتَ مُشْرِكُونَ يَبْطُوفُونَ عُرَاةً فَلَا أُحِبُّ أَنْ أَحْجَّ حَتَّى لَا يَكُونَ ذَلِكَ » فأرسل أبا بكر وعلياً رضي الله عنهما ، فطافا بالناس بذي الحجاز ، وبأمكنهم التي كانوا يتبايعون بها ، وبالموسم كله ، و آذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر ، في الأشهر الحرم المنسلخات المتواليات : عشرون من آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ، ثم لاعهد لهم ، و آذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا ، فأمن الناس أجمعون حينئذ ولم يسح أحد . وقال حين رجع من الطائف مضى من فوره ذلك ، فغزا تبوك بعد إذ جاء إلى المدينة .

وقال آخرون ممن قال : ابتداء الأجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحدا ، كان ابتداءه يوم نزلت براءة ، وانقضاؤه انقضاء الأشهر الحرم ، وذلك انقضاء الحرم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري (فَسَيَحُورُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) قال : نزلت في شوال ، فهذه الأربعة الأشهر : شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة والحرم .

وقال آخرون : إنما كان تأجيل الله الأشهر الأربعة المشركين في السياحة ، لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقل من أربعة أشهر ، أما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر ، فإنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يتم له عهده إلى مدته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الكلبي : إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الأربعة الأشهر ، فأتم له الأربعة ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهو الذي أمر أن يتم له عهده ، وقال (أَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ) .

قال أبو جعفر رحمه الله : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين ، و آذن لهم بالسياحة فيه بقوله (فَسَيَحُورُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته ، فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ، ولم يظاهروا عليه ، فإن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإتمام العهد بينه

وبينهم إلى مدته بقوله (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْتَقِصُواكُمْ شَيْئًا ، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا ، فَاتَّمُوا إِلَيْهِمْ وَعَهَدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) .

فان ظنَّ ظانَّ أن قول الله تعالى ذكره (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) يدل على خلاف ما قلنا في ذلك ، إذ كان ذلك ينبي عن أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الأشهر الحرم ، قتل كل مشرك ، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن ، وذلك أن الآية التي تتلو ذلك تنبي عن صحة ما قلنا وفساد ما ظنه من ظنَّ أن انسلاخ الأشهر الحرم ، كان يبيح قتل كل مشرك كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لم يكن كان له منه عهد ، وذلك قوله (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) فهؤلاء مشركون ، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم في عهدهم ما استقاموا لهم ، بترك نقض صلحتهم ، وترك مظاهره عدوهم عليهم ، وبعد : ففي الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين بعث عليا رضي الله عنه ببراءة إلى أهل العهود بينه وبينهم أمره فيما أمره أن ينادى به فيهم ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فعهدته إلى مدته أوضح الدليل على صحة ما قلنا ، وذلك أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم إلى أجل ، فاستقاموا على عهده بترك نقضه ، وأنه إنما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل ، أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود ، فأما من كان أجل عهده محدودا ، ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلا ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان باتمام عهده إلى غاية أجله مأمورا ، وبذلك بعث مناديه ينادى به في أهل الموسم من العرب .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، قال : ثنا محرز بن أبي هريرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت مع علي رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادى ، فكان إذا صحل صوته ناديت ، قلت : بأي شيء كنتم تنادون ؟ قال : بأربع لا يطف بالكعبة عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهدته إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، قال : ثنا الشيباني ، عن الشعبي ، قال : أخبرنا المحرر بن أبي هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علي رضي الله عنه ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فعهدته إلى أجله ، وقد حدث بهذا الحديث شعبة ، فخالف قيسا في الأجل ، فحدثني يعقوب بن إبراهيم ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي ، عن المحرر بن أبي هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علي حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة إلى أهل مكة ، فكنت أنادى حتى صحل صوتي ، فقلت :

بأى شيء كنت تنادى؟ قال: أمرنا أن ننادى أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، فأجله إلى أربعة أشهر، فإذا حلّ الأجل، فإن الله برىء من المشركين ورسوله، ولا يطف بالبيت عريان، ولا يحجّ بعد العام مشرك.

❦ قال أبو جعفر رحمه الله: وأخشى أن يكون هذا الخبر وهما من ناقله في الأجل، لأن الأخبار متظاهرة في الأجل بخلافه مع خلاف قيس شعبة في نفس هذا الحديث على ما بينته.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن الحرث الأعور عن عليّ رضي الله عنه، قال: أمرت بأربع: أمرت أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك، ولا يطف رجل بالبيت عريانا، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مسلمة، وأن يتمّ إلى كل ذى عهد عهده.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يسيع قال: نزلت براءة، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر، ثم أرسل عليا، فأخذها منه، فلما رجع أبو بكر، قال: هل نزل في شيء؟ قال: لا، ولكني أمرت أن أبلغها أنا ورجل من أهل بيتي، فانطلق إلى مكة، فقام فيهم بأربع: أن لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا، ولا يطف بالكعبة عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد، فعهدته إلى مدته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن زكريا، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يسيع، عن عليّ، قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم، حين أنزلت براءة بأربع: أن لا يطف بالبيت عريان، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، فهو إلى مدته، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عبد الأعلى، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن عليّ رضي الله عنه، قال: بعثت إلى أهل مكة بأربع، ثم ذكر الحديث.

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا حسين بن محمد، قال: ثنا سليمان بن قرم، عن الأعمش عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر براءة، ثم أتبعه عليا، فأخذها منه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله حدث في شيء؟ قال: لا، أنت صاحبي في الغار وعلى الحوض، ولا يؤدّي عني إلا أنا أو عليّ»، وكان الذي بعث به عليا أربعاً لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ولا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن ابن أبي خالد، عن عامر، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه، فنادى: ألا لا يحجّن بعد العام مشرك، ولا يطف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد، فأجله إلى مدته، والله برىء من المشركين ورسوله.

(١) في الخلاصة: زيد بن يسيع. بمجمتين مصغر. وقيل أثنى، بهنزة. وفي القاموس: يسيع، بالعين المهملة.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن علي ، قال : « لما نزلت براءة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم الحج للناس ، قيل له : يا رسول الله لو بعثت إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤدّي عني إلا رجلاً من أهل بيتي ، ثم دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمي : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ، فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضاء ، حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق ؛ فلما رآه أبو بكر ، قال : أمير أو مأمور ؟ قال : مأمور ، ثم مضيا رضي الله عنهما ، فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أيها الناس لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو له إلى مدته ، فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطوف بالبيت عريان ، ثم قدما علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك ، من أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى . »

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية ، بعث بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر ، وأمره علي الحج ، فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الخليفة أتبعه بعلي فأخذها منه ، فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأنى شيء ؟ قال : لا ، ولكن لا يبلغ عني غيري ، أو رجلاً مني ، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار ، وأنت صاحب علي الخوض ؟ قال : بلى يا رسول الله ، فسار أبو بكر على الحاج ، وعلي يؤذن براءة ، فقام يوم الأضحى ، فقال : لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فله عهده إلى مدته ، وإن هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً ، فقالوا : نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب فرجع المشركون فلام بعضهم بعضاً ، وقالوا : ما تصنعون وقد أسلمت قريش ؟ فأسلموا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن زيد ابن شبيب ، عن علي ، قال : أمرت بأربع : أن لا يقرب البيت بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده ، قال معمر : وقاله قتادة .

قال أبو جعفر رحمه الله ، فقد أنبأت هذه الأخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا ، وأن أجل الأشهر الأربعة

إنما كان لمن وصفنا ، فأما من كان عهده إلى مدة معلومة ، فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لنقضه ، ومظاهرة أعدائهم عليهم سيلا ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وَّفى له عهده إلى مدته ، عن أمر الله إياه بذلك ، وعلى ذلك دلَّ ظاهر التنزيل ، وتظاهرت به الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وأما الأشهر الأربعة فإنها كانت أجل من ذكرنا ، وكان ابتداءها يوم الحج الأكبر ، وانقضاءها انقضاء عشر من ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر متتابعة ، جعل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحة في الأرض ، يذهبون حيث شاءوا ، لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحد بحرب ، ولا قتل ، ولا سلب .

*** فان قال قائل : فإذا كان الأمر في ذلك كما وصفت ، فما وجه قوله (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فآقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وقد علمت أن انسلخها انسلخ الحرم ، وقد زعمت أن تأجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر ، وإنما بين يوم الحج الأكبر ، وانسلخ الأشهر الحرم خمسون يوما أكثره ، فأين الخمسون يوما من الأشهر الأربعة ؟ قيل : إن انسلخ الأشهر الحرم ، إنما كان أجل من لاعهد له من المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأشهر الأربعة لمن له عهد ، إما إلى أجل غير محدود ، وإما إلى أجل محدود قد نقضه ، فصارت بنقضه إياه بمعنى من خيف خيانتته ، فاستحقَّ النبذ إليه على سواء ، غير أنه جعل له الاستعداد لنفسه ، والارتياح لها من الأجل الأربعة الأشهر ، ألا ترى الله يقول لأصحاب الأشهر الأربعة ، ويصفهم بأنهم أهل عهد (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسبيحوا في الأرض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزي الله) ووصف المجعول لهم انسلخ الأشهر الحرم أجلا بأنهم أهل شرك لأهل عهد ، فقال (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله) . . . الآية (إلا الذين عاهدتم من المشركين) . . . الآية ثم قال (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فآقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) فأمربقتل المشركين الذين لاعهد لهم بعد انسلخ الأشهر الحرم ، وباتمام عهد الذين لهم عهد إذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين وإدخال النقص فيه عليهم .

*** فان قال قائل : وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحج الأكبر ، دون أن يكون كان من شوال على ما قاله قائلو ذلك ؟ قيل له : إن قائل ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول براءة ، وذلك غير جائز أن يكون صحيحا ، لأن المجعول له أجل السياحة إلى وقت محدود إذا لم يعلم ما جعل له ، ولا سيما مع عهد له قد تقدم قبل ذلك بخلافه ، فكمن لم يجعل له ذلك ، لأنه إذا لم يعلم ماله في الأجل الذي جعل له ، وما عليه بعد انقضائه فهو كهيشته قبل الذي جعل له من الأجل ، ومعلوم أن القوم لم يعلموا بما جعل لهم من ذلك ، إلا حين نودي فيهم بالموسم ، وإذا كان ذلك كذلك صحَّ أن ابتداءه ما قلنا ، وانقضائه كان ما وصفنا .

وأما قوله (فسبيحوا في الأرض أربعة أشهر) فإنه يعني : فسيروا فيها مقبلين ومدبرين ، آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، يقال منه : ساح فلان في الأرض يسبح سياحة وسيوحا وسيحانا .

وأما قوله (واعلموا أنكم غير معجزى الله) فإنه يقول لأهل العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد قبل نزول هذه الآية، اعلموا أيها المشركون أنكم إن سحتم في الأرض واخترتم ذلك مع كفركم بالله على الإقرار بتوحيد الله وتصديق رسوله، غير معجزى الله، يقول: غير مفيتيه بأنفسكم، لأنكم حيث ذهبتم، وأين كنتم من الأرض، ففي قبضته وسلطانه، لا يمنعكم منه وزير، ولا يحول بينكم وبينه إذا أرادكم بعذاب معقل ولا موئل إلا الإيمان به وبرسوله، والتوبة من معصيته، يقول: فبادروا عقوبته بتوبة، ودعوا السياحة التي لاتنفعكم.

وأما قوله (وأن الله مخزى الكافرين) يقول: واعلموا أن الله مذل الكافرين، ومورثهم العار في الدنيا، والنار في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ
فَإِنْ بُدِّعْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ
الْإِيمَانِ

* يقول تعالى ذكره: وإعلام من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر: وقد بيّنا معنى الأذان فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده.

وكان سليمان بن موسى يقول في ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: زعم سليمان بن موسى الشامي أن قوله (وأذان من الله ورسوله) قال: الأذان القصص، فاتحة براءة حتى تحتم (وإن خفيتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) فذلك ثمان وعشرون آية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وأذان من الله ورسوله) قال: إعلام من الله ورسوله، ورفع قوله (وأذان من الله) عطفا على قوله (براءة من الله) كأنه قال: هذه براءة من الله ورسوله، وأذان من الله.

وأما قوله (يوم الحج الأكبر) فإن فيه اختلافا بين أهل العلم، فقال بعضهم: هو يوم عرفة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: أخبرنا أبو زرعة، وهبة الله بن راشد، قال: أخبرنا حيوة بن شريح، قال: أخبرنا أبو صخر، أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكري، وهو يقول: سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن يوم الحج الأكبر، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، يقيم للناس الحج، وبعثني معه

بأربعين آية من براءة ، حتى أتى عرفة ، فخطب الناس يوم عرفة ؛ فلما قضى خطبته التفت إلى ، فقال : قم يا عليّ وأدّ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت فقراءت عليهم أربعين آية من براءة ، ثم صدرنا حتى أتينا منى ، فرميت الجمرة ، ونحرت البدنة ، ثم حلقت رأسي ، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة ، فطفقت أتبع بها الفساطيط ، أقرؤها عليهم ، فمن ثم إخال حسبت أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عرفة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، قال : سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الأكبر ، فقال : يوم عرفة ، فقلت : أمن عندك ، أو من أصحاب محمد ؟ قال : كل ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، قال : الحج الأكبر : يوم عرفة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمر بن الوليد الشني ، عن شهاب بن عباد العصري ، عن أبيه ، قال : قال عمر رضی الله عنه : يوم الحج الأكبر : يوم عرفة ، فذكرته لسعيد بن المسيب ، فقال : أخبرك عن ابن عمر أن عمر قال : الحج الأكبر : عرفة .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمر بن الوليد الشني ، قال : ثنا شهاب بن عباد العصري ، عن أبيه ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول : هذا يوم عرفة ، يوم الحج الأكبر فلا يصومنه أحد ؛ قال : فحججت بعد أبي ، فأتيت المدينة ، فسألت عن أفضل أهلها ، فقالوا : سعيد ابن المسيب ، فأتيته فقلت : إني سألت عن أفضل أهل المدينة ، فقالوا : سعيد بن المسيب ، فأخبرني عن صوم يوم عرفة ، فقال : أخبرك عن هو أفضل مني أضعافاً : عمر أو ابن عمر ، كان ينهى عن صومه ، ويقول : هو يوم الحج الأكبر .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الصمد بن حبيب ، عن معقل بن داود ، قال : سمعت ابن الزبير يقول : يوم عرفة هذا يوم الحج الأكبر فلا يصومه أحد .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا غالب بن عبيد الله ، قال : سألت عطاء عن يوم الحج الأكبر ، فقال : يوم عرفة ، فأفرض منها قبل طلوع الفجر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني محمد بن قيس بن مخزومة قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ، ثم قال : أما بعد ، وكان لا يخطب إلا قال : أما بعد ، فإن هذا يوم الحج الأكبر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم عرفة .

حدثني الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن سلمة بن محب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم عرفة .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني طاوس ، عن أبيه ، قال : قلنا : ما الحج الأكبر ؟ قال : يوم عرفة .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مخرمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال : « هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ » .
 وقال آخرون : هو يوم النحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن الحرث ، عن عليّ ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مصعب بن سلام ، عن الأجلح ، عن أبي إسحاق ، عن الحرث ، عن عليّ قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبة ، عن أبي إسحاق ، عن الحرث ، قال : سألت عليا عن الحج الأكبر ، فقال : هو يوم النحر .
 حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا سليمان الشيباني ، قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى ، عن الحج الأكبر ، قال : فقال يوم النحر .
 حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عياش العامري ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .
 قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .
 حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك ، قال : دخلت أنا وأبوسلمة على عبد الله بن أبي أوفى ، قال : فسألته عن يوم الحج الأكبر ، فقال : يوم النحر ، يوم يهراق فيه الدم .
 حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .
 حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، عن الشيباني ، قال : سألت ابن أبي أوفى عن يوم الحج الأكبر ؟ قال : هو يوم النحر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الشيباني ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن عمير ، قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى ، وسئل عن قوله (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) قال : هو اليوم الذي يراق فيه الدم ، ويحلق فيه الشعر .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن عليّ أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء ، يريد الجبانة ، فجاءه رجل فأخذ بلجام بغلته ، فسأله عن الحج الأكبر ، فقال : هو يومك هذا ، خلّ سبيلها .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا إسحاق ، عن مالك بن مغول وشثير ، عن أبي إسحاق ، عن الحرث ، عن عليّ ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبي إسحاق ، عن الحرث ، عن عليّ ، قال : سئل عن يوم الحج الأكبر ، قال : هو يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن عليّ ، أنه لقيه رجل يوم النحر ، فأخذ بلجامه ، فسأله عن يوم الحج الأكبر ، قال : هو هذا اليوم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن عبد الملك بن عمير وعياش العامري ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : هو اليوم الذي يهراق فيه الدماء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أبي أوفى ، قال : الحج الأكبر : يوم تهراق فيه الدماء ، ويحلق فيه الشعر ، ويحلّ فيه الحرام .

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن يسار ، قال : ثنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير ، فقال : هذا يوم الأضحى ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن يسار ، قال : خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير ، وقال : هذا يوم الأضحى ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن يسار ، قال : خطبنا المغيرة بن شعبة ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا سليمان الشيباني ، قال : سمعت سعيد بن جبیر يقول : الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي جحيفة ، قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، قال : اختصم عليّ بن عبد الله بن عباس ، ورجل من آل شيبه في يوم الحجّ الأكبر ، قال عليّ : هو يوم النحر ، وقال الذى من آل شيبه : هو يوم عرفة ، فأرسل إلى سعيد بن جبير فسأله ، فقال : هو يوم النحر ، ألا ترى أن من فاته يوم عرفة ، لم يفته الحجّ ، فاذا فاته يوم النحر فقد فاته الحجّ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر ، قال : فقلت له : إن عبد الله بن شيبه ومحمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس اختلفا في ذلك ، فقال محمد بن عليّ : هو يوم النحر ، وقال عبد الله : هو يوم عرفة ، فقال سعيد بن جبير : أ رأيت لو أن رجلا فاته يوم عرفة أكان يفوته الحجّ ، وإذا فاته يوم النحر فاته الحجّ .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، عن الشيباني ، عن سعيد بن جبير ، قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنى رجل ، عن أبيه ، عن قبس بن عباد ، قال : ذو الحجة العاشر النحر ، وهو يوم الحجّ الأكبر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن شداد ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر ، والحجّ الأصغر : العمرة .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن شداد ابن الهاد ، قال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن مسلم الحجبي ، قال : سألت نافع بن جبير بن مطعم ، عن يوم الحجّ الأكبر ، قال : نوم النحر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قال : كان يقال : الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم يهراق فيه الدم ، ويحلى فيه الحرام .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر الذى يحلى فيه كلّ حرام .

قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ، عن عليّ ، قال : يوم الحجّ الأكبر : يوم النحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن ابن عون ، قال : سألت محمدا عن يوم الحج الأكبر فقال : كان يوما وافق فيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج أهل الوبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمر بن ذر ، قال : سألت مجاهدا عن يوم الحج الأكبر ، فقال : هو يوم النحر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ثور ، عن مجاهد ، يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : يوم الحج الأكبر يوم النحر . . وقال عكرمة : يوم الحج الأكبر : يوم النحر ، يوم تهراق فيه الدماء ، ويحلب فيه الحرام . قال : وقال مجاهد : يوم يجمع فيه الحج كله ، وهو يوم الحج الأكبر .

قال : ثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن محمد بن علي ، يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

قال : ثنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، قال : قال علي : الحج الأكبر : يوم النحر ، قال : وقال الزهري : يوم النحر : يوم الحج الأكبر .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمي عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني يونس وعمرو عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر : ألا لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . قال الزهري : فكان حميد يقول : يوم النحر : يوم الحج الأكبر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الشعبي ، عن أبي إسحاق ، قال : سألت عبد الله بن شداد ، عن الحج الأكبر ، والحج الأصغر ، فقال : الحج الأكبر : يوم النحر ، والحج الأصغر : العُمرة .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، قال : سألت عبد الله بن شداد ، فذكر نحوه .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : سمعت عبد الله ابن أبي أوفى يقول : يوم الحج الأكبر : يوم يوضع فيه الشعر ، ويهراق فيه الدم ، ويحلب فيه الحرام .

قال : ثنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن علي ، قال : الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا قيس ، عن عياش العامرى ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، أنه سئل ، عن يوم الحج الأكبر ، فقال : سبحانه الله ، هو يوم تهراق فيه الدماء ، ويحلى فيه الحرام ، ويوضع فيه الشعر : هو يوم النحر .

قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن عبد الله بن يسار ، قال : خطبنا المغيرة بن شعبة على ناقه له ، فقال : هذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حسن بن صالح ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : يوم الحج الأكبر : يوم النحر ، ويحلى فيه الحرام .

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، قال : لما كان يوم ذلك ، قعد على بعير له النبي ، وأخذ إنسان بخطامه أو زمامه ، فقال : أى يوم هذا ؟ قال : فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه غير اسمه ، فقال : أليس يوم الحج .

حدثنا سهل بن محمد الحساني ، قال : ثنا أبو جابر الحرثي ، قال : ثنا هشام بن الغازي الحرشي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع ، فقال : هذا يوم الحج الأكبر .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مرة الهمداني ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقه حمراء مخضومة ، فقال : أتدرون أى يوم يومكم ؟ قالوا : يوم النحر ، قال : صدقتم يوم الحج الأكبر .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عمرو بن مرة ، قال : ثنا مرة ، قال : ثنا رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبيه ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بأربع كلمات حين حج أبو بكر بالناس ، فنادى ببراءة : إنه يوم الحج الأكبر ، ألا إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ألا ولا يطوف بالبيت عريان ، ألا ولا يحج بعد العام مشرك ، ألا ومن كان بينه وبين محمد عهد ، فأجله إلى مدته ، والله برىء من المشركين ورسوله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) قال : يوم النحر : يوم يحلّ فيه المحرم ، وينحر فيه البدن . وكان ابن عمر يقول : هو يوم النحر ، وكان أبي يقوله . وكان ابن عباس يقول : هو يوم عرفة ، ولم أسمع أحدا يقول : إنه يوم عرفة إلا ابن عباس . قال ابن زيد : والحجّ يفوت بفوت يوم النحر ، ولا يفوت بفوت يوم عرفة ، إن فاته اليوم لم يفته الليل ، يقف ما بينه وبين طلوع الفجر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : يوم الأضحى : يوم الحجّ الأكبر .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : ثنى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفتي هذه حسبته ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقه حمراء مخضومة ، فقال : « أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ، هَذَا يَوْمُ النَّحْرِ ، وَهَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ » . وقال آخرون : معنى قوله (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) حين الحجّ الأكبر ووقته ، قال : وذلك أيام الحجّ كلها ، لا يوم بعينه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) حين الحجّ ، أيامه كلها .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الحجّ الأكبر : أيام منى كلها ، ومجامع المشركين حين كانوا بنى الحجاز وعكاظ ومجنة ، حين نودي فيهم أن لا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ، وأن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فعهدته إلى مدته .

حدثني الحرث ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : كان سفيان يقول : يوم الحجّ ، ويوم الحمل ، ويوم صفين : أي أيامه كلها .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) قال حين الحجّ ، أي أيامه كلها .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندنا : قول من قال : (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) : يوم النحر ، لتظاهر الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليا نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة إلى المشركين ، وتلا عليهم براءة يوم النحر ، هذا مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم النحر : « أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ » ، وبعد : فإن اليوم إنما يضاف إلى المعنى الذي يكون فيه ، كقول الناس : يوم عرفة ، وذلك يوم وقوف الناس بعرفة ؛ ويوم الأضحى ، وذلك يوم يضحون فيه ؛

ويوم الفطر ، وذلك يوم يفطرون فيه ؛ وكذلك يوم الحج ، يوم يحجون فيه ، وإنما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر ، لأن في ليلة نهار يوم النحر الوقوف بعرفة كان إلى طلوع الفجر ، وفي صبيحتها يعمل أعمال الحج ؛ فأما يوم عرفة فإنه وإن كان الوقوف بعرفة فغير فائت الوقوف به إلى طلوع الفجر من ليلة النحر ، والحج كله يوم النحر .

وأما ما قال مجاهد من أن يوم الحج إنما هو أيامه كلها ، فإن ذلك وإن كان جائزا في كلام العرب ، فليس بالأشهر الأعراف في كلام العرب من معانيه ، بل غلب على معنى اليوم عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد ، وإنما يحمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعراف من كلام من نزل الكتاب بلسانه . واختلف أهل التأويل في السبب الذى من أجله قيل لهذا اليوم : يوم الحج الأكبر ، فقال بعضهم : سمي بذلك ، لأن ذلك كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : إنما سمي الحج الأكبر من أجل أنه حج أبو بكر الحجة التي حجها ، واجتمع فيها المسلمون والمشركون ، فلذلك سمي الحج الأكبر ، ووافق أيضا عيد اليهود والنصارى .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان : عن عبد الله بن الحرث بن نوفل ، قال : يوم الحج الأكبر كانت حجة الوداع اجتمع فيه حج المسلمين والنصارى واليهود ولم يجتمع قبله ولا بعده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، قال قوله (يوم الحج الأكبر) قال : إنما سمي الحج الأكبر لأنه يوم حج فيه أبو بكر ، ونبذت فيه اليهود . وقال آخرون : الحج الأكبر : القرآن ، والحج الأصغر : الإفراد . ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا أبو بكر النهشلى ، عن حماد ، عن مجاهد ، قال : كان يقال : الحج الأكبر والحج الأصغر ؛ فالحج الأكبر : القرآن ، والحج الأصغر : إفراد الحج . وقال آخرون : الحج الأكبر : الحج ، والحج الأصغر : العمرة . ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : الحج الأكبر : الحج ، والحج الأصغر : العمرة .

قال : ثنا عبد الأعلى ، عن داود ، عن عامر ، قال : قلت له : هذا الحج الأكبر ، فما الحج الأصغر؟ قال : العمرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال : كان يقال : الحج الأصغر : العمرة في رمضان .

قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يقال : الحج الأصغر : العمرة .
قال : ثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن أبي أسماء ، عن عبد الله بن شداد ، قال : يوم الحج الأكبر : يوم النحر ، والحج الأصغر : العمرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري أن أهل الجاهلية كانوا يسمون الحج الأصغر : العمرة .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال : الحج الأكبر : الحج لأنه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها ، فقليل له الأكبر لذلك . وأما الأصغر فالعمرة ، لأن عملها أقل من عمل الحج ، فلذلك قيل لها الأصغر ، لنقصان عملها عن عمله .

وأما قوله (أن الله برىء من المشركين ورسوله) فإن معناه : أن الله برىء من عهد المشركين ورسوله بعد هذه الحجة ، ومعنى الكلام : وإعلام من الله ورسوله إلى الناس في يوم الحج الأكبر ، أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أن الله برىء من المشركين ورسوله) أي بعد هذه الحجة .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَبُتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنْتُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ :

يقول تعالى : فإن تبتم من كفركم أيها المشركون ، ورجعتم إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد ، فالرجوع إلى ذلك خير لكم من الإقامة على الشرك في الدنيا والآخرة (وإن تَوَلَّيْتُمْ) يقول : وإن أدبرتم عن الإيمان بالله ، وأبستم إلا الإقامة على شرككم (فأَعْلَمُوا أَنْتُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ) يقول : فأيقنوا أنكم لا تفيتون الله بأنفسكم من أن يحلّ بكم عذابه الأليم ، وعقابه الشديد على إقامتكم على الكفر ، كما فعل بذويكم من أهل الشرك ، من إنزال نقمه به ، وإحلاله العذاب عاجلا بساحته (وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : وأعلم يا محمد الذين جحدوا نبوتك ، وخالفوا أمر ربهم بعذاب موجه يحلّ بهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فَإِنْ تَبُتُمْ) قال آمنتم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا أَحَدًا فَأَنُؤُوا إِلَيْهِمْ
عَاهَدْتُمْ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ ﴾ (وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) ، (إِلَّا) من عهد (الَّذِينَ عَاهَدُوا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) أيها المؤمنون (ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا) من عهدكم الذي عاهدتموهم (وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا) من عدوكم ، فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم ، ولا بسلاح ، ولا خيل ، ولا رجال (فَأْتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ) يقول : ففوا لهم بعهدهم الذي عاهدتموهم عليه ، ولا تنصبا لهم حربا إلى انقضاء أجل عهدهم الذي بينكم وبينهم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) يقول : إن الله يحب من اتقاه بطاعته بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَأْتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ) يقول : إلى أجلهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) : أي العهد الخاص إلى الأجل المسمى (ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا ، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا) . . . الآية ، قال : هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ، وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر ، فأمر الله نبيه أن يوفى لهم بعهدهم إلى مدتهم ، ومن لاعهد له إلى انسلاخ الحرم ، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده ، وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : مدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة إلى عشر من شهر ربيع الآخر ، وذلك أربعة أشهر ، فان نقض المشركون عهدهم وظاهروا عدوا فلا عهد لهم ، وإن وفوا بعهدهم الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يظاهروا عليه عدوا ، فقد أمر أن يؤدي إليهم عهدهم ويوفى به .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَأَحْصُرُواهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩﴾

﴿ يعني جل ثناؤه بقوله ﴾ (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) فإذا انقضى ومضى وخرج ، يقال منه :

سَلَخْنَا شَهْرَ كَذَا نَسَلَخَهُ سَلَخًا وَسَلَخًا ، بمعنى : خَرَجْنَا مِنْهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : شَاءَ مَسْلُوخَةً ، بِمَعْنَى : الْمَزْوُوعَةَ مِنْ جِلْدِهَا ، الْمَخْرُجَةَ مِنْهُ ؛ وَيَعْنَى بِالْأَشْهُرِ الْحَرَمِ : ذَا الْقَعْدَةِ ، وَذَا الْحِجَّةِ ، وَالْمَحْرَمِ ، أَوْ إِنَّمَا أُرِيدُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ انْسِلَاخَ الْمَحْرَمِ وَحْدَهُ ، لِأَنَّ الْأَذَانَ كَانَ بِرَاءَةَ يَوْمِ الْحِجَّةِ الْأَكْبَرِ ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَجْلُوا الْأَشْهُرَ الْحَرَمَ كُلَّهَا . وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ فِيمَا مَضَى ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ مُتَّصِلًا بِالشَّهْرَيْنِ الْآخَرَيْنِ قَبْلَهُ الْحَرَامَيْنِ ، وَكَانَ هُوَهُمَا ثَلَاثًا ، وَهِيَ كُلُّهَا مُتَّصِلٌ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ ، قِيلَ : فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرَمَ .

وَمَعْنَى الْكَلَامِ : فَإِذَا انْقَضَتِ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ الثَّلَاثَةُ عَنِ الَّذِينَ لِاعْهَدَ لَهُمْ ، أَوْ عَنِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ عَهْدٌ ، فَتَقَضُوا عَهْدَهُمْ بِمُظَاهَرَتِهِمْ الْأَعْدَاءَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، أَوْ كَانَ عَهْدُهُمْ إِلَى أَجَلٍ غَيْرِ مَعْلُومٍ ، (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) يَقُولُ : فَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ، يَقُولُ : حَيْثُ اقْتَبْتُمُوهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فِي الْحَرَمِ ، وَغَيْرِ الْحَرَمِ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ، وَغَيْرِ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ (وَخَذُواهُمْ) يَقُولُ : وَأَسْرُوهُمْ (وَأَخْضَرُوهُمْ) يَقُولُ : وَامْنَعُوهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَدُخُولِ مَكَّةَ (وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) يَقُولُ : وَأَقْعُدُوا لَهُمْ بِالطَّلَبِ اقْتِلَهُمْ أَوْ أَسْرَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ، يَعْنِي : كُلَّ طَرِيقٍ وَمَرْقَبٍ ، وَهُوَ مَفْعَلٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ رَصَدْتُ فَلَانَا أَرْصَدَهُ رَصْدًا ، بِمَعْنَى : رَقَبْتَهُ (فَإِنْ تَابُوا) يَقُولُ : فَإِنْ رَجَعُوا عَمَّا نَهَاكَمُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَجُحُودِ نُبُوَّةِ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ ، دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ ، وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) يَقُولُ : وَأَدَّوْا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ بِحُدُودِهَا وَأَعْطَوْا الزَّكَاةَ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ أَهْلُهَا (فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) يَقُولُ : فَدَعُوهُمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي أَمْصَارِكُمْ ، وَيَدْخُلُونَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لَمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ ، فَأَتَابَ إِلَى طَاعَتِهِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ ، سَاتَرَ عَلَى ذَنْبِهِ ، رَحِيمٌ بِهِ أَنْ يَعْاقِبَهُ عَلَى ذُنُوبِهِ السَّالِفَةِ ، قَبْلَ تَوْبَتِهِ بَعْدَ التَّوْبَةِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا اخْتِلَافَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الَّذِينَ أَجْلُوا إِلَى انْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ .

وَبِنَحْوِ مَا قَلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَوْلِ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ وَاصِلِ الْأَسَدِيِّ ، قَالَ : ثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ عَنِ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ فَرَاقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَعِبَادَتِهِ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، فَارَقَهَا وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ » قَالَ : وَقَالَ أَنَسٌ : هُوَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ، وَبَلَّغُوهُ عَنْ رَبِّهِمْ قَبْلَ هَرَجِ الْأَحَادِيثِ ، وَاخْتِلَافِ الْأَهْوَاءِ ، وَتَصَدِيقِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي آخِرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، قَالَ اللَّهُ (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) قَالَ : تَوْبَتُهُمْ خَلْعُ الْأَوْثَانِ وَعِبَادَةُ رَبِّهِمْ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، ثُمَّ قَالَ فِي آيَةِ أُخْرَى (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) حَتَّى نَخْتِمَ آخِرَ الْآيَةِ . وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ : خَلُّوا سَبِيلَهُمْ

من أمركم الله أن تخلوا سبيله ، فانما الناس ثلاثة رهط : مسلم عليه الزكاة ، ومشرك عليه الجزية ، وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين إذا أعطى عشور ماله .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) وهي الأربعة التي عدت لك ، يعني عشرين من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشرا من شهر ربيع الآخر . وقال قائلو هذه المقالة : قيل لهذه الأشهر الحرم لأن الله عز وجل حرم على المؤمنين فيها دماء المشركين ، والعرض لهم إلا بسبيل خير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن إبراهيم بن أبي بكر ، أنه أخبره ، عن مجاهد وعمرو بن شعيب ، في قوله (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) أنها الأربعة التي قال الله (فسبحوا في الأرض) قال : هي الحرم من أجل أنهم أومنوا فيها حتى يسبحوها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (برأة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فسبحوا في الأرض أربعة أشهر) قال : ضرب لهم أجل أربعة أشهر ، وتبرأ من كل مشرك ، ثم أمر إذا انسلخت تلك الأشهر الحرم (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد) لا تركوهم يضر بون في البلاد ، ولا يخرجون للتجارة ، ضيقوا عليهم ، بعدها أمر بالعمو (فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) يعني الأربعة التي ضرب الله لهم أجلا لأهل العهد العام من المشركين (فاقتلواهم حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتلهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك ، وهو القرآن الذي أنزله الله عليه (فأجِرْهُ) يقول : فأمنه (حتى يسمع كلام الله) وتتلوه عليه (ثم ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) يقول : ثم رده بعد سماعه كلام الله إن هو أبي أن يسلم ، ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله ، فيؤمن إلى مأمنه ، يقول : إلى حيث يأمن منك ، ومن في طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين (ذلك بأنهم قومٌ لا يعلمون) يقول : تفعل ذلك

بهم من إعطائك إياهم الأمان ، ليسمعوا القرآن ، وردك إياهم ، إذا أبوا الإسلام ، إلى مأمهم ، من أجل أنهم قوم جهلة ، لا يفقهون عن الله حجة ، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا ، وما عليهم من الوزر والإثم بتركهم الإيمان بالله .

وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ) : أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم (فَأَجِرْهُ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَأَجِرْهُ) حتى يسمع كلام الله (أما كلام الله : فالقرآن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ) قال : إنسان يأتيك فيسمع ما تقول ، ويسمع ما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله ، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا ، فلقى العدو ، وأخرج المسلمون رجلا من المشركين ، وأشرعوا فيه الأسنه ، فقال الرجل : ارفعوا عنى سلاحكم ، وأسمعوني كلام الله تعالى ، فقالوا : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع الأنداد ، وتبرأ من اللات والعزى ، فقال : فإني أشهدكم أنى قد فعلت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ أبلغه ما آمنه) قال : إن لم يوافق ما تقول عليه وتحدثه ، فأبلغه ، قال : وليس هذا بمنسوخ .

واختلف فى حكم هذه الآية ، هل هو منسوخ ، أو هو غير منسوخ ، فقال بعضهم : هو غير منسوخ ، وقد ذكرنا قول من قال ذلك .

وقال آخرون : هو منسوخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن جوير ، عن الضحاك (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) نسخها (فإما مننا بعد وإما فداء) .

قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، مثله .

وقال آخرون : بل نسخ قوله (فاقتلوا المشركين) قوله (فإما مننا بعد) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة (حتى إذا آتختمواهم فشدوا الوثاق) نسخها قوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) .
 قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال : ليس ذلك بمنسوخ ، وقد دللنا على أن معنى النسخ هو نفي حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره ، ولم تصح حجة بوجوب حكم الله في المشركين بالقتل بكل حال ، ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ، ولا على وجه المن عليهم . فإذا كان ذلك فكأن الفداء والمن والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم ، وذلك من يوم بدر كان معلوما أن معنى الآية ، فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم للقتل أو المن أو الفداء واحصروهم ، وإذا كان ذلك معناه صح ما قلنا في ذلك دون غيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : أنى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله ، وبأى معنى يكون للمشركين برهبهم عهد وذمة عند الله وعند رسوله ، يوفى لهم به ، ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون في البلاد ، وإنما معناه : لا عهد لهم ، وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم إلا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم ، فإن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم ، والاستقامة لهم عليه ، ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين .
 واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بقوله (إلا الذين عاهدوا) عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فقال بعضهم : هم قوم من جذيمة بن الدليل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ، إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ) هم بنو جذيمة بن الدليل .
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، قوله (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا عِنْدَ رَسُولِهِ) قال : هم جذيمة بكر من كنانة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ) الذين كانوا وأنتم على العهد العام بأن لا تمنعواهم ولا يمنعواكم من الحرم ، ولا في الشهر الحرام (عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) وهي قبائل بني بكر الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدتهم يوم الحديبية ، إلى المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم

يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش ، وبنو الدليل من بكر ، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بنى بكر إلى مدته (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ) . . . الآية . وقال آخرون : هم قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا) عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (هم قريش .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا) عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (يعنى : أهل مكة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن ابن عباس (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا) عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (يقول : هم قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم مدة ، ولا ينبغي لمشرك أن يدخل المسجد الحرام ، ولا يعطى المسلم الجزية (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ) فاستقيموا لهم) يعنى : أهل العهد من المشركين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا) عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاستقيموا لهم) قال : هؤلاء قريش ، وقد نسخ هذا الأشهر التى ضربت لهم ، وغدروا بهم فلم يستقيموا ، كما قال الله : فضرب لهم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم : إما أن يسلموا ، وإما أن يلحقوا بأى بلاد شاءوا ، قال : فأسلموا قبل الأربعة الأشهر ، وقبل وقبل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا) عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاستقيموا لهم) قال : هم قوم جذيمة ، قال : فلم يستقيموا ، نقضوا عهدهم : أى أعانوا بنى بكر حلف قريش على خزاعة حلف النبي صلى الله عليه وسلم . وقال آخرون : هم قوم من خزاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا) عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (قال : أهل العهد من خزاعة .

* قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى قول من قال : هم بعض بنى بكر من كنانة ممن كان أقام على عهده ، ولم يكن دخل فى نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش ، حين نقضوه بمعونتهم حلفاءهم من بنى الدليل على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة .

ولما قلت : هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الله أمر نبيه والمؤمنين بإتمام العهد لمن

كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام، ما استقاموا على عهدهم ، وقد بينا أن هذه الآيات ، إنما نادى بها على في سنة تسع من الهجرة ، وذلك بعد فتح مكة بسنة ، فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر يومئذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فيؤمر بالوفاء له بعهدته ما استقام على عهده ، لأن من كان منهم من ساكني مكة ، كان قد نقض العهد ، وحارب قبل نزول هذه الآيات .
وأما قوله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) فإن معناه: إن الله يحب من اتقى وراقبه في أداء فرائضه ، والوفاء بعهدته لمن عاهدته ، واجتناب معاصيه ، وترك الغدر بعهوده لمن عاهدته .
القول في تأويل قوله تعالى :

**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَاذِمَّةً يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ
وَكَثُرُهُمْ فَلْيَسْقُوتَ ۝**

* يعني جل ثناؤه بقوله : كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم ، أو لمن لاعهد له منهم منكم أيها المؤمنون عهد وذمة ، وهم إن يظهروا عليكم يغلبوكم ، لا يرقبوا فيكم إلا واذمة ، واكتفى بكيف دليلاً على معنى الكلام ، لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها ، وكذلك تفعل العرب إذا أعادت الحرف بعد مضى معناه استجازوا حذف الفعل ، كما قال الشاعر :

وَخَبَّرْتُ مَنِيَّ أَنَّمَا الْمَوْتُ فِي الْقُرَى فَكَيْفَ وَهَذِي هَضْبَةٌ وَكَثِيبٌ ۱

فحذف الفعل بعد كيف لتقدم ما يراد بعدها قبلها .

ومعنى الكلام : فكيف يكون الموت في القرى وهذي هضبة وكثيب لا ينجو فيهما منه أحد .
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (لا يرقبوا فيكم إلا واذمة) فقال بعضهم : معناه : لا يرقبوا الله فيكم ولا عهداً .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (لا يرقبون في مؤمنين إلا) قال الله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن سليمان ، عن أبي مجلز ، في قوله (لا يرقبون في مؤمنين إلا واذمة) قال : مثل قوله جبرائيل ميكائيل إسرافيل ، كأنه يقال : يضاف جبر وميكا وإسراف إلى إيل ، يقول عبد الله لا يرقبون في مؤمنين إلا ، كأنه يقول : لا يرقبون الله .

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي (مجموع أشعار العرب ١ : ١٤) من قصيدة له ، عدة أبياتها ثلاثة وعشرون ، وهو التاسع عشر فيها ، يرقى أخاه . ورواية البيت فيه :

وَإِذَا تَمَّتْ نِيَّاتِي أَنَّمَا الْمَوْتُ فِي الْقُرَى فَكَيْفَ وَهَاتَا رَوْضَةٌ وَقَلِيبٌ

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) لا يرقبون الله ولا غيره .

وقال آخرون : الإل : القرابة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) يقول : قرابة ولا عهدا ، وقوله (وَأِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) قال : الإل : يعني القرابة ، والذمة : العهد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس (لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) الإل : القرابة ، والذمة : العهد ، يعني : أهل العهد من المشركين ، يقول : ذمهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، وعبد بن حوشب ، عن الضحاك : الإل : القرابة .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا محمد بن عبد الله ، عن سلمة بن كهيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) قال : الإل : القرابة ، والذمة : العهد .
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) الإل : القرابة ، والذمة : الميثاق .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) المشركون ، لا يرقبوا فيكم عهدا ولا قرابة ولا ميثاقا .
وقال آخرون : معناه : الحلف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) قال : الإل : الحلف ، والذمة : العهد .
وقال آخرون : الإل : هو العهد ، ولكنه كرر لما اختلف اللفظان ، وإن كان معناهما واحدا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلَّا) قال : عهدا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) قال : لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة : قال : إحداهما من صاحبها كهيئة غفور رحيم ، قال : فالكلمة واحدة وهي تفرق ، قال : والعهد هو الذمة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن خصيف ، عن مجاهد (وَلَا ذِمَّةً) قال : العهد .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن خصيف ، عن مجاهد (وَلَا ذِمَّةٌ)

قال : الذمة : العهد .
 قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم وحصرهم والقفود لهم على كل مرصد أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم إلا ، والإل : اسم يشتمل على معان ثلاثة : وهي العهد ، والعقد ، والحلف ، والقربة ، وهو أيضا بمعنى الله ؛ فإذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة ، ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى ، فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة ، فيقال : لا يرقبون في مؤمن الله ، ولا قرابة ، ولا عهدا ، ولا ميثاقا . ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القرابة قول ابن مقبل :

أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَبَتْهُمَا وَقَطَعُوا الْقِرَابَةَ وَأَعْرَاقَ الرَّحِيمِ ١

بمعنى : قطعوا القرابة ؛ وقول حسان بن ثابت :

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِيَّاكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَالسَّقَبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ ٢

وأما معناه إذا كان بمعنى العهد ، فقول القائل :

وَجَدْنَا هُمْ كَاذِبًا إِيَّاهُمْ وَذُو الْإِلِّ وَالْعَهْدِ لَا يَكْذِبُ ٣

وقد زعم بعض من ينسب إلى معرفة كلام العرب من البصريين ، أن الإل والعهد والميثاق واليمين واحد ، وأن الذمة في هذا الموضع : التذم ممن لا عهد له ، والجمع : ذم . وكان ابن إسحاق يقول : عني بهذه الآية : أهل العهد العام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (كَيْفَ وَإِنْ يَنْظُرُوا عَلَيْنَا مِنْكُمْ) أي المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل العهد العام (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ) .

فأما قوله (يَرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ) فإنه يقول : يعطونكم بألسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم في نفوسهم من العداوة والبغضاء (وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ) : أي تأتي عليهم قلوبهم أن يدعوا لكم بتصديق ما يبدوه لكم بألسنتهم ، يحذر جل ثناؤه أمرهم المؤمنين ، ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم ، حيث وجدوا من أرض الله ، وألا يقصروا في مكروهم بكل ما قدروا عليه (وَأَكْسَرُهُمْ فَاسِقُونَ) : يقول : وأكثرهم مخالفون عهدكم ، ناقضون له ، كافرون بربهم ، خارجون عن طاعته .

(١) الخلوف : جمع خلف ، بسكون اللام ، وهم الذين يخلفون غيرهم في ديارهم ، خيارا كانوا أو أشرارا . وقيل إنه خاص بالأشرار ، يقال : هؤلاء خلف سوء ، وهم الأخساء الأردياء . والإل في البيت بمعنى القرابة وهو بمعنى ما بعده .

(٢) البيت أورده صاحب (اللسان : آل) ونسبه لحسان بن ثابت ، واستشهد به على أن الإل في البيت معناه القرابة .

(٣) الإل هنا : بمعنى العهد ، بقرينة عطف « العهد » عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَسَدًا وَعَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾

يقول جل ثناؤه : ابتاع هؤلاء المشركون الدين أمركم الله أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم بتركهم اتباع ما احتج الله به عليهم من حججه يسيرا من العوض قليلا من عرض الدنيا ، وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكلة أطعمهموها أبو سفيان بن حرب :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) قال أبو سفيان بن حرب : أطعم حلفاءه ، وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
وأما قوله (فَوَسَدًا وَعَن سَبِيلِهِ) فإن معناه : فنعوا الناس من الدخول في الإسلام ، وحاولوا رد المسلمين عن دينهم (لَإِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول جل ثناؤه : إن هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم ، ساء عملهم الذي كانوا يعملون من اشتراهم الكفر بالإيمان ، والضلالة بالهدى ، وصدّهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله ، أو من أراد أن يؤمن .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : لا يتقى هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم في قتل مؤمن لو قدروا عليه (إِلَّا وَاذِمَّةً) يقول : فلا تبقوا عليهم أيها المؤمنون ، كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) يقول : المتجاوزون فيكم إلى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

يقول جل ثناؤه : فإن رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله إلى الإيمان به وبرسوله ، وأنابوا إلى طاعته ، وأقاموا الصلاة المكتوبة ، فأدّوها بحدودها ، وآتوا الزكاة المفروضة أهلها (فَأِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) يقول : فهم إخوانكم في الدين الذي أمركم الله به ، وهو

الإسلام (وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ) يقول : ونبين حجج الله وأدلته على خلقه (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ما بين لهم فنشرحها لهم مفصلة دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ، ومحكم آياته .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) يقول : إن تركوا اللات والعزى ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله (فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ، وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن رجل ، عن ابن عباس (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ) قال : حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : افترضت الصلاة والزكاة جميعا ، لم يفرق بينهما ، وقرأ (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) وأبي أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة . وقال : رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : أمرتم بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ومن لم يترك فلا صلاة له ، وقيل (فَإِخْوَانُكُمْ) فرجع بضمير فهم إخوانكم ، إذ كان قد جرى ذكرهم قبل ، كما قال (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) : بمعنى : فهم إخوانكم في الدين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ تَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ
إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : فإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش عهودهم من بعد ما عاهدوكم ، أن لا يقاتلوكم ، ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ) يقول : وقد حوا في دينكم الإسلام ، فثلموه وعابوه (فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ) يقول : فقاتلوا رؤساء الكفر بالله (إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ) يقول : إن رؤساء الكفر لا عهد لهم (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم ، والمظاهرة عليكم .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف بينهم في المعنيين بأئمة الكفر ، فقال بعضهم : هم أبو جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وأبوسفيان بن حرب ونظراؤهم . وكان حذيفة يقول : لم يأت أهلها بعد .

ذكر من قال : هم من سميت

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ) . . . إلى (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) يعني : أهل العهد من المشركين ، ساهم أئمة الكفر ، وهم كذلك يقول الله لنبيه : وإن نكثوا العهد الذي بينك وبينهم فقاتل أئمة الكفر ، لأنهم لا أيمان لهم ، لعلهم ينتهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ) . . . إلى (يَنْتَهُونَ) ، فكان من أئمة الكفر : أبو جهل بن هشام ، وأميه بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبوسفيان ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين هموا باخراجه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : أئمة الكفر : أبوسفيان ، وأبو جهل ، وأميه بن خلف ، وسهيل بن عمرو ، وعتبة بن ربيعة .

حدثنا ابن وكيع وابن بشار ، قال ابن وكيع : ثنا غندر ، وقال ابن بشار : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد (فَقاتِلُوا أئمة الكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أيمانَ لَهُمْ) قال أبوسفيان منهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ) . . . إلى (يَنْتَهُونَ) هؤلاء قريش ، يقول : إن نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام وطعنوا فيه ، فقاتلوهم .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَقاتِلُوا أئمة الكُفْرِ) يعني : رأس المشركين أهل مكة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَقاتِلُوا أئمة الكُفْرِ) أبوسفيان بن حرب ، وأميه بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين نكثوا عهد الله ، وهموا باخراج الرسول ، وليس والله كما تأوله أهل الشبهات والبدع والفرى على الله ، وعلى كتابه .

ذكر الرواية عن حذيفة بالذي ذكرنا عنه

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن حذيفة (فَقاتِلُوا أئمة الكُفْرِ) قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا حبيب بن حسان ، عن زيد بن وهب ، قال : كنت عند حذيفة ، فقرأ هذه الآية (فَقاتِلُوا أئمة الكُفْرِ) فقال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، قال : قرأ حذيفة (فَقاتِلُوا أئمة الكُفْرِ) قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر (إِنَّهُمْ
لَأَيْمَانَ لَهُمْ) لاعهد لهم .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنْ
نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ) قال : عهدهم .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ)
عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن صلة ، عن عمار بن
ياسر ، في قوله (لَأَيْمَانَ لَهُمْ) قال : لاعهد لهم .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن
حذيفة في قوله (فَفَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَيْمَانَ لَهُمْ) قال : لاعهد لهم . وأما النكث فإن أصله :
النقض ، يقال منه : نكث فلان قوى جبلة إذا نقضها ، والأيمان : جمع اليمين .

واختلفت القراء في قراءة قوله (إِنَّهُمْ لَأَيْمَانَ لَهُمْ) فقرأه قرءاء الحجاز والعراق وغيرهم (إِنَّهُمْ
لَأَيْمَانَ لَهُمْ) بفتح الألف من « أيمان » بمعنى : لاعهود لهم على ما قد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه .
وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك (إِنَّهُمْ لَأَيْمَانَ لَهُمْ) بكسر الألف ، بمعنى : لا إسلام
لهم ، وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا ، وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك : أنهم لا أمان
لهم : أي لا تؤمنوهم ، ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم ، كأنه أراد المصدر من قول القائل : آمنته ، فأنا
أومنه إيمانا .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءات في ذلك الذي لأستجيز القراءة بغيره ، قراءة من قرأ بفتح
الألف دون كسرها ، لإجماع الحجة من القراء على القراءة به ، ورفض خلافه ، وإجماع أهل التأويل على
ما ذكرت من أن تأويله لاعهد لهم ، والأيمان التي هي بمعنى العهد ، لا تكون إلا بفتح الألف ، لأنها جمع
يمين كانت على عقد كان بين المتوادعين .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ قَاتَلُوا قَوْمًا زَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ أَوْ بِأَخْرَاجِ الرُّسُولِ وَهُمْ بَدَأُ وَاوَّلُ
مَرَّةٍ اتَّخَشَوْهُمْ قَالَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله ، حاضاً لهم على جهاد أعدائهم من المشركين : ألا تقاتلون
أيها المؤمنون هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذي بينكم وبينهم ، وطعنوا في دينكم ، وظاهروا عليكم
أعداءكم ، وهموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم ، فأخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال ، يعني فعلهم

ذلك يوم بدر . وقيل : قتلهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة (أَتَخَشَّوْهُمْ) يقول :
أتخافونهم على أنفسهم ، فتركوا قتالهم خوفا على أنفسهم منهم (فالله أحق أن تخشوه) يقول : فالله
أولى بكم أن تخافوا عقوبته بترككم جهادهم ، وتحذروا سخطه عليكم من هؤلاء المشركين ، الذين لا يملكون
لكم ضرا ولا نفعاً إلا باذن الله (إن كنتم مؤمنين) يقول : إن كنتم مقرين أن خشية الله لكم أولى من
خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (ألا
تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ، وهمموا باخراج الرسول) يقول : هموا
باخراجه فأخرجوه (وهمم بداء وكم أول مرة) بالقتال .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وهمم
بداء وكم أول مرة) قال : قتال قريش حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك ، ممن
نقض من أهل العهد ومن كان من أهل العهد العام بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلا ، إلا أن يعودوا
فيها على دينهم ، فيقبل بعد ، ثم قال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهمموا باخراج الرسول)
... إلى قوله (والله خبير بما تعملون) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْكُمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ

﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : قاتلوا أيها المؤمنون بالله ورسوله هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم ، ونقضوا
عهودهم بينكم وبينهم ، وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم (يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ)
يقول : يقتلهم الله بأيديكم (وَيُخْرِجُهُمْ مِنْكُمْ) يقول : ويذلهم بالأسر والقهر (وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ)
فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ) يقول : ويرى داء صدور قوم مؤمنين
بالله ورسوله بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم ، وإذلالكم وقهركم إياهم ، وذلك الداء هو ما كان في قلوبهم
عليهم من الموجدة بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه . وقيل : إن الله عني بقوله : (وَيَشْفِ)

صُدُورِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) : صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشا نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعونتهم بكررا عليهم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد في هذه الآية (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) قال : خزاعة .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، عن أسباط ، عن السدي (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) قال خزاعة يشف صدورهم من بني بكر .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، مثله .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) خزاعة حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) قال : حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَذْهَبُ غِيظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

يقول الله تعالى ذكره : ويذهب وجد قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة ، على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين ونعمها وكرها بما فيها من الوجد عليهم ، بمعونتهم بكررا .
كما حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن محمد العنقزي ، عن أسباط ، عن السدي (وَيَذْهَبُ غِيظَ قُلُوبِهِمْ) حين قتلهم بنو بكر ، وأعانهم قريش .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، مثله ، إلا أنه قال : وأعانهم عليهم قريش .
وأما قوله (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ) فانه خبر مبتدأ ، ولذلك رفع وجزم الأحرف الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة ، كأنه قال : قاتلوهم فإنكم إن قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ، ثم ابتداء فقال (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ) لأن القتال غير موجب لهم التوبة من الله ، وهو موجب لهم العذاب من الله ، والحزى ، وشفاء صدور المؤمنين ، وذهاب غيظ قلوبهم ، فجزم ذلك شرطا وجزاء على القتال ، ولم يكن موجبا للقتال التوبة ، فابتدأ الحكم به ورفع .
ومعنى الكلام : ويمن الله على من يشاء من عباده الكافرين ، فيقبل به إلى التوبة بتوفيقه إياه ، والله عليم بسرائر عباده ، ومن هو للتوبة أهل ، فيتوب عليه ، ومن منهم غير أهل لها فيخذه ، حكيم في تصريح

عباده من حال كفر إلى حال إيمان بتوفيق من وفقه لذلك ، ومن حال إيمان إلى كفر بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده ، وغير ذلك من أمرهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بقتال هؤلاء المشركين ، الذين نقضوا عهدهم الذي بينهم وبينه بقوله (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ) . . . الآية ، حاضراً على جهادهم ، أم حسبتم أيها المؤمنون أن يترككم الله بغير محنة يمتحنكم بها ، وبغير اختبار يختبركم به ، فيعرف الصادق منكم في دينه من الكاذب فيه (وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا) يقول : أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم في سبيله ، من المضيعين أمر الله في ذلك المفرطين (وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ) يقول : ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله ، ولا من دون المؤمنين (وَلِجَنَّةٍ) هو الشيء يدخل في آخر غيره ، يقال منه : ولج فلان في كذا يلججه فهو وليجة . وإنما عني بها في هذا الموضع : البطانة من المشركين ، نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء يفشون إليهم أسرارهم (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول : والله ذو خبرة بما تعملون من اتخاذكم من دون الله ودون رسوله ، والمؤمنين به أولياء وبطانة ، بعد ما قد نهاكم عنه ، لا يخفى ذلك عليه ، ولا غيره من أعمالكم ، والله مجازيكم على ذلك ، إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشرّاً .

وبنحو الذي قلت في معنى الوليجة ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ) يتولجها من الولاية للمشركين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (وَلِجَنَّةٍ) قال : دخلاً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا) . . . إلى قوله (وَلِجَنَّةٍ) قال : أبي أن يدعهم دون التمهيص ، وقرأ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا) وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) ، وقرأ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا) تَدَخَّلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) (وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَسْئَلُ الَّذِينَ خَلَّوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . الآيات كلها ، أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحصهم ويختبرهم ، وقرأ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ يُتْرَكُوا) أن يقولوا آمناً وهم لا يفطنون) لا يختبرون (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) أبي الله إلا أن يمحص .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وليجة) قال : هو الكفر والنفاق ، أو قال أحدهما .

وقيل (أم حسبت) ولم يقل : أحسبتم ، لأنه من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ، فأدخلت فيه أم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ ، وقد بينت نظائر ذلك في غير موضع من الكتاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله ، وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر . يقول : إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها ، لا للكفر به ، فمن كان بالله كافرا ، فليس من شأنه أن يعمر مساجد الله .

وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر ، فإنها كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) يقول : ما ينبغي لهم أن يعمروها . وأما شاهدين على أنفسهم بالكفر ، فإن النصراني يسئل : ما أنت ، فيقول : نصراني ، واليهودي ، فيقول : يهودي ، والصابئي ، فيقول : صابئي ، والمشرک يقول إذا سأله : ما دينك ؟ فيقول : مشرك ، لم يكن ليقوله أحد إلا العرب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو العنقزي ، عن أسباط ، عن السدي (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) قال : يقول : ما كان ينبغي لهم أن يعمروها . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي (شاهدين على أنفسهم بالكفر) قال : النصراني يقال له : ما أنت ؟ فيقول : نصراني ، واليهودي يقال له ما أنت ؟ فيقول : يهودي ، والصابئي يقال له : ما أنت ؟ فيقول : صابئي .

وقوله (أولئك حبطت أعمالهم) يقول : بطلت وذهبت أجورها ، لأنها لم تكن لله ، بل كانت للشيطان (وفي النار هم خالدون) يقول : ما كثون فيها أبدا ، لأحياء ولا أمواتا . واختلفت القراء في قراءة قوله (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة (مساجد الله) على الجمع ؛ وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين (مسجداً لله) على التوحيد ، بمعنى المسجد الحرام ، وهم جميعا مجمعون على قراءة قوله (مساجد الله) على الجمع ، لأنه إذا قرئ كذلك احتتمل معنى الواحد والجمع ، لأن العرب قد تذهب بالواحد إلى الجمع ، وبالجمع إلى الواحد ، كقولهم : عليه ثوب أخلاق .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أَوْلَىٰكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : إنما يعمر مساجد الله المصدق بوحداية الله ، المخلص له العبادة واليوم الآخر ، يقول : الذي يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة ، وأقام الصلاة المكتوبة بحدودها ، وأدى الزكاة الواجبة عليه في ماله إلى من أوجبها الله له (ولم يخش إلا الله) يقول : ولم يرهب عقوبة شيء على معصيته إياه سوى الله (فعسى أَوْلَىٰكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ) يقول : فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وإصابة الصواب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) يقول : من وحد الله ، وآمن باليوم الآخر يقول : أقر بما أنزل الله (وأقام الصلاة) يعني الصلوات الخمس (ولم يخش إلا الله) يقول : ثم لم يعبد إلا الله ، قال (فعسى أَوْلَىٰكَ) يقول : إن أولئك هم المنفلحون ، كقوله لنبيه (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) يقول : إن ربك سيبعثك مقاما محمودا ، وهي الشفاعة ، وكل عسى في القرآن فهي واجبة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم در قول قريش : إنا أهل الحرم ، وسقاة الحاج ، وعمار هذا البيت ، ولا أحد أفضل منا ، فقال (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) : أي إن عمارتكم ليست على ذلك ، إنما يعمر مساجد الله : أي من عمرها بحقها ، من آمن بالله واليوم الآخر (وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، ولم يخش إلا الله) فأولئك عمارها (فعسى أَوْلَىٰكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ) وعسى من الله حق .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت ، فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والجهاد في سبيله لا في الذي افتخروا به من السدانة والسقاية ، وبذلك جاءت الآثار ، وتأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو الوليد الدمشقي أحمد بن عبدالرحمن ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنى معاوية بن سلام ، عن جده أبي سلام الأسود ، عن النعمان بن بشير الأنصاري ، قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فقال رجل منهم : ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أسقى الحاج ، وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام ، وقال آخر : بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلت ، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك يوم الجمعة ، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيته فيما اختلفتم فيه ، قال : ففعل ، فأنزل الله تبارك وتعالى (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) . . . إلى قوله (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر : لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد ، لقد كنا نعمار المسجد الحرام ، ونسقى الحاج ، ونفك العاني ، قال الله (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) . . . إلى قوله (الظَّالِمِينَ) يعني أن ذلك كان في الشرك ، ولا أقبل ما كان في الشرك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) . . . إلى قوله (الظَّالِمِينَ) وذلك أن المشركين قالوا : عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد ، وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره ، فذكر الله استكبارهم وإعراضهم ، فقال لأهل الحرم من المشركين (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ ، فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ) يعني أنهم يستكبرون بالحرم ، وقال به سامرا لأنهم كانوا يسمرون ويهجون القرآن ، والنبى صلى الله عليه وسلم فخير الإيمان بالله والجهاد مع نبي الله صلى الله عليه وسلم على عمران المشركين البيت ، وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به أن كانوا يعمرون بيته ، ويخدمونه ، قال الله (لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يعني : الذين زعموا أنهم أهل العمارة ، فسامهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئاً .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن النعمان بن بشير ، أن رجلاً قال : ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج ، وقال آخر : ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمار المسجد الحرام ، وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلت ، فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك

يوم الجمعة ، ولكن إذا صلى الجمعة دخلنا عليه ، فنزلت (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . . . إلى قوله (لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عمرو عن الحسن ، قال : نزلت في عليّ وعباس وعثمان وشيبة ، تكلموا في ذلك فقال العباس : ما أراني إلا تارك سقايتنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَقِيمُوا عَلَى سِقَايَتِكُمْ فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا خَيْرًا » .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، قال : نزلت في عليّ وعباس ، تكلموا في ذلك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرت عن أبي صخر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : افتخر طلحة بن شيبه من بني عبد الدار ، وعباس بن عبد المطلب ، وعليّ بن أبي طالب ، فقال طلحة : أنا صاحب البيت معي مفتاحه ، لو أشاء بتّ فيه . وقال عباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، ولو أشاء بتّ في المسجد ، وقال عليّ : ما أدري ما تقولان : لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد ، فأنزل الله (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . . . الآية كلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : لما نزلت (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) قال العباس : ما أراني إلا تارك سقايتنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَقِيمُوا عَلَى سِقَايَتِكُمْ فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا خَيْرًا » .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل . قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) قال : افتخر عليّ وعباس وشيبة بن عثمان ، فقال العباس : أنا أفضلكم ، أنا أسقى حجاج بيت الله ، وقال شيبة : أنا أعمار مسجد الله ، وقال عليّ : أنا دا جرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجاهد معه في سبيل الله ، فأنزل الله (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) . . . إلى (نَعِيمٌ مُّبْتَلِيًّا) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) . . . الآية ، أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أُسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك ، فقال العباس : أما والله لقد كنا نعمار المسجد الحرام ، ونفك العاني ، ونحجب البيت ، ونسقى الحاج ، فأنزل الله (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) . . . الآية .

فتأويل الكلام إذن : أجعلتم أيها القوم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد في سبيل الله ، لا يستوون هؤلاء وأولئك ، ولا تعدل أحوالهما عند الله ومنازلهما ، لأن الله تعالى لا يقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملاً (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول : والله

لا يوفق لصالح الأعمال من كان به كافراً ، ولتوحيد جاحدا ، ووضع الاسم موضع المصدر في قوله (كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ) إذ كان معلوماً معناه ، كما قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْسِبْتَ اللَّحَى وَلَكِنَّمَا الْفِتْيَانُ كُلُّ فَتَى نَدَى

فجعل خبر الفتیان « أن » ، وهو كما يقال : إنما السخاء حاتم ، والشعر زهير .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ

اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

❦ وهذا قضاء من الله بين فرق المفتخرين الذين افتخر أحدهم بالسقاية ، والآخر بالسدانة ، والآخر بالإيمان بالله ، والجهاد في سبيله ، يقول تعالى ذكره : الذين آمنوا بالله : صدقوا بتوحيده من المشركين ، وهاجروا دور قومهم ، وجاهدوا المشركين في دين الله بأموالهم وأنفسهم ، أعظم درجة عند الله ، وأرفع منزلة عنده من سقاة الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، وهم بالله مشركون (وَأُولَئِكَ) يقول : وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا ، وهم الفائزون بالجنة ، الناجون من النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ربهم برحمة منه لهم أنه قد رحمهم من أن يعذبهم ، وبرضوان منه لهم ، بأنه قد رضى عنهم بطاعتهم إياه ، وأدائهم ما كلفهم ، وجنات ، يقول : وبساتين لهم فيها نعيم مقيم لا يزول ولا يبديد ، ثابت دائم أبدا لهم . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الموسوي ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ابن عبد الله ، قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال الله سبحانه : أعطيتكم أفضل من هذا ، فيقولون : ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ قال : رضواني » .

القول في تأويل قوله تعالى :

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره (خَالِدِينَ فِيهَا) ما كثر فيها ، يعني في الجنات (أَبَدًا) لانهاية لذلك ولا حد

(١) البيت من شواهد الكسائي أنشده الفراء في معاني القرآن ص ١٢٤ مصورة جامعة القاهرة ، عند قوله تعالى : (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) ؟ قال : لم يقل سقاة الحاج وعمارة . . . كمن آمن ، فهذا مثل قوله (ولكن البر من آمن بالله) يكون المصدر يكتفى من الأسماء ، والأسماء من المصدر ، إذا كان المعنى مستدلاً عليه بهما ، أنشدني الكسائي : لعمر . . البيت ومعنى البيت لا يبلغ الفتى كمال الفتوة والمروءة بنيات لحيته ، ولكن باستحكام عادة السخاء والجود فيه .

(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) يقول : إن الله عنده لهُولاء المؤمنين الذين نعمهم جل ثناؤه النعت الذي ذكر في هذه الآية أجر: ثواب على طاعتهم لربهم ، وأدائهم ما كلفهم من الأعمال عظيم ، وذلك النعم الذي وعدهم أن يعطيهم في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٨﴾

* يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم ، وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله ، وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام (إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ) يقول : إن اختاروا الكفر بالله على التصديق به ، والإقرار بتوحيده (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ) يقول : ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين ، ويؤثر المقام معهم على الهجرة إلى رسول الله ودار الإسلام (فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) يقول : فالذين يفعلون ذلك منكم هم الذين خالفوا أمر الله ، فوضعوا الولاية في غير موضعها ، وعصوا الله في أمره ، وقيل : إن ذلك نزل نهيًا من الله المؤمنين عن موالاته أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) قال : أمروا بالهجرة فقال العباس بن عبد المطلب : أنا أسقى الحاج ، وقال طلحة أخو بني عبد الدار : أنا صاحب الكعبة فلا مهاجر ، فأنزلت (لَا تَتَّخِذُوا ءَآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ) . . . إلى قوله (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْفَتْحِ) بأمره في أمره إياهم بالهجرة ، هذا كله قبل فتح مكة .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِن كَانَتْ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٤﴾

* تقول ببارك و تعالى لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام ، المقيمين بدار الشرك : إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وكانت أموال اقترفتوها ، يقول : اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) بفراقكم بلدكم (ومساكين

تَرْضَوْهَا) فسكنتموها (أحب إليكم) من الهجرة إلى الله ورسوله من دار الشرك ومن جهاد في سبيله ،
يعني في نصره دين الله الذي ارتضاه (فَتَرَبَّصُوا) يقول: فتنظروا (حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) حتى يأتي
الله بفتح مكة (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) يقول: والله لا يوفق للخير الجارحين عن طاعته
وفي معصيته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (حتى
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) بالفتح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَتَرَبَّصُوا حَتَّى
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) فتح مكة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَمْوَالٌ
اِقْتَرَفْتُمُوهَا ، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا) يقول : تخشون أن تكسد فتبيعوها (وَمَسَاكِينٌ تَرْضَوْنَهَا)
قال : هي القصور والمنازل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَمْوَالٌ اِقْتَرَفْتُمُوهَا)
يقول : أصبتموها .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ
شَيْئًا وَضَاقَ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : لقد نصركم الله أيها المؤمنون في أماكن حرب توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم
ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ) يقول : وفي يوم حنين أيضا قد نصركم . وحنين :
واد فيما ذكر بين مكة والطائف ، وأجرى لأنه مذكر اسم لمذكر ، وقد يترك إجراؤه ، ويراد به أن يجعل
اسما للبلدة التي هو بها ، ومنه قول الشاعر :

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ
بِحُنَيْنِ يَوْمَ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالِ ١

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثني أبي ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن

(١) البيت لحسان بن ثابت (تاج العروس : حن) وحنين كزبير : موضع بين الطائف ومكة ، يذكر ويؤنث ، ويصرف
ولا يصرف . قال الفراء في معاني القرآن : وقوله (ويوم حنين) : واد بين مكة والطائف ، وجرى حنين لأنه اسم لمذكر ، وإذا
سميت ماء أو واديا أو جبلا باسم مذكر لاعلة فيه أجرته ، من ذلك حنين وبدر وأحد وحرأ وثبير ودابق وواسط ، وإنما سمي واسطا بالقصر
الذي بناه الحجاج بين الكوفة والبصرة ؛ ولو أراد البلدة أو اسما مؤنثا لقال واسطة وربما جعلت العرب ، واسط وحنين وبدر اسما للبلدة
التي هو بها ، فلا يجرونه . وأنشد بعضهم : نصروا نبيهم البيت .

عروة ، عن عروة ، قال : حنين : واد إلى جنب ذى المجاز (إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) وكانوا ذلك اليوم فيما ذكر لنا اثني عشر ألفا . ورؤى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ذَلِكَ الْيَوْمَ لَنْ نُغْلَبَ مِنْ قَلَّةٍ » . وقيل : قال ذلك رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قول الله (إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا) يقول : فلم تغن عنكم كثرتكم شيئا (وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) يقول : وضافت الأرض بسعتها عليكم ، والباء ههنا في معنى في ، ومعناه : وضافت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها ، يقال منه : مكان رحيب : أى واسع ؛ وإنما سميت الرحاب رحابا لسعتها (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) عن عدوكم منهزمين مدبرين ، يقول : وإيتموهم الأدبار ، وذلك الهزيمة ؛ يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده ، وأنه ليس بكثرة العدد ، وشدة البطش ، وأنه ينصر القليل على الكثير إذا شاء ، ويخلى القليل فيهزم الكثير .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ) حتى بلغ (وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) قال : وحنين ماء بين مكة والطائف قاتل عليها نبي الله هوازن وثقيف ، وعلى هوازن مالك بن عوف أخو بني نصر ، وعلى ثقيف عبد ياليل بن عمرو الثقفي ، قال : وذكر لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا ، عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار ، وألفان من الطلقاء ، وذكر لنا أن رجلا قال يومئذ : لن نغلب اليوم بكثرة . قال : وذكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس ، وجلوا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل عن بغلته الشهباء ، وذكر لنا أن نبي الله قال : « أَيُّ رَبِّ آتَيْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي » قال : والعباس أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : نادِ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، فجعل ينادى الأنصار فخذوا فخذنا ، ثم نادى : يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ قال : فجاء الناس عنقوا واحدا ، فالتفت نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا عصاية من الأنصار ، فقال : هَلْ مَعَكُمْ غَيْرُكُمْ ؟ فقالوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَوْ عَمِدَتِ إِلَى بَرَكِ الْغَمَادِ مِنْ ذِي يَمَنِ لَكُنَّا مَعَكَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ ، وَهَزَمَ عَدُوَّهُمْ ، وَتَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ ، قَالَ : وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ كِفَا مِنْ تَرَابٍ ، أَوْ قَبْضَةً مِنْ حَصْبَاءٍ ، فَرَمَى بِهَا وَجْهَ الْكُفَّارِ ، وَقَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، فَانْهَزَمُوا ؛ فَلَمَّا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَنَائِمَ ، وَأَتَى الْجِعْرَانَ ، فَقَسَمَ بِهَا مَغَانِمَ حُنَيْنٍ ، وَتَأَلَّفَ أَنَا سَا مِنَ النَّاسِ فِيهِمْ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالْحَرِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَسَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : حَنَّ الرَّجُلُ إِلَى قَوْمِهِ ، فَلَبِغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ فِي قَبَةِ لَهُ مِنْ أَدَمَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي ، أَلَمْ تَكُونُوا ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ ، وَكُنْتُمْ أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ ، وَكُنْتُمْ وَكُنْتُمْ ، قَالَ : فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : ائْذَنْ لِي فَأَتَكَلِّمُ ، قَالَ : تَكَلَّمْ ، قَالَ : أَمَا قَوْلُكَ :

في بني الحرث بن الخزرج ، فتنادوا : يا بني الحرث بن الخزرج ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته ، كالمطاول إلى قتالهم ، فقال هذا حين حمى الوطيس ، ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها ، ثم قال : انهزموا ورب الكعبة ، انهزموا ورب الكعبة ، قال : فوالله ما زال أمرهم مدبرا وخدمهم قليلا حتى هزمهم الله ، قال : فلكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي ، ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك ، فقالوا : يا رسول الله ، أنت خير الناس وأبر الناس ، وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن عندى من ترون ، وإن خير القول صدقه ، اختاروا إما ذراريكم ونساءكم ، وإما أموالكم ، قالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن هؤلاء قد جاءوني مسلمين ، وإننا خيرناهم بين الذراري والأموال ، فلم يعدلوا بالأحساب شيئا ، فمن كان بيده منهم شيء ، فطابت نفسه أن يرده فليفعل ذلك ، ومن لا فليعطنا ، وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه ، فقالوا : يا نبي الله رضينا وسلمنا ، فقال : إني لأدري ، لعل منكم من لا يرضى ، فمروا عرفاءكم فليعرفوا ذلك إلينا ، فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا وسلموا .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : ثنا يعلى بن عطاء ، عن أبي همام عن أبي عبد الرحمن ، يعنى الفهرى ، قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين ، فلما ركبت الشمس ، لبست لأمتي ، وركبت فرسى ، حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظل شجرة ، فقلت : يا رسول الله قد حان الرواح ، فقال أجعل ، فنادى : يا بلال يا بلال ، فقام بلال من تحت سمره ، فأقبل كأن ظله ظل طير ، فقال : لبيك وسعديك ، ونفسي فداؤك يا رسول الله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أسرج فرسي ، فأخرج سرجا دفناه حشوها ليف ، ليس فيهما أشر ، ولا بطر ، قال : فركب النبي صلى الله عليه وسلم ، فصافناهم يومنا وليلتنا ، فلما التقى الخيلان ولى المسلمون مدبرين ، كما قال الله ، فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباد الله ، يا معشر المهاجرين ، قال : وما ل النبي صلى الله عليه وسلم عن فرسه ، فأخذ حفنة من تراب ، فرمى بها وجوههم ، فولوا مدبرين ، قال يعلى بن عطاء : فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا : ما بقى منا أحد إلا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت البراء ، وسأله رجل من قيس : فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فقال البراء : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ، وكانت هوازن يومئذ رماة ، وإنما لما حملنا عليهم انكشفوا فأكبنا على الغنائم ، فاستقبلونا بالسهم ، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحرث أخذ بلجامها ، وهو يقول :

أنا النَّبِيُّ لَا كَذِبٌ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : سأله رجل : يا أبا عمارة ، ولتيم يوم حنين ، فقال البراء : وأنا أسمع : أشهد أن رسول الله لم يول يوماً دبره ، وأبوسفيان يقود بغلته ، فلما غشيه المشركون ، نزل فجعل يقول :

أنا النَّبِيُّ لَا كَذِبٌ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

فما روى يومئذ أحد من الناس كان أشد منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عوف الأعرابي ، عن عبد الرحمن مولى أم برثن ، قال : ثنا رجل كان من المشركين يوم حنين ، قال : لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ، لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم ، فبينما نحن نسوقهم ، إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء ، فتلقانا رجال بيض ، حسان الوجوه ، فقالوا لنا : شأهت الوجوه ارجعوا فرجعنا ، وركبنا القوم فكانت إياها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، قال : ويومئذ سمي الله الأنصار مؤمنين ، قال : (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا) قال : كانوا اثني عشر ألفا .

حدثنا محمد بن يزيد الآدمي ، قال : ثنا معن بن عيسى ، عن سعيد بن السائب الطائفي ، عن أبيه ، عن يزيد بن عامر ، قال : لما كانت انكشافه المسلمين حين انكشفوا يوم حنين ضرب النبي صلى الله عليه وسلم يده إلى الأرض ، فأخذ منها قبضة من تراب ، فأقبل بها على المشركين وهم يتبعون المسلمين ، فحشاها في وجوههم وقال : ارجعوا شأهت الوجوه ، قال : فانصرفنا ما يلتقى أحد أحدا ، إلا وهو يمسح القذى عن عينيه .

وبه عن يزيد بن عامر السوائي ، قال : قيل له : يا أبا حاجز الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين ماذا وجدتم ، قال : وكان أبو حاجز مع المشركين يوم حنين ، فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطن ، ثم يقول : كان في أجوافنا مثل هذا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن عوف ، قال : سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن أو أم مريم ، قال : ثنا رجل كان في المشركين يوم حنين ، قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، لم يقوموا لنا حلب شاة ، قال : فلما كشفناهم جعلنا

(١) هذان بيتان من مجزوء الرجز ، ينسبان إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يكن النبي شاعرا ، ونفى الله عنه صنعة الشعر (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) وإنما هو صاحب قرآن ، ورسالة إنسانية شاملة ، ومثل هذا القدر من القول الموزون ، مما يتفق وقوعه في كلام كثير من عامة الناس ، فضلا عن خاصتهم ، ولا يسمى قائله شاعرا (انظر شرح النووي على صحيح مسلم في غزوة حنين) .

نسوقهم في أديبارهم ، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فتلقانا عنده رجال بيض ، حسان الوجوه ، فقالوا لنا : شأهت الوجوه ارجعوا ، قال : فانهزمتنا وركبوا أكتافنا ، فكانت إياها .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رحبت وتوليتكم الأعداء أديباركم ، كشف الله نازل البلاء عنكم ، بانزاله السكينة ، وهى الأمانة والطمأنينة عليكم . وقد بيننا أنها فعيلة من السكون فيما مضى من كتابنا هذا قبل بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع (وأنزل جنوداً لم تروها) وهى الملائكة التى ذكرت فى الأخبار التى قد مضى ذكرها (وعذب الذين كفروا) يقول : وعذب الله الذين جحدوا وحدانيتته ، ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالقتل وسبى الأهلين والذرارى ، وسلب الأموال والذلة (وذلك جزاء الكافرين) يقول : هذا الذى فعلنا بهم من القتل والسبى جزاء الكافرين يقول : هو ثواب أهل جحود وحدانيتته ورسالة رسوله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وعذب الذين كفروا) يقول : قتلهم بالسيف .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحفصى ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (وعذب الذين كفروا) قال : بالهزيمة والقتل .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وعذب الذين كفروا) وذلك جزاء الكافرين) قال : من بقى منهم :

القول فى تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والإنابة إليه من بعد عذابه الذى به عذب من هلك منهم قتلا بالسيف على من يشاء : أى يتوب الله على من يشاء من الأحياء يقبل به إلى طاعته ، والله غفور للذنوب من أناب وتاب إليه منهم ومن غيرهم منها ، رحيم بهم فلا يعذبهم بعد توبتهم ، ولا يؤاخذهم بها بعد إنابتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا
وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : وأقربوا بوحدانيتها ما المشركون إلا نجس .

واختلف أهل التأويل في معنى النجس ، وما السبب الذي من أجله سماهم بذلك ، فقال بعضهم : سماهم بذلك لأنهم يُجَنَّبون فلا يغتسلون ، فقال : هم نجس ، ولا يقربوا المسجد الحرام ، لأن الجنب لا ينبغي له أن يدخل المسجد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، في قوله (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) : لأعلم قتادة إلا قال : النجس : الجنابة .

وبه عن معمر ، قال : وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى حذيفة ، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده ، فقال حذيفة : يا رسول الله إني جنُب ، فقال : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجَسُ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) : أي أجناب .

وقال آخرون : معنى ذلك : ما المشركون إلا رجس خنزير أو كلب ، وهذا قول روى عن ابن عباس من وجه غير حميد ، فكرهنا ذكره .

وقوله (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) يقول للمؤمنين : فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرم . وإنما عني بذلك منعهم من دخول الحرم ، لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم فيه نحو الذي قلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر وابن المثنى ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عطاء : الحرم كله قبله ومسجد ، قال (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) لم يعن المسجد وحده ، وإنما عني مكة والحرم قال ذلك غير مرة .

وذكر عن عمر بن عبد العزيز في ذلك ما حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو أن عمر بن عبد العزيز كتب : أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين ، وأتبع في نهيه قول الله (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن الحسن (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) قال : لا تصافحهم ، فن صافحهم فليتوضأ .
 وأما قوله (بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) فإنه يعني : بعد العام الذي نادى فيه على رحمة الله عليه ببراءة ، وذلك عام حج بالناس أبو بكر ، وهي سنة تسع من الهجرة
 كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) وهو العام الذي حج فيه أبو بكر ، ونادى على رحمة الله عليهما بالأذان ، وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحج نبي الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل ، حجة الوداع ، لم يحج قبلها ولا بعدها .
 وقوله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) يقول للمؤمنين : وإن خفتم فاقة وفقرا ، بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) يقال منه : عال يعيل عيلةً و عيولا ، ومنه قول الشاعر :

وَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ^١

وقد حكى عن بعضهم أن من العرب من يقول في الفاقة : عال يعول بالواو ، وذكر عن عمرو بن فائد أنه كان تأول قوله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) بمعنى : وإذ خفتم ، ويقول : كان القوم قد خافوا ، وذلك نحو قول القائل لأبيه : إن كنت أبي فأكرمني ، بمعنى : إذ كنت أبي ، وإنما قيل ذلك لهم ، لأن المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم انقطاع تجارتهم ، ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك ، وأمتهم الله من العيلة ، وعوضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ما هو خير لهم منه ، وهو الجزية ، فقال لهم (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) . . . إلى (صَاغِرُونَ) . وقال قوم بإدراج المطر عليهم .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) قال : لما نفي الله المشركين عن المسجد الحرام أتى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن ، قال : من أين تأكلون وقد نفي المشركون ، وانقطعت عنكم العير ، فقال الله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) فأمرهم بقتال أهل الكتاب ، وأغناهم من فضله .

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) البيت لأبيح بن الجلاح ، من أربعة أبيات ذكرها صاحب اللسان : في (عيل) . وعال يعيل من باب ضرب ، عيلة و عيولا :

افتقر . وتقدم البيت في (الجزء الرابع ص ٢٣٩) .

آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت، ويجيئون معهم بالطعام، ويستجرون فيه؛ فلما نهوا أن يأتوا البيت قال المسلمون: من أين لنا طعام؟ فأنزل الله (وَأَنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) فأنزل عليهم المطر، وكثر خيرهم حين ذهب عنهم المشركون.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حميد بن عبد الرحمن، عن علي بن صالح، عن سماك، عن عكرمة (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . . . الآية، ثم ذكر نحو حديث هناد، عن أبي الأحوص.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن واقد، عن سعيد بن جبيرة، قال: لما نزلت (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: من يأتينا بطعامنا، ومن يأتينا بالمتاع؟ فنزلت (وَأَنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ).

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن واقد مولى زيد بن خلدة، عن سعيد بن جبيرة، قال: كان المشركون يقدمون عليهم بالتجارة، فنزلت هذه الآية (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . . . إلى قوله (عَيْلَةً) قال: الفقر (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ).

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية العوفي، قال: قال المسلمون: قد كنا نصيب من تجارتهم وبيعاتهم، فنزلت (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . . . إلى قوله (مِنْ فَضْلِهِ). حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي، أحسبه قال: أنبأنا أبو جعفر، عن عطية، قال: لما قيل: ولا يحج بعد العام مشرك، قالوا: قد كنا نصيب من بياعاتهم في الموسم، قال: فنزلت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) يعني: بما فاتهم من بياعاتهم.

حدثنا أبو كريب وابن وكيع، قالوا: ثنا ابن يمان، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك (وَأَنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال: بالجزية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن يمان وأبو معاوية، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك، قال: أخرج المشركون من مكة، فشق ذلك على المسلمين، وقالوا: كنا نصيب منهم التجارة والميرة، فأنزل الله (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ).

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (وَأَنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) كان ناس من المسلمين يتألفون العير؛ فلما نزلت براءة بقتال المشركين حبيبا ثم قفوا، وأن يقعدوا لهم كل مرصد، قذف الشيطان في قلوب المؤمنين، فمن أين تعيشون، وقد أمرتم بقتال أهل العير، فعلم الله من ذلك ما علم، فقال: أطيعوني، وامضوا لأمرى، وأطيعوا رسولى، فإني سوف أغنيكم من فضلى، فتوكل لهم الله بذلك.

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . . . إلى قوله (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) : قال : قال المؤمنون : كنا نصيب من متاجر المشركين ، فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله عوضا لهم بأن لا يقربوهم المسجد الحرام ، فهذه الآية من أول براءة في القراءة ، ومن آخرها في التأويل (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) . . . إلى قوله (عَنْ يَدِهِ وَهُمْ صَاغِرُونَ) حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما نفي الله المشركين عن المسجد الحرام ، شق ذلك على المسلمين ، وكانوا يأتون ببياعات ينتفع بذلك المسلمون ، فأنزل الله تعالى ذكره (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) فأغناهم بهذا الخراج الجزية الجارية عليهم ، يأخذونها شهرا شهرا ، عاما عاما ، فليس لأحد من المشركين أن يقرب المسجد الحرام بعد عامهم بحال إلا صاحب الجزية ، أو عبد رجل من المسلمين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) إلا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة .

قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) قال : إلا صاحب جزية ، أو عبدا لرجل من المسلمين .

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، قال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في هذه الآية (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) إلا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الجزية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال : أغناهم الله بالجزية الجارية شهرا شهرا ، و عاما فعاما .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن أبي الزبير ، عن جابر (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) قال : لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشرك ولا ذمي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) وذلك أن الناس قالوا : لِنُقَطِّعَنَّ عَنَّا الْأَسْوَاقَ ، وَلِنَهْلِكَنَّ التِّجَارَةَ ، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فنزل (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)

اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) من وجه غير ذلك (إن شاء) . . . إلى قوله (وَهُمْ صَاغِرُونَ) ، في هذا عوض مما تخوفتم من قطع تلك الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية .

وأما قوله (إن الله عليم حكيم) فإن معناه: إن الله عليم بما حدثتكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام ، وغير ذلك من مصالح عباده ، حكيم في تدبيره إياهم ، وتدبير جميع خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن
يَدِيهِمْ وَأُولَئِكَ يَسْخَرُونَ ﴿١٠٩﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم (قَاتِلُوا) أيها المؤمنون القوم (الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) يقول : ولا يصدقون بجنة ولا نار (وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) يقول : ولا يطيعون الله طاعة الحق ، يعني : أنهم لا يطيعون طاعة أهل الإسلام (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) وهم اليهود والنصارى ، وكل مطيع ملكا ، أو ذا سلطان ، فهو دائن له ، يقال منه : دان فلان لفلان فهو يدين له ديناً ، قال زهير :

لَئِنْ حَلَلْتِ بِجَوْفِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتِ بَيْنَنَا فَدَاكُ ۱

وقوله (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) يعني : الذين أعطوا كتاب الله ، وهم أهل التوراة والإنجيل (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ) والجزية : الفعلة من جزى فلان فلانا ما عليه : إذا قضاه بجزية ، والجزية مثل القعدة والجلسة .

ومعنى الكلام : حتى يعطوا الخراج عن رقابهم الذي يبذلونه للمسلمين دفعا عنها .

وأما قوله (عَن يَدِيهِ) فإنه يعني : من يده إلى يد من يدفعه إليه ، وكذلك تقول العرب لكل معطٍ قاهرا له شيئا طائعا له ، أو كارهها أعطاه عن يده ، وعن يد وذلك نظير قولهم : كلمته فألفم ولقيته كفة لكفة ، وكذلك أعطيته عن يد ليد .

وأما قوله (وَهُمْ صَاغِرُونَ) فإن معناه : وهم أذلاء مقهورون ، يقال للذليل الحقير : صاغر . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره بحرب الروم ، فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها غزوة تبوك .

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى ، من قصيدته الكافية المشهورة (مختار الشعر الجاهلي ، طبعة الحلبي ص ٢٥٥) وهو الثاني والثلاثون فيها . وجو : والأبعية . ودين عمرو : طاعته وسلطانه ، يريد عمرو بن هند . وفدك قرية في وادي القرى ، يقول : لئن حللت بجيـث لا أدركك ، ليردن عليك هجوى ، والأدنس به عرضك كما يدنس الودك القبطية . يخاطب الحارث بن ورقاء الصيدوى من بني أسد ، وكان أغار على بني عبد الله بن غطفان فغم ، واستاق إبل زهير وراعيه يسارا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عروة ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .
واختلف أهل التأويل في معنى الصغار الذي عناه الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : أن يعطيها وهو قائم ، والآخذ جالس .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الرحمن بن بشر النيسابوري ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن سعد ، عن عكرمة (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) قال : أي تأخذها وأنت جالس وهو قائم .
وقال آخرون : معنى قوله (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) عن أنفسهم بأيديهم يمشون بها وهم كارهون ، وذلك قول روى عن ابن عباس من وجه فيه نظر .
وقال آخرون : إعطاؤهم إياها هو الصغار .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ
بِأَفْوَاهِهِمْ يُضِلُّهُمُ عَنْ قَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٥٠﴾

اختلف أهل التأويل في القائل (عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) فقال بعضهم : كان ذلك رجلا واحدا ، هو فنحاص .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير ، قوله (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) ، قال : قالها رجل واحد ، قالوا : إن اسمه فنحاص ، وقالوا : هو الذي قال (إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) .
وقال آخرون : بل كان ذلك قول جماعة منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنى سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ، ونعمان بن أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، فقالوا :

كيف تتبعك ، وقد تركت قبلتنا ، وأنت لاتزعم أن عزيرا ابن الله ، فأنزل في ذلك من قولهم (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) . . . إلى (أَتْنِي يُؤْفَكُونَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) وإنما قالوا : هو ابن الله من أجل أن عزيرا كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا ، ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق ، وكان التابوت فيهم ؛ فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة ، وعملوا بالأهواء ، رفع الله عنهم التابوت ، وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم ، وأرسل الله عليهم مرضا ، فاستطاعت بطونهم ، حتى جعل الرجل يمشي كبده ، حتى نسوا التوراة ، ونسخت من صدورهم ، وفيهم عزير ، فكثروا ما شاء الله أن يكثروا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم ، وكان عزير قبل من علمائهم ، فدعا عزير الله وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدره من التوراة ، فبينما هو يصلى مبتهلا إلى الله ، نزل نور من الله فدخل جوفه ، فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة ، فأذن في قومه فقال : يا قوم قد آتاني الله التوراة ، وردّها إلى ، فعلق يعلمهم ، فكثروا ما شاء الله وهو يعلمهم ، ثم إن التابوت نزل بعد ذلك ، وبعد ذهابه منهم ؛ فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم ، فوجدوه مثله ، فقالوا : والله ما أوتى عزير هذا إلا أنه ابن الله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) إنما قالت ذلك ، لأنهم أظهرت عليهم العمالة فقتلواهم ، وأخذوا القوراة ، وذهب علماءهم الذين بقوا فدفنوا كتب التوراة في الجبال ، وكان عزير غلاما يتعبد في رعوس الجبال لا ينزل إلا يوم عيد ، فجعل الغلام يبكي ويقول : رب تركت بني إسرائيل بغير عالم ، فلم يزل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه ، فنزل مرة إلى العيد ؛ فلما رجع إذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكي وتقول : يا مطعماه ، ويا كاسياه ، فقال لها : ويحك ، من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفحك قبل هذا الرجل ؟ قالت : الله ، قال : فإن الله حتى لم يمت ، قالت : يا عزير ، فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل ؟ قال : الله ، قالت : فلم تبكي عليهم ؟ فلما عرف أنه قد خصم ولي مدبرا ، فدعته فقالت : يا عزير إذا أصبحت غدا ، فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه ، ثم اخرج فصل ركعتين ، فإنه يأتيك شيخ فما أعطاك فخذ ، فلما أصبح ، انطلق عزير إلى ذلك النهر ، فاغتسل فيه ، ثم خرج فصلى ركعتين ، فجاءه الشيخ فقال : افتح فك ، ففتح فمه ، فألقى فيه شيئا كهيئة الجمر العظيمة مجتمعا كهيئة القوارير ثلاث مرار ، فرجع عزير ، وهو من أعلم الناس بالتوراة ، فقال : يا بني إسرائيل ، إنى قد جئتكم بالتوراة ، فقالوا يا عزير ما كنت كذا أبا ، فعمد فربط على كل أصبع له قلما ، وكتب بأصابعه كلها ، فكتب التوراة كلها ، فلما رجع العلماء أخبروا بشأن عزير ، فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التي كانوا دفنوها من

التوراة في الجبال ، وكانت في خوابٍ مدفونة ، فعارضوها بتوراة عزيز ، فوجدوها مثلها ، فقالوا : ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين (وقالت اليهود عزير ابن الله) لا ينونون عزيرا ، وقراه بعض المكيين والكوفيين (عزير ابن الله) بتنوين عزير ، قال : هو اسم مجرى وإن كان أعجميا لحفته ، وهو مع ذلك غير منسوب إلى الله ، فيكون بمنزلة قول القائل : زيد ابن عبد الله ، وأوقع الابن موقع الخبر ، ولو كان منسوبا إلى الله لكان الوجه فيه إذا كان الابن خيرا : الإجراء والتنوين ، فكيف وهو منسوب إلى غير أبيه . وأما من ترك تنوين عزير ، فإنه لما كانت الباء من ابن ساكنة مع التنوين الساكن ، والتقى ساكنان ، فحذف الأول منهما استتمالا لتحريكه ، قال الراجز :

لَتَجِدَنِي بِالْأَمِيرِ بَرًّا * وَبِالْقَنَاءِ مِدْعَسًا مِكْرًا * إِذَا غَطَيْفُ السُّلَمِيِّ فَرًّا

فحذف النون للساكن الذي استقبلها .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ (عزير ابن الله) بتنوين عزير ، لأن العرب لا تنون الأسماء إذا كان الابن نعتا للاسم ، كقولهم : هذا زيد بن عبد الله ، فأرادوا الخبر عن عزير بأنه ابن الله ، ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتا ، والابن في هذا الموضع خبر لعزير ، لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ذلك ، إنما أخبروا عن عزير أنه كذلك ، وإن كانوا بقبلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفرين (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) يعني قول اليهود (عزير ابن الله) يقول : نسبة قول هؤلاء في الكذب على الله والفرية عليه ، ونسبتهم المسيح إلى أنه ابن ككذب اليهود وفريتهم على الله في نسبتهم عزير إلى أنه لله ابن ، ولا ينبغي أن يكون لله ولد سبحانه ، بل له ما في السموات والأرض ، كل له قانتون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) يقول : يشبهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) النصارى يضاهئون قول اليهود في عزير .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، ذكرها صاحب اللسان في (دعس) قال : ورجل مدعس : طعان . قال . . . الأبيات . وذكر البيتين : الأولين منها في (دعس) قال : ورجل مدعس بالرمح : طعان . قال : وذكر البيتين ولم ينسبهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج (يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) يقول : النصارى يضاهئون قول اليهود .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) يقول : قالوا مثل ما قال أهل الأوثان . وقد قيل : إن معنى ذلك : يحكون بقولهم قول أهل الأديان الذين قالوا : اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الحجاز والعراق (يُضَاهِيُونَ) بغير همز ، وقراءه عاصم (يُضَاهِيُونَ) بالهمز ، وهي لغة لثقيف ، وهما لغتان ، يقال : ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة وضاهاته عليه مضاهاة ، إذا مالته عليه وأعنته .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز ، لأنها القراءة المستفضة في قراءة الأمصار ، واللغة الفصحى .

وأما قوله (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) فإن معناه فيما ذكر عن ابن عباس ما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) يقول : لعنهم الله ، وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن .

وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) يعني النصارى كلمة من كلام العرب ، فأما أهل المعرفة بكلام العرب فإنهم يقولون معناه : قتلهم الله ، والعرب تقول : قاتلك الله ، وقاتعها الله ؛ بمعنى : قاتلك الله ، قالوا : وقاتعك الله أهون من قاتله الله ، وقد ذكروا أنهم يقولون : شاقاه الله ما باقاه ، يريدون : أشقاه الله ما أبقاه ؛ قالوا : ومعنى قوله (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) كقوله (قَتِيلَ الْحَرَاصُونَ) ، (قَتِيلَ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ) واحد ، وهو بمعنى التعجب ، فإن كان الذي قالوا كما قالوا ، فهو من نادر الكلام الذي جاء على غير القياس ، لأن فاعلت لا تكاد أن تجيء فعلا إلا من اثنين ، كقولهم : خاصمت فلانا وقاتلته ، وما أشبه ذلك ، وقد زعموا أن قولهم : عافاك الله منه ، وإن معناه : أعفأك الله ، بمعنى الدعاء لمن دعا له بأن يعفيه من سوء .

وقوله (أَتَى يُؤْفَكُونَ) يقول : أتى وجه يذهب بهم ويحيدون ، كيف يصدون عن الحق . وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا

أُمَرُوا إِلَّا لِعِبَادَتِهَا وَاحِدًا ۗ أَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠﴾

يقول جل ثناؤه : اتخذ اليهود أحبارهم ، وهم العلماء . وقد بينت تأويل ذلك بشواهد فيما مضى من كتابنا هذا ، قيل واحدهم حبر ، وحبر بكسر الحاء منه وفتحها . وكان يونس الحرمي فيها ذكر عنه يزعم أنه

(١) نهنا مرارا على أن يونس النحوي ، هو ابن حبيب الضبي مولا م ، ولكن الكاتب يخطئ فيها ، ويجعلها الحرمي .

لم يسمع ذلك إلا حبر بكسر الحاء ، ويحتج بقول الناس : هذا مداد حبر ، يراد به : مداد عالم . وذكر الفراء أنه سمعه حبراً وحبراً بكسر الحاء وفتحها ، والنصارى رهبانهم ، وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة ، عن الضحاك (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ) قال : قرأهم وعلماهم (أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ) يعني : سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله ، فيحلون ما أحلوه لهم مما قد حرّمه الله عليهم ، ويحرّمون ما يحرّمونه عليهم مما قد أحله الله لهم .

كما حدثني الحسن بن يزيد الطحان ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب الملائي ، عن غطيف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى بن حاتم ، قال : انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في سورة براءة (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ) فقال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكن كانوا يحلون لهم فيحلون .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا مالك بن إسماعيل ، وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد جميعاً عن عبد السلام بن حرب ، قال : ثنا غطيف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى بن حاتم ، قال : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال : يا عدى اطرح هذا الوثن من عنقك ، قال : فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة ، فقرأ هذه الآية (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ) قال : قلت : يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم ، فقال : أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه ، ويحلّون ما حرّم الله فتحلّونه ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فتلك عبادتّهم » . واللفظ لحديث أبي كريب .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقرية عن قيس بن الربيع ، عن عبد السلام بن حرب النهدي ، عن غطيف ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى بن حاتم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة براءة ؛ فلما قرأ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ) قلت : يا رسول الله ، أما إنهم لم يكونوا يصلون لهم ؟ قال : « صدقت ، ولكن كانوا يحلّون لهم ما حرّم الله فيستحلّونه ، ويحرّمون ما أحلّ الله لهم فيحرمونه » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البختري ، عن حذيفة ، أنه سئل عن قوله (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ) كانوا يعبدونهم ، قال : لا ، كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن أبي البختري ، قال : قيل لأبي حذيفة فذكر نحوه ، غير أنه قال : ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيستحلونه ، ويحرّمون عليهم الحلال فيحرمونه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب ، عن حبيب ، عن أبي البختري قال : قيل لحذيفة : رأيت قول الله (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ) قال : أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ، ولا

يصلون لهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئا أحله الله لهم حرّموه ، فتلك كانت ربوبيتهم .

قال : ثنا جرير وابن فضيل ، عن عطاء ، عن أبي البخري (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال : انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حراما ، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالا ، فأطاعوهم في ذلك ، فجعل الله طاعتهم عبادتهم ، ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا .
حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البخري ، قال : سألت رجلا حذيفة ، فقال : يا أبا عبد الله أرأيت قوله (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أكانوا يعبدونهم ؟ قال : لا ، كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن أشعث ، عن الحسن (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا) قال : في الطاعة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول : وزينوا لهم طاعتهم .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال عبد الله بن عباس : لم يأمرهم أن يسجدوا لهم ، ولكن أمرهم بمعصية الله ، فأطاعوهم ، فسماهم الله بذلك أربابا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا) قال : قلت لأبي العالية : كيف كانت الربوبية التي كانت في بني إسرائيل ؟ قال قالوا : ما أمرونا به ائتمرنا ، وما نهونا عنا انتهينا لقولهم : وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه ، فاستنصحو الرجال ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم .

حدثني بشر بن سويد ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي البخري ، عن حذيفة (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال : لم يعبدوهم ، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي .
وأما قوله (وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) فإن معناه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا من دون الله .

وأما قوله (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا) فإنه يعني به : وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبار والرهبان والمسيح أربابا إلا أن يعبدوا معبودا واحدا ، وأن يطيعوا إلا ربا واحدا دون أرباب شتى ، وهو الله الذي له عبادة كل شيء ، وطاعة كل خلق ، المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية ، لا إله إلا هو ، يقول تعالى ذكره : لا تنبغى الألوهة إلا لواحد الذي أمر الخلق بعبادته ، ولزمت جميع العباد طاعته (سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : تنزيها وتطهيرا لله عما يشرك في طاعته

ووبويته ، القائلون : عزيز ابن الله ، والقائلون : المسيح ابن الله ، المتخذون أحبارهم أربابا من دون الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٣٦﴾

يقول تعالى ذكره ، يريد هؤلاء المتخذون أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا (أن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ) يعنى : أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذى ابتعث به رسوله ، وصدّهم الناس عنه بألسنتهم أن يبطلوه ، وهو النور الذى جعله الله لخلقه ضياء (وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) يعلو دينه وتظهر كلمته ، ويتم الحق الذى بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولو كره إتمام الله إياه الكافرون ، يعنى : جاحديه المكذّبين به .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ) يقول : يريدون : أن يطفئوا الإسلام بكلامهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٣٧﴾

يقول تعالى ذكره : الله الذى يأبى إلا إتمام دينه ، ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه ، الذى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ، يعنى : ببيان فرائض الله على خلقه ، وجميع اللازم لهم ، وبدين الحق ، وهو الإسلام ، ليظهره على الدين كله ، يقول : ليعلى الإسلام على الملل كلها ، ولو كره المشركون بالله ظهوره عليها .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) فقال بعضهم : ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : ثنا شقيق ، قال : ثنى ثابت الحداد أبوالمقدام ، عن شيخ ، عن أبي هريرة فى قوله (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) قال : حين خروج عيسى ابن مريم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن فضيل بن مرزوق ، قال : ثنى من سمع أبا جعفر (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) قال : إذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه أهل كل دين .

وقال آخرون : معنى ذلك : ليعلمه شرائع الدين كلها فيطلعها عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) قال : ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله ، فيعطيه إياه كله ، ولا يخفى عليه منه شيء ، وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ

بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقرؤا بوحداية ربهم : إن كثيرا من العلماء والقراء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى (لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) يقول : يأخذون الرشا في أحكامهم ، ويحرفون كتاب الله ، ويكتبون بأيديهم كتباً ، ثم يقولون : هذه من عند الله ، ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم (وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : ويمنعون من أراد الدخول في الإسلام الدخول فيه بينهم إياهم عنه .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يا أيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) أما الأحبار ، فمن اليهود ؛ وأما الرهبان : فمن النصارى ؛ وأما سبيل الله : فمحمد صلى الله عليه وسلم .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ :

يقول تعالى ذكره (إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) ويأكلها أيضا معهم (الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) يقول : بشر الكثير من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، بعذاب أليم لهم يوم القيامة ، موجه من الله .

واختلف أهل العلم في معنى الكنز ، فقال بعضهم : هو كل مال وجبت فيه الزكاة ، فلم تؤد زكاته ، قالوا : وعنى بقوله (وَلَا يُنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ولا يؤدون زكاتها .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كل مال أدت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا ، وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوى به صاحبه وإن لم يكن مدفونا .

حدثنا الحسين بن الجنيد ، قال : ثنا سعيد بن مسلمة ، قال : ثنا إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه قال : كل مال أدت منه الزكاة ، فليس بكنز وإن كان مدفونا ، وكل مال لم تؤد منه الزكاة وإن لم يكن مدفونا فهو كنز .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : أيما مال أدت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الأرض ، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه ، وإن كان على وجه الأرض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي وجري ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن ابن عمر ، قال : ما أدت زكاته فليس بكنز .

قال : ثنا أبي ، عن العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : ما أدت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ، وما لم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرا .

قال : ثنا جرير ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، قال : ما أدت زكاته فليس بكنز .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أما الذين يكنزون الذهب والفضة ، فهؤلاء أهل القبلة ، والكنز : ما لم تؤد زكاته وإن كان على ظهر الأرض وإن قل ، وإن كان كثيرا قد أدت زكاته ، فليس بكنز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، قال : قلت لعامر : ما على رف بين السماء والأرض لا تؤد زكاته ، أكنز هو ؟ قال : يكوى به يوم القيامة .

وقال آخرون : كل مال زاد على أربعة آلاف درهم ، فهو كنز ، أدت منه الزكاة ، أو لم تؤد .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي الضحى ، عن جعدة بن هبيرة ، عن عليّ رحمة الله عليه قال : أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة ، فما كان أكثر من ذلك فهو كنز .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن أبي الضحى ، عن جعدة بن هبيرة ، عن عليّ ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الشعبي ، قال : أخبرني أبو حصين ،

عن أبي الضحى ، عن جعدة بن هبيرة ، عن عليّ رحمة الله عليه ، في قوله (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ) قال : أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة ، وما فوقها كنز .
وقال آخرون : الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا شعبة ، عن أنس ، عن
عبد الواحد أنه سمع أبا مجيب قال : كان نعل سيف أبي هريرة من فضة ، فنهاه عنها أبوذر ، وقال : إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ تَرَكَ صَفْرَاءَ أَوْ بَيْضَاءَ كُؤِيَ بِهَا » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن الأعمش وعمرو بن
مرّة ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : « لما نزلت (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُوهَا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : تَبَّاً لِلذَّهَبِ ، تَبَّاً لِلْفِضَّةِ ، يقولها ثلاثاً ، قال :
فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : فأى مال نتخذه ؟ فقال عمر : أنا أعلم لكم
ذلك ، فقال : يا رسول الله إن أصحابك قد شقّ عليهم ، وقالوا : فأى المال نتخذ ، فقال : لسانا
ذاكراً ، وقلبا شاكراً ، وزوجةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى دِينِهِ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن
ثوبان ، بمثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن عمرو
ابن مرّة ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : « لما نزلت هذه الآية (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ
وَلَا يُنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قال المهاجرون ، وأى المال نتخذ ؟ فقال عمر : أسأل النبي صلى الله
عليه وسلم عنه ، قال : فأدركته على بعير ، فقلت : يا رسول الله إن المهاجرين قالوا : فأى المال نتخذ ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِسَانًا ذَاكِرًا ، وَقَلْبًا شَاكِرًا ، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ
أَحَدَكُمْ عَلَى دِينِهِ » .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ،
عن أبي أمامة ، قال : « توفي رجل من أهل الصفة ، فوجد في مزره دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : كَيْتَةٌ ، ثم توفي آخر ، فوجد في مزره ديناران ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كَيْتَانِ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن صدى بن
عجلان أبي أمامة ، قال : « مات رجل من أهل الصفة ، فوجد في مزره دينار ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : كَيْتَةٌ ، ثم توفي آخر ، فوجد في مزره ديناران فقال نبي الله : كَيْتَانِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سالم ، عن ثوبان ، قال : « كنا في سفر ونحن
نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال المهاجرون : لو ددنا أنا علمنا أى المال خير فنتخذه إذ نزل

في الذهب والفضة ما نزل ، فقال عمر : إن شئتم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن ذلك ، فقالوا : أجل ، فانطلق فتبعته أوضع على بعيرى ، فقال : يا رسول الله إن المهاجرين لما أنزل الله في الذهب والفضة ما أنزل ، قالوا : وددنا أنا علمنا أى المال خير فنتخذه ، قال : نَعَمْ فَيَتَّخِذُ أَحَدُكُمْ لِسَانًا ذَا كِرَاءٍ ، وَقَلْبًا شَاكِرًا ، وَزَوْجَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى إِيْمَانِهِ .

قال أبو جعفر : وأولى الأحوال في ذلك بالصحة : القول الذى ذكره عن ابن عمر من أن كل مال أدبت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثر ، وأن كل ما لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب مستحق وعيد الله إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه وإن قل إذا كان مما يجب فيه الزكاة ، وذلك أن الله أوجب في خمس أواق من الورق على لسان رسوله ربع عشرها ، وفي عشرين مثقالا من الذهب مثل ذلك ربع عشرها . فإذا كان ذلك فرض الله في الذهب والفضة على لسان رسوله ، فعلوم أن الكثير من المال وإن بلغ في الكثرة ألوف ألوف لو كان ، وإن أدبت زكاته من الكنوز التى أوعدها الله أهلها عليها العقاب ، لم يكن فيه الزكاة التى ذكرنا من ربع العشر ، لأن ما كان فرضا إخراج جميعه من المال ، وحرام اتخاذه ، فزكاته الخروج من جميعه إلى أهله لاربع عشره ، وذلك مثل المال المغصوب الذى هو حرام على الغاصب إمساكه وفرض عليه إخراج من يده إلى يده ، فالتطهر منه رده إلى صاحبه ، فلو كان ما زاد من المال على أربعة آلاف درهم ، أو ما فضل عن حاجة ربه التى لا بد منها مما يستحق صاحبه باقتنائه إذا أدى إلى أهل السهمان حقوقهم منها من الصدقة ، وعيد الله لم يكن اللازم ربه فيه ربع عشره ، بل كان اللازم له الخروج من جميعه إلى أهله ، وصرفه فيما يجب عليه صرفه ، كالذى ذكرنا من أن الواجب على غاصب رجل ماله ، رده على ربه .

وبعد ، فإن فيما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : قال معمر : أخبرني سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مامن رجل لا يؤدى زكاة ماله إلا جعل يوم القيامة صفائح من نار يكوى بها جنبه وجبته » وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله ، وإن كانت إبلًا إلا بطح لها بقاع قرقر تطؤه بأخفافها » حسبته قال : « وتعضه بأفواهها ، يرد أولها على آخرها ، حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله ، وإن كانت غنما فيشل ذلك ، إلا أنها تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها » وفي ذلك نظائر من الأخبار التى كرهنا الإطالة بذكرها الدلالة الواضحة على أن الوعيد إنما هو من الله على الأموال التى لم تؤد الوظائف المفروضة فيها لأهلها من الصدقة ، لا على اقتنائها واكتنازها .

وفى بيننا من ذلك البيان الواضح على أن الآية لخاص كما قال ابن عباس ، وذلك ما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباد آليم) يقول : هم أهل الكتاب ،

وقال : هي خاصة وعامة ؛ يعني بقوله : هي خاصة وعامة : هي خاصة من المسلمين فيمن لم يؤدّ زكاة ماله منهم ، وعامة في أهل الكتاب ، لأنهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم إن أنفقوا .

يدلّ على صحة ما قلنا في تأويل قول ابن عباس : هذا ما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا) . . . إلى قوله (هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتِزُونَ) قال : هم الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم ، قال : وكلّ مال لا تؤدّي زكاته كان على ظهر الأرض ، أو في بطنها فهو كنز ، وكلّ مال تؤدّي زكاته فليس بكنز ، كان على ظهر الأرض أو في بطنها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) قال : الكنز : ما كنز عن طاعة الله وفريضته ، وذلك الكنز ، وقال : افترضت الزكاة والصلاة جميعاً لم يفرق بينهما . وإنما قلنا ذلك على الخصوص ، لأن الكنز في كلام العرب : كلّ شيء مجموع بعضه على بعض في بطن الأرض كان أو على ظهرها ، يدلّ على ذلك قول الشاعر :

لَا دَرَّ دَرِّيَ إِنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ قِرْفَ الْحَيِّ وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزًا

يعنى بذلك : وعند البرّ مجموع بعضه على بعض ، وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع : مكتنز ، لانضمام بعضه إلى بعض . وإذا كان ذلك معنى الكنز عندهم ، وكان قوله (وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) معناه : والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها إلى بعض (وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وهو عام في التلاوة ، لم يكن في الآية بيان كم ذلك القدر من الذهب والفضة الذي إذا جمع بعضه إلى بعض استحقّ الوعيد كان معلوماً أن خصوص ذلك إنما أدرك بوقف الرسول عليه ، وذلك كما بينا من أنه المال الذي لم يؤدّ حقّ الله منه من الزكاة دون غيره لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته .

وقد كان بعض الصحابة يقول : هي عامة في كلّ كنز ، غير أنها خاصة في أهل الكتاب ، وإيهاهم عنى الله بها .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا حصين ؟ عن زيد بن وهب ، قال : مررت بالربذة ، فلقيت أبا ذرّ ، فقلت : يا أبا ذرّ ، ما أنزلك هذه البلاد ، قال : كنت بالشأم ، فقرأت هذه الآية (وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) . . . الآية ، فقال معاوية : ليست هذه الآية فينا ، إنما هذه الآية في أهل الكتاب ، قال : فقلت إنها لفينا وفيهم ، قال : فارتفع في ذلك بيني وبينه القول ، فكتب إلى عثمان يشكوني ، فكتب إلى عثمان أن أقبل إلىّ ، قال : فأقبلت ؛ فلما قدمت

(١) البيت لبعض المهذلين ، أورده صاحب اللسان في (حتا) قال : والحي ، على فعيل : سويق المقل ، وقيل رديته ، وقيل يابسه . قال الهذلي . . . البيت . والقرف بكسر القاف : القشر ، والقرفة : القشرة . يريد أنه لا يطعم ضيفانه إذا نزلوا به ، الخبز المتخذ من قشر الحنّ ، مع أن البرّ كثير عنده مكسب بعضه على بعض ، فذلك لؤم لا يرضاه لنفسه .

المدينة ركبني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ ، فشكوت ذلك إلى عثمان ، فقال لي : تنحّ قريبا ، قلت : والله لن أدع ما كنت أقول .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا حصين ، عن زيد بن وهب ، قال : مررنا بالربذة ، ثم ذكر عن أبي ذرّ نحوه .
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أشعث وهشام ، عن أبي بشر ، قال : قال أبو ذرّ : خرجت إلى الشام فقرأت هذه الآية (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فقال معاوية : إنما هي في أهل الكتاب ، قال : فقلت : إنها لفينا وفيهم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن زيد بن وهب ، قال : مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذرّ ، قال : قلت له : ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشام ، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قال : فقال : نزلت في أهل الكتاب ، فقلت : نزلت فينا وفيهم ، ثم ذكر نحو حديث هشيم عن حصين .
فإن قال قائل : فكيف قيل (وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فأخرجت الهاء والألف مخرج الكناية عن أحد النوعين . قيل : يحتمل ذلك وجهين : أحدهما أن يكون الذهب والفضة مرادا بها الكنوز ، كأنه قيل (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ) الكنوز (وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لأن الذهب والفضة هي الكنوز في هذا الموضع . والآخر أن يكون استغنى بالخبر عن إحداهما في عائد ذكرهما من الخبر عن الأخرى ، لدلالة الكلام على أن الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها ، وذلك كثير موجود في كلام العرب وأشعارها ، ومنه قول الشاعر :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ ١

فقال : راض ، ولم يقل : راضون ، وقال الآخر :

إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسْوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا ٢

فقال : يعاص ، ولم يقل : يعاصيا في أشياء كثيرة ، ومنه قول الله (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا) ولم يقل : إليهما .

(١) البيت لقيس بن الخطيم ، وهو التاسع والخمسون من شواهد سيبويه (الكتاب ١ : ٣٨) قال الأعلام في شرحه للبيت : استشهد به مقويا لما جاز من حذف المفعول الذي هو فضله مستغنى عنها في قولهم : ضربت وضربني زيد ، لأنه حذف في البيت خبر المبتدأ الأول الذي هو محتاج إليه لايتم الكلام إلا به وجاز هذا الحذف لأن خبر المبتدأ الثاني دال عليه ، إذ كان معناه كمنه ، والتقدير : نحن راضون وأنت راض . وهذا يقوى مذهب سيبويه في تقدير الحذف من الأول في قوله عز وجل : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » ، لأن قوله « راض » لا يكون خبرا البتة ونحن ، ولا من تقدير حذف خبره ضرورة .

(٢) البيت لحسان بن ثابت (حماسة البحترى طبع بيروت ص ١٩٨) . وديوانه طبع ليدن سنة ١٩١٠ ص ٥١ من مقطوعة له سبعة أبيات ، وهو أولها . وشرح الشباب : أوله . والشاهد في البيت أن قوله مالم يعاص ، راجع إلى الشعر الأسود وحده ، وإلا لقال : مالم يعاصيا . فحذف هذا القيد من الأول ، وأبقاه مع الثاني .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢٥﴾

❖ يقول تعالى ذكره : فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا يخرجون حقوق الله منها يا محمد بعذاب أليم (يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ) فالיום من صلة العذاب الأليم ، كأنه قيل : يبشرهم بعذاب أليم يعذبهم الله به في يوم يحمى عليها ، ويعنى بقوله (يُحْمَىٰ عَلَيْهَا) تدخل النار فيوقد عليها : أى على الذهب والفضة التى كنزوها في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، وكل شىء أدخل النار ، فقد أحمى إحماء ، يقال منه : أحميت الحديد في النار أحميها إحماء . وقوله (فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ) يعنى بالذهب والفضة المكنوزة ، يحمى عليها في نار جهنم ، يكوى الله بها ، يقول : يحرق الله جباه كانوا فيها وجنوبهم وظهورهم (هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) ومعناه : ويقال لهم : هذا ما كنزتم في الدنيا أيها الكافرون ، الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لأنفسكم (فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) يقول : فيقال لهم : فأطعموا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوق الله وتكزونها مكاثرة ومباهاة ، وحذف من قول هذا ما كنزتم ويقال لهم للدلالة الكلام عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، عن حميد بن هلال ، قال : كان أبوذر يقول : بشر الكنازين بكى في الجباه ، وكى في الجنوب ، وكى في الظهر ، حتى يلتقى الحر في أجوافهم . قال : ثنا ابن علية ، عن الجريري ، عن أبي العلاء بن الشيخير ، عن الأحنف بن قيس ، قال : قدمت المدينة ، فبينما أنا في حلقة فيها ملاء من قریش إذ جاءه رجل خشن الثياب ، خشن الجسد ، خشن الوجه ، فقام عليهم ، فقال بشر الكنازين برضف يحمى عليه في نار جهنم ، فيوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغص كتفه ، ويوضع على نغص كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل ، قال : فوضع القوم رءوسهم ، فما رأيت أحدا منهم رجع إليه شيئا ، قال : وأدبر فاتبعته ، حتى جلس إلى سارية ، فقلت : ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت ، فقال : إن هؤلاء لا يعقلون شيئا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة الحملي ، عن أبي نصر عن الأحنف بن قيس ، قال : رأيت في مسجد المدينة رجلا غليظ الثياب ، رث الهيئة ، يطوف في الحلق وهو يقول : " بشر أصحاب الكنوز بكى في جنوبهم ، وكى في جباههم ، وكى في ظهورهم ، ثم انطلق وهو يتلهم يقول : ما عسى تصنع بي قریش ؟ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال أبو ذر : بشر أصحاب الكنوز بكى في الجباه ، وكى في الجنوب ، وكى في الظهر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يوم يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ) قال : حية تنطوي على جبينه وجهته ، تقول : أنا مالك الذي بخلت به . حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن ثوبان ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنْزًا مِثْلَ لَهْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبَيْبَتَانِ ، يَتَّبَعُهُ يَقُولُ : وَيَلِّكَ مَا أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا كَنْزُكَ الَّذِي تَرَكَتَهُ بَعْدَكَ ، فَلَا يَزَالُ يَتَّبَعُهُ حَتَّى يُلْقِمَهُ يَدَهُ فَيَقْضِمَهَا ثُمَّ يَتَّبَعُهُ سَائِرُ جَسَدِهِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن طاوس ، عن أبيه : قال : بلغني أن الكنوز تتحول يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه ، وهو يفر منه ويقول : أنا كنزك لا يدرك منه شيئا إلا أخذه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : والذي لا إله غيره ، لا يكوى عبد بكنز فيمس دينار ديناراً ، ولا درهم درهما ، ولكن يوسع جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حذته .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : من رجل يكوى بكنز ، فيوضع دينار على دينار ، ولا درهم على درهم ، ولكن يوسع جلده .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ) الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى (يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ) يقول : هذه الشهور الاثنا عشر ، منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن وتحرمهن ، وتحرم القتال فيهن ، حتى لو لقي الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه ، وهن : رجب ومضر وثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنا موسى بن عبيدة الربذي

قال : ثنى صدقة بن يسار ، عن ابن عمر ، قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، بمعى في أوسط أيام التشريق ، فقال : « يا أيها الناس ، إنَّ الزَّمانَ قد استدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ، أُولَئِهِنَّ رَجَبٌ مُضَرٌّ بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ » .

حدثنا محمد بن معمر ، قال : ثنا روح ، قال : ثنا أشعث ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الزَّمانَ قد استدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ وَرَجَبٌ مُضَرٌّ بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ » .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع ، فقال : « أَلَا إِنَّ الزَّمانَ قد استدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبٌ مُضَرٌّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سليمان التيمي ، قال : ثنى رجل بالبحرين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع : « أَلَا إِنَّ الزَّمانَ قد استدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبٌ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، قوله (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ) إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبٌ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم منى : « أَلَا إِنَّ الزَّمانَ قد استدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبٌ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ » وهو قول عامة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ)

حُرْمٌ) أما أربعة حرم : فذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب . وأما كتاب الله : فالذي عنده . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا) قال : يعرف بها شأن النسيء ما نقص من السنة .

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قول الله (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ) قال : يذكر بها شأن النسيء .
وأما قوله (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ) . فإن معناه : هذا الذي أخبرتكم به ، من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله ، وأن منها أربعة حرما : هو الدين المستقيم .
كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ) يقول : المستقيم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ) قال : الأمر القيم ، يقول : قال تعالى : واعلموا أيها الناس أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن ، وإن من هذه الاثني عشر شهرا ، أربعة أشهر حرما ذلك دين الله المستقيم ، لاما يفعله النسيء من تحليله ما يحلل من شهور السنة ، وتحريمه ما يحرمه منها .

وأما قوله (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) فان معناه : فلا تعصوا الله فيها ، ولا تحلوا فيهن ما حرم الله عليكم ، فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه .

كما حدثني يونس ، قال : قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) قال : الظلم : العمل بمعاصي الله ، والترك لطاعته .

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه الهاء والنون في قوله (فِيهِنَّ) ، فقال بعضهم : عاد ذلك على الاثني عشر شهرا ، وقال : معناه : فلا تظلموا في الأشهر كلها أنفسكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) في كلهن ، ثم خص من ذلك أربعة أشهر ، فجعلهن حرما وعظم حرماهن ، وجعل الذنب فيهن أعظم ، والعمل الصالح والأجر أعظم .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) قال : في الشهور كلها .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا تظلموا في الأربعة الأشهر الحرم أنفسكم ، والهاء والنون عائدة على الأشهر الأربعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ قال : ثنا « يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أما قوله (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) فإن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها ، وإن كان الظلم على كل حال عظيما ، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء وقال : إن الله اصطفى صفايا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا ، واصطفى من الكلام ذكره ، واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضان ، والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، واصطفى من الليالي ليلة القدر ، فعظموا ما عظم الله ، فانما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا تظلموا في تصييركم حرام الأشهر الأربعة حلالا ، وحلالها حراما أنفسكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا) . . . إلى قوله (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) : أي لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما ، كما فعل أهل الشرك ، فانما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا . . . الآية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) قال : ظلم أنفسكم : أن لا تحرموهن كحرمتهن .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ابن علي (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) قال : ظلم أنفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ، بنحوه .

❦ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب ، قول من قال : فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسكم ، باستحلال حرامها ، فإن الله عظمها وعظم حرمتها .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في تأويله لقوله (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ) فأخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة ، وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة : إذا كنت عنه فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ، ولأربعة أيام بقين ، وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين ، قالت : فعلنا ذلك لثلاث عشرة نخلت ، ولأربع عشرة مضت ، فكان في قوله جل ثناؤه (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) وإخراجه كناية عدد الشهور التي نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة إلى العشرة الدليل الواضح ، على أن الهاء والنون من ذكر الأشهر الأربعة دون الاثني عشر لأن ذلك لو كان كناية عن الاثني عشر شهرا لكان : فلا تظلموا فيها أنفسكم .

❦ فإن قال قائل : فما أنكرت أن يكون ذلك كناية عن الاثني عشر ، وإن كان الذي ذكرت هو المعروف

في كلام العرب ، فقد علمت أن المعروف من كلامها إخراج كناية ما بين الثلاث إلى العشر بالهاء دون النون ، وقد قال الشاعر :

أَصْبَحْنَا فِي قَرْحٍ وَفِي دَارَاتِهَا سَبْعَ لَيَالٍ غَيْرَ مَعْلُوفَاتِهَا

ولم يقل : معلوفاتهن ، وذلك كناية عن السبع ؟ قيل : إن ذلك وإن كان جائزا فليس الأوضح الأعراف في كلامها ، وتوجيه كلام الله إلى الأوضح الأعراف ، أولى من توجيهه إلى الأنكر .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت ، فقد يجب أن يكون مباحا لنا ظلم أنفسنا في غيرهن من سائر شهور السنة ؟ قيل : ليس ذلك كذلك ، بل ذلك حرام علينا في كل وقت وزمان ، ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الأشهر وشرفهن على سائر شهور السنة ، فخصّ الذنب فيهنّ بالتعظيم ، كما خصهنّ بالتشريف ، وذلك نظير قوله (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى) ولا شك أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ) ولم يبح ترك المحافظة عليهنّ بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى ، ولكنه تعالى ذكره زادها تعظيما ، وعلى المحافظة عليها توكيدا ، وفي تضييعها تشديدا ، فكذلك ذلك في قوله (مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) .
وأما قوله (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) فإنه يقول جل ثناؤه : وقاتلوا المشركين بالله أي المؤمنون جميعا غير مختلفين ، مؤتلفين غير مفترقين ، كما يقاتلكم المشركون جميعا ، مجتمعين غير متفرقين .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) أما كافة فجميع وأمركم مجتمع .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) يقول : جميعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) : أي جميعا . والكافة في كل حال على صورة واحدة لا تذكر ولا تجمع ، لأنها وإن كانت بلفظ فاعلة ، فإنها في معنى المصدر كالعافية والعاقبة ، ولا تدخل العرب فيها الألف واللام ، لكونها آخر الكلام مع الذي فيها من معنى المصدر كما لم يدخلوها ، إذا قالوا قاموا معا ، وقاموا جميعا .

(١) البيت في اللسان (قرح) غير منسوب قال : وأما قول الشاعر :

حُبِسْنَا فِي قَرْحٍ وَفِي دَارَاتِهَا سَبْعَ لَيَالٍ غَيْرَ مَعْلُوفَاتِهَا

فهو اسم وادي القرى . وقرح أيضا اسم موضع فيه سوق وادي القرى . ولعله أراد الأول . ونسب الفراء البيت لأبي القمقام الفهمي ، وقال : (ص ١٢٧ مصورة جامعة القاهرة) ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة : هن وهؤلاء . فإذا جرت العشرة قالوا : هي وهذه إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير ، ويجوز في كل واحد ما جاز في صاحبه ، قال أبو القمقام الفهمي : أصبح . . . البيت ولم يقل معلوفاتهن وهن سبع ، وكل ذلك صواب ، إلا أن المؤثر ما فسرت لك . ومثله (وقال نسوة في المدينة) فذكر الفعل لقلة النسوة ، ووقوع هؤلاء عليهن كما يقع على الرجال ، ومنه قوله (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) ولم يقل : انسلخت ، وكل صواب وقال تعالى « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك » لقلتهن ، ولم يقل تلك ، ولو قيلت كان صوابا .

وأما قوله (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) فإن معناه : واعلموا أيها المؤمنون بالله أنكم إن قاتلتم المشركين كافة ، واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ، ولم تخالفوا أمره فتعصوه ، كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين ، ومن كان الله معه لم يغلبه شيء ، لأن الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلِيهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : ما النسئء إلا زيادة في الكفر . والنسئء مصدر من قول القائل : نسأت في أيامك ونسأت الله في أجلك : أى زاد الله في أيام عمرك ، ومدة حياتك ، حتى تبقى فيها حيا ، وكل زيادة حدثت في شيء ، فالشيء الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء ، ولذلك قيل للبن إذا كثر بالماء نسيء ، وقيل للمرأة الحبلى نسوء ، ونسئت المرأة ، لزيادة الولد فيها ؛ وقيل : نسأت الناقة وأنسأتها : إذا زجرتها ليزداد سيرها ، وقد يحتمل أن النسئء فعيل ، صرف إليه من مفعول ، كما قيل : لعين وقتيل ، بمعنى : ملعون ومقتول ، ويكون معناه : إنما الشهر المؤخر زيادة في الكفر ، وكأن القول الأول أشبه بمعنى الكلام ، وهو أن يكون معناه : إنما التأخير الذى يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة ، وتصييرهم الحرام منهن حلالا ، والحلال منهن حراما ، زيادة في كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته ، وقد كان بعض القراء يقرأ ذلك (إِنَّمَا النَّسِيءُ) بترك الهمز وترك مده (يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) . واختلقت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة الكوفيين (يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمعنى : يضل الله بالنسئء الذى ابتدعوه وأحدثوه الذين كفروا . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمعنى : يزول عن محجة الله التى جعلها لعباده طريقا يسلكونه إلى مرضاته الذين كفروا . وقد حكى عن الحسن البصرى (يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمعنى : يضل بالنسئء الذى سنه الذين كفروا الناس .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أن يقال : هما قراءتان مشهورتان ، قد قرأت بكل واحدة القراء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به ، وهما متقاربتا المعنى ، لأن من أضله الله فهو ضال ، ومن ضل فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضل ، فبأيهما قرأ القارئ فهو للصواب في ذلك مصيب . وأما الصواب من القراءة في النسئء ، فالهمز ، وقراءته على تقدير فعيل ، لأنها القراءة المستفيضة في قراءة الأمصار التى لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه .

وأما قوله (يُجِلُّونَهُ عَامًا) فإن معناه : يحلّ الدين كفروا النسيء ، والهاء في قوله (يُجِلُّونَهُ) عائدة عليه .

ومعنى الكلام : يحلون الذين أخرّوا تحريمه من الأشهر الأربعة الحرم عامًا ، ويحرّمونه عامًا (لِيُؤَاطِثُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ) يقول : ليوافقوا بتحليلهم ما حللوا من الشهور ، وتحريمهم ما حرّموا منها ، عدّة ما حرّم الله (فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، زَيْنَ كَلِمٍ سَوْءٍ أَعْمَالِهِمْ) يقول : حسن لهم ، وحبّب إليهم سيّئ أعمالهم وقبيحها ، وما خولف به أمر الله وطاعته (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) يقول : والله لا يوفّق لحاسن الأفعال وحلها ، وما لله فيه رضا ، القوم الجاحدين توحيدهم ، والمنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه يخذلهم عن الهدى كما خذل هؤلاء الناس عن الأشهر الحرم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَأَنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) قال : النسيء : هو أن جنادة بن عوف بن أمية الكنانى كان يوافي الموسم في كل عام ، وكان يكنى أبا ثمامة ، فينادى : ألا إن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب ، ألا وإن صفر العام الأوّل حلال ، فيحلّ الناس ، فيحرّم صفر عامًا ، ويحرّم المحرم عامًا ، فذلك قوله تعالى (لَأَنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) . . . إلى قوله (الْكَافِرِينَ) . وقوله (لَأَنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) يقول : يتركون المحرم عامًا ، وعامًا يحرمونه .

قال أبو جعفر : وهذا التأويل من تأويل ابن عباس يدلّ على صحة قراءة من قرأ النسيء بترك الهمز وترك المدّ ، وتوجيهه معنى الكلام إلى أنه فعل من قول القائل : نسيت الشيء أنساه ، ومن قول الله (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) بمعنى : تركوا الله فتركهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَأَنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) قال : فهو المحرم كان يحرم عامًا وصفر عامًا ، وزيد صفر آخر في الأشهر الحرم ، وكانوا يحرمون صفرًا مرة ، ويحلّونه مرة ، فعاب الله ذلك ، وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم تفعله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل (لَأَنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) قال : كان النسيء رجلًا من بنى كنانة ، وكان ذا رأى فيهم ، وكان يجعل سنة المحرم صفرًا ، فيغزون فيه فيغنمون فيه ، ويصيبون ، ويحرّمه سنة .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي وائل (لَأَنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) . . . الآية ، وكان رجل من بنى كنانة يسمى النسيء ، فكان يجعل المحرم صفر ، ويستحلّ فيه الغنائم ، فنزلت هذه الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قال : كان رجل من بنى كنانة يأتي كل عام في الموسم على حمار له ، فيقول : أيها الناس إني لأعاب ولا أجاب ، ولا مرد لما أقول ؛ إنا قد حرّمنا المحرم ، وأخرنا صفر ، ثم يجيء العام المقبل بعده ، فيقول مثل مقالته ، ويقول : إنا قد حرّمنا صفر ، وأخرنا المحرم ، فهو قوله (لِيُؤَاطِثُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ) قال : يعنى الأربعة ، فيحلوا ما حرّم الله لتأخير هذا الشهر الحرام .

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) النسبي : المحرم ، وكان يحرم المحرم عاما ، ويحرم صفرًا عاما ، فالزيادة صفر ، وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرم ، فيحلوا ما حرّم الله ، وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه ، وهم الذين كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) . . . إلى قوله (الكافرين) عمد أناس من أهل الضلالة ، فزادوا صفرًا في الأشهر الحرم ، فكان يقوم قائمهم في الموسم ، فيقول : ألا إن آلهتكم قد حرمت العام المحرم ، فيحرّمونه ذلك العام ، ثم يقوم في العام المقبل فيقول : ألا إن آلهتكم قد حرمت صفر ، فيحرّمونه ذلك العام ، وكان يقال لهما : الصفران . قال : فكان أول من نسا النسبي بنو مالك بن كنانة ، وكانوا ثلاثة أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بنى فقيم بن الحرث . ثم أحد بنى كنانة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) قال : فرض الله الحج في ذى الحجة ، وكان المشركون يسمون الأشهر : ذو الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيع ، وربيع ، وجمادى ، وجمادى ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، يحجون فيه مرة ، ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمون صفر صفر ، ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ، ثم يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون رمضان شوالا ، ثم يسمون ذو القعدة شوالا ، ثم يسمون ذو الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرم ذو الحجة ، فيحجون فيه ، واسمه عندهم ذو الحجة ، ثم عادوا بمثل هذه القصة ، فكانوا يحجون في كل شهر عامين ، حتى وافق حجة أبي بكر رضى الله عنه الآخر من العامين في ذى القعدة ، ثم حجّ النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حجّ ، فوافق ذو الحجة ، فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته : « إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) قال : حجوا في ذى الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين ، فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين ، حتى وافقت حجة أبي بكر الآخر

(١) كذا في الدر أيضا ، ولم يذكر الثلاثة ، وقد تقدم أن اسم أبي ثمامة : جنادة فحرر .

من العامين في ذي القعدة قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة ، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم من قابل في ذي الحجة ، فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبي مالك (إنما النسيءُ زيادةٌ في الكفر) قال : كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا ، فيجعلون المحرم صفرًا ، فيستحلون فيه الحرمات ، فأنزل الله (إنما النسيءُ زيادةٌ في الكفر) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إنما النسيءُ زيادةٌ في الكفر يضلُّ به الذين كفروا) . . . الآية . قال : هذا رجل من بني كنانة يقال له القلمس ، كان في الجاهلية ، وكانوا في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام ، يلقي الرجل قاتل أبيه فلا يمد إليه يده . فلما كان هو ، قال : اخرجوا بنا ، قالوا له هذا المحرم ، فقال : ننسئه العام ، هما العام صفران ، فإذا كان عام قابل قضينا ، فجعلناهما محرمين ، قال : ففعل ذلك ؛ فلما كان عام قابل ، قال : لا تغزوا في صفر حرّموه مع المحرم ، هما محرمان : المحرم أنسأناه عاما أوّل ، ونقضيه ذلك الإنساء وقال شاعرهم :

وَمِنَّا مُنْسِيٌّ الشَّهْرِ الْقَلَمَسُ ١

وأنزل الله (إنما النسيءُ زيادةٌ في الكفر) . . . إلى آخر الآية :

وأما قوله (زيادةٌ في الكفر) فإن معناه : زيادة كفر بالنسيء إلى كفرهم بالله ، وقيل ابتداءهم بالنسيء . كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (إنما النسيءُ زيادةٌ في الكفر) يقول : ازدادوا به كفرا إلى كفرهم .

وأما قوله (لِيُؤَاطِئُوا) فإنه من قول القائل : واطأت فلانا على كذا أو اطئه مواطأة : إذا وافقته عليه ، معينا له ، غير مخالف عليه .

وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لِيُؤَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ) يقول : يشبهون ، وذلك قريب المعنى مما بيننا ، وذلك أن ما شابه الشيء فقد وافقه من الوجه الذي شابهه .

وإنما معنى الكلام : أنهم يوافقون بعدة الشهور التي يحرمونها عدة الأشهر الأربعة التي أحرمها الله ، لا يزيدون عليها ، ولا ينقصون منها ، وإن قدّموا وأخروا فذلك مواطأة عدتهم ، عدة ما حرم الله .

(١) لم أقف على قائل البيت . وقد أورده القرطبي في تفسيره (مجلد ٨ : ١٣٨) وقال الفراء في معاني القرآن (ص ١٢٧ مصورة جامعة القاهرة) : كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصدر عن منى ، قدم رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة ، وكان رئيس الموسم ، فيقول : أنا الذي لا أعاب ولا أجاب ولا يرد لي قضاء ؛ فيقولون : صدقت ؛ أنسنا شهرا ، يريدون : أخرنا حرمة المحرم ، واجعلها في صفر ، وأحل المحرم فيفعل ذلك ، وإنما دعاهم إلى ذلك توالي ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها ، وإنما كان معاشهم من الإغارة . فيفعل ذلك عاما ، ثم يرجع إلى المحرم فيحرمه ويحل صفرًا ، فذلك الإنساء .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى
الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾

❦ وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم ، وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك ، يقول جل ثناؤه : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (مَالَكُمْ) أى شئ أمركم (إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : إذا قال لكم رسول الله محمد : انفروا : أى اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم . وأصل النفر : مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاجه على ذلك ، ومنه نفور الدابة ، غير أنه يقال من النفر إلى الغزو : نفر فلان إلى ثغر كذا ينفر نفرا ونفيرا ، وأحسب أن هذا من الفروق التي يفرقون بها بين اختلاف الخبر عنه ، وإن اتفقت معاني الخبر ؛ فعنى الكلام : مالكم أيها المؤمنون إذا قيل لكم : اخرجوا غزاة في سبيل الله : أى في جهاد أعداء الله (أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) يقول تَأْتَلْتُمْ إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها . وقيل : أَتَأْتَلْتُمْ لأنه أدغم التاء في التاء ، فأحدث لها ألف ليتوصل إلى الكلام بها ، لأن التاء مدغمة في التاء ، ولو أسقطت الألف وابتدى بها لم تكن إلا متحركة ، فأحدثت الألف لتقع الحركة بها ، كما قال جل ثناؤه (حَتَّى إِذَا آدَرَكْتُمْ فِيهَا جَمِيعًا) وكما قال الشاعر :
تَوَلَّى الضَّجِيعَ إِذَا مَا اسْتَأْفَاهَا خَصِيرًا عَذَّبَ الْمَذَاقَ إِذَا مَا اتَّبَعَ الْقَبِيلُ ١

فهو بنى الفعل افتعلم من التاقل .

وقوله (أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ) يقول جل ثناؤه : أرضيتم بحظ الدنيا والدعة فيها ، عوضا من نعيم الآخرة ، وما عند الله للمتقين في جنانه (فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ) يقول : فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذاتها في نعيم الآخرة والكرامة ، التي أعدّها الله لأوليائه ، وأهل طاعته (إِلَّا قَلِيلٌ) يسير ، يقول لهم : فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة ، وترف الكرامة التي عند الله لأوليائه بطاعته ، والمسارعة إلى الإجابة إلى أمره في النفير لجهاد عدوه .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح

(١) لم أفت على قائله . وتولى : تعطى وتمنح . والضجيع : من ينام معها في فراشها . واستأفها : شها أو قبلها وخصرا : باردا ، يريد ثغرها . واتابع : أصله : تتابع ، أدغم المثان المتحركان ، فاحتيج إلى ألف الوصل ، ومثله : اتاقل وادارك ، أدغم فيما المتقاربان واجتلبت الألف لتيسير النطق . والبيت من شواهد الكسائي ، أنشده الفراء في (معاني القرآن : ١٢٨ مصورة جامعة القاهرة) .

وبعد الطائف ، وبعد حنين ، أمروا بالنفير في الصيف حين خرفت النخل ، وطابت الثمار ، واشتهوا الظلال ، وشقّ عليهم المخرج :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض) . . . الآية ، قال : هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين ، وبعد الطائف أمرهم بالنفير في الصيف ، حين اخترفت النخل ، وطابت الثمار ، واشتهوا الظلال ، وشقّ عليهم المخرج ؛ قال : فقالوا : منا الثقل ، وذو الحاجة ، والضّيقة ، والشغل ، والمنتشر به أمره في ذلك كله ، فأنزل الله (انفروا خفافاً وثقالاً) .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩١﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله ، متوعدهم على ترك النفر إلى عدوهم من الروم : إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى من استنفركم رسول الله ، يعذبكم الله عاجلاً في الدنيا بترككم النفر إليهم ، عذاباً موجعاً (وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) يقول : يستبدل الله بكم نبيه قوماً غيركم ، ينفرون إذا استنفروا ، ويجيبونه إذا دعوا ، ويطيعون الله ورسوله (وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا) يقول : ولا تضروا الله بترككم النفير ، ومعصيتكم إياه شيئاً ، لأنه لا حاجة به إليكم ، بل أنتم أهل الحاجة إليه ، وهو الغني عنكم ، وأنتم الفقراء (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول جل ثناؤه : والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم ، وعلى كل ما يشاء من الأشياء قدير ، وقد ذكر أن العذاب الأليم في هذا الموضع كان احتباس القطر عنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنى عبد المؤمن بن خالد الحنفي ، قال : ثنى نجدة الحراساني ، قال : سمعت ابن عباس ، وسئل عن قوله (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حياً من أحياء العرب ، فتناقلوا عنه ، فأمسك عنهم المطر ، فكان ذلك عذابهم ، فذلك قوله (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن نجدة ، قال : سألت ابن عباس ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : فكان عذابهم أن أمسك عنهم المطر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) استنفر الله المؤمنين في هبان الحرّ في غزوة تبوك قبل الشام على ما يعلم الله من جهده . وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى .
قالا : قال (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) وقال (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ
مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ) . . . إلى
قوله (لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فنسخها الآية التي تلتها (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ
لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) .

قال أبو جعفر : ولا خبر بالذى قال عكرمة والحسن من نسخ حكم هذه الآية التي ذكروا يجب التسليم
له ، ولا حجة تأتي بصحة ذلك ، وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سند كرمهم بعد ،
وجائز أن يكون قوله (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) لخاص من الناس ، ويكون المراد به من
استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية ، عن ابن عباس . وإذا كان
ذلك كذلك ، كان قوله (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) نهيًا من الله المؤمنين عن إخلاء بلاد
الإسلام بغير مؤمن مقيم فيها ، وإعلامًا من الله لهم أن الواجب النفر على بعضهم دون بعض ، وذلك على من
استنفر منهم دون من لم يستنفر . وإذا كان ذلك كذلك لم يكن في إحدى الآيتين نسخ للأخرى ، وكان
حكم كل واحدة منهما ماضيا فيما عنت به .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ
إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ
بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾

هذا إعلام من الله أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه ،
وإظهاره عليهم دونهم ، أعانوه أو لم يعينوه ، وتذكير منه لهم فعل ذلك به ، وهو من العدد في قلة ، والعدو
في كثرة ، فكيف به وهو من العدد في كثرة والعدو في قلة ، يقول لهم جل ثناؤه : إلا تنفروا أيها المؤمنون
مع رسولى إذا استنفركم فتنصروه ، فالله ناصره ومعينه على عدوه ، ومغنيه عنكم ، وعن معونتكم ونصرتكم
كما نصره إذ أخرجه الذين كفروا بالله من قريش من وطنه وداره (ثَانِيًا إِثْنَيْنِ) يقول : أخرجه وهو
أحد الاثنين : أى واحد من الاثنين ، وكذلك تقول العرب « هُوَ ثَانِي إِثْنَيْنِ » يعنى أحد الاثنين وثالث ثلاثة ،
ورابع أربعة ، يعنى : أحد الثلاثة ، وأحد الأربعة ، وذلك خلاف قولهم : هو أخو ستة وغلام سبعة ،
لأن الأخ والغلام غير الستة والسبعة ، وثالث الثلاثة : أحد الثلاثة ، وإنما عنى جل ثناؤه بقوله (ثَانِيًا
إِثْنَيْنِ) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر ، رضى الله عنه ، لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من

قريش ، إذ هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفيا في الغار . وقوله (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) يقول :
 إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رحمة الله عليه في الغار ، والغار : النقب العظيم يكون في الجبل
 (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ) يقول : إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر (لَا تَحْزَنْ) وذلك أنه خاف من
 الطلب أن يعلموا بمكانهما ، فجزع من ذلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَا تَحْزَنْ لَأَنَّ اللَّهَ
 مَعَنَا ، وَاللَّهُ نَاصِرُنَا ، فَلَنْ يَعْلَمَ الْمُشْرِكُونَ بِنَا ، وَلَنْ يَصِلُوا إِلَيْنَا ، يقول جل ثناؤه : فقد
 نصره الله على عدوه ، وهو بهذه الحال من الخوف ، وقلة العدد فكيف يخذله ، ويحوجه إليكم ، وقد كثر
 الله أنصاره وعدد جنوده .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلَّا
 تَنْصُرُوهُ) ذكر ما كان في أول شأنه حين بعثه ، يقول الله : فأنا فاعل ذلك به وناصره كما نصرته إذ ذاك
 وهو ثاني اثنين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا
 تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ) قال : ذكر ما كان في أول شأنه حين بعث ، فالله فاعل به كذلك ناصره
 كما نصره إذ ذاك (ثاني اثنين إذ هما في الغار) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ
 اللَّهُ) . . . الآية ، قال : فكان صاحبه أبو بكر . وأما الغار : فجبل بمكة يقال له ثور .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن
 عروة ، عن عروة ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ، وكان لأبي بكر
 منيعة من غنم تروح على أهله ، فأرسل أبو بكر عامر بن فهيرة في الغنم إلى ثور ، وكان عامر بن فهيرة
 يروح بتلك الغنم على النبي صلى الله عليه وسلم بالغار في ثور ، وهو الغار الذي سماه الله في القرآن .

حدثني يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطي ، قال : ثنا عفان وحبان ، قالا : ثنا همام ، عن ثابت ،
 عن أنس ، أن أبا بكر رضى الله عنه حدثهم ، قال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ،
 وأقدام المشركين فوق رؤوسنا ، فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا ، فقال : يا أبا بكر
 ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، قال : مكث
 أبو بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ)
 قال : في الجبل الذي يسمى ثورا مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليال .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبيه ، أن أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه ، حين خطب قال : أيكم يقرأ سورة التوبة ؟ قال رجل : أنا ؛ قال : اقرأ فلما بلغ (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ) بكى أبو بكر وقال : أنا والله صاحبه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَيْدَهُ يُجْنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله ، وقد قيل على أبي بكر ، (وَأَيْدَهُ يُجْنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا) يقول : وقواه يجنود من عنده من الملائكة لم تروها أنتم (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا) وهي كلمة الشرك (السُّفْلَى) لأنها قُهرت وأذلت ، وأبطلها الله تعالى ومحق أهلها ، وكل مقهور ومغلوب ، فهو أسفل من الغالب ، والغالب هو الأعلى (وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) يقول : ودين الله وتوحيده ، وقول لا إله إلا الله ، وهي كلمته العليا على الشرك وأهله الغالبة .

كما حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله : (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى) وهي : الشرك بالله (وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) وهي لا إله إلا الله .

وقوله (وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) خبر مبتدأ غير مردود على قوله (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى) لأن ذلك لو كان معطوفاً على الكلمة الأولى لكان نصباً .

وأما قوله (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فإنه يعني : والله عزيز في انتقامه من أهل الكفر به ، لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب ، ولا ينصر من عاقبه ناصر ، حكيم في تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم في مشيئته .

القول في تأويل قوله تعالى :

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

اختلف أهل التأويل في معنى الخفة والثقل ، الذين أمر الله من كان به أحدهما بالنفر معه ، فقال بعضهم : معنى الخفة التي عنها الله في هذا الموضع : الشباب ، ومعنى الثقل : الشيخوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن رجل ، عن الحسن ، في قوله (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : شيبا وشبانا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : شيوخا وشبانا .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن علي بن زيد ، عن أنس ، عن أبي طلحة (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : كهولا وشبانا ، ما أسمع الله عزّ راحدا فخرج إلى الشام فجاهد حتى مات .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة بن النعمان ، قال : كان رجل من النخع وكان شيخا بادنا ، فأراد الغزو فمنعه سعد بن أبي وقاص ، فقال : إن الله يقول (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) فأذن له سعد ، فقتل الشيخ ، فسأل عنه بعد عمر ، فقال : ما فعل الشيخ الذي كان من بني هاشم ؟ فقالوا قُتِلَ يا أمير المؤمنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : الشاب والشيخ .
قال : ثنا أبو أسامة ، عن مالك بن مغول ، عن إسماعيل ، عن عكرمة ، قال : الشاب والشيخ .
قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك : كهولا وشبانا .
قال : ثنا حيوّ أبو يزيد ، عن يعقوب القمي ، عن جعفر بن حميد ، عن بشر بن عطية : كهولا وشبانا .
حدثنا الوليد ، قال : ثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن بكير بن معروف ، عن مقاتل ابن حيان ، في قوله (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : شبانا وكهولا .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : شبابا وشيوخا ، وأغنياء ومساكين .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : شيوخا وشبانا .
حدثني سعيد بن عمرو ، قال : ثنا بقرية ، قال : ثنا جرير ، قال : ثنا حبان بن زيد الشرعي ، قال : نفرنا مع صفوان بن عمرو ، وكان واليا على حمص قبل الأفسوس إلى الجراجمة ، فلقيت شيخا كبيرا ، قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار ، فأقبلت عليه فقلت : يا عمّ لقد أعذر الله إليك ، قال : فرجع حاجبيه فقال : يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا ، من يحبه الله يبتيه ، ثم يعيده فيبقيه ، وإنما يبتي الله من عباده من شكر وصبر وذكر ، ولم يعبد إلا الله .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبي صالح (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : كل شيخ وشاب .

وقال آخرون : معنى ذلك مشاغيل وغير مشاغيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن الحكم ، في قوله (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : مشاغيل وغير مشاغيل .
وقال آخرون : معناه : انفروا أغنياء وفقراء .

(١) لعله : مولى بني هاشم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ذكره ، عن أبي صالح (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : أغنياء وفقراء .
وقال آخرون : معناه : نشاطا وغير نشاط .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) يقول : انفروا نشاطا وغير نشاط .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : نشاطا وغير نشاط .
وقال آخرون : معناه : ركبانا ومشاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد ، قال : قال أبو عمرو : إذا كان النفر إلى دروب الشام نفر الناس إليها خفافا ركبانا ، وإذا كان النفر إلى هذه السواحل ، ونفروا إليها خفافا وثقالا ، ركبانا ومشاة .
وقال آخرون : معنى ذلك : ذا ضيعة ، وغير ذي ضيعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) قال : الثقل الذي له الضيعة ، فهو ثقيل يكره أن يضيع ضيعته ويخرج ، والخفيف الذي لا ضيعة له ، فقال الله (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمي أنه ذكر له أن ناسا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلا أو كبيرا ، فيقول : إني أحسبه قال : أنا لا آثم ، فأنزل الله (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد ، قال : شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ، ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا وهو في أخرى إلا عاما واحدا وكان أبو أيوب يقول (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) فلا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلًا .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا جرير ، عن عثمان ، عن راشد بن سعد ، عن رأي المقداد بن الأسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوت من توأبيت الصيارفة بجمص ، وقد فضل عنه من عظمه ، فقلت له : لقد أعذر الله إليك ، فقال : أتت علينا سورة البعوث (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) .

حدثنا سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثنا جرير ، قال : ثنا عبد الرحمن بن

ميسرة ، قال : ثنا أبو راشد الحبراني ، قال : وافيت المقداد بن الأسود ، فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على تابوت من توابيت الصيارفة بجمص ، قد فضل عنه من عظمه ، يريد الغزو ، فقلت له : لقد أعذر الله إليك ، فقال : أتت علينا سورة البعوث (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله خفافا وثقالا ؛ وقد يدخل في الخفاف كل من كان سهلا عليه النفر لقوة بدنه على ذلك ، وصحة جسمه وشبابه ، ومن كان ذا تدير بمال وفراغ من الاشتغال ، وقادرا على الظهر والركاب ، ويدخل في الثقال كل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليه وسقيمه ، ومن معسر من المال ، ومشتغل بضیعة ومعاش ، ومن كان لا ظهر له ولا ركاب ، والشيخ ذو السن والعيال ، فإذا كان قديدخل في الخفاف والثقال من وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا ولم يكن الله جل ثناؤه خص من ذلك صنفا دون صنف في الكتاب ، ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا نصب على خصوصه دليلا ، وجب أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد في سبيله خفافا وثقالا مع رسوله صلى الله عليه وسلم على كل حال من أحوال الخفة والثقل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن مسلم بن صبيح قال : أول ما نزل من براءة (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، مثله .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، قال : إن أول ما نزل من براءة (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) قال : يعرفهم نصره ، ويوطنهم لغزوة تبوك .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاهدوا أيها المؤمنون الكفار بأموالكم ، فأنفقوها في مجاهدتهم على دين الله الذي شرعه لكم ، حتى يتقادوا لكم فيدخلوا فيه طوعا أو كرها ، أو يعطوكم الجزية ، عن يد صغارا ، إن كانوا أهل كتاب ، أو تقتلوهم ، وأنفسكم ، يقول : وبأنفسكم فقاتلوهم بأيديكم ينزهم الله ، وينصركم عليهم (ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) يقول : هذا الذي أمركم به من النفر في سبيل الله تعالى خفافا وثقالا ، وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم خير لكم من التناقل إلى الأرض إذا استنفرتم ، والخلود إليها ، والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضا من الآخرة ، إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد في سبيل الله على التعمود عنه .

القول في تأويل قوله تعالى:

لَوْ كَانَتْ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤١﴾

* يقول جل ثناؤه للنبي صلى الله عليه وسلم : كانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه في التخلف عنه حين خرج إلى تبوك فأذن لهم لو كان ما تدعو إليه المتخلفين عنك ، والمستأذنين في ترك الخروج معك إلى مغزاة الذي استنفرتهم إليه (عَرَضًا قَرِيبًا) يقول : غنيمة حاضرة ، (وَسَفَرًا قَاصِدًا) ، يقول : وموضع قريبًا سهلاً ، (لَاتَّبَعُوكَ) ونفروا معك إليهما ، ولكنك استنفرتهم إلى موضع بعيد ، وكلفتهم سفراً شاقاً عليهم ، لأنك استنفرتهم في وقت الحرّ وزمان القيظ ، وحين الحاجة إلى الكنّ (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ) يقول تعالى ذكره : وسيحلف لك يا محمد هؤلاء المستأذنون في ترك الخروج معك اعتذاراً منهم إليك بالباطل ، لتقبل منهم عذرهم ، وتأذن لهم في التخلف عنك بالله كاذبين ، لو استطعنا لخرجنا معكم ، يقول : لو أطلقنا الخروج معكم بوجود السعة والمراكب والظهور ، وما لا يبدّ للمسافر والغازي منه ، وصحة البدن والقوى لخرجنا معكم إلى عدوكم (يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ) يقول : يوجبون لأنفسهم بحلفهم بالله كاذبين المهلاك والعطب ، لأنهم يورثونها سخط الله ويكسبونها ألم عقابه (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) في حلفهم بالله ، لو استطعنا لخرجنا معكم ، لأنهم كانوا للخروج مطيقين بوجود السبيل إلى ذلك بالذي كان عندهم من الأموال مما يحتاج إليه الغازي في غزوه والمسافر في سفره . وصحة الأبدان ، وقوى الأجسام .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْ كَانَتْ عَرَضًا قَرِيبًا) إلى قوله (لَكَاذِبُونَ) إنهم يستطيعون الخروج ، ولكن كان تبطئة من عند أنفسهم والشيطان ، وزهادة في الخير .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَوْ كَانَتْ عَرَضًا قَرِيبًا) قال : هي غزوة تبوك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) أي أنهم يستطيعون .

القول في تأويل قوله تعالى

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٢﴾

وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم في إذنه ، لمن أذن له في التخلف عنه حين شخص إلى تبوك لغزو الروم من المنافقين ، يقول جل ثناؤه (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ) يا محمد ما كان منك في إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك ، وفي التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه (لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) لأي شيء أذنت لهم (حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) يقول : ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك ، إذ قالوا لك : لو استطعنا لخرجنا معك حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ، ومن لا عذر له منهم ، فيكون إذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره ، وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقا ، وشكا في دين الله :
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) قال : ناس قالوا : استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) . . . الآية ، عاتبه كما تسمعون ، ثم أنزل الله التي في سورة النور ، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء ، فقال (فَاذًا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء إذنه للمنافقين ، وأخذه من الأسارى ، فأنزل الله (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : قرأت على سعيد بن أبي عروبة ، قال : هكذا سمعته من قتادة ، قوله (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) . . . الآية ، ثم أنزل الله بعد ذلك في سورة النور (فَاذًا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) . . . الآية .

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا النضر بن شمير ، قال : أخبرنا موسى بن مروان ، قال : سألت مورقا ، عن قوله (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ) قال : عاتبه ربه .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَسْعَدُكَ الَّذِينَ يُولُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٤٢﴾

وهذا إعلام من الله نبيه صلى الله عليه وسلم سيما المنافقين ، أن من علاماتهم التي يعرفون بها ، تخلفهم عن

الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم الخروج معه إذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة ، يقول جل ثناؤه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد لا تأذنن في التخلف عنك إذا خرجت لغزو عدوك لمن استأذنتك في التخلف من غير عذر ، فانه لا يستأذنتك في ذلك إلا منافق ، لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فأما الذي يصدق بالله وبقرّ بوحدايته ، وبالبعث ، والدار الآخرة ، والثواب والعقاب ، فانه لا يستأذنتك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) يقول : والله ذو علم بمن خافه فاتقاه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، والمصارعة إلى طاعته في غزو عدوه ، وجهادهم بماله ونفسه ، وغير ذلك من أمره ونهيه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله : (لا يستأذنتك الذين يؤمنون بالله) فهذا تعبير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر ، وعذر الله المؤمنين ، فقال : لم يذهبوا حتى يستأذنوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبية صلى الله عليه وسلم : إنما يستأذنتك يا محمد في التخلف خلفك ، وترك الجهاد معك من غير عذر بين الذين لا يصدقون بالله ، ولا يقرون بتوحيده (وَآرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ) يقول : وشكت قلوبهم في حقيقة وحداية الله ، وفي ثواب أهل طاعته ، وعقابه أهل معاصيه ، (فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) يقول : في شكهم متحيرون ، وفي ظلمة الحيرة مترددون ، لا يعرفون حقا من باطل ، فيعملون على بصيرة ، وهذه صفة المنافقين .

وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرت في سورة النور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى ، قالا : قوله (لا يستأذنتك الذين يؤمنون بالله) . . . إلى قوله (فهم في ريبهم يترددون) نسختها الآية التي في النور (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ) . . . إلى (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . وقد بينا الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن إعادته ههنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا

مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : ولو أراد هؤلاء المستأذنونك يا محمد في ترك الخروج معك لجهاد عدوك الخروج معك (لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً) يقول : لأعدوا للخروج عدّة ، ولتأهبوا للسفر والعدو أهبتهما (ولكن كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ) يعني : خروجهم لذلك (فَثَبَّطَهُمْ) يقول : فثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود في منازلهم خلافاً ، واستثقلوا السفر والخروج معك ، فتركوا لذلك الخروج (وقيل اقعدوا مع القاعدين) يعني : اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون : ومع النساء والصبيان ، واتركوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين في سبيل الله ، وكان تثبيط الله إياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، لعلمه بنفاقهم ، وغشهم للإسلام وأهله ، وأنهم لو خرجوا معهم ضرّوهم ولم ينفعوا ، وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود كانوا عبد الله بن أبي ابن سلول ، والجد بن قيس ، ومن كانا على مثل الذي كانا عليه .

كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذين استأذنوه فيما بلغني من ذوى الشرف منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ، والجد بن قيس ، وكانوا أشرفاً في قومهم ، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ

سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون (ما زادوكم إلا خبالاً) يقول : لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فساداً وضراً ، ولذلك ثبطهم عن الخروج معكم . وقد بينا معنى الخبال بشواهده فيما مضى قبل . (وَلَا أُضْعَعُوا خِلَالَكُمْ) يقول : ولأسرعوا بركائبهم السير بينكم ، وأصله من إيضاع الخيل والركاب ، وهو الإسراع بها في السير ، يقال للناقة إذا أسرع السير : وضعت الناقة تضع وضعا وموضوعا ، وأوضعها صاحبها : إذا جدّ بها وأسرع يوضعها إيضاعا ؛ ومنه قول الراجز :

يَالْيَتِي تَنِي فِيهَا جَدَعٌ أَخْبُبُ فِيهَا وَأَضَعُ ١

(١) هذان بيتان من متهوك الرجز ينسبان إلى دريد بن الصمة ، قالهما مع آخرين في غزوة حنين ، لما أشار على مالك بن عوف النصرى قائد المشركين ذلك اليوم برأى ، فلم يرجع إليه فيه ، فقال الأبيات الأربعة . والجدع : الشاب القوى . وأخب : من الخبب ، وهو ضرب من السير السريع . وأضع : من الوضع ، وهو العدو . وضع الرجل يضع وضعا : إذا عدا . وأوضع الدابة : حملها على الوضع .

وأما أصل الحلال : فهو من الحلال : وهى الفرج تكون بين القوم فى الصفوف وغير ما ؛ ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « تَرَأَوْا فى الصُّفُوفِ لا يَتَخَلَّلُكُمْ أولادُ الحَدَفِ » .
 وأما قوله (يَبْغُونَكُمْ الفِتْنَةَ) فإن معنى ييغونكم الفتنة : يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم فى مغزاكم ، بتثيبتهم إياكم عنه ، يقال منه : بغيته الشر ، وبغيته الخير أبغيه بغاء : إذا التسته له ، بمعنى : بغيته له ، وكذلك عكمتك وحلبتك ، بمعنى : حلبت لك وعكمت لك ، وإذا أرادوا أعنتك على التماسه وطلبه ، قالوا : أبغيتك كذا وأحلبتك وأعكمتك : أى أعنتك عليه .
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاوَضَعُوا خِلالَكُمْ) بينكم (يَبْغُونَكُمْ الفِتْنَةَ) بذلك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاوَضَعُوا خِلالَكُمْ) يقول : وَاوَضَعُوا أسلحتهم ا خلالكم بالفتنة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (وَاوَضَعُوا خِلالَكُمْ) يَبْغُونَكُمْ الفِتْنَةَ) يبطئونكم ، قال : رفاعه بن التابوت ، وعبد الله بن أبى ابن سلول ، وأوس بن قيقى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله : (وَاوَضَعُوا خِلالَكُمْ) قال : لأسرعوا الأزقة خلالكم (يَبْغُونَكُمْ الفِتْنَةَ) يبطئونكم ، عبد الله ابن نبتل ، ورفاعة بن تابوت ، وعبد الله بن أبى ابن سلول .

قال : حدثنا الحسن ، قال : ثنى أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (وَاوَضَعُوا خِلالَكُمْ) قال : لأسرعوا خلالكم (يَبْغُونَكُمْ الفِتْنَةَ) بذلك حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (لَوْ خَرَجُوا فِىكُمْ ما زادوكم إلا خبالاً) قال : هؤلاء المنافقون فى غزوة تبوك ، يُسئلى الله عنهم نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، فقال : وما يُحزِّنكم ؟ (لَوْ خَرَجُوا فِىكُمْ ما زادوكم إلا خبالاً) يقولون : قد جمع لكم وفعل وفعل ، يخذلونكم (وَاوَضَعُوا خِلالَكُمْ) يَبْغُونَكُمْ الفِتْنَةَ) الكفر .

وأما قوله (وَفِىكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وفىكم سماعون لحديثكم لهم يؤدونه إليهم عيون لهم عليكم .
 ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَفِىكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ) يحدثون بأحاديثكم عيون غير منافقين .

(١) لعله خيلهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ) قال : محدثون عيون غير منافقين .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ) يسمعون ما يؤدونه لعدوكم .

وقال آخرون ؛ بل معنى ذلك : وفيكم من يسمع كلامهم ، ويطيع لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ) وفيكم من يسمع كلامهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذين استأذنوا فيما بلغني من ذوى الشرف منهم : عبد الله بن أبي ابن سلول ، والجد بن قيس وكانوا أشرافا في قومهم ، فبسطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم ، فيفسدوا عليه جنده ، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم ، فقال (وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ) فعلى هذا التأويل : وفيكم أهل سمع وطاعة منكم لو صحبتكم أفسدوهم عليكم بتثيبتهم إياهم عن السير معكم . وأما على التأويل الأول ، فإن معناه : وفيكم منهم سماعون يسمعون حديثكم لهم ، فيبلغونهم ويؤدونه إليهم عيون لهم عليكم .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين عندى فى ذلك بالصواب تأويل من قال : معناه : وفيكم سماعون لحديثكم لهم يبلغونه عنكم عيون لهم ، لأن الأغلب من كلام العرب فى قولهم : سماع ، وصف من وصف به أنه سماع للكلام ، كما قال الله جل ثناؤه فى غير موضع من كتابه (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ) واصفا بذلك قوما بسماع الكذب من الحديث . وأما إذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه ، وقبوله منه ، وانتهائه إليه ، فإنما تصفه بأنه له سامع ومطيع ، ولا تكاد تقول : هو له سماع مطيع .

وأما قوله (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) فإن معناه : والله ذو علم بمن يوجه أفعاله إلى غير وجوها ، ويضعها فى غير مواضعها ، ومن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر ، ومن يستأذنه شكافى الإسلام ونفاقا ، ومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين ، ومن يسمعه ليسر بما سر المؤمنين ، ويساء بما ساءهم ، لا يخفى عليه شىء من سرائر خلقه وعلانيتهم ، وقد بينا معنى الظلم فى غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ

❦ يقول تعالى ذكره : لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد ، اتمسوا صدّهم عن دينهم ، وحرصوا على ردّهم إلى الكفر بالتخذيّل عنه ، كفعل عبد الله بن أبي بك وبأصحابك يوم أُحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه ، وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل ، ويعنى بقوله (مِنْ قَبْلُ) : من قبل هذا (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) يقول : وأجالوا فيك وفي إبطال الدين الذي بعثك به الله الرأى بالتخذيّل عنك ، وإنكار ما تأتيهم به ، وردّه عليك (حه جاء الحقُّ) يقول : حتى جاء نصر الله (وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ) يقول : وظهر دين الله الذي أمر به وافرضه على خلقه وهو الإسلام (وَهُمْ كَارِهُونَ) يقول : والمنافقون لظهور أمر الله ونصره إياك كارهون ، وكذلك الآن يظهر الله ، ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به وهم كارهون . وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) : أى ليخذلوا عنك أصحابك ، ويردّوا عليك أمرك (حتى جاء الحقُّ وظهر أمرُ الله) وذكر أن هذه الآية نزلت في نفر مُسمّين بأعيانهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو ، عن الحسن ، قوله (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) قال : منهم عبد الله بن أبي ابن سلول وعبد الله بن نبتل أخو بني عمرو بن عوف ، ورفاعة بن رافع وزيد بن ثابت القينقاعى .

وكان تخذيّل عبد الله بن أبي أصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة ، كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرى ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ، كلّ قد حدّث في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض ، وكلّ قد اجتمع حديثه في هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان عسرة من الناس ، وشدة من الحرّ وجذب من البلاد ، وحين طاب الثمار ، وأحبّت الظلال ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الذى يصمد له ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها للناس لبعث الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى صمد له ليتأهب الناس لذلك أهبتة ، فأمر الناس بالجهاد ، وأخبرهم أنه يريد الروم ، فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه ، مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم ؛ ثم إن رسول

الله صلى الله عليه وسلم جدّ في سفره ، فأمر الناس بالجهاز والانكماش (١) ، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله ؛ فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبي ابن سلول عسكره على ذى حدة أسفل منه ، نحو ذباب جبلّ بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين ؛ فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب ، وكان عبد الله بن أبي أخا بني عوف بن الحزرج ، وعبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف ، ورفاعة بن يزيد بن التابوت أخا بني قينقاع ، وكانوا من عظماء المنافقين ، وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله ، قال : وفيهم كما ثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصرى أنزل الله (لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٩١﴾

❖ وذكر أن هذه الآية نزلت في الجحدّ بن قيس . ويعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَمِنْهُمْ) ومن المنافقين (مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي) أقيم فلا أشخص معك (وَلَا تَفْتِنِي) يقول : ولا تبتلني برؤية نساء بني الأصفر وبناتهم ، فإني بالنساء مغرم ، فأخرج وآثم بذلك . وبذلك من التأويل تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل .

ذكر الرواية بذلك عن قاله

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اغزّوا تبوك تغنّموا بنات الأصفر ونساء الروم » فقال الجحدّ : ائذن لنا ، ولا تفتننا بالنساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اغزّوا تغنّموا بنات الأصفر » يعنى : نساء الروم ، ثم ذكر مثله . قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي) قال : هو الجحدّ بن قيس ، قال : قد علمت الأنصار أني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتن ، ولكن أعينك بمالي . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله ابن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، وهم في جهازه للجحدّ بن قيس أخى بني سلمة : « هَلْ لَكَ يَا جَدُّ الْعَامِ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ ،

(١) الانكماش : الإسراع في الأمر والجدي فيه اه .

فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشدّ عجباً بالنساء مني ، وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لأصبر عنهنّ ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال : أذنتُ لك ، في الجدلّ بن قيس نزلت هذه الآية (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي) . . . الآية ، أي إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي) قال : هو رجل من المنافقين يقال له : جدّ بن قيس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم العام نغذو بني الأصفر ، ونتخذ منهم سراري ووصفانا ، فقال : أي رسول الله ، ائذن لي ولا تفتني ، إن لم تأذن لي افتنت ووقعت ، فغضب ، فقال الله (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) وكان من بني سلمة ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ ؟ » فقالوا : جدّ بن قيس ، غير أنه بخيل جبان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ ، وَلَكِنْ سَيِّدُكُمْ الْفَتَى الْأَبْيَضُ الْجَعْدُ الشَّعْرُ الْبَرَاءُ بَنُ مَعْرُورٍ » . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي) يقول : ائذن لي ولا تخرجني (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) يعني : في الحرج سقطوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي) ولا تؤثمني ألا في الإثم سقطوا . وقوله (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) يقول . وإن النار لمطيفة بمن كفر بالله ووجد آياته ، وكذب رسله ، محذقة بهم جماعة لهم جميعاً يوم القيامة ، يقول : فكفى للجدّ بن قيس وأشكاله من المنافقين بصليها خزيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد إن يصبك سرور بفتح الله عليك أرض الروم في غزاتك هذه يسؤ الجدلّ بن قيس ونظراءه وأشياعه من المنافقين ، وإن تصيبك مصيبة بفلول جيشك فيها يقول الجدلّ ونظراؤه (قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ) أي قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد ، وترك اتباعه إلى عدوه ، « مِنْ قَبْلُ » يقول : من قبل أن تصيبه هذه المصيبة (وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ) يقول :

ويرتدوا عن محمد ، وهم فرحون بما أصاب محمدا وأصحابه من المصيبة بفلول أصحابه ، وانهمامهم عنه ، وقتل من قُتِل منهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل . قال من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (إن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ) يقول : إن تصيبك في سفرك هذا لغزوة تبوك حسنة ، تسؤهم ، قال الجدي وأصحابه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ) حذرنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ) قال : حذرنا .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ) إن كان فتح للمسلمين كبر ذلك عليهم وساءهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره مؤدبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك (لَنْ يُصِيبَنَا) أي المرتابون في دينهم (إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) في اللوح المحفوظ ، وقضاه علينا ، (هُوَ مَوْلَانَا) يقول : هو ناصرنا على أعدائه (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يقول : وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فإنهم إن يتوكلوا عليه ، ولم يرجوا النصر من عند غيره ، ولم يخافوا شيئا غيره ، يكفهم أمورهم وينصرهم على من بغاهم وكادهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَيدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم وبينت لك أمرهم : هل تنتظرون بنا إلا إحدى الخلتين اللتين هما أحسن من غيرهما ، إما ظفرا بالعدو ، وفتحنا لنا بغلبتناهم ، ففيها الأجر والغنيمة والسلامة ، وإما قتلا من عدونا لنا ، ففيه الشهادة والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، وكلتاها مما يجب ، ولا يكره ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده ،

يقول : ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم ، أو بأيدينا فنقتلكم (قَتَرَبَّصُوا
إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) يقول : فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا ، وما إليه صائر أمر كل
فريق منا ومنكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (هَلْ
تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) يقول : فتح أو شهادة . وقال مرة أخرى : يقول القتل ، فهى
الشهادة والحياة والرزق ، وإما يخزيكم بأيدينا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قوله (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) يقول : قتل فيه الحياة والرزق ، وإما أن يغلب
فيؤتبه الله أجرا عظيما ، وهو مثل قوله (وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) . . . إلى (فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ
فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا
إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) قال : القتل فى سبيل الله ، والظهور على أعدائه .
قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : بلغنى عن مجاهد ، قال : القتل فى سبيل الله ،
والظهور .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
(إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) القتل فى سبيل الله ، والظهور على أعداء الله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .
قال ابن جريج : قال ابن عباس : (بَعْدَ آبٍ مِّنْ عِنْدِهِ) بالموت أو بأيدينا ، قال القتل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى
الْحُسَيْنَيْنِ) إلا فتحا أو قتلا فى سبيل الله (وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ
عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِنَا) : أى قتل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِتْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المنافقين : أنفقوا كيف شئتم
أموالكم فى سفركم هذا وغيره ، وعلى أى حال شئتم من حال الطوع والكراهة ، فإنكم إن تنفقوها (لَنْ

يُتَقَبَّلَ) الله (مِنْكُمْ) نفقاتكم ، وأنتم في شك من دينكم ، وجهل منكم بنبوة نبيكم ، وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) يقول : خارجين عن الإيمان بربكم ، وخرج قوله (أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) مخرج الأمر ، ومعناه الخبر ، والعرب تفعل ذلك في الأماكن التي يحسن فيها «إن» التي تأتي بمعنى الجزاء ، كما قال جل ثناؤه (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) فهو في لفظ الأمر ، ومعناه الخبر ، ومنه قول الشاعر :

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةَ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةَ إِنْ تَقَلَّتِ

فكذلك قوله (أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) إنما معناه : إن تنفقوا طوعاً أو كرهاً (لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ) وقيل : إن هذه الآية نزلت في الجحد بن قيس حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم : هذا مالي أعينك به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قال الجحد بن قيس : إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتن ، ولكن أعينك بمالي ، قال : ففيه نزلت (أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ) قال لقوله : أعينك بمالي .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَّلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره : وما منع هؤلاء المنافقين يا محمد أن تقبل منهم نفقاتهم التي ينفقونها في سفرهم معك وفي غير ذلك من السبل (إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ) فإن الأولى في موضع نصب ، والثانية في موضع رفع ، لأن معنى الكلام ، ما منع قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ) يقول : لا يأتونها إلا متثاقلين بها ، لأنهم لا يرجون بأدائها ثواباً ، ولا يخافون بتركها عقاباً ، وإنما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين ، فإذا آمنوهم لم يقيموها (وَلَا يُنْفِقُونَ) يقول : ولا ينفقون من أموالهم شيئاً (إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) أن ينفقونه في الوجه الذي ينفقونه فيه مما فيه تقوية للإسلام وأهله .

(١) البيت لكثير عزة ديوانه (طبع الجزائر ص ٥٣) وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : (أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ) شاهداً على تساوي الإنفاقين في عدم القبول كما ساء كثير بين الإحسان والإساءة في عدم اللوم . والنكتة في مثل ذلك إظهار نفي تفاوت الحال بتفاوت فعل المخاطب ، كأنه يأمرها بذلك لتحقيق أنه على العهد . ويقال : أساء به وإليه ، وعليه ، وله : ضد أحسن معنى واستعمالاً . ومقالية بمعنى مبنضة . من القلى ، وهو البغض . وقوله تقلت : التفات من الخطاب إلى تقي : أي تبغض . قال العلماء : لو قال هذا البيت في وصف الدنيا ، لكان أشمر الناس . وقال الفراء في (معاني القراء : ١٢٨ مصورة جامعة القاهرة) وقوله (أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) : هو أمر في اللفظ ، وليس بأمر في المعنى ، لأنه قد أخبرهم أنه لن يقبل منهم ، وهو في الكلام بمنزلة «إن» في الجزاء ، كأنك قلت : إن أنفقت طوعاً أو كرهاً فليس بمقبول منك . ومثله : «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» ليس بأمر ، إنما هو على تأويل الجزاء . ومثله قول الشاعر : «أسبئي بنا» البيت .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ

وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فلا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة ، وقال : معنى ذلك : التقديم ، وهو مؤخر ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ) قال : هذه من تقاديم الكلام ، يقول : لاتعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة .

حدثنا المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ) . وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ، بما ألزمهم فيها من فرائضه .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن سلمان الأقرصي ، عن الحسن (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله تعالى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالمصائب فيها ، هي لهم عذاب ، وهي للمؤمنين أجر .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا ، التأويل الذي ذكرنا عن الحسن ، لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل ، فصرف تأويله إلى ما دل عليه ظاهره أولى من صرفه إلى باطن لادلالة على صحته ، وإنما وجه من وجه ذلك إلى التقديم وهو مؤخر ، لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا وجهها يوجهه إليه ، وقال : كيف يعذبهم بذلك في الدنيا ، وهي لهم فيها سرور ، وذهب عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه إلزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه ، إذ كان يلزمه ويؤخذ منه ، وهو غير طيب النفس ، ولا راج من الله جزاء ، ولا من الآخذ منه حمدا ولا شكرا على ضجر منه وكره .

وأما قوله (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) فانه يعنى : وتخرج أنفسهم ، فيموتوا على كفرهم بالله ، وجحودهم نبوة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ، يقال منه : زهقت نفس فلان ، وزهقت ، فمن قال : زهقت ، قال : تزهق ، ومن قال : زهقت ، قال : تزهق زهوقا ؛ ومنه قيل : زهق فلان بين أيدي القوم يزهق زهوقا : إذا سبقهم فتقدمهم ، ويقال : زهق الباطل : إذا ذهب ودرس .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره : ويحلف بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذبا وباطلا خوفا منكم ، إنهم لمنكم في الدين والملة ، يقول الله تعالى مكذبا لهم (وَمَا هُمْ مِنْكُمْ) أي ليسوا من أهل دينكم وملتكم ، بل هم أهل شك ونفاق (وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) يقول : ولكنهم قوم يخافونكم ، فهم خوفا منكم يقولون بألسنتهم : إنا منكم ، ليأمنوا فيكم فلا يقتلوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ ، يقول : عصرا يعتصرون به من حصن ، ومعقلا يعتقلون فيه منكم ، أو مغارات ، وهي الغيران في الجبال ، واحدها : مغارة ، وهي مفعلة من غار الرجل في الشيء يغور فيه إذا دخل ، ومنه قيل : غارت العين : إذا دخلت في الحديقة ، أو مدخلا ، يقول : سربا في الأرض يدخلون فيه ، وقال : أو مدخلا . . . الآية ، لأنه من ادخل يدخل . وقوله (لَوَلَّوْا إِلَيْهِ) يقول : لأدبروا إليه هربا منكم (وَهُمْ يَجْمَحُونَ) يقول : وهم يسرعون في مشيهم . وقيل : إن الجماح مشى بين المشيين ؛ ومنه قول مهلهل :

لَقَدْ جَمَحْتُ جَمَاحًا فِي دِمَائِهِمْ
حَتَّى رَأَيْتُ ذَوِي أَحْسَابِهِمْ تَخَدُّوا

وإنما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة ، لأنهم إنما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ، ولما هم عليه من الإيمان بالله وبرسوله ، لأنهم كانوا في قومهم وعشيرتهم ، وفي دورهم وأموالهم ، فلم يقدرُوا على ترك ذلك وفراقه ، فصانعوا القوم بالنفاق ، ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الإيمان ، وفي أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهل الإيمان به ، والعداوة لهم ، فقال الله واصفهم بما في ضمائرهم (لَوَلَّوْا إِلَيْهِمْ أَوْ مَغْرَبَاتٍ) . . . الآية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) جمحت في دمائهم : أسرعت وأكثرت من قتلهم . وفي شعراء النصرانية ص ١٦٦ بيتان لمهلهل شبيهان بمعنى هذا البيت ، وهما

أَكْثَرْتُ قَتْلَ بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ
حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَدٌ
أَلَيْتُ بِاللَّهِ لَا أَرْضَى بِقَتْلِهِمْ
حَتَّى أُبْهَرِجَ بِكُرًا أَيْسَنَا وَجِدُوا

وأبهرج : أي أدهم بهرجا : لا يقتل فيهم قتيل ، ولا يؤخذ لهم دية . ولم أجد بيت الشاهد على هذين البيتين ، مع أنه شبيه بهما وزنا وقافية ومعنى .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَوَّ يَجِدُونَ مَلَجًا) الملجأ : الحرز في الجبال ، والمغارات : الغيران في الجبال ، وقوله (أَوْ مَدْخَلًا) والمدخل : السرب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوَّ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَّكُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) ملجأ ، يقول : حرزا ، أو مغارات : يعنى الغيران ، أو مدخلا ، يقول : ذهابا في الأرض ، وهو النفق في الأرض ، وهو السرب .

وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوَّ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا) قال : حرزا لهم يفترون إليه منكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (لَوَّ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا) قال : محرزا لهم ، لفتروا إليه منكم .

وقال ابن عباس قوله : (لَوَّ يَجِدُونَ مَلَجًا) حرزا أو مغارات ، قال : الغيران ، أو مدخلا ، قال :

نفقا في الأرض

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة (لَوَّ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا) يقول : لو يجدون ملجأ حصونا ، أو مغارات : غيرانا ، أو مدخلا : أسرابا (لَوَّكُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ بِسَخَطُونَ

﴿٥٨﴾

* يقول تعالى ذكره : ومن المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم في هذه الآيات (مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) يقول : يعيبك في أمرها ، ويطعن عليك فيها ، يقال منه : لمز فلانا يلمزه ، ويلمزه : إذا عابه وقرصه ، وكذلك همزه . ومنه قيل : فلان همزة لمزة ، ومنه قول رؤبة :

قَارَبْتُ بَيْنَ عَسْقِي وَجَمْرِي فِي ظِلِّ عَصْرِي بَاطِلِي وَلَمْرِي ١

(١) هذان بيتان لرؤبة من مشطور الرجز ، وهما الأربعمون والثاني والأربعون من أرجوزة له ص ٦٤ من ديوانه (طبع ليسك سنة ١٩٠٣) : والعنق بالتحريك : ضرب من سير الدابة والإبل ، وهو سير مسطر أى ممتد . والجمز : مصدر جمز الإنسان والبهير والدابة . بجمز يجمز . وهو عدد دون الحضر الشديد ، وفوق العنق واللمز : أن تعيب الإنسان في وجهه أو في غيبته . ولمز الرجل : دفعه وضربه .

ومنه قول الآخر :

إِذَا لَقَيْتُكَ تَبَدَّى لِي مَكَاشِرَةٌ وَأَنْ أُغِيبَ فَأَنْتَ الْعَائِبُ اللَّمَزَةٌ (١)
(فإن أعطوا منها رضوا) يقول: ليس بهم في عيهم إياك فيها وطعنهم عليك بسببها الدين، ولكن الغضب لأنفسهم، فإن أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك، وإن أنت لم تعطهم منهم سخطوا عليك وعابوك.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) قال: يروزك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) يروزك ويسألك.

قال ابن جريج: وأخبرني داود بن أبي عاصم، قال: قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا، حتى ذهبت، قال: ورآه رجل من الأنصار، فقال: ما هذا بالعدل، فنزلت هذه الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) يقول: ومنهم من يطعن عليك في الصدقات.

وذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية، «أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقسم ذهبا وفضة، فقال: يا محمد، والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «وَيْلَكَ فَمَنْ ذَا يَعْدِلُ عَلَيْكَ بَعْدِي؟» ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: احذروا هَذَا وَأَشْبَاهَهُ، فَإِنَّ فِي أُمَّتِي أَشْبَاهَ هَذَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، فَذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ».

وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُعْطِيكُمْ شَيْئًا وَلَا أَمْنَعُكُمْوهُ إِلَّا نَمَّا أَنَا خَازِنٌ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) قال: يطعن.

(١) المكاشرة: أن تبدو الأسنان عند التبسم. يقول: تلقاني بالابتسام إذا لقيتك: فإذا غبت عنك عبتني. وذكر تني بالسوء. وهذا البيت يوضح أن اللمز هو نغمز الإنسان وعيبه في منفيه، وهو قول لبعض اللغويين، والقول الآخر أن اللمز أن تعيب الرجل في وجهه، واللمز أن تعيبه في منفيه كما يعلم من نصوص اللسان (لمز، همز).

قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد ، قال :
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما ، إذ جاءه ابن ذى الحويصرة التميمي ، فقال : اعدل يا رسول
الله ، فقال : « وَيَلِّكَ وَمَنْ يَعْدُلُ إِنْ لَمْ أَعْدُلْ » ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ائذن لي
فأضرب عنقه ، قال : دعه ، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع
صيامهم ، يَمْزُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْزُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، فَيَنْظُرُ فِي قُدْزِهِ ، فَلَا
يَنْظُرُ شَيْئًا ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي نَصْلِهِ فَلَا يَجِدُ شَيْئًا ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي رِصَافِهِ فَلَا يَجِدُ شَيْئًا ، قَدْ
سَبَقَ الْفَرْثُ وَالْدَّمُ ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدٌ إِحْدَى يَدَيْهِ ، أَوْ قَالَ : يَدَيْهِ مِثْلُ ثُدَى الْمَرْأَةِ
أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدْرِدِرُ ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ النَّاسِ ، قال : فنزلت (وَمِنْهُمْ
مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) . قال أبو سعيد : أشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأشهد أن عليا رحمة الله عليه حين قتلهم ، جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ
فِي الصَّدَقَاتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذْ هُمْ يُسَخَطُونَ) قال : هؤلاء
المنافقون ، قالوا : والله ما يعطيها محمد إلا من أحب ، ولا يؤثر بها إلا هواه ، فأخبر الله نبيه ، وأخبرهم
أنه إنما جاءت من الله ، وأن هذا أمر من الله ، ليس من محمد (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك يا محمد في الصدقات رضوا ما أعطاهم الله ورسوله
من عطاء وقسم لهم من قسم (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ) يقول : وقالوا : كافينا الله (سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَرَسُولُهُ) يقول : سيعطينا الله من فضل خزائنه ورسوله من الصدقة وغيرها (إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ)
يقول : وقالوا : إنا إلى الله نرغب في أن يوسع علينا من فضله ، فيغنيننا عن الصدقة وغيرها من صلوات
الناس ، والحاجة إليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾**

يقول تعالى ذكره : لا تنال الصدقات إلا للفقراء والمساكين ، ومن ساهم الله جل ثناؤه .

ثم اختلف أهل التأويل في صفة الفقير والمسكين ، فقال بعضهم : الفقير : المحتاج المتعفف عن المسألة ، والمسكين : المحتاج السائل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) قال : الفقير : الجالس في بيته ، والمسكين : الذي يسعى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) قال : المساكين : الطوائف ، والفقراء فقراء المسلمين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن جرير بن حازم ، قال : ثنا رجل ، عن جابر بن زيد ، أنه سئل عن الفقراء ، قال الفقراء : المتعففون ، والمساكين : الذين يسألون .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله الحراني ، قال : سألت الزهري عن قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : الذين في بيوتهم لا يسألون ، والمساكين : الذين يخرجون فيسألون .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد ، قال : الفقير الذي لا يسأل ، والمسكين : الذي يسأل .

قال : حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) قال : الفقراء الذين لا يسألون الناس وهم أهل حاجة ، والمساكين : الذين يسألون الناس .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عبد الوارث ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الفقراء الذين لا يسألون ، والمساكين : الذين يسألون .

وقال آخرون : الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة ، والمسكين : هو الصحيح الجسم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) قال : الفقير من به زمانة ، والمسكين : الصحيح المحتاج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) أما الفقير : فالزمن الذي به زمانة . وأما المسكين : فهو الذي ليست به زمانة .

وقال آخرون : الفقراء فقراء المهاجرين ، والمساكين : من لم يهاجر من المسلمين وهو محتاج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن علي بن الحكم ، عن الضحاک

ابن مزاحم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : فقراء المهاجرين والمساكين الذين لم يهاجروا .

قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) المهاجرين ، قال : سفيان : يعني : ولا يعطى الأعراب منها شيئاً .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كان يقال : إنما الصدقة لفقراء المهاجرين .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كانت تجعل الصدقة في فقراء المهاجرين ، وفي سبيل الله تعالى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزي ، قال : كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحجج عليها ، ويغزو ، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهماً في الزكاة .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كان يقال : إنما الصدقات في فقراء المهاجرين ، وفي سبيل الله .

وقال آخرون : المسكين : الضعيف البئيس .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن محمد ، قال : قال عمر : ليس الفقير بالذي لامال له ، ولكن الفقير : الأخلق الكسب .

قال يعقوب ، قال ابن عليه : الأخلق : المحارف عندنا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، أن عمر ابن الخطاب رحمة الله تعالى عليه ، قال : ليس المسكين بالذي لامال له ، ولكن المسكين : الأخلق الكسب . وقال بعضهم : الفقير من المسلمين ، والمسكين من أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني الجرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا عمر بن نافع ، قال : سمعت عكرمة في قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) قال : لاتقولوا لفقراء المسلمين مساكين ، إنما المساكين مساكين أهل الكتاب .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب ، قول من قال : الفقير : هو ذو الفقر أو الحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم في هذا الموضع ، والمسكين : هو المحتاج المتذلل للناس بمسئلتهم . وإنما قلنا : إن ذلك كذلك وإن كان الفريقان لم يعطيا إلا بالفقر والحاجة دون الذلة والمسكنة ، لإجماع الجميع من أهل العلم أن المسكين إنما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر ، وأن معنى المسكنة عند العرب : الذلة ، كما قال الله جل ثناؤه (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) يعني بذلك الهون ،

والذلة لا الفقر . فإذا كان الله جل ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة قسماً بالفقر ، فجعلهم صنفين كان معلوماً أن كل صنف منهم غير الآخر . وإذا كان ذلك كذلك كان لا شك أن المقسوم له باسم الفقير غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة ، والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق ، هو الذي لا مسكنة فيه ، والمعطى باسم المسكنة والفقر ، هو الجامع إلى فقره المسكنة ، وهي الذل بالطلب والمسئلة .

فتأويل الكلام إذ كان ذلك معناه : إنما الصدقات للفقراء المتعفف منهم الذي لا يسأل ، والمتذل منهم الذي يسأل . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا في ذلك خبر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا إسماعيل بن جعفر ، عن شريك بن أبي نمر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِالَّذِي تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ ، اقْرَأُوا وَإِنْ شِئْتُمْ (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفًا)» . ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ» على نحو ما قد جرى به استعمال الناس ، من تسميتهم أهل الفقر مساكين ، لا على تفصيل المسكين من الفقير ، ومما ينبي عن أن ذلك كذلك ، انزاعه صلى الله عليه وسلم لقول الله ، اقْرَأُوا وَإِنْ شِئْتُمْ (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفًا) وذلك في صفة من ابتداء الله ذكره ووصفه بالفقر ، فقال (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْضِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ، يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ، تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفًا) .

وقوله (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) وهم السعاة في قبضها من أهلها ، ووضعها في مستحقها يعطون ذلك بالسعاة ، أغنياء كانوا أو فقراء .

وبمثل الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألت الزهري عن العاملین علیها ، فقال : السعاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) قال : جباة الذين يجمعونها ، ويسعون فيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) : الذي يعمل عليها ثم اختلف أهل التأويل في قدر ما يعطى العامل من ذلك ، فقال بعضهم : يعطى منه الثمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : للعاملين علیها الثمن من الصدقة .

حدثت عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) قال : يأكل العمال من السهم الثامن .

وقال آخرون : بل يعطى على قدر عمله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن الأخضر بن عجلان ، قال : ثنا عطاء بن زهير العامري ، عن أبيه ، أنه لقي عبد الله بن عمرو بن العاص ، فسأله عن الصدقة : أي مال هي ؟ فقال : مال العرجان والعوران والعميان ، وكل منقطع به ، فقال له : إن للعاملين حقا والمجاهدين ، قال : إن المجاهدين قوم أحل لهم وللعاملين عليها ، على قدر عملتهم ، ثم قال : لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مرة سوى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : يكون للعامل عليها إن عمل بالحق ولم يكن عمر رحمه الله تعالى ولا أولئك يعطون العامل الثمن ، إنما يفرضون له بقدر عمله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) قال : كان يعطى العاملون .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : يعطى العامل عليها على قدر عمله أجر مثله .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه ، لم يقسم صدقة الأموال بين الأصناف الثمانية على ثمانية أسهم وإنما عرف خلقه أن الصدقات لن تجاوز هؤلاء الأصناف الثمانية إلى غيرهم . وإذا كان كذلك بما سنوضح بعد ، وبما قد أوضحناه في موضع آخر ، كان معلوما أن من أعطى منها حقا ، فإنما يعطى على قدر اجتهاد المعطى فيه . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان العامل عليها إنما يعطى على عمله لأعلى الحاجة التي تزول بالعطية ، كان معلوما أن الذي أعطاه من ذلك إنما هو عوض من سعيه وعمله ، وأن ذلك إنما هو قدر يستحقه عوضا من عمله الذي لا يزول بالعطية ، وإنما يزول بالعزل .

وأما المؤلفات قلوبهم ، فإنهم قوم كانوا يتألفون على الإسلام ممن لم تصح نصرته استصلاحا به نفسه وعشيرته ، كأبي سفيان بن حرب وعيينة بن بدر ، والأقرع بن حابس ، ونظرائهم من رؤساء القبائل .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمر ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) ، وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أسلموا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضخ لهم من الصدقات ، فإذا أعطاهم من الصدقات ، فأصابوا منها خيرا قالوا : هذا دين صالح ، وإن كان غير ذلك ، عابوه وتركوه .

حدثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبي كثير : أن المؤلفات قلوبهم

(١) يرضخ لهم : يعطيهم شيئا يسيرا .

من بني أمية : أبوسفیان بن حرب ، ومن بني مخزوم : الحرث بن هشام ، وعبد الرحمن بن يربوع ، ومن بني جمع : صفوان بن أمية ، ومن بني عامر بن لوئی : سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العززي ، ومن بني أسد بن عبد العززي : حكيم بن حزام ، ومن بني هاشم : سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، ومن بني فزارة : عيينة بن حصن بن بدر ، ومن بني تميم : الأقرع بن حابس ، ومن بني نصر : مالك ابن عوف ، ومن بني سليم : العباس بن مرداس ، ومن ثقيف : العلاء بن حارثة ، أعطى النبي صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مئة ناقة ، إلا عبد الرحمن بن يربوع ، وحويطب بن عبد العززي ، فإنه أعطى كل رجل منهم خمسين .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : قال صفوان بن أمية : لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأنه لا يبغض الناس إلى ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلى .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ناس كان يتألفهم بالعطية عيينة بن بدر ، ومن كان معه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن حماد بن سلمة ، عن يونس ، عن الحسن (والمؤلفة قلوبهم) : الذين يؤلفون على الإسلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة . وأما المؤلفة قلوبهم : فأناس من الأعراب ومن غيرهم ، كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كما يؤمنوا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألت الزهري ، عن قوله (والمؤلفة قلوبهم) فقال : من أسلم من يهودي أو نصراني ، قلت : وإن كان غنيا ، قال : وإن كان غنيا .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله الحراني ، عن الزهري (والمؤلفة قلوبهم) قال : من هو يهودي أو نصراني .

ثم اختلف أهل العلم في وجود المؤلفة اليوم وعدمها ، وهل يعطى اليوم أحد على التألف على الإسلام من الصدقة ؟ فقال بعضهم : قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم ، ولا سهم لأحد في الصدقة المفروضة إلا لذي حاجة إليها ، وفي سبيل الله ، أو لعامل عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن (والمؤلفة قلوبهم) قال : أما المؤلفة قلوبهم : فليس اليوم .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : لم يبق في الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم ، إنما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن أبي جبلة ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : وأتاه عيينة بن حصن (الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أي ليس اليوم مؤلفة .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : ليس اليوم مؤلفة .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : إنما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ولي أبو بكر رحمة الله تعالى عليه انقطعت الرشا .
وقال آخرون : المؤلفة قلوبهم في كل زمان ، وحقهم في الصدقات .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : في الناس اليوم المؤلفة قلوبهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، مثله .
قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي : أن الله جعل الصدقة في معنيين : أحدهما سدّ خلّة المسلمين ، والآخر معونة الإسلام وتقويته ، فإما كان في معونة الإسلام وتقوية أسبابه ، فإنه يعطاه الغني والفقير ، لأنه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه إليه ، وإنما يعطاه معونة للدين ، وذلك كما يعطى الذي يعطاه بالجهاد في سبيل الله ، فإنه يعطى ذلك غنيا كان أو فقيرا للغزو لا لسدّ خلّته ، وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك وإن كانوا أغنياء ، استصلاحا باعطاءهموه أمر الإسلام ، وطلب تقويته وتأييده ، وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم ، بعد أن فتح الله عليه الفتوح ، وفشا الإسلام ، وعزّ أهله ، فلا حجة لمحتج بأن يقول : لا يتألف اليوم على الإسلام أحد لا امتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم ، وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم في الحال التي وصفت .
وأما قوله (وفي الرقاب) فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه ، فقال بعضهم : وهم الجمهور الأعظم : هم المكاتبون ، يعطون منها في فكّ رقابهم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسين ، أن مكاتبا قام إلى أبي موسى الأشعري رحمه الله تعالى وهو يخطب الناس يوم الجمعة ، فقال له : أيها الأمير حدث الناس على ، فحثّ عليه أبو موسى ، فألقى الناس عليه عمامة وملاءة ونخاتما ، حتى ألقوا سوادا كثيرا ؛ فلما رأى أبو موسى ما ألقى عليه ، قال : اجمعوه ، فجمع ثم أمر به فبيع ، فأعطى المكاتب مكاتبته ، ثم أعطى الفضل في الرقاب ، ولم يردّه على الناس ، وقال : إنما أعطى الناس في الرقاب .
حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألت الزهري عن قوله (وفي الرقاب) قال : المكاتبون .

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وفي الرقاب) قال : المكاتب حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن (وفي الرقاب) قال : هم المكاتبون .

وروى عن ابن عباس أنه قال : لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال : عنى بالرقاب في هذا الموضع : المكاتبون لإجماع الحجة على ذلك ، فإن الله جعل الزكاة حقا واجبا على من أوجبها عليه في ماله يخرجها منه ، لا يرجع إليه منها نفع من عرض الدنيا ، ولا عوض ، والمعنى رقبة منها راجع إليه ولاء من أعتقه ، وذلك نفع يعود إليه منها .

وأما الغارمون : فالذين استدانوا في غير معصية الله ، ثم لم يجدوا قضاء في عين ولا عرض .

وبالذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : الغارمون : من احترق بيته ، أو يصبه السيل ، فيذهب متاعه ، ويدان على عياله ، فهذا من الغارمين . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، في قوله (والغارمين) قال : من احترق بيته ، وذهب السيل بماله ، وادان على عياله . حدثنا أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : الغارمين : المستدين في غير سرف ينبغي للإمام أن يقضى عنهم من بيت المال .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألتنا الزهري ، عن الغارمين ، قال :

أصحاب الدين .

قال : ثنا معقل ، عن عبد الكريم ، قال : ثنا خادم لعمر بن عبد العزيز خدمه عشرين سنة ، قال :

كتب عمر بن عبد العزيز أن يعطى الغارمون ، قال أحمد : أكثر ظني من الصدقات .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : الغارمون : المستدين

في غير سرف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : أما الغارمون : فقوم غرقهم الديون ،

في غير إملاق ولا تبذير ، ولا فساد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الغارم : الذي يدخل عليه الغرم :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (والغارمين) قال :

هو الذي يذهب السيل والحريق بماله ، ويدان على عياله .

قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : المستدين فى غير فساد .
 قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : الغارمون : الذين يستدينون فى غير
 فساد ، ينبغى للإمام أن يقضى عنهم .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : هم قوم ركبهم
 الديون فى غير فساد ولا تبذير ، فجعل الله لهم فى هذه الآية سهما .
 وأما قوله (وفى سبيل الله) فإنه يعنى : وفى النفقة فى نصره دين الله وطريقه وشريعته التى شرعها
 لعباده بقتال أعدائه ، وذلك هو غزو الكفار .
 وبالذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وفى سبيل الله) قال :
 الغازى فى سبيل الله .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، قال : قال
 النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة : رجل عمل علىها ، أو رجل
 اشتراها بماله ، أو فى سبيل الله ، أو ابن السبيل ، أو رجل كان له جار تصدق عليه
 فأهدأها له » .

قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى ليلى ، عن عطية ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم
 قال : « لا تحل الصدقة لغنى إلا لثلاثة : فى سبيل الله ، أو ابن السبيل ، أو رجل كان
 له جار فتصدق عليه فأهدأها له » .

وأما قوله (وابن السبيل) فالمسافر الذى يجتاز من بلد إلى بلد ، والسبيل : الطريق ، وقيل للضارب
 فيه ابن السبيل ، للزومه إياه ، كما قال الشاعر :

أنا ابنُ الحربِ ربَّتني وليداً إلى أنْ شِبتُ واكْتَهَلتُ لِدائِي ١

وكذلك تفعل العرب ، تسمى اللازم للشيء يعرف بابنه .

وينحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : ابن
 السبيل : المجتاز من أرض إلى أرض .

(١) ابن الحرب : أى العالم بأمرها . واكتهل الرجل : صار كهلاً ، وهو من بلغ الثلاثين إلى الأربعين من عمره . ولدائى : جمع
 لدة ، وهو المساوى له فى سنة : يفخر بأنه خاض غمرات الحروب منذ طفولته إلى أن اكتهل فهو لا يهاب منازل الأقران . ولم أقف على
 قائل البيت .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مندل ، عن ليث ، عن مجاهد (وَابْنِ السَّبِيلِ)
قال : لابن السبيل حق من الزكاة وإن كان غنيا إذا كان منقطعا به .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا معقل بن عبيد الله ، قال : سألت الزهري ، عن ابن السبيل
قال : يأتي على ابن السبيل ، وهو محتاج ، قلت : فإن كان غنيا ، قال : وإن كان غنيا .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَابْنِ السَّبِيلِ) الضيف جعل له
فيها حق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن السبيل : المسافر من كان غنيا أو فقيرا إذا
أصابت نفقته ، أو فقدت ، أو أصابها شيء ، أو لم يكن معه شيء ، فحقه واجب .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، أنه قال : في الغنى
إذا سافر فاحتاج في سفره ، قال : يأخذ من الزكاة .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : ابن السبيل :
المجتاز من الأرض إلى الأرض .

وقوله (فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ) يقول جل ثناؤه : قسم قسمه الله لهم ، فأوجبه في أموال أهل الأموال
لهم ، والله عليم بمصالح خلقه فيما فرض لهم ، وفي غير ذلك لا ينجني عليه شيء ، فعلى علم منه فرض ما فرض
من الصدقة ، وبما فيها من المصلحة ، حكيم في تدبيره خلقه ، لا يدخل في تدبيره خلل :
واختلف أهل العلم في كيفية قسم الصدقات التي ذكرها الله في هذه الآية ، وهل يجب لكل صنف من
الأصناف الثمانية فيها حق أو ذلك إلى رب المال ، ومن يتولى قسمها في أن له أن يعطي جميع ذلك من شاء
من الأصناف الثمانية ، فقال عامة أهل العلم : للمتولى قسمها ، وضعها في أي الأصناف الثمانية شاء ، وإنما
سمى الله الأصناف الثمانية في الآية إعلاما منه خلقه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف الثمانية إلى غيرها ،
لا إيجابا لقسمها بين الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن المنهال بن عمرو ، عن زر بن
حبيش ، عن حذيفة ، في قوله (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) قال : إن
شئت جعلته في صنف واحد ، أو صنفين ، أو لثلاثة .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجاج ، عن المنهال ، عن زر ، عن حذيفة ، قال :
إذا وضعها في صنف واحد أجزأ عنك .
قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن عطاء ، عن عمر (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : أيما صنف
أعطيته من هذا أجزأك :

قال : ثنا ابن نمير ، عن عبد المطلب ، عن عطاء (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) . . . الآية ، قال : لو وضعها في صنف واحد من هذه الأصناف أجزاءك ، ولو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعطفين فجبرتهم بها كان أحب إلى .

قال : أخبرنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ . . .) (وَابْنِ السَّبِيلِ) فأى صنف أعطيته من هذه الأصناف أجزاءك .

قال : ثنا عمران بن عينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .
قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا)
قال : إنما هذا شيء أعلمه ، فأى صنف من هذه الأصناف أعطيته أجزاء عنك .

قال : ثنا أبي عن شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : في أى هذه الأصناف وضعها أجزاءك .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : إذا وضعها في صنف واحد مما سمي الله أجزاءك .

قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : إذا وضعها في صنف واحد مما سمي الله أجزاءك .

قال : ثنا خالد بن حيان أبو يزيد ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ) قال : إذا جعلتها في صنف واحد من هؤلاء أجزاء عنك .

قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعود ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) . . . الآية ، قال : أعلم أهلها من هم .

قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن عطاء ، عن عمر أنه كان يأخذ الفرض في الصدقة ، ويجعلها في صنف واحد .

وكان بعض المتأخرين يقول : إذا تولى رب المال قسمها ، كان عليه وضعها في ستة أصناف ، وذلك أن المؤلفه قلوبهم عنده قد ذهبوا ، وأن سهم العاملين يبطل بقسمه إياها ، ويزعم أنه لا يجزيه أن يعطى من كل صنف أقل من ثلاثة أنفس ، وكان يقول : إن تولى قسمها الإمام كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف ، لا يجزي عنده غير ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ
لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ، ويقولون : هو أذن سامعة ، يسمع من كل أحد ما يقول ، فيقبله ويصدق به ، وهو من قولهم : رجل أذنة مثل فعلة : إذا كان يسرع الاستماع والقبول ، كما يقال : هو يقن ويقن : إذا كان ذا يقين بكل ما حدث وأصله من أذن له بأذن : إذا استمع له ، ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن » ؛ ومنه قول عدى بن زيد :

أبها القلبُ تعَلَّلُ بِدَدْنٍ إنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأُذْنٍ ١

وذكر أن هذه الآية نزلت في ربيع ٢ بن الحارث .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر الله عيبيهم ، يعني المنافقين ، وأذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) . . . الآية ، وكان الذي يقول تلك المقالة فيما بلغني نبتل بن الحارث ، أخو بني عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه قال : إنما محمد أذن ، من حديثه شيئا صدقه ، يقول الله (قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ) : أى يستمع الخير ويصدق به .

واختلفت القراء في قراءة قوله (قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ) بإضافة الأذن إلى الخير ، يعنى : قل لهم يا محمد : هو أذن خير لأذن شر . وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك (قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ) بتنوين أذن ، ويصير خير خيرا له ، بمعنى : قل من يسمع منكم أيها المنافقون ما تقولون ويصدقكم ، إن كان محمد كما وصفتموه من أنكم إذا آذيتموه فأنكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم إياه ، وعيبكم له . سمع منكم وصدقكم ، خير لكم من أن يكذبكم ، ولا يقبل منكم ما تقولون ، ثم كذبهم فقال : بل لا يقبل إلا من المؤمنين ، (يَوْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) . قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندي في ذلك ، قراءة من قرأ (قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ) بإضافة الأذن إلى الخير ، وخفض الخير ، يعنى : قل هو أذن خير لكم ، لأذن شر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) يسمع من كل أحد .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ

(١) البيت لعدى بن زيد (اللسان : ددن) . والدد مثل يد ، والدداء مثل قفا ، والددن مثل حزن ، والدد بتشديد الدال : اللهو واللعب والأذن : مصدر أذن للشيء (بكسر الدال) : إذا استمع . وفي الحديث : ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن . قال أبو عبيد : يعنى : ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن ، أى يتلوه بجهر به .

(٢) لعله نبتل بن الحارث كما فى الأثر بعد ، وكما فى كتب التفسير الأخرى .

النَّبِيِّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ) قال : كانوا يقولون : إنما محمد أذن لا يحدث عنا شيئاً إلا هو أذن يسمع ما يقال له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد (وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ) نقول ما شئنا ، ونحلف فيصدقنا .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (هُوَ أَذُنٌ) قال : يقولون : نقول ما شئنا ، ثم نحلف له فيصدقنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

وأما قوله (يَوْمِنُ بِاللَّهِ) فإنه يقول : يصدق بالله وحده لا شريك له . وقوله (وَيَوْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ)

يقول : ويصدق المؤمنين لا الكافرين ولا المنافقين ، وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا : محمد

أذن ، يقول جل ثناؤه : إنما محمد صلى الله عليه وسلم مستمع خير ، يصدق بالله ، وبما جاءه من عنده ،

ويصدق المؤمنين ، لأهل النفاق والكفر بالله ، وقيل : ويؤمن للمؤمنين ، معناه : ويؤمن المؤمنون ، لأن

العرب تقول فيما ذكر لنا عنها : آمنت له وآمنته ، بمعنى : صدقته ، كما قيل (رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ

الَّذِينَ تَسْتَعْتَجِلُونَ) ومعناه : ردفكم ، وكما قال (لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَهِبُونَ) ومعناه :

للذين هم ربهم يرهبون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (يَوْمِنُ بِاللَّهِ

وَيَوْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) يعني : يؤمن بالله ويصدق المؤمنين .

وأما قوله (وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) فات القراء اختلفت في قراءته ، فقرأ ذلك عامة الأمصار

(وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا) بمعنى : قل هو أذن خير لكم ، وهو رحمة للذين آمنوا منكم ، فرفع الرحمة عطفاً

بها على الأذن . وقرأه بعض الكوفيين (وَرَحْمَةٌ) عطفاً بها على الخير ، بتأويل : قل أذن خير لكم ،

وأذن رحمة .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ (وَرَحْمَةٌ) بالرفع عطفاً بها على

الأذن ، بمعنى : وهو رحمة للذين آمنوا منكم ، وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه ، وصدق بما جاء

به من عند ربه ، لأن الله استنقذهم به من الضلالة ، وأورثهم باتباعه جناته .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ :

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين الذين يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : هو أذن

وأمثالهم من مكذبيه ، والقائلين فيه الهجر والباطل ، عذاب من الله ، موجع لهم في نار جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم : يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون بالله ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرهم إياه ، بالطعن عليه ، والعيب له ، ومطابقتهم سرا أهل الكفر عليكم بالله ، والأيمان الفاجرة ، أنهم ما فعلوا ذلك ، وإنهم لعلى دينكم ، ومعكم على من خالفكم ، يبتغون بذلك رضاكم ، يقول الله جل ثناؤه (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ) بالتوبة والإنابة مما قالوا ونطقوا (إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كانوا مصدقين بتوحيد الله ، مقرين بوعدده ووعيدته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ) . . . الآية ، ذكر لنا أن رجلا من المنافقين ، قال : والله إن هؤلاء الخيانتنا وأشرافنا ، وإن كان ما يقول محمد حقا ، لهم شر من الحمير ، قال : فسمعها رجل من المسلمين ، فقال : والله إن ما يقول محمد حق ، ولأنت شر من الحمار ، فسعى بها الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى الرجل فدعاه ، فقال له : ما حملك على الذي قلت ؟ فجعل يلتعن ، ويحلف بالله ما قال ذلك ، قال : وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدق الصادق ، وكذب الكاذب ، فأنزل الله في ذلك (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ) ، والله وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنِ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٣٨﴾

يقول تعالى ذكره : ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يخلفون بالله كذبا للمؤمنين ليرضوهم ، وهم مقيمون على النفاق ، أنه من يحارب الله ورسوله ، ويخالفهما ، فيناوئهما بالخلاف عليهما (فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) في الآخرة (خَالِدًا فِيهَا) يقول : لا بثا فيها ، مقبلا إلى غير نهاية (ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) يقول : قلبته في نار جهنم ، وخلوده فيها ، هو الهوان والذل العظيم . وقرأت القراء (فَأَنَّ) بفتح الألف من « أن » بمعنى : ألم يعلموا أن لمن حاد الله ورسوله نار جهنم ، وإعمال يعلموا فيها ، كأنهم جعلوا أن الثانية مكررة على الأولى ، واعتمدوا عليها ، إذ كان الخبر معها دون الأولى . وقد كانت بعض نحووي البصرة يختار

الكسر في ذلك على الابتداء بسبب ، دخول الفاء فيها ، وإن دخولها فيها عنده دليل على أنها جواب الجزاء ، وأنها إذا كانت جواب الجزاء ، كان الاختيار فيها الابتداء. والقراءة التي لأستجيز غيرها فتح الألف في كلا الحرفين ، أعني أن الأولى والثانية ، لأن ذلك قراءة الأمصار ، وللعلة التي ذكرت من جهة العربية .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا وَإِنَّ اللَّهَ

مُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٥﴾

يقول تعالى ذكره : يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ، يقول : تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم . وقيل : إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين ، قالوا : لعن الله لا يفشى سرنا ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم : استهزؤا ، متهددا لهم متوعداً (إن الله

مُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة) قال : يقولون : للقول بينهم ، ثم يقولون : عسى الله أن لا يفشى سرنا علينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله . إلا أنه قال : سرنا هذا .

وأما قوله (إن الله مُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ) فانه يعنى : إن الله مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون أن تظهروه ، فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم ، فكانت هذه السورة تدعى الفاضحة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ

تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من

الباطل والكذب ، ليقولنّ لك : إنما قلنا ذلك لعبا ، وكنا نخوض في حديث لعبا وهزوا ، يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزون .

وكان ابن إسحاق يقول : الذي قال هذه المقالة كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذي قال هذه المقالة فيما بلغني وديعة بن ثابت ، أخو بني أمية بن زيد من بني عمرو بن عوف . حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك : ما لقرآنا هؤلاء أرغبنا بطونا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ، فقال له عوف : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فقال زيد : قال عبد الله بن عمر : فنظرت إليه متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تنكبه الحجارة ، يقول (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون) ما يزيده .

قال : ثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس ، ما رأينا مثل قرآنا هؤلاء ، أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء ، فقال رجل في المجلس : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ونزل القرآن ، قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيت متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تنكبه الحجارة ، وهو يقول : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون ، لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، عن عكرمة ، في قوله (وَلَيُنَّ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) . . . إلى قوله (بَأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) قال : فكان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول : اللهم إني أسمع آية أنا أعني بها ، تقشعرّ منها الجلود ، وتجعل منها القلوب ، اللهم فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك ، لا يقول أحد : أنا غسلت ، أنا كفت ، أنا دفنت ، قال : فأصيب يوم اليمامة ، فما من أحد من المسلمين إلا وجد غيره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَيُنَّ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) . . . الآية ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوته إلى تبوك ، وبين يديه ناس من المنافقين ، فقال : أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها ، هيهات هيهات ، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « احبِسُوا عَنِّي هَؤُلَاءِ الرِّكْبَ ، فَأَنَّهُمْ فَقَالَ : قُلْتُمْ كَذَا ، قُلْتُمْ كَذَا ، قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا مَا تَسْمَعُونَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَسِنِ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وركب من المنافقين يسرون بين يديه ، فقالوا يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها ، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا ، فقال : على بهؤلاء النفر ، فدعاهم فقال : قُلْتُمْ كَذَاً وَكَذَاً ، فحلفوا : ما كنا إلا نخوض ونلعب .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب وغيره ، قالوا : قال رجل من المنافقين : ما أرى قرأنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبنا عند اللقاء ، فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل ، وركب ناقته ، فقال يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، فقال (أبا الله وآياته ورسوله كُنْتُمْ تَمْسُحُونَ) . . . إلى قوله (مُجْرِمِينَ) وإن رجليه لتسفعان بالحجارة ، وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متعلق بنسعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) قال : قال رجل من المنافقين يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، وما يدريه ما الغيب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا تَعْتَدِرُوا قَدِّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ

يَأْنَهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم (لَا تَعْتَدِرُوا) بالباطل ، فتقولوا : كنا نخوض ونلعب (قَدْ كَفَرْتُمْ) يقول : قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم ، في رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به (بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) يقول : بعد تصديقكم به ، وإقراركم به (إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ) وذكر أنه عنى بالطائفة في هذا الموضع رجل واحد . وكان ابن إسحاق يقول فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذي عنى عنه فيما بلغني محشى بن حمير الأشجعي حليف بنى سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ماسم . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حبان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب (إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ) قال : طائفة : رجل .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : إن نعف عن طائفة منكم بانكاره ما أنكر عليكم من قبل الكفر ، نعذب طائفة بكفره ، واستهزائه بآيات الله ورسوله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال بعضهم : كان رجل منهم لم يمالهم في الحديث ، فسير مجانبا لهم ، فنزلت (إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَذَّبُ طَائِفَةَ) فسمى طائفة ، وهو واحد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن تب طائفة منكم ، فيعفو الله عنه ، يعذب الله طائفة منكم ، بترك التوبة .

وأما قوله (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) فإن معناه : نعدب طائفة منهم باكتسابهم الجرم ، وهو الكفر بالله ، وطمعهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ) وهم الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بالسنتهم ، ويسرون الكفر بالله ورسوله (بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) يقول : هم صنف واحد ، وأمرهم واحد ، في إعلانهم الإيمان ، واستبطنهم الكفر ، يأمرون من قبل منهم بالمنكر ، وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به وتكذيبه (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) يقول : وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله وبما جاءهم به من عند الله .

وقوله (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) يقول : ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ، ويكفونها عن الصدقة ، فيمنعون الذين فرض الله لهم في أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) قال : لا يبسطونها بنفقة في حق .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) :

لا يبسطونها بخير .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ)

قال : يقبضون أيديهم عن كل خير .

وأما قوله (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) فإن معناه : تركوا الله أن يطيعوه ، ويتبعوا أمره ، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته .
وقد دللنا فيما مضى على أن معنى النسيان : الترك بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا .
وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) نسوا من الخير ، ولم ينسوا من الشر .

قوله (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) يقول : إن الذين يخادعون المؤمنين باظهارهم لهم بالسنتهم الإيمان بالله ، وهم للكفر مستبطنون ، هم المفارقون طاعة الله ، الخارجون عن الإيمان به وبرسوله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكُفَّارَاتِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ
وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى ذكره (وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكُفَّارَاتِ) بالله (نَارَ جَهَنَّمَ) أن يصلبهموها جميعا (خَالِدِينَ فِيهَا) يقول : ما كثر فيها أبدا ، لا يموتون فيها ولا يموتون (هِيَ حَسْبُهُمْ) يقول : هي كافيتهم عقابا وثوابا على كفرهم بالله (وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ) يقول : وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) يقول : وللرفيقين جميعا ، يعني من أهل النفاق والكفر عند الله عذاب مقيم دائم ، لا يزول ، ولا يبيد .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ
فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي
خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين قالوا : إنما كنا نخوض ونلعب ، أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون ، كالذين من قبلكم من الأمم الذين فعلوا فعلكم فأهلكهم الله ، وعجل لهم في الدنيا الخزي مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال في الآخرة ، يقول لهم جل ثناؤه : واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذي حل بهم ، فإنهم كانوا أشد منكم قوة وبطشا ، وأكثر منكم أموالا وأولادا ، فاستمتعوا بخلاقهم ، يقول : فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم ، ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضا من نصيبهم في الآخرة ، وقد سلكتم أيها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع

بمخلاقكم ، يقول : فعلتم بدينكم ودنياكم ، كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم ، الذين أهلكتهم بمخلافهم
أمرئى ، بمخلاقهم ، يقول : كما فعل الذين من قبلكم بنصيبتهم من دنياهم ودينهم ، وخضتم في الكذب والباطل
على الله ، كالذى خاضوا ، يقول : وخضتم أنتم أيها المنافقون كخوض تلك الأمم قبلكم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى أبو معشر ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن
أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَتَأْخُذُنَّ كَمَا أَخَذَ الْأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ ،
ذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَبَاعًا بِبَاعٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَوْلَائِكَ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ
لَدَخَلْتُمُوهُ . قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم القرآن (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ
قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ، فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقِهِمْ ، فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَع
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ ، وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) قالوا : يا رسول الله ، كما صنعت
فارس والروم ؟ قال : فهل الناس إلا هم . »

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج عن عمر بن عطاء ، عن عكرمة
عن ابن عباس ، قوله (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) . . . الآية . قال : قال ابن عباس : ما أشبه الليلة
بالبارحة (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم ، لأعلم إلا أنه قال : والذى نفسى
بيده ، لتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه .

قال ابن جريج : وأخبرنا زياد بن سعد ، عن محمد بن زيد بن مهاجر ، عن سعيد بن أبى سعيد
المقبرى ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَتَّبِعُنَّ
سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، وَبَاعًا بِبَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا
جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ ، قالوا : ومن هم يا رسول الله ، أهل الكتاب ؟ قال : فمن . »
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال أبو سعيد الخدرى
لأنه قال : فمن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَاسْتَمْتَعُوا
بِمَخْلَقِهِمْ) قال : بدينهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « حِذْرُكُمْ أَنْ تُحَدِّثُوا فِي الْإِسْلَامِ حَدِيثًا » وقد علم أنه سيفعل ذلك أقوام
من هذه الأمة ، فقال الله فى ذلك (فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَع
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ ، وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) وإنما حسبوا أن لا يقع بهم من الفتنة
ما وقع بنى إسرائيل قبلهم ، وإن الفتنة عائدة كما بدت .

وأما قوله (أَوْلَيْتِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) فإن معناه : هؤلاء الذين قالوا : إنما كنا نخوض ونلعب ، وفعلوا في ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم ، حبطت أعمالهم ، يقول : ذهبت أعمالهم باطلا ، فلا ثواب لها إلا النار ، لأنها كانت فيما يسخط الله ويكرهه (وأَوْلَيْتِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) يقول : وأولئك هم المغبونون صفتهم ، ببيعهم نعيم الآخرة ، بخلافتهم من الدنيا ، اليسير الزهيد .

القول في تأويل قوله تعالى :

الْمَرِيَاتِهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ
وَالْمُؤْتَفِكِ أَنتَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يسرون الكفر بالله ، ويبنون عن الإيمان به وبرسوله (نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول : خبر الأمم الذين كانوا من قبلهم حين عصوا رسلا ، وخالفوا أمرنا ماذا حل بهم من عقوبتنا ، ثم بين جل ثناؤه من أولئك الأمم التي قال هؤلاء المنافقين : ألم يأتهم نبؤهم ، فقال (قَوْمُ نُوحٍ) ولذلك خفض القوم لأنه ترجم بهم عن الذين ، والذين في موضع خفض . ومعنى الكلام : ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعي بهم ، إذ كذبوا رسولي نوحا ، وخالفوا أمرى ، ألم أغرقهم بالطوفان (وعَادٍ) يقول : وخبر عاد إذ عصوا رسولي هودا ، ألم أهلكتهم بريح صرصر عاتية ؛ وخبر ثمود إذ عصوا رسولي صالحا ، ألم أهلكتهم بالرجفة ، فأتركهم بأفنيهم خودا ؛ وخبر قوم إبراهيم إذ عصوه ، وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق ، ألم أسلبهم النعمة ، وأهلك ملكهم نمرود ؛ وخبر أصحاب مدين بن إبراهيم ، ألم أهلكتهم بعذاب يوم الظلة ، إذ كذبوا رسولي شعيبا ؛ وخبر المنقلبة بهم أرضهم ، فصار أعلاها أسفلها ، إذ عصوا رسولي لوطا ، وكذبوا ما جاءهم به من عندي من الحق ، يقول تعالى ذكره : أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزئون بالله وبآياته ورسوله ، أن يسلك بهم في الانتقام منهم ، وتعجيل الجزى والنكال لهم في الدنيا سبيل أسلافهم من الأمم ، ويحل بهم بتكذيبهم رسولي محمدا صلى الله عليه وسلم ما حل بهم في تكذيبهم رسلا ، إذ أتتهم بالبينات .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ) قال : قوم لوط انقلبت بهم أرضهم ، فجعل عاليها سافلها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ) قال : هم

قوم لوط .

❖ فإن قال قائل : فان كان عني بالمؤتفكات قوم لوط ، فكيف قيل : المؤتفكات ، فجمعت ولم توحد ؟ قيل : إنها كانت قريات ثلاثا ، فجمعت لذلك ، ولذلك جمعت بالتاء على قول الله : (والمؤتفكة أهوى) . فإن قال : وكيف قيل : أتتهم رسلا إليهم بالبينات ، وإنما كان المرسل إليهم واحدا ، قيل : معنى ذلك : أتى كل قرية من المؤتفكات رسول يدعوهم إلى الله ، فتكون رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم إليهم للدعاء إلى الله عن رسالته رسلا إليهم ، كما قالت العرب لقوم نسبوا إلى أبي فديك الخارجي الفديكات وأبو فديك واحد ، ولكن أصحابه لما نسبوا إليه وهو رئيسهم دعوا بذلك ونسبوا ، إلى رئيسهم فكذلك قوله (أتتهم رسلا إليهم بالبينات) وقد يحتمل أن يقال : معنى ذلك : أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله في هذه الآية رسلا إليهم من الله بالبينات . وقوله (فما كان الله ليظلمهم) يقول جل ثناؤه : فما أهلك الله هذه الأمم التي ذكر أنه أهلكها إلا باجرامها وظلمها أنفسها ، واستحقاقها من الله عظيم العقاب ، لا ظلما من الله لهم ، ولا وضعاً منه جل ثناؤه عقوبة في غير من هو لها أهل ، لأن الله حكيم ، لا يخلل في تدبيره ، ولا خطأ في تقديره ، ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله ، حتى أسخطوا عليهم ربهم ، فحققت عليهم كلمة العذاب فعذبوا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وأما المؤمنون والمؤمنات ، وهم المصدقون بالله ورسوله ، وآيات كتابه ، فإن صفتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم (يأمرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) يقول : يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله ، وبما جاء به من عند الله (ويقيمُونَ الصَّلَاةَ) يقول : ويؤدون الصلاة المفروضة (ويؤتُونَ الزَّكَاةَ) يقول : ويعطون الزكاة المفروضة أهلها (ويطيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فيأتمرون لأمر الله ورسوله وينتهون عما نهيناهم عنه (أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ) يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم الذين سيرحمهم الله ، فينقدهم من عذابه ، ويدخلهم جنته ، لأهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله ، الناهون عن المعروف ، الأمرين بالمنكر ، القابضون أيديهم عن أداء حق الله من أموالهم (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يقول : إن الله ذو عزة في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به ، لا يمنع من الانتقام منه مانع ، ولا ينصره منه ناصر ، حكيم في انتقامه منهم في جميع أفعاله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : كل ما ذكره الله في القرآن من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فالأمر بالمعروف دعاء من الشرك إلى الإسلام ، والنهي عن المنكر : النهي عن عبادة الأوثان والشياطين . قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) قال : الصلوات الخمس .

القول في تأويل قوله تعالى :
سورة الحديد

وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا به ، وبما جاء به من عند الله من الرجال والنساء ، جنات تجري من تحتها الأنهار ، يقول : بساتين تجري تحت أشجارها الأنهار (خالدين فيها) يقول : لا يثنى فيها أبدا مقيمون لا يزول عنهم نعيمها ، ولا يبئد (ومساكن طيبة) يقول : ومنازل يسكنونها طيبة .

وطيبتها ، أنها فيما ذكر لنا كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن الحسن ، قال : سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية في كتاب الله تبارك وتعالى (وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) فقالا : على الحبير سقطت ، سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْ لَوْلُؤٍ ، فِيهِ سَبْعُونَ دَارًا مِنْ ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمرودة حمراء ، في كل بيت سبعون سريرا » .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : ثنا قرة بن حبيب ، عن حسن بن فرقد ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين وأبي هريرة ، قالوا : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) قال : « قَصْرٌ مِنْ لَوْلُؤَةٍ ، فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ سَبْعُونَ دَارًا مِنْ ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة حمراء ، في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون ، على كل فراش زوجة من الحور العين ، في كل بيت سبعون مائدة ، على كل مائدة سبعون لونا من طعام ، في كل بيت سبعون وصيفة ، وَيُعْطَى الْمُؤْمِنُ مِنَ الْقُوَّةِ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ مَا يَأْتِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ أَجْمَعُ » .

وأما قوله (فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) فإنه يعني : وهذه المساكن الطيبة التي وصفها جل ثناؤه في جنات عدن وفي من صلة مساكن . وقيل : جنات عدن ، لأنها بساتين خلد وإقامة ، لا يظعن منها أحد . وقيل : إنما

قيل لها : جنات عدن ، لأنها دار الله التي استخلصها لنفسه ، ولمن شاء من خلقه ، من قول العرب :
عدن فلان بأرض كذا ، إذا أقام بها وخلد بها ، ومنه المعدن ، ويقال : هو في معدن صدق ، يعني به أنه
في أصل ثابت ؛ وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى :
وإن تستضيفوا إلى حكمه
تضافوا إلى راجح قد عدن ؛
وينشد : قد وزن .

وكالذي قلنا في ذلك ، كان ابن عباس وجماعة معه فيما ذكر يتأولونه .
حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن عكرمة ،
عن ابن عباس (جنات عدن) قال : معدن الرجل الذي يكون فيه .

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا ابن أبي مریم ، قال : ثنا الكندي ، سعد عن زيادة بن
محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « إن الله يفتح الذکر في ثلاث ساعات يبتقن من الليل : في الساعة الأولى
منهن ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمنحوما يشاء ويثبت ، ثم
ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن ، وهي داره التي لم ترها عين ، ولم تخطر على
قلب بشر ، وهي مسكنه ، ولا يسكن معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصدّيقين
والشهداء ، ثم يقول : طوبى لمن دخلك . وذكر في الساعة الثالثة . »

حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا الليث بن سعد ، قال : ثنا زيادة بن محمد ، عن
محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« عدن داره » يعني : دار الله التي لم ترها عين ، ولم تخطر على قلب بشر ، وهي مسكنه ، ولا يسكنها
معه من بني آدم غير ثلاثة : النبيين ، والصدّيقين ، والشهداء ، يقول الله تبارك وتعالى : طوبى لمن دخلك .
وقال آخرون : معنى (جنات عدن) : جنات أعناب وكروم .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن أبي سريج الرازي ، قال : ثنا زكريا بن عدى ، قال : ثنا عبيد الله بن عمرو ، عن زيد
ابن أبي أنيسة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحرث ، أن ابن عباس سأل كعبا عن جنات عدن ،
فقال : هي الكروم والأعناب بالسريانية .

(١) البيت لأعشى قيس أبي بصير ، من نونته المقيدة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين) . وفي روايته اختلاف عن
رواية الطبري . وقال :

وإن يستضيفوا إلى حكمه
يضافوا إلى هادين قد رزن

وتستضيفوا ؛ تلجثوا . والراجح : الهادي الساكن . وعدن بالمكان يعدن : أقام فيه وثبت . والهادن في رواية الديوان : الساكن .
وهو بمعنى الراجح ووزن : ثبت واستقر . يقال : شيء رزين : إذا كان ثقيلا ثابتا . والقصيدة في مدح قيس بن معد يكرب الكندي
وهي ثلاثة وثمانون بيتا .

وقال آخرون : هي اسم لبطنان : الجنة ، ووسطها .
ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن عبد الله ابن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : عدن : بطنان الجنة .
حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثني ، قالا : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان وشعبة ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، في قوله (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) قال : بطنان الجنة . قال ابن بشار في حديثه : فقلت : ما بطنانها . وقال ابن المثني في حديثه : فقلت للأعمش : ما بطنان الجنة ؟ قال : وسطها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة وأبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) قال : بطنان الجنة .
قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، بمثله .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .
حدثنا أحمد بن أبي سريج ، قال : ثنا أبو أحمد الزبير ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى وعبد الله بن مرة عنهما جميعا ، أو عن أحدهما ، عن مسروق ، عن عبد الله (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) قال : بطنان الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود في قول الله (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) قال : بطنان الجنة .
وقال آخرون : عدن : اسم لقصر .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سعيد الكندي ، قال : ثنا عبدة أبو غسان ، عن عون بن موسى الكناني ، عن الحسن ، قال : جنات عدن ، وما أدراك ما جنات عدن ، قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صدّيق ، أو شهيد ، أو حكم عدل ، ورفع به صوته .

حدثنا أحمد بن أبي سريج ، قال : ثنا عبد الله بن عاصم ، قال : ثنا عون بن موسى ، قال : سمعت الحسن بن أبي الحسن ، يقول : جنات عدن ، وما أدراك ما جنات عدن ، قصر من ذهب ، لا يدخله إلا نبي أو صدّيق ، أو شهيد ، أو حكم عدل ، ورفع الحسن به صوته .
حدثنا أحمد ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ،

عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن في الجنة قهرا يقال له : عدن ، حوله البروج والروح ، له خمسون ألف باب على كل باب حبرة ، لا يدخله إلا نبي ، أو صدّيق .
 حدثنا الحسن بن ناجح ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، قال : سمعت يعقوب بن عاصم يحدث ، عن عبد الله بن عمرو ، أن في الجنة قهرا يقال له عدن ، له خمسة آلاف باب ، على كل باب خمسة آلاف حبرة ، لا يدخله إلا نبي ، أو صدّيق ، أو شهيد .
 وقيل : هي مدينة الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن عبد الرحمن المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاک (في جنّاتِ عدن) قال : هي مدينة الجنة ، فيها الرسل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعد ، والجنّات حولها .
 وقيل : إنه اسم نهر .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المحاربي ، عن واصل بن السائب الرقاشي ، عن عطاء ، قال : عدن : نهر في الجنة ، جنّاته على حافته .

وأما قوله (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) فإن معناه ورضا الله عنهم أكبر من ذلك كله ، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِمَّنْ ذَكَرَ ، قَالُوا : يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِمَّنْ ذَكَرَ ؟ قَالَ : أُحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أُسْخِطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا . »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شمر ، قال : يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب إلى الرجل ، حين ينشق عنه قبره ، فيقول : أبشر بكرامة الله ، أبشر برضوان الله ، فيقول مثلك من يبشر بالخير ، ومن أنت ؟ فيقول : أنا القرآن الذي كنت أسهر ليلتك ، وأظمى نهارك ، فيحمله على رقبته ، حتى يوافي به ربه ، فيمثل بين يديه ، فيقول : يا ربّ عبدك هذا اجزه عني خيرا ، فقد كنت أسهر ليله ، وأظمى نهاره ، وأمره فيطيعني ، وأنهاه فيطيعني ، فيقول الربّ تبارك وتعالى : فله حلة الكرامة فيقول : أي ربّ زده ، فإنه أهل ذلك ، فيقول : فله رضواني ، قال : ورضوان من الله أكبر . وابتدى الخبر عن رضوان الله للمؤمنين والمؤمنات أنه أكبر من كل ما ذكره من ثناؤه ، ورفع ، وإن كان الرضوان

فما قد وعدهم ، ولم يعطف به في الإعراب على الجنات والمسكن الطيبة ، ليعلم بذلك تفضيل الله رضوانه عن المؤمنين على سائر ما قسم لهم من فضله ، وأعطاهم من كرامته ، نظير قول القائل في الكلام الآخر : أعطيتك ووصلتك بكذا ، وأكرمتك ، ورضاي بعد عنك أفضل ذلك ، هذه الأشياء التي وعدت المؤمنين والمؤمنات ، هو الفوز العظيم ، يقول : هو الظفر العظيم ، والنجاء الجسم ، لأنهم ظفروا بكرامة الأبد ، ونجوا من الهوان في السفر ، فهو الفوز العظيم ، الذي لا شيء أعظم منه .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٦﴾

✽ يقول تعالى ذكره : يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والسلاح والمنافقين . واختلف أهل التأويل في صفة الجهاد الذي أمر الله نبيه به في المنافقين ، فقال بعضهم : أمره بجهادهم باليد واللسان ، وبكل ما أطاق جهادهم به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ويحيى بن آدم ، عن حسن بن صالح ، عن علي بن الأقرم ، عن عمرو بن جندب ، عن ابن مسعود ، في قوله تعالى (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) قال : بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلمه ، فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه . وقال آخرون : بل أمره بجهادهم باللسان .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان ، وأذهب الرفق عنهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) قال : الكفار بالقتال ، والمنافقين : أن تغلظ عليهم بالكلام . حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) يقول : جاهد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام ، وهو مجاهدتهم .

وقال آخرون : بل أمره باقامة الحدود عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (جَاهِدِ الْكُفَّارَ

وَالْمُنَافِقِينَ) قال : جاهد الكفار بالسيف ، والمنافقين بالحدود ، أقم عليهم حدود الله .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ
 وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) قال : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار بالسيف ، ويغلظ
 على المنافقين في الحدود .

✽✽ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندى بالصواب ما قال ابن مسعود : من أن الله أمر نبيه
 صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين ، بنحو الذى أمره به من جهاد المشركين .

فإن قال قائل : فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم ؟ قيل : إن الله
 تعالى ذكره ، إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر ، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك . وأما من
 إذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر ، وأخذ بها ، أنكرها ورجع عنها وقال : إني مسلم ، فإن حكم الله
 في كل من أظهر الإسلام بلسانه ، أن يحقن بذلك له دمه وماله ، وإن كان معتقدا غير ذلك ، وتوكل هو
 جل ثناؤه بسرايرهم ، ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر ، فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه
 بهم ، وإطلاع الله إياه على ضمائرهم ، واعتقاد صدورهم ، كان يقرهم بين أظهر الصحابة ، ولا يسلك
 يجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله ، لأن أحدهم كان إذا اطلع عليه أنه قد قال قولا
 كفر فيه بالله ، ثم أخذ به أنكره ، وأظهر الإسلام بلسانه ، فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه إلا بما أظهر
 له من قوله عند حضوره إياه ، وعزمه على إمضاء الحكم فيه ، دون ما سلف من قول كان نطق به قبل
 ذلك ، ودون اعتقاد ضميره الذى لم يبح الله لأحد الأخذ به فى الحكم ، وتولى الأخذ به هو دون خلقه .

وقوله (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) يقول تعالى ذكره : واشدد عليهم بالجهاد والقتال والإرعاب .
 وقوله (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) يقول : ومساكنهم جهنم وهى مثواهم ومأواهم (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)
 يقول : وبئس المكان الذى يصر إليه جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا
 نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ بَنُوا يُؤَيْدِكَ خَيْرَ الْهُمِّ وَإِنْ بَنُوا يَعِدُّبُهُمُ اللَّهُ
 عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

اختلف أهل التأويل فى الذى نزلت فيه هذه الآية ، والقول الذى كان قاله ، الذى أخبر الله عنه ، أنه
 يخلف بالله ما قاله ، فقال بعضهم : الذى نزلت فيه هذه الآية : الجلاس بن سويد بن الصامت .

وكان القول الذي قاله ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) قال : نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت ، قال : إن كان ما جاء به محمد حقا ، لنحن أشر من الحمير ، فقال له ابن امرأته : والله يا عدو الله ، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت ، فإني إن لأفعل أخاف أن تصيبني قارعة ، وأؤخذ بخطيئتك ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الجلاس ، فقال : يا جلاس أقلت كذا وكذا ؟ ، فحلف ما قال ، فأنزل الله تبارك وتعالى (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ، وَهُمْ لَا يُنَالُوا ، وَمَا نَنْقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : نزلت هذه الآية (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) في الجلاس بن سويد بن الصامت ، أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء ، فقال الجلاس : إن كان ما جاء به محمد حقا ، لنحن أشر من حميرنا هذه التي نحن عليها ، فقال مصعب : أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخشيت أن ينزل في القرآن ، أو تصيبني قارعة ، أو أن أخلط ، قلت : يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء ، فقال : كذا وكذا ، ولولا مخافة أن أؤخذ بخطيئته ، أو تصيبني قارعة ما أخبرتك ، قال : فدعا الجلاس ، فقال له : يا جلاس أقلت الذي قال مصعب ؟ قال : فحلف ، فأنزل الله تبارك وتعالى (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان الذي قال تلك المقالة فيما بلغني الجلاس بن سويد بن الصامت ، فرفعها عنه رجل كان في حجره يقال له عمير بن سعيد ، فأنكر ، فحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغني .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَلِمَةَ الْكُفْرِ) قال أحدهم : لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير ، فقال له رجل من المؤمنين : إن ما قال لحق ، ولأنت شر من حمار ، قال : فهم المنافقون بقتله ، فذلك قوله (وَهُمْ لَا يُنَالُوا) .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه . قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني أيوب بن إسحاق بن إبراهيم ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة ، فقال « إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ فَيَسْئَلُكُمْ بِعَيْبَتِي شَيْطَانٌ ، فَإِذَا جَاءَ فَلَا تُكَلِّمُوهُ ، فَمَنْ يَلْبَثْ »

أن طلع رجل أزرق ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما قالوا ، وما فعلوا حتى تجاوز عنهم ، فأنزل الله (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا) ثم نعمهم جميعا ، إلى آخر الآية .

وقال آخرون : بل نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول ، قالوا : والكلمة التي قالها ما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا) . . . إلى قوله (مِنْ وَلى وَلَا نَصِيرٍ) قال : ذكر لنا أن رجلين اقتتلا ، أحدهما من جهينة ، والآخر من غفار ، وكانت جهينة حلفاء الأنصار ، وظهر الغفاري على الجهني ، فقال عبد الله بن أبي الأوس : انصروا أحاكم ، فوالله مامثلنا وممثل محمد إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك ، وقال (لَسِنٌ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّا الْأَعْرَابَ مِنَ الْأَذَى) ، فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه فسأله ، فجعل يحلف بالله ما قاله ، فأنزل الله تبارك وتعالى (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) قال : نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذبا على كلمة كفر تكلموا بها أنهم لم يقولوها ، وجائز أن يكون ذلك القول ما روى عن عروة أن الجلاس قاله ، وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبي ابن سلول ، والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال : ولا علم لنا بأن ذلك من أي ، إذ كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة ، ويتوصل به إلى يقين العلم به ، وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل ، فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) .

وأما قوله (وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا) فإن أهل التأويل اختلفوا في الذي كان همّ بذلك وما الشيء الذي كان همّ به أقتل ابن امرأته الذي سمع منه ما قال وخشى أن يفشيه عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : همّ المنافق بقتله ، يعنى قتل المؤمن الذي قال له أنت شرّ من الحمار ، فذلك قوله (وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد به .

وقال آخرون : كان الذي همّ رجلا من قريش ، والذي همّ به قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شبل ، عن جابر ، عن مجاهد ، في قوله (وَهَمُّوا)

بِمَا لَمْ يَنَالُوا) قال : رجل من قريش هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له الأسود .
 وقال آخرون : الذى هم عبد الله بن أبى ابن سلول ، وكان همه الذى لم ينله قوله (لَسِنَّ رَجَعْنَا إِلَى
 الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) من قول قتادة ، وقد ذكرناه .
 وقوله (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) ذكر لنا أن المنافق الذى ذكر
 الله عنه أنه قال كلمة الكفر كان فقيرا ، فأغناه الله بأن قتل له مولى ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ديته ، فلما قال ما قال ، قال الله تعالى (وَمَا نَقَمُوا) يقول : ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم شيئا (إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) .
 ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ
 أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) وكان الجلاس قتل له مولى له ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بديته ، فاستغنى ، فذلك قوله (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) .
 قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، قال : قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر
 ألفا في مولى لبني عدى بن كعب ، وفيه أنزلت هذه الآية (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 مِنْ فَضْلِهِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال : كانت لعبد الله بن أبى دية ، فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، قال : ثنا عمرو ، قال :
 سمعت عكرمة أن مولى لبني عدى بن كعب قتل رجلا من الأنصار ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالدية اثني عشر ألفا ، وفيه أنزلت (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال
 عمرو : لم أسمع هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من عكرمة ، يعنى الدية اثني عشر ألفا .

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا محمد بن سنان العوفى ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفى ، عن عمرو
 ابن دينار ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الدية
 اثني عشر ألفا ، فذلك قوله (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) قال : بأخذ الدية
 وأما قوله (فَإِنْ يَتُوبُوا بِكَ خَيْرًا لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : فإن يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من
 قبلهم الذى قالوه ، فرجعوا عنه ، يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك خيرا لهم من النفاق . (وَإِنْ يَتَوَلَّوْا)
 يقول : وإن يدبروا عن التوبة فإبوابها ، ويصبروا على كفرهم (يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا) يقول :
 يعذبهم عذابا موجعا فى الدنيا ، إما بالقتل ، وإما بعاجل خزى لهم فيها ، ويعذبهم فى الآخرة بالنار .
 وقوله (وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يقول : وما لهؤلاء المنافقين إن عذبهم الله

في عاجل الدنيا ، من وليّ يواليه على منعه من عقاب الله ، ولا نصير ينصره من الله ، فينقذه من عقابه ، وقد كانوا أهل عزّ ومنعة بعشائرتهم وقومهم ، يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء ، فأخبر جلّ ثناؤه أن الذين كانوا يمتنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرتهم وحلفائهم ، لا يمتنعونهم من الله ، ولا ينصرونهم منه إن احتاجوا إلى نصرهم . وذكر أن الذي نزلت فيه هذه الآية تاب مما كان عليه من النفاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (فإن يتوبوا يك خيراً لهم) قال : قال الجلاس : قد استثنى الله لي التوبة ، فأنا أتوب ، فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه (فإن يتوبوا يك خيراً لهم) . فقال الجلاس : يا رسول الله إني أرى الله قد استثنى لي التوبة ، فأنا أتوب ، فتاب ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنَهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَيْنَآ أَن نَّعْبُدَهُ فَفَضَّلَهُمْنَا مِن نَّصَدِّقٍ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَ رَبَّآ أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم (من عاهد الله) يقول : أعطى الله عهداً (لئن آتانا من فضله) يقول : لئن أعطانا الله من فضله ، ورزقنا مالا ، ووسع علينا من عنده (لنصدقن) يقول : لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا (ولنكونن من الصالحين) يقول : ولنعملن فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الرحم به ، وإنفاقه في سبيل الله ، يقول الله تبارك وتعالى : فرزقهم الله وآتاهم من فضله (فلما آتاهم) الله (من فضله بخلوا به) بفضل الله الذي آتاهم ، فلم يصدقوا منه ، ولم يصابوا منه قرابة ، ولم ينفقوا منه في حق الله (وتولوا) يقول : وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله (وهم معرضون) عنه (فأعقبهم) الله (نفاقاً في قلوبهم) ببخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله ، وإخلافهم الوعد الذي وعدوا الله ، ونقضهم عهده في قلوبهم (إلى يوم يلقونته) بما أخلفوا الله ما وعده (من الصدقة والنفقة في سبيله) (وبما كانوا يكذبون) في قلوبهم . وحرّمهم التوبة منه ، لأنه جلّ ثناؤه اشترط في نفاقهم أنه أعقبهموه (إلى يوم يلقونته) وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا .

واختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية ، فقال بعضهم : عني بها رجل يقال له ثعلبة بن حاداب من الأنصار .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : نبي أبي ، قال : نبي عمي ، قال : نبي أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) . . . الآية ، وذلك أن رجلا يقال له ثعلبة بن حاطب من الأنصار ، أتى مجلسا فأشهدهم ، فقال : لئن آتاني الله من فضله ، آتيت منه كل ذى حق حقه ، وتصدقت منه ، ووصلت منه القرابة ، فابتلاه الله فاتاه من فضله ، فأخلف الله ما وعده ، وأغضب الله بما أخلف ما وعده ، فقص الله شأنه في القرآن (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ) . . . الآية ، إلى قوله (يَكْذِبُونَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا هشام بن عمار ، قال : ثنا محمد بن شعيب ، قال : ثنا معاذ بن رفاعة السلمي ، عن أبي عبد الملك علي بن يزيد الإلهاني ، أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن ، أنه أخبره ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري ، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يرزقني مالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَيَحْتَاكَ يَا ثَعْلَبَةَ ، قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ ، قال : ثم قال مرة أخرى ، فقال : أما ترضى أن تكون مثل نبي الله ، فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت ، قال : والذي بعثك بالحق ، لئن دعوت الله فرزقني مالا ، لأعطين كل ذى حق حقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزق ثعلبة مالا ، قال : فاتخذ غنما ، فنمت كما ينمو الدود ، فضاقت عليه المدينة ، ففتح عنها ، فنزل واديا من أوديتها ، حتى جعل يصلى الظهر والعصر في جماعة ، ويترك ماسواهما ، ثم نمت وكثرت ، ففتح حتى ترك الصلوات إلا الجمعة ، وهي تنمو كما ينمو الدود ، حتى ترك الجمعة ، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل ثعلبة ؟ فقالوا : يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة ، فأخبروه بأمره ، فقال : يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ، قال : وأنزل الله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) . . . الآية ، ونزلت عايه فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة ، رجلا من جهينة ، ورجلا من سليم ، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : مرا بثعلبة ، وبفلان رجل من بني سليم ، فخذوا صدقاتهما ، فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ، ما أدري ما هذا ، انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلى ، فانطلقا ، وسمع بهما السلمي ، فنظر إلى خيار أسنان إبله ، فعزها للصدقة ، ثم استقبلهم بها ، فلما رأوها ، قالوا : ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك ، قال : بلى فخذوه ، فإن نفسي بذلك طيبة ، وإنما هي لي ، فأخذوها منه ، فلما فرغا من صدقاتهما رجعا ، حتى مرآ بثعلبة ، فقال : أروني كتابكما ، فنظر فيه فقال : ما هذه إلا أخت الجزية ، انطلقا حتى أرى رأبي ، فانطلقا حتى أتيا النبي

صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهما قال : يا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ ، قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلمي بالبركة ، فأخبراه
بالذى صنع ثعلبة ، والذى صنع السلمى ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ
آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) . . . إلى قوله (وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) .
وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال :
ويحك يا ثعلبة ، قد أنزل الله فيك كذا وكذا ، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن
يقبل منه صدقته ، فقال : إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك ، فجعل يحثي على رأسه التراب ،
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمَلُكَ ، قد أمرتُكَ فلم تطعني ، فلما أبى أن
يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجع إلى منزله ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل
منه شيئا ؛ ثم أتى أبا بكر حين استخلف ، فقال : قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وموضعى من الأنصار ، فاقبل صدقتى ، فقال أبو بكر : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا
أقبلها ؟ فقبض أبو بكر ولم يقبضها ؛ فلما ولى عمر أتاه فقال : يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى ، فقال :
لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبو بكر ، وأنا لأقبلها منك ، فقبض ولم يقبلها ، ثم ولى
عثمان رحمة الله عليه ، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته ، فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا
أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا لأقبلها منك فلم يقبلها منه ، وهلك ثعلبة فى خلافة عثمان رحمة
الله عليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ
آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) . . . الآية . ذكر لنا أن رجلا من الأنصار أتى على مجلس من الأنصار ، فقال : لئن
أتاه الله مالا ، ليؤدين إلى كل ذى حق حقه ، فأتاه الله مالا ، فصنع فيه ما تسمعون ، قال : فلما
أتاهم من فضله بجلبوا به) . . . إلى قوله (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله
عليه وسلم حدث أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء بالتوراة إلى بنى إسرائيل قالت بنو إسرائيل : إن
التوراة كثيرة ، وإنا لانفرغ لها ، فسل لنا ربك جماعا من الأمر ، نحافظ عليه ، ونتفرغ فيه لمعاشنا ، قال :
يا قوم مهلا مهلا ، هذا كتاب الله ، ونور الله ، وعصمة الله ، قال : فأعادوا عليه ، فأعاد عليهم ، قالها ثلاثا ،
قال : فأوحى الله إلى موسى : ما يقول عبادى ؟ قال : يا رب يقولون : كيت وكيت ، قال : فإنى أمرهم
بثلاث ، إن حافظوا عليهن دخلوا بهن الجنة ، أن ينتهوا إلى قسمة الميراث فلا يظلموا فيها ، ولا يدخلوا
أبصارهم البيوت حتى يؤذن لهم ، وأن لا يطعموا طعاما حتى يتوضئوا وضوء الصلاة ، قال : فرجع بهن
نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه ، ففرحوا ورأوا أنهم سيقومون بهن ، قال : فوالله ما لبث القوم إلا
قليلًا حتى جنحوا ، وانقطع بهم ؛ فلما حدث نبي الله بهذا الحديث عن بنى إسرائيل ، قال : تكفلوا لي
ببيت ، أتكفل لكم بالجنة ، قالوا : ما هن يا رسول الله ؟ قال : إذا حدثتم فلا تكذبوا ، وإذا وعدتم فلا
تخلفوا ، وإذا أوتمتم فلا تخونوا ، وكفوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم وأبصاركم عن الخيانة ، وأيديكم
عن السرقة ، وفروجكم عن الزنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ صَارَ مُنَافِقًا ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ » .
وقال آخرون : بل المعنى بذلك : رجلان : أحدهما ثعلبة ، والآخر معتب بن قشير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) . . . إلى الآخر ، وكان الذي عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب ابن قشير ، هما من بنى عمرو بن عوف .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) قال : رجلان خرجا على ملائكة قعود ، فقالا : والله لئن رزقنا الله لنصدقن ، فلما رزقهم الله بخاوا به .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) رجلان خرجا على ملائكة قعود ، فقالا : والله لئن رزقنا الله لنصدقن ، فلما رزقهم بخاوا به ، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه حين قالوا : لنصدقن فلم يفعلوا .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ) . . . الآية ، قال : هؤلاء صنف من المنافقين ، فلما آتاهم ذلك بخاوا به ؛ فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقا إلى يوم يلقونه ، ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ، ولا عفو ، كما أصاب إبليس حين منعه التوبة .

قال أبو جعفر : في هذه الآية الإبانة من الله جل ثناؤه عن علامة أهل النفاق ، أعني في قوله (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ، وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) .
وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين ، ووردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر بعض من قال ذلك

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قال عبد الله : اعتبروا المنافق بثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وأنزل الله تصديق ذلك في كتابه (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) . . . إلى قوله (يَكْذِبُونَ)
حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن صبيح بن

عبد الله بن عميرة ، عن عبد الله بن عمر ، قال : ثلاث من كنّ فيه كان منافقا : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان ، قال : وتلا هذه الآية (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَسِينِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت صبيح بن عبد الله القيسي يقول : سألت عبد الله بن عمرو ، عن المنافق ، فذكر نحوه .

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو هشام الخزومي ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا عثمان بن حكيم ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي ، يقول : كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث : بالكذب ، والإخلاف ، والحيانة ، فالتمسها في كتاب الله زمانا لأجدها ، ثم وجدتها في آيتين من كتاب الله ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ) . . . حتى بلغ (وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) ، وقوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) هذه الآية .

حدثني القاسم بن بشر بن معروف ، قال : ثنا أسامة ، قال : ثنا محمد المخرمي ، قال : سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كنّ فيه فهو منافق » وإنّ صلّى وصام وزعم أنّه مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » فقلت للحسن : يا أبا سعيد لئن كان لرجل على دين فلقيني ، فتقاضاني وليس عندي ، وخفت أن يجبسي ويهلكني ، فوعده أن أقضيه رأس الهلال فلم أفلح ، أمناق أنا ؟ قال : هكذا جاء الحديث . ثم حدث عن عبد الله بن عمرو أن أباه لما حضره الموت ، قال : زوجوا فلانا فإني وعدته أن أزوجه ، لألقى الله بثلاث النفاق ، قال : قلت : يا أبا سعيد ويكون ثلث الرجل منافقا ، وثلاثه مؤمن ؟ قال : هكذا جاء الحديث ، قال : فحججت فلقيت عطاء بن أبي رباح ، فأخبرته الحديث الذي سمعته من الحسن ، وبالذي قلت له ، وقال لي ، فقال : أعجزت أن تقول له : أخبرني عن إخوة يوسف عليه السلام ، ألم يبعيدوا أباهم فأخلفوه ، وحدثوه فكذبوه ، وأتمهم فخانوه ، أمناقين كانوا ؟ ألم يكونوا أنبياء أبوهم نبي وجدّهم نبي ؟ قال : فقلت لعطاء : يا أبا محمد حدثني بأصل النفاق ، وبأصل هذا الحديث ، فقال : حدثني جابر ابن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما قال هذا الحديث في المنافقين خاصة الذين حدثوا النبي فكذبوه ، وأتمهم على سرّه فخانوه ، ووعدوه أن يخرجوا معه في الغزو فأخلفوه . قال : وخرج أبو سفيان من مكة ، فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا ، فاخرجوا إليه واكتموا » قال : فكتب رجل من المنافقين إليه أن محمدا يريدكم ، فخذوا حذرکم ، فأنزل الله (لا تخونوا الله والرسولَ وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) ، وأنزل في المنافقين (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَسِينِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ) . . . إلى (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْتَقُونَهُ بِمَا أَخْلَقُوا

اللَّهِ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) فإذا لقيت الحسن فأقرئه السلام ، وأخبره بأصل هذا الحديث ، وبما قلت لك ، قال : فقدمت على الحسن ، فقلت : يا أبا سعيد ، إن أخاك عطاء يقرئك السلام ، فأخبرته بالحديث الذي حدثت ، وما قال لي ، فأخذ الحسن بيدي فأمالها وقال : يا أهل العراق أعجزتم أن تكونوا مثل هذا ، سمع مني حديثاً فلم يقبله حتى استنبط أصله ، صدق عطاء ، هكذا الحديث ، وهذا في المنافقين خاصة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليّة ، قال : أخبرنا يعقوب ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ فَهُوَ مُنَافِقٌ » ، فقيل له : ما هي يا رسول الله ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ثنا ميسرة ، عن الأوزاعي عن هارون بن رباب ، عن عبد الله بن عمرو بن وائل ، أنه لما حضرته الوفاة ، قال : إن فلانا خطب إلى ابنتي ، وإني كنت قلت له فيها قولاً شبيهاً بالعدة ، والله لا ألقى الله بثالث النفاق ، وأشهدكم أني قد زوجته . وقال قوم : كان العهد الذي عاهد الله هؤلاء المنافقون شيئاً نووه في أنفسهم ، ولم يتكلموا به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : سمعت معتمر بن سليمان التيمي يقول : ركبت البحر فأصابنا ريح شديدة ، فنذر قوم منا ندورا ، ونويت أنا لم أتكلم به ؛ فلما قدمت البصرة ، سألت أبي سليمان ، فقال لي يا بني : فه به .

قال معتمر ، وثنا كهمس عن سعيد بن ثابت ، قال : قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ) . . . الآية قال : إنما هو شيء نووه في أنفسهم ، ولم يتكلموا به ، ألم تسمع إلى قوله (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) ، وأن الله علام الغيوب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾

يقول تعالى ذكره : ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرّاً ، ويظهرون الإيمان بهما لأهل الإيمان بهما جهراً ، أن الله يعلم سرهم الذي يسرونه في أنفسهم من الكفر به ورسوله (وَنَجْوَاهُمْ) يقول : ونجواهم إذا تناجوا بينهم بالظن في الإسلام وأهله ، وذكرهم بغير ما ينبغي أن يذكروا به ، فيحذروا من الله عقوبته ، أن يحلها بهم ، وسطوته أن يوقعها بهم على كفرهم بالله ورسوله ، وعيبتهم للإسلام وأهله ، فينزعوا عن ذلك ، ويتوبوا منه (وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) يقول : ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسمع خلقه وأبصارهم وحواسهم مما أكتته نفوسهم ، فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة

أنت؟ فقال: ليس بى جنون، فقال: أتعلم ما قلت؟ قال: نعم، مالى ثمانية آلاف: أما أربعة آلاف فأقرضها ربى، وأما أربعة آلاف فلى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا أَمْسَكْتَ وَفِيهَا أُعْطِيَتْ، وكره المنافقون فقالوا: والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياء. وهم كاذبون، إنما كان به متطوعا، فأنزل الله عذره، وعذر صاحبه المسكين الذى جاء بالصاع من التمر، فقال الله فى كتابه (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال: جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف، فلمزه المنافقون، وقالوا: راعى (والَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) قال: رجل من الأنصار، آجر نفسه بصاع من تمر لم يكن له غيره، فجاء به فلمزوه، وقالوا: كان الله غنيا عن صاع هذا.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . الآية، قال: أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله، فتقرّب به إلى الله، فلمزه المنافقون، فقالوا: ما أعطى ذلك إلا رياء وسمعة، فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له: حجاب أبو عقيل، فقال: يا نبي الله، بتّ آجر الحرير على صاعين من تمر: أما صاع فأمسكته لأهلى، وأما صاع فها هو ذا، فقال المنافقون: والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا، فأنزل الله فى ذلك القرآن (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) قال: تصدّق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله، وكان ماله ثمانية آلاف دينار، فتصدّق بأربعة آلاف دينار، فقال ناس من المنافقين: إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء، فقال الله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) وكان لرجل صاعان من تمر، فجاء بأحدهما، فقال ناس من المنافقين: إن كان الله عن صاع هذا لغنيا، فكان المنافقون يطعنون عليهم، ويسخرون بهم، فقال الله (والَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حدثنى المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال الأنماطى، قال: ثنا أبو عوانة، عن أبي سلمة، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تَصَدَّقُوا فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَ بَعْثًا»، قال: فقال عبد الرحمن ابن عوف: يارسول الله، إن عندى أربعة آلاف: ألفين أقرضهما الله، وألفين لعيالى، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا أُعْطِيَتْ، وَبَارَكَ لَكَ فِيهَا أَمْسَكْتَ، فقال رجل من الأنصار: وإن عندى صاعين من تمر، وصاعا لربى، وصاعا لعيالى، قال: فلمز المنافقون،

وقالوا : ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياء ، وقالوا : أو لم يكن الله غنيا عن صاع هذا ، فأنزل الله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، في قوله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) قال : أصاب الناس جهد شديد ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدقوا ، فجاء عبد الرحمن بأربعمائة أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِيهَا أَمْسَكَ ، فقال المنافقون : ما فعل عبد الرحمن هذا إلا رياء وسمعة ، قال : وجاء رجل بصاع من تمر ، فقال : يا رسول الله أجرت نفسي بصاعين ، فانطلقت بصاع منهما إلى أهلي ، وجئت بصاع من تمر ، فقال المنافقون : إن الله غني عن صاع هذا ، فأنزل الله هذه الآية (وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) . . . الآية ، وكان من المطَّوعين من المؤمنين في الصدقات : عبد الرحمن بن عوف تصدق بأربعة آلاف دينار ، وعاصم بن عدى أخو بني عجلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب في الصدقة وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى فتصدق بمائة وسق من تمر ، فلمزوهما وقالوا : ما هذا إلا رياء ، وكان الذي تصدق بجهد أبي عقيل ، أخو بني أنيف الأراشي ، حليف بني عمرو بن عوف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغه في الصدقة ، فتضحكوا به ، وقالوا : إن الله لغني عن صاع أبي عقيل .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان ، عن أبي وائل ، عن أبي مسعود ، قال : لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل ، قال أبو النعمان : كنا نعمل ، قال : فجاء رجل ، فتصدق بشيء كثير ، قال : وجاء رجل فتصدق بصاع تمر ، فقالوا : إن الله لغني عن صاع هذا ، فنزلت (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ، وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، قال : ثنا خالد بن يسار ، عن ابن أبي عقيل ، عن أبيه ، قال : بت أجر الحرير على ظهري على صاعين من تمر ، فانقلبت بأحدهما إلى أهلي يتبلعون به ، وجئت بالآخر أتقرب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : انثره في الصدقة ، فسخر المنافقون منه وقالوا : لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين ، فأنزل الله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) . . . الآيتين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا الحريري عن أبي السليل ، قال : وقف على الحى رجل ، فقال : ثنا أبي أو عمي ، فقال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « مَنْ »

يَتَصَدَّقِ الْيَوْمَ بِصَدَقَةٍ أَشْهَدُ لَهُ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قال : وعلى عمامة لي ، قال :
 فزعت لوثا أو لوثن لاتصدق بهما ، قال : ثم أدركني ما يدرك ابن آدم ، فعصبت بها رأسي ، قال :
 فجاء رجل لأرى بالبقيع رجلا أقصر قامة ، ولا أشد سوادا ، ولا أذم لعيني منه ، يقود ناقة لأرى بالبقيع
 أحسن منها ، ولا أجمل منها ، قال : أصدقة هي يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فدونكها ، فألقى
 بخطامها أو بزمامها ، قال : فلمزه رجل جالس ، فقال : والله إنه ليتصدق بها ، ولهي خير منه ، فنظر
 إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل هو خير منك ومنها ، يقول ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني
 عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، يقول : الذي تصدق بصاع التمر فلمزه المنافقون ، أبو خيثمة
 الأنصاري .

حدثني المثني ، قال : ثنا محمد بن رجاء أبو سهل العباداني قال : ثنا عامر بن يساف اليمامي ، عن يحيى
 ابن أبي كثير اليمامي ، قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال : يا رسول الله مالي ثمانية آلاف ، جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله ، وأمسكت أربعة آلاف
 لعيالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا فِيمَا أُعْطِيَتْ وَفِيهَا أُمْسِكْتَ » وجاء رجل
 آخر فقال : يا رسول الله ، بت الليلة أجر الماء على صاعين ، فأما أحدهما فتركت لعيالي ، وأما الآخر
 فجئتك به ، أجمعه في سبيل الله ، فقال : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا فِيمَا أُعْطِيَتْ وَفِيهَا أُمْسِكْتَ » فقال ناس من
 المنافقين ، والله ما أعطى عبد الرحمن إلا رياء وسمعة ، ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع فلان ، فأنزل
 الله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) يعني عبد الرحمن بن عوف (وَالَّذِينَ
 لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ) يعني صاحب الصاع (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ
 وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قال ابن
 عباس : أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين ، أن يجمعوا صدقاتهم ، وإذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء
 بأربعة آلاف ، فقال : هذا مالي أقرضه الله ، وقد بقي لي مثله ، فقال له : « بُورِكَ لَكَ فِيهَا أُعْطِيَتْ
 وَفِيهَا أُمْسِكْتَ » فقال المنافقون : ما أعطى إلا رياء ، وما أعطى صاحب الصاع إلا رياء ، إن كان الله
 ورسوله لغنيين عن هذا ، وما يصنع الله بصاع من شيء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ
 الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) . . . إلى قوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : أمر النبي عليه
 الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدقوا ، فقام عمر بن الخطاب ، فألقى مالا وافرا ، فأخذ نصفه ، قال :
 فجئت أحمل مالا كثيرا ، فقال له رجل من المنافقين : ترأى يا عمر ؟ فقال عمر : أرأى الله ورسوله ، وأما
 غيرهما فلا . قال : ورجل من الأنصار لم يكن عنده شيء ، فأجر نفسه ليجر الحرير على رقبتة بصاعين

ليلته ، فرك صاعا لعياله ، وجاء بصاع يحمله ، فقال له بعض المنافقين : إن الله ورسوله عن صاعك لغنيان ، فذلك قول الله تبارك وتعالى (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ، وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) هذا الأنصاري (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

وقد بينا معنى اللمز في كلام العرب بشواهد ، وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى .
وأما قوله (الْمُطَّوِّعِينَ) فإن معناه : المتطوعين ، أدغمت التاء في الطاء ، فصارت طاء مشددة ، كما قيل (وَمَنْ يَطَّوِّعُ خَيْرًا) يعني يتطوع . وأما الجهد ، فإن للعرب فيه لغتين ، يقال : أعطاني من جهده بضم الجيم ، وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز ، ومن جهد بفتح الجيم ، وذلك لغة نجد وعلى الضم قراءة الأهمصار ، وذلك هو الاختيار عندنا لإجماع الحججة من القراء عليه . وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية ، فانهم يزعمون أنها مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد . وإنما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه كما اختلفت لغاتهم في الوجد ، والوجد بالضم والفتح من وجدت .
وروى عن الشعبي في ذلك ما حدثنا أبو كريب . قال ثنا جابر بن نوح ، عن عيسى بن المغيرة ، عن الشعبي ، قال : الجهد في العمل ، والجهد في القوت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن عيسى بن المغيرة ، عن الشعبي ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن عيسى بن المغيرة ، عن الشعبي ، قال : الجهد في العمل ، والجهد في المعيشة .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ادع الله لهؤلاء المنافقين الذين وصف صفاتهم في هذه الآيات بالمغفرة ، أو لا تدع لهم بها ، وهذا كلام خرج مخرج الأمر ، وتأويله الخبر ، ومعناه : إن استغفرت لهم يا محمد ، أو لم تستغفر لهم ، فإن يغفر الله لهم . وقوله (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) يقول : إن تسأل لهم أن تستر عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها ، وترك فضيحتهم بها ، فلن يستر الله عليهم ، ولن يعفو لهم عنها ، ولكنه يفضحهم بها على رءوس الأشهاد يوم القيامة (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) يقول جل ثناؤه : هذا الفعل من الله بهم ، وهو ترك عفوهم لهم عن ذنوبهم من أجل أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) يقول : والله لا يوفق للإيمان به ورسوله من أثر الكفر به ، والخروج عن طاعته على الإيمان به ورسوله .
ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين نزلت هذه الآية ، قال : « لَا زَيْدَنَّ فِي الْإِسْتِغْفَارِ »

لَهُمْ عَلَى سَبْعِينَ مَرَّةً « رجاء منه أن يغفر الله لهم ، فزلت (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ، أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عبد الله بن أبي ابن سلول ، قال لأصحابه : لولا أنكم تنفقون على محمد وأصحابه ، لانفضوا من حوله ، وهو القائل (لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : لَأَزِيدَنَّ عَلَى السَّبْعِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ، أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) فَأَبَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك ، عن الشعبي ، قال : دعا عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنازة أبيه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : حباب بن عبد الله بن أبي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بَلْ أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ ، إِنَّ الْحُبَابَ هُوَ الشَّيْطَانُ ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّهُ قَدْ قِيلَ لِي اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ، فَأَنَا اسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ ، وَأَلْبَسَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ وَهُوَ عَرِقٌ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سأزيدُ على سَبْعِينَ اسْتَغْفَارَةً ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي السُّورَةِ الَّتِي يَذْكَرُ فِيهَا الْمُنَافِقُونَ (لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) عَزَمًا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن الشعبي ، قال : لما ثقل عبد الله بن أبي ، انطلق ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : إن أبي قد احتضر ، فأحب أن تشهده وتصلي عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما اسمُك ؟ قال : الحباب بن عبد الله ، قال : بَلْ أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ، إِنَّ الْحُبَابَ اسْمُ شَيْطَانٍ ، قال : فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عرق ، وصلى عليه ، فقيل له : أتصلي عليه وهو منافق ؟ فقال : إنَّ اللَّهَ قَالَ (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) وَلَا اسْتَغْفِرَنَّ لَهُ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ ، قال هشيم : وَأَشْكَ فِي الثَّلَاثَةِ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن ابن عباس ،

قوله (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) . . . إلى قوله (الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما نزلت هذه الآيةُ أَسْمَعُ رَبِّي قَدْ رَخَّصَ لِي فِيهِمْ ، فَوَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ، فقال الله من شدة غضبه عليهم (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنَّ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) فقال نبي الله : قَدْ خَيْرَنِي رَبِّي فَلَا زَيْدَ نَهُمْ عَلَى سَبْعِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : لما نزلت (إِنَّ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : : لَأَزِيدَنَّ عَلَى سَبْعِينَ ، فقال الله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿١١﴾

✽ يقول تعالى ذكره : فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به ، وجهاد أعدائه بمقعدهم (خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ) يقول : يجلسهم في منازلهم خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ ، يقول : على الخِلاَفِ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي جُلُوسِهِ وَمَقْعَدِهِ ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر إلى جهاد أعداء الله ، فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم . وقوله (خِلاَفَ) مصدر من قول القائل : خالف فلان فلانا ، فهو يخالفه خِلاَفًا ، فلذلك جاء مصدره على تقدير فعال ، كما يقال : قاتله ، فهو يقاتله قتالا ، ولو كان مصدرا من خِلاَفِهِ ، لكانت القراءة بمقعدهم خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ ، لأن مصدر خِلاَفِهِ خِلاَفَ ، ولا خِلاَفَ ، ولكنه على ما بينت من أنه مصدر خِلاَفَ ، فقرأ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ ، وهي القراءة التي عليها قراءة الأمصار ، وهي الصواب عندنا . وقد تأول بعضهم ذلك ، بمعنى : بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

عَقَبَ الرَّبِيعُ خِلاَفَهُمْ فَكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوْاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا ۱

وذلك قريب لمعنى ما قلنا ، لأنهم قعدوا بعده على الخِلاَفِ له .

(١) البيت للحارث بن خالد المخزومي (اللسان : خلف) قال : وفي التنزيل العزيز : (فرح المخلفون بمقعدهم خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ)

قال ابن بري « خِلاَفَ » في الآية بمعنى بعد . وأنشد للحارث بن خالد المخزومي : عقب . . . الخ قال ومثله للبريق الهذلي :

وقوله (وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : وكره هؤلاء المخلفون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله : يعني : في دين الله الذي شرعه لعباده ، لينصروه ميلا إلى الدعة والخفص ، وإيثارا للراحة على التعب والمشقة ، وشححا بالمال أن ينفقوه في طاعة الله (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم استنفرهم إلى هذه الغزوة ، وهي غزوة تبوك في حر شديد ، فقال المنافقون بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد : نار جهنم التي أعدها الله لمن خالف أمره ، وعصى رسوله ، أشد حرا من هذا الحر الذي تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه ، يقول : الذي هو أشد حرا أحرى أن يحذر ويتقى من الذي هو أقلهما أذى (لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) يقول : لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ، ويتدبرون آي كتابه ، ولكنهم لا يفقهون عن الله ، فهم يحذرون من الحر أقله مكروها ، وأخفه أذى ، ويوافقون أشده مكروها ، وأعظمه على من يصلاه بلاء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (يَفْقَهُونَ) ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه ، وذلك في الصيف ، فقال رجال : يا رسول الله ، الحر شديد ، ولا نستطيع الخروج ، فلا تنفر في الحر ، فقال الله (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) فأمره الله بالخروج .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ) قال : من غزوة تبوك .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره ، قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد إلى تبوك ، فقال رجل من بني سلمة : لا تنفروا في الحر ، فأنزل الله (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأجمع السير إلى تبوك على شدة الحر ، وجدب البلاد ، يقول الله جل ثناؤه ، (وَقَالُوا : لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا) .

وما كنتُ أخشى أن أعيش خيلافهم بسنة أبيات كما نابت العيتر

وفي (اللسان : عقب) : عقب الرذاذ خيلافهم . وكل شيء كان بعد شيء فقد عقبه . والشواطب : من النساء : اللواتي يشقن الخوص ، ويقشرن العشب ، ليتخذن منه الحصر ، ثم يلقينها إلى المنقيات . تقول منه : شطبت المرأة الحر يد شطبا : شقته فهي شاطبة لتعمل منه الحصر . والمنقية : التي تأخذ كل شيء عليه بسكينها ، حتى تتركه رقيقا تلقيه إلى الشاطبة ثانية . شبه آثار الربيع في الأرض من الزرع الذي يكسرها بحصر مبسوطه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم بخلاف رسول الله ، فليضحكوا فرحين قليلاً في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم بخلاف رسول الله ، وهوهم عن طاعة ربهم ، فإنهم سيبكون طويلاً في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا جزاء ، يقول : ثوابا منا لهم على معصيتهم بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوهم ، وقعودهم في منازلهم بخلاف رسول الله (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : بما كانوا يجترحون من الذنوب . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبي رزين (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : يقول الله تبارك وتعالى : الدنيا قليل ، فليضحكوا فيها ماشاءوا ، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع ، فذلك الكثير .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خيثم (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) قال : في الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : في الآخرة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالوا : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين ، في قوله (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : في الآخرة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي رزين ، أنه قال في هذه الآية (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) قال : ليضحكوا في الدنيا قليلاً ، وليبكوا في النار كثيراً ، وقال في هذه الآية (وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : أجلهم أحد هذين الحديتين ١ رفعه إلى ربيع بن خيثم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) قال : ليضحكوا قليلاً في الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) في الآخرة في نار جهنم (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) : أي في الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) : أي في النار . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا عَلَّمْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » ذكر لنا أنه نودي عند ذلك ، أو قيل له : لا تقنط عبادي .

(١) أي أحد الحديتين في الآية هو الأجل ، والغرض من الحديتين القليل والكثير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، عن الربيع بن خييم (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) قال : فى الدنيا (وَلْيَسْبِكُوا كَثِيرًا) قال : فى الآخرة .
قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى رزين (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) قال : فى الدنيا فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع ، فذلك الكثير .
حدثنا على بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَسْبِكُوا كَثِيرًا) قال : هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا ، يقول الله تبارك وتعالى (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) فى الدنيا (وَلْيَسْبِكُوا كَثِيرًا) فى النار .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلْيَضْحَكُوا) فى الدنيا (قَلِيلًا ، وَلْيَسْبِكُوا) يوم القيامة (كَثِيرًا) وقال (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) حتى بلغ (هَلْ تُؤْتَى الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) .
القول فى تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٤﴾

يقول جل ثناؤه لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن رددك الله يا محمد إلى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه ، فاستأذنوك للخروج معك فى أخرى غيرها ، فقل لهم (لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ، إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) وذلك عند خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى تبوك (فاقعدوا مع الخاليفين) يقول : فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنكم منهم ، فاقتدوا بهديهم ، واعملوا مثل الذى عملوا من معصية الله ، فإن الله قد سخط عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، الحر شديد ، ولا نستطيع الخروج ، فلا تنفر فى الحر ، وذلك فى غزوة تبوك ، فقال الله (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) فأمره الله بالخروج ، فتخلف عنه رجال ، فأدركتهم نفوسهم ، فقالوا : والله ما صنعنا شيئاً ، فانطلق منهم ثلاثة ، فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أتوه تابوا ثم رجعوا إلى المدينة ، فأنزل الله (فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ) . . . إلى قوله (وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلْكَ الَّذِينَ

تَخَلَّفُوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَذْرَهُمْ لَمَّا تَابُوا ، فَقَالَ (لَتَقَدُّ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ، وَقَالَ (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) : أَى مَعَ النِّسَاءِ . ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، فَقِيلَ فِيهِمْ مَا قِيلَ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : (فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) وَالْخَالِفُونَ : الرِّجَالُ .

قال أبو جعفر : والصواب من التأويل في قوله (الْخَالِفِينَ) ما قال ابن عباس . فأما ما قال قتادة من أن ذلك النساء ، فقول لا معنى له ، لأن العرب لا تجمع النساء إذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون ، ولا بالواو والنون ، ولو كان معنا بذلك النساء ، لقيل : فاقعدوا مع الخوالف ، أو مع الخالقات ، ولكن معناه ما قلنا من أنه أريد به : فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زمانهم ، والضعفاء منهم والنساء ، وإذا اجتمع الرجال والنساء في الخبر ، فإن العرب تغلب الذكور على الإناث ، ولذلك قيل (فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) والمعنى ما ذكرنا ؛ ولو وجّه معنى ذلك إلى : فاقعدوا مع أهل الفساد من قولهم : خلف الرجل عن أهله يخلف خلوفا ، إذا فسد ، ومن قولهم : هو خلف سوء ، كان مذهبا ، وأصله إذا أريد به هذا المعنى من قولهم خَلَفَ اللبن يَخْلُفُ خلوفا إذا خَبِثَ من طول وضعه في السقاء حتى يفسد ، ومن قولهم : خَلَفَ فَمُ الصَّامِ : إذا تغيرت ريحه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾

يقول جل ثناؤه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تصل يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدا ، (وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) يقول : ولا تتول دفنه وتقبيره من قول القائل : قام فلان بأمر فلان : إذا كفاه أمره (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ) يقول إنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله ، وماتوا وهم خارجون من الإسلام ، مفارقون أمر الله ونهيه ، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى وسنيدان بن وكيع ، وسوار بن عبد الله ، قالوا : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله قال : أخبرني نافع ، عن ابن عمر ، قال : جاء ابن عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين مات أبوه ، فقال : أعطني قميصك حتى أكفنه فيه ، وصل عليه ، واستغفر له ، فأعطاه قميصه ، وقال : إذا فرغتم فاذنوني ، فلما أراد أن يصلي عليه ، جذبه عمر وقال : أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين ؟ فقال : بلى خَيْرَني وقال (استَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) قال : فصلي عليه ، قال : فأنزل الله تبارك وتعالى (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) قال : فترك الصلاة عليهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عبيد الله ، عن ابن عمر ، قال : لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول ، جاء ابنه عبد الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه ، يكفن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن سلول : أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا خَيْرَني رَبِّي . فقال : (استَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) ، إن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) وسأزيد على سبعين ، فقال : إنه منافق ، فصلي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) .

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري ، قال : ثنا يحيى بن سعيد . عن مجالد ، قال : ثنا عامر ، عن جابر ابن عبد الله ، أن رأس المنافقين مات بالمدينة ، فأوصى أن يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يكفن في قميصه ، فكفنه في قميصه ، وصل عليه ، وقام على قبره . فأنزل الله تبارك وتعالى (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سلمة ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلي على عبد الله بن أبي بن سلول ، فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن جابر ، قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ، وقد أدخل حفرته ، فأخرجه ، فوضعه على ركبتيه ، وألبسه قميصه ، وتفل عليه من ريقه ، والله أعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول ، دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ؛ فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحولت حتى قمت في صدره ، فقلت : يا رسول الله ، أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا وكذا ، أعدد أيامه ١ ورسول الله عليه الصلاة والسلام يتبسم ، حتى إذا أكثرت عليه ، قال : أَخْرَجَنِي يَا عُمَرُ إِنِّي خَيْرٌ فَاخْتَبَرْتُ وَقَدْ قِيلَ لِي (استَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ)

(١) كذا في النيسابوري أيضا ، ولعله مصحف آثامه ، ورواية البخاري : أعدد قوله .

إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ ، لَزِدْتُ ؛ قَالَ : ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَمَشَى مَعَهُ ، فَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُ ، قَالَ : أَعْجَبَ لِي وَجَرَأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا بِسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَاتَانِ (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا) فَاصْطَلَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ عَلَى مَنَاقِقِ ، وَلَا قَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : لما مات عبد الله بن أبي ، أتى ابنه عبد الله بن عبد الله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فسأله قميصه ، فأعطاه ، فكفّن فيه أباه .

حدثنا المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني الليث ، قال : ثني عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن عباس ، عن عمر بن الخطاب ، قال : لما مات عبد الله بن أبي ، فذكر مثل حديث ابن حميد ، عن سلمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) . . . الآية ، قال : بعث عبد الله بن أبي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مريض ليأتيه ، فنهاه عن ذلك عمر ، فأناه نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فلما دخل عليه قال نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَهْلَكَكَ حُبُّ الْيَهُودِ ، قال : فقال : يا نبي الله إني لم أبعث إليك لتؤنّبني ، ولكن بعثت إليك لتستغفر لي ، وسأله قميصه أن يكفن فيه ، فأعطاه إياه ، فاستغفر له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمات ، فكفن في قميص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونفث في جلده ودلاه في قبره ، فأنزل الله تبارك وتعالى (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا) . . . الآية ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلم في ذلك ، فقال : « وَمَا يُغْنِي عَنْهُ قَمِيصِي مِنَ اللَّهِ أَوْ رَبِّي وَصَلَاتِي عَلَيْهِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُسَلِّمَ بِهِ أَلْفٌ مِنْ قَوْمِهِ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أرسل عبد الله بن أبي ابن سلول وهو مريض إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فلما دخل عليه ، قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَهْلَكَكَ حُبُّ يَهُودَ ، قال : يا رسول الله ، إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ، ولم أرسل إليك لتؤنّبني ، ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه ، فأعطاه إياه وصلى عليه ، وقام على قبره ، فأنزل الله تعالى ذكره (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ

كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾

❦ يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم فتصلي على أحدهم إذا مات ، وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده ، فإني إنما أعطيته ما أعطيته من ذلك ، لأعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم ، بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات ، وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ) يقول : وليموت فتخرج نفسه من جسده ، فيفارق ما أعطيته من المال والولد ، فيكون ذلك حسرة عليه عند موته ، ووبالاً عليه حينئذ ، ووبالاً عليه في الآخرة بموته ، جاحداً توحيد الله ، ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن السدي (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ) في الحياة الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ

وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وإذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن ، بأن يقال لهؤلاء المنافقين (آمِنُوا بِاللَّهِ) يقول : صدقوا بالله (وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ) يقول : اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) يقول : استأذنتك ذوو الغنى والمال منهم في التخلف عنك ، والقيود في أهله (وَقَالُوا ذَرْنَا) يقول : وقالوا لك : دعنا نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم ، ومن لا يقدر على الخروج معك في السفر .

وبنحو الذي قلنا في معنى الطَّوْلِ ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ) قال : يعني أهل الغنى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) يعني : الأغنياء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ) ، اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) كان منهم عبد الله بن أبي ، والجد بن قيس ، فنعى الله ذلك عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾

يقول تعالى ذكره : رضى هؤلاء المنافقون الذين إذا قيل لهم : آمنوا بالله ، وجاهدوا مع رسوله ، استأذنتك أهل الغنى منهم فى التخلف عن الغزو ، والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين ، أن يكونوا فى منازلهم كالنساء اللواتى ليس عليهن فرض الجهاد ، فهن قعود فى منازلهن وبيوتهن (وَطُبِّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين ، فهم لا يفقهون عن الله مواعظه ، فيتعظون بها ، وقد بينا معنى الطبع ، وكيف الختم على القلوب فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .
وبنحو الذى قلنا فى معنى الخوالب ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) قال : والخوالب : هن النساء .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) يعنى : النساء .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حبويرة أبو يزيد ، عن يعقوب القمى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) قال : النساء .
قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (مع الخوالب) قال : مع النساء .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) أى مع النساء .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) قالوا : النساء .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) قال : مع النساء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٨﴾

يقول تعالى ذكره : لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين ، لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والذين صدقوا الله ورسوله معه ، هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم ،

فأنفقوا في جهادهم أموالهم ، وأتعبوا في قتالهم أنفسهم ، وبذلوا (وأولئك) يقول : وللرسول وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم الخيرات ، وهي خيرات الآخرة ، وذلك نساؤها وجناتها ونعيمها ، واحداً : خيرة ، كما قال الشاعر :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلَاتِ رَبَلَاتٍ هِنْدٍ خَسِيرَةَ الْمَلَكَاتِ
والخيرة من كل شيء : الفاضلة (وأولئك هم المفلحون) يقول : وأولئك هم المخلدون في الجنات الباقون فيها الفائزون بها .

القول في تأويل قوله تعالى

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

يقول تعالى ذكره : أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه جنات ، وهي البساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار (خالدين فيها) يقول : لا يمتنون فيها ، لا يموتون فيها ، ولا يطعنون عنها ، (ذلك الفوز العظيم) يقول : ذلك النجاء العظيم ، والحظ الجزيل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾

يقول تعالى ذكره (وجاء) رسول الله صلى الله عليه وسلم (المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم) في التخلف (وقعد) عن المجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه (الذين كذبوا الله ورسوله) وقالوا : الكذب ، واعتذروا بالباطل ، فيهم يقول تعالى ذكره : سيصيب الذين جحدوا توحيد الله ، ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم عذاب أليم .

فإن قال قائل : فكيف قيل (وجاء المعذرون) وقد علمت أن المعذر في كلام العرب ، إنما هو الذي يُعذّر في الأمر ، فلا يبالغ فيه ، ولا يُحكّمه ، وليست هذه صفة هؤلاء ، وإنما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا في طلب ما ينهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدوّهم ، وحرصوا على ذلك ، فلم

(١) البيت أنشده أبو عبيدة لرجل من بني عدي تميم ، جاهلي (اللسان : خير) . قال : وقال تعالى (أولئك لهم الخيرات) جمع خيرة وهدي الفاضلة من كل شيء . وقال تعالى : (فيهن خيرات حسان) ، قال الأخصس : إنه لما وصف به وقيل فلان خير ، أشبه الصفات ، فأدخلوا فيه الهاء للمؤنث ، ولم يريدوا به أفعال وأنشد البيت . فإن أردت معنى التفضيل قلت : فلانة خير الناس ولم تقل خيرة ، وفلان خير الناس ، ولم تقل أخير ، لا يثنى ولا يجمع ، لأنه في معنى أفعال . وقال أبو منصور الأزهري : لا فرق بين الخيرة (بتشديد الياء) ، والخيرة (بتخفيفها) عند أهل اللغة ، يقال : هي خيرة النساء ، وشرة النساء ، واستشهد بما استشهد به أبو عبيدة . وقال خالد بن جنية : الخيرة من النساء : الكريمة النسب . الشريفة الحسب . الحسنة الوجه ، الحسنة الخلق ، الكثيرة المال ، التي إذا ولدت أنجبت . والريلة ، بتحريك الباء وإسكانها : كل حمة غليظة . وقيل هي ما حول الضرع والحياء ، من باطن الفخذ ، وامرأة ريلة وربلاء : ضخمة الريلات .

يجدوا إليه السبيل ، فهم بأن يوصفوا بأنهم قد أعذروا ، أولى وأحقّ منهم بأن يوصفوا بأنهم عذروا ، إذا وصفوا بذلك .

فالصواب في ذلك من القراءة ما قرأه ابن عباس ، وذلك ما حدثناه المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي حماد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق عن الضحاك ، قال : كان ابن عباس يقرأ (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ) مخففة ، ويقول : هم أهل العذر مع موافقة مجاهد إياه وغيره عليه . قيل : إن معنى ذلك على غير ما ذهب إليه ، وإن معناه : وجاء المعتذرون من الأعراب ، ولكن التاء لما جاورت الذال ، أدغمت فيها ، فصيرتاً ذالاً مشددة لتقارب مخرج إحداهما من الأخرى ، كما قيل : يذكرون في يتذكرون ، ويذكر في يتذكر ، وخرجت العين من المعتذرين إلى الفتح ، لأن حركة التاء من المعتذرين وهى الفتح ، نقلت إليها ، فحركت بما كانت به محرّكة ، والعرب قد توجه في معنى الاعتذار إلى الإعذار ، فتقول : قد اعتذر فلان في كذا ، يعنى : أعذر ، ومن ذلك قول لبيد :

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ

فقال : فقد اعتذر ، بمعنى : فقد أعذر .
على أن أهل التأويل ، قد اختلفوا في صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بأنهم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معذرين ، فقال بعضهم : كانوا كاذبين في اعتذارهم ، فلم يعذرهم الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو صبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، عن الحسين ، قال : كان قتادة يقرأ (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ) قال : اعتذروا بالكتب .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ) قال نفر من بني غفار جاءوا فاعتذروا ، فلم يعذرهم الله ، فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء أن هؤلاء القوم إنما كانوا أهل اعتذار بالباطل لا بالحق ، فغير جائز أن يوصفوا بالإعذار ، إلا أن يوصفوا بأنهم أعذروا في الاعتذار بالباطل . فأما بالحق على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء ، فغير جائز أن يوصفوا به . وقد كان بعضهم يقول : إنما جاءوا معذرين غير جادين ، يعرضون ما لا يريدون فعله ، فن وجهه إلى هذا التأويل ، فلا كلفة في ذلك ، غير أنه لأهل العلم بتأويل القرآن ، وجهه تأويله إلى ذلك ، فاستحبوا القول به .

وبعد : فإن الذى عليه من القراءة قرآء الأمصار ، التشديد في الذال ، أعنى من قوله (الْمُعَذِّرُونَ) فى ذلك دليل على صحة تأويل من تأوله بمعنى الاعتذار ، لأن القوم الذين وصفوا بذلك لم يكلفوا أمراً عذروا فيه ، وإنما كانوا فرقتين ، إما مجتهد طائع ، وإما منافق فاسق ، لأمر الله مخالف ، فليس في الفريقين موصوف بالتعذير في الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو معذير مبالغ ، أو معتذر ،

فإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الحججة من القرآء مجمعة على تشديد الذال من المعذرين ، علم أن معناه ما وصفناه من التأويل ، وقد ذكر عن مجاهد في ذلك موافقة ابن عباس .
 حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن حميد ، قال : قرأ مجاهد (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ) مخففة ، وقال : هم أهل العذر .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان المعذرون .
 القول في تأويل قوله تعالى :

**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ
 وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾**

يقول تعالى ذكره : ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ، ولا على المرضى ، ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها إلى مغزاه حرج ، وهو الإثم ، يقول : ليس عليهم إثم إذا نصحوا لله ولرسوله في مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما على المحسنين من سبيل) يقول : ليس على من أحسن ، فنصح الله ورسوله في تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد معه ، لعذر يعذر به طريق يتطرق عليه ، فيعاقب من قبله (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : والله سائر هلى ذنوب المحسنين ، يتغمدها بعفوه لهم عنها ، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها .

وذكر أن هذه الآية نزلت في عائذ بن عمرو المزني . وقال بعضهم : في عبد الله بن مغفل .

ذكر من قال : نزلت في عائذ بن عمرو

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) نزلت في عائذ بن عمرو .

ذكر من قال : نزلت في ابن مغفل

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى) . . . إلى قوله (حَزَنًا أَنْ لَا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه ، فجاءته عصابة من أصحابه ، فيهم عبد الله ابن مغفل المزني ، فقالوا : يا رسول الله احملنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَاللَّهِ مَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ، فتولوا ولهم بكاء ، وعزّ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ، ولا يجدون نفقة ، ولا محملا فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله ، أنزل عذرهم في كتابه ، فقال (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ) . . . إلى قوله (فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .

(١) بياض في الأصل ، والذي ذكره السيوطي في الدر وابن كثير في تفسيره عن ابن إسحاق أنهم نفر من بني غفار ، منهم خفاف

ابن إيماء بن رخصة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ
تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿١٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ولا سبيل أيضا على نفر الذين إذا ما جاءوك لتحملهم ، يسألونك الحملان ليبلغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك يا محمد ، قلت لهم : لا أجد حمولة أحملكم عليها (تَوَلَّوْا) يقول : أدبروا عنك (وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا) وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون ، ويتحملون به للجهاد في سبيل الله .

وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت في نفر من مزيينة :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) قال : هم من مزيينة .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) قال : هم بنو مقرن من مزيينة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، قراءة عن مجاهد في قوله (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) . . . إلى قوله (حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) قال : هم بنو مقرن من مزيينة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) قال : هم بنو مقرن من مزيينة .

قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن عروة ، عن ابن مغفل المزني ، وكان أحد نفر الذين أنزلت فيهم (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) . . . الآية .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن ابن جريج عن مجاهد ، في قوله (تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا) قال : منهم ابن مقرن .

وقال سفيان : قال الناس : منهم عيرباض بن سارية .

وقال آخرون : بل نزلت في عيرباض بن سارية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن عبد الرحمن ابن عمرو السلمى ، وحجر بن حجر الكلاعى ، قالا : دخلنا على عيرباض بن سارية ، وهو الذى أنزل فيه (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) . . . الآية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن ، قال : ثنا الوليد ، قال : ثنا ثور ، عن خالد ، عن عبد الرحمن بن عمرو ، وحجر بن حجر بنحوه .

وقال آخرون : بل نزلت في نفر سبعة من قبائل شتى .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب وغيره ، قال : جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه ، فقال : (لا أجيد ما أحملكم عليه) فأنزل الله (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) . . . الآية ، قال : هم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ، ومن بني واقف : حريمي بن عمرو ، ومن بني مازن ابن النجار : عبد الرحمن بن كعب ، يكنى أبا ليلي ، ومن بني المعلّى : سلیمان بن صخر ، ومن بني حارثة : عبد الرحمن بن يزيد أبو عبلة ، وهو الذي تصدق بعرضه ، فقبله الله منه ، ومن بني سلمة : عمرو بن غنمة ، وعبد الله بن عمرو المزني . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) إلى قوله (حزنًا) وهم البكاعون كانوا سبعة ، والله أعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم)

